جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامى

العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية(جنوة- بيزا – البندقية) 0

656 - 869هـ/ 1258 – 1464م

رسالة مقدمة من الطالب :

مجدي يسن عبد العال عبد الله سلام

لنيل درجة الد كتوراه في الآداب

تحت إشراف

الاستاذ الدكتور : قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى

الاستاذ الدكتور : سامية مصطفى مسعد أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

الدكتور : حاتم عبد الرحمن الطحاوي أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

2005-2004

بسم الله الرحمن الرحيم

{{ فَأَماَّ الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا ما ينفعُ النَّاسَ فيمكُثُ في الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهَ

الأمْثَالَ }}َ

صدق الله العظيم

سورة الرعد آية 17

[أ] أهمية الموضوع ومنهج الدرا سة :

تجلى الصراع الإسلامي الصليبى في العصور الوسطى في جبهتين ,إحداهما : في المشرق الإسلامى والمتمثل في الحملات الصليبية علي الشام ومصر , وثانيتهما : في الغرب الاسلامى والمتمثل في الحملات الحربية لنصارى إسبانيا على بلاد الاندلس والمغرب ،وقد تناول الكثير من الباحثين مظاهر العلاقات السياسية والحربية لهذا الصراع في المشرق والمغرب ،إلا أن العلاقات الاقتصادية لم تنل حظًا ً وافيًا من الدراسة لاسيما مع الغرب الإسلامى . وتناول بعض الباحثين العلاقات التجارية بين المشرق الإسلامى و الجمهوريات الإيطالية ,ومنهم الباحث مصطفي حسن محمد الكنانى الذي تناول موضوع العلاقات بين جنوة و الشرق الأدنى الإسلامى في عصرى الفاطميين والأيوبيين ،كذلك الباحث فايد حماد عاشور وموضوعه العلاقة بين البندقية و الشرق الأدنى الإسلامى في العصر الأيوبى ، وأيضًا الباحث سامي سلطان مسعد وموضوعه أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية من عام 1100-1400م، ولكن العلاقات مابين الجمهوريات الإيطالية ودولة بنى مرين بالغرب الإسلامى لم يتطرق لدراستها أحد من الباحثين ، فقد أشارت بعض الوثائق اللاتينية والعربية بالأرشيفات الإيطالية والمصادر العربية إلي اتفاقيات تجارية بين جمهوريات إيطاليا مع بلاد المغرب في عصر دولة بنى مرين ، كذلك وجود جاليات إيطالية في موانئ سبتة ومليلة وباديس وغيرها من موانئ بلاد المغرب المرينية ، وأيضا وجود جاليات مغاربية بالجمهوريات الإيطالية ، وفضلا عن ذلك تضمنت دواوين بلاد المغرب في العصر المرينى أعدادًا من التجار الإيطاليين ، أضف إلى ذلك قيام دولة بنى مرين بدور الوسيط التجارى ما بين بلاد السودان والجمهوريات الإيطالية ، وكذلك قيام الجمهوريات الإيطالية بدور الوسيط التجارى ما بين بلاد السودان والمغرب من جهة وبين مختلف الدول الأوربية بحوض البحر المتوسط والمشرق الإسلامى من جهة أخرى 0 وقد قمت بدراسة دول المرابطين والموحدين وبنو مرين ببلاد الغرب الإسلامى في رسالة سابقة للماجستير ، وتناولت مختلف العلاقات الخارجية لتلك الدول الإسلامية مع الدول النصرانية بحوض البحر المتوسط ، غير أن أهم هذه العلاقات هو ذلك الموضوع الجديد الذي لم يتطرق إليه أحد من الباحثين وهو ما أطمح إلى سبر أغواره في هذه الدراسة .

فلم تكن دولة بنى مرين سباقة في عقد الاتفاقيات التجارية مع المدن الإيطالية لأن تلك المدن الإيطالية هي التي بدأت بعقد الاتفاقيات التجارية مع بلاد المغرب ، فقد كانت المدن الإيطالية في حاجة شديدة للذهب المغربي الوافد عليها من بلاد غرب السودان(دولة مالي وبلاد غانة)، كذلك منتجات المغرب والمواد الخام والحبوب وغير ذلك مما تحتاج إليه المدن الإيطالية لتنشيط دور صناعاتها المختلفة ولتحصيل الأموال والأرباح الفائقة من بيعها بعد ذلك إلى مختلف الدول لاسيما بحوض البحر المتوسط ، وفي المقابل كانت بلاد المغرب في حاجة شديدة إلى تصريف منتجاتها من المواد الأولية والذهب وغير ذلك من المنتجات المغربية ، فقد كانت الدولة المرينية في حاجة شديدة للأموال لتشييد الجيش والأسطول ومرافق الدولة وفرض الأمن بها لمواجهة الحروب النصرانية الإسبانية والتهديدات الخارجية لمدنها وسواحلها من قِبَل أسبانيا والبرتغال ، غير أن التقنيات البحرية والخبرة الملاحية الإيطالية هي التي سبقت الدولة المرينية وفرضت نفسها على دولة بني مرين ، فقد تواجد التجار الإيطاليين بالمدن المختلفة لكافة سواحل المغرب المرينى على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مزودين بالأساطيل التجارية والسلع الجيدة لمقايضتها بالذهب والسلع المغربية رخيصة الثمن عالية الربح ، و تواجد هؤلاء التجار الإيطاليين بأعداد غفيرة بالمدن المغربية ذوالخبرة الملاحية الفائقة وإحتكارهم، وفرضهم الهيمنة على التجارة بالمغرب الإسلامي، وفي المقابل نجد أن الدولة المرينية لم تبادر إلى تحديث الأساطيل التجارية ذات الخبرة العالية والتقنيات الفائقة لتضاهي بها الأساطيل الإيطالية، رغم أن أراجون وقطالونيا والبرتغال كانت دول متخلفة فيما يتعلق بالعمليات التجارية الخارجية إلا أنها سرعان ما طورت من نفسها لتوازي وتواكب التقنيات الحديثة للأساطيل الإيطالية ، فكان لتلك الدول السبق في الاهتمام بالأساطيل التجارية والتجارة الخا رجية أما دولة بني مرين فقد اعتمدت في بداية أمرها على الأساطيل الإيطالية في التجارة الخارجية ونقل الحجيج ولم تهتم بالأسطول البحرى إلا في وقت الحرب عندما دعت الحاجة إلى تشييد السفن البحرية، أما في فترات الضعف والتدهور المرينى فقد انهارت التجارة الخارجية وسقطت المدن المرينية الساحلية تباعاً في أيدى الأسبان والبرتغاليين، لتحرم بلاد المغرب من الشريان التجاري الذي كان يصلها بالعالم الخارجى ، فضلاً عن حرمانهم من منافسة المدن الايطالية 0

وقد وجدت مشقة كبيرة في جمع المادة العلمية المتناثرة في ثنايا المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية ، وكتب التراجم والنوازل والحسبة والتصوف والوثائق والمصادر اللاتينية والمراجع الإيطالية والفرنسية والإسبانية أضف إلى ذلك أن الاتفاقيات التجارية لم تدم فترات طويلة وذلك يرجع إلى وفاة السلطان أبو فارس عنان المريني ، فكانت تلك المعاهدات قصيرة المدى مما يوحي بقصر الفترة التاريخية لتلك الإتفاقيات وعدم معرفة نتائجها بمرور الوقت . فضلا عن ذلك ندرة المصادر والمراجع التي تعرضت لموضوع البحث0

وقد حاولت في هذه الدراسة الاستعانة بالموقع الجغرافي والموانئ المغربية والإيطالية وطرق التجارة عبر الممرات الجبلية المغربية وطرق التجارة ما بين بلاد السودان الغربي ، وبلاد المغرب وساحل البحر المتوسط ، كذلك المدن التجارية المغربية وموانئها الهامة على سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وأثر العوامل المناخية على التجارة البحرية ، و وقت هبوب الريح المواتية للتجارة وأيضًا الاستعانة بالأحداث السياسية لمعرفة أوقات الرواج التجاري وعكسه، كل ذلك لكي يتم الجمع بين الجانب النظري و التطبيقي الذي تنهجه الدراسات التاريخية الحديثة ، كذلك تتبعنا أسلوب معالجة الوثائق التجارية بوثائق أخرى بمعنى معالجة وثيقة بوثيقة أخرى وهو عنصر المقابلة والمقارنة وأسلوب النقد في سياق عرض عناصر البحث وحاولت الإلتزام بالمنهج العلمي الذي يستند إلى المقارنة والمقابلة بين النصوص لاستخلاص النتائج مع استبعاد الروايات المبالغ فيها .

وقد قسمت الرسالة إلى أربعة فصول قدمت لها بمقدمة وهي تشمل عرضاً عاماً لموضوع البحث وأهميته ، ومنهج الدراسة وتقسيماتها ودراسة نقدية لأهم مصادر البحث ، ثم دراسة تمهيدية تنقسم إلى قسمين فأما الأول :الموقع الجغرافي لدولة بني مرين والمدن الإيطالية ، وهو ما يتعلق بمسرح العمليات التجارية لإلقاء الضوء على المدن الإيطالية ودولة بني مرين لمعرفة الأماكن التي تميزت بجودة موانِئِها والممرات الجبلية التي عبرت من خلالها قوافل التجارة ، وتضرس السواحل لمعرفة الأماكن والموانئ التي تميزت ببعدها عن مجاري السيول وهبوب الريح ، وسعة الموانئ في استيعاب العدد الكبير للسفن التجارية ونوعية السفن ، كذلك المعوقات التي أعاقت حركة السفن التجارية في ارتياد الموانئ مثل وجود الصخور، وبروز صخرية بمجاري الأنهار ، أضف إلى ذلك العوامل المناخية وأثرها على التجارة البحرية والبرية ، فكان هناك وقت هبوب الريح الشرقية والغربية التي ساعدت حركة السفن في البحر

المتوسط ، وأيضاً وقت هبوب الريح المدمرة في الشتاء والتي منعت التجارة من الاستمرار خوفاً من الغرق وتدمير السفن والتيه والتحول عن المجرى الملاحي، وكذلك وقت هبوط الثلوج بالممرات الجبلية فكانت القوافل التجارية تغوص في الثلوج وتُدفَن تحتها ، كذلك كانت الثلوج تسد الممرات والمنافذ الجبلية وتعوق الحركة التجارية ،

وأما القسم الثاني فتناول العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الايطالية ، وذلك لإلقاء الضوء على طبيعة دولة بني مرين وحالتها السياسية لمعرفة أوقات القوة والإزدهار وبالتالي رواج الحركة التجارية ، ومعرفة أوقات الضعف والتدهور وبالتالي كساد التجارة وتدهورها ، و أيضاً هل كانت التجارة المرينية مع المدن الإيطالية ذا صفة رسمية؟ أم كانت مبادرات تجارية شخصية لكبار التجار بدولة بني مرين؟ ،وتكلمت عن العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية لمعرفة تفوق وسيطرة الجمهوريات الإيطالية على حوض البحر المتوسط والحركة الملاحية به وضعف وتنازل المغاربة عن القيادة والتحكم في الملاحة والتجارة في البحر المتوسط لاسيما في القرن 12م، وأيضاً المعاهدات السياسية والتجارية السابقة بين الجمهوريات الإيطالية وبلاد المغرب في عصر الموحدين ، لإلقاء الضوء على طبيعة تلك الاتفاقيات ونظم التجارة بها، ومدى أطماع جنوة في احتلال المدن المغربية لاسيما مدينة سبتة المعقل التجاري المغربي ، ثم تطور العلاقات بين جنوة وبلاد المغرب ومحاولة الإيطاليين البحث عن طرق للتوغل داخل بلاد المغرب للوصول إلى منابع تجارة الذهب السوداني(غرب أفريقيا) ، كذلك مساعدة جنوة لدولة بني مرين في تحديث وتنظيم الأسطول الحربي المغربي لمواجهة قشتالة وأراجون 0

وتحدثت عن أثر العلاقات السياسية الإسبانية الإيطالية على التجارة بدولة بني مرين ، فقد كان هناك تنافس كبير بين الإسبان والإيطاليين حول التجارة المغربية المرينية ، فكل جهة تحاول أن تفوز بأكبر قدر من تلك التجارة على حساب الآخر ، وهل تأثر المغاربة من جراء ذلك ؟ ، فقد تواجد التجار الإيطاليون بجانب التجار الإسبان لممارسة التجارة ببلاد المغرب المرينية ، لكن التجار الإسبان كانت لهم ميول استعمارية ببلاد المغرب ، كذلك قيام البرتغال باحتلال مدينة سبتة أهم موانئ دولة بني مرين ، وبالتالي تضاءلت التجارة المغربية على شاطئ البحر المتوسط ،وتم طرد التجار الإيطاليين منها ليتحول محور تجارة العبيد والذهب من بلاد السودان عبر بلاد المغرب إلى أسبانيا والبرتغال ثم تنتقل بعد ذلك لتباع في المدن الإيطالية ،

وهو ما يعني تحول دور الوسيط الأوربي التجاري من إيطاليا إلى اسبانيا والبرتغال لاسيما في النصف الأول من القرن 15م 0

وتناولت أيضاً الصراع السياسي والحربي بين المدن الإيطالية مع بعضها البعض [جنوة – بيزا –البندقية] وأثره على التجارة المرينية ، فقد شهدت موانئ الدولة المرينية حركة نهب وتدمير للسفن التجارية الإيطالية ، فكانت كل من جنوة وبيزا والبندقية تهاجم سفن الأخرى وتنهبها وتدمرها ، نظراً للصراع على الزعامة التجارية بحوض البحر المتوسط وتسبب ذلك في تدهور التجارة بالبحر المتوسط نتيجة عمليات القرصنة والفوضي والتدمير 0

وانتقلتُ بعد ذلك إلى أثر التنافس السياسي والتجاري بين جنوة وممالك إسبانيا النصرانية على المغرب المريني ، مبيناً كيف أن التنافس جعل جنوة تحارب النفوذ الإسباني في دولة بني مرين ، في حين استبد الإسبان والبرتغاليون بالتجارة في بلاد المغرب ، غير أن دولة بني مرين لم تتأثر نتيجة ذلك الصراع في بداية الأمر وإنما خسرت جنوة مكانتها الأولي التجارية لتحل محلها دول أسبانيا النصرانية في بلاد المغرب المرينية ، وتبع ذلك إستيلاء أراجون على كورسيكا وسردينيا وميورقة ومنورقة، كذلك استيلاء البرتغال على سبتة ومضيق جبل طارق، فتضاءلت التجارة المرينية بموانئها المطلة على البحر المتوسط ، لأن العمليات التجارية تحولت إلى أطماع استعمارية من جانب دول اسبانيا النصرانية مما سبب ضعفاً للنشاط التجاري الإيطالي بدولة بني مرين 0

وتناولت أثر القرصنة على التجارة الإيطالية المرينية ، بوصفها أولى المعوقات التي أصابتها، وبيّنتُ أن القرصنة كانت على يد الأراجونيين والإيطاليين ، وكانت تهدف إلى السيطرة على التجارة في غربي البحر المتوسط ونهب وسرقة المتاجر وأسر المسلمين وبيعهم عبيداً بأوربا، أو أخذ الفدية في مقابل إطلاق سراحهم ، وأوضحت أن في مقابل ذلك نشطت حركة الجهاد البحري لمقابلة عمليات القرصنة والقضاء عليها ،

وقد تحدثت عن كثير من الاتفاقيات التجارية المتبادلة بين مختلف دول غرب حوض البحر المتوسط حول منع القرصنة ، غير أن ذلك لم يمنع استمرار أعمال القرصنة ، وما سببته من ضرر بالغ على العمليات التجارية البحرية 0

وتناولت في الفصل الأول من الرسالة مقومات التجارة في دولة بني مرين ، فعرضت لأهم طرق التجارة البرية والبحرية ، وأهم الموانئ التجارية والسفن التجارية وأنواعها ، والأسواق،

وكذلك أنواع الموازين والمكاييل والمقاييس والعملات النقدية ، وأهم السلع التجارية وبعض أسعارها ، وأوضحت النظم التجارية المرينية مثل الوكالة والشراكة والقراض والإستدانة والسلف والمقايضة والكراء والمزايدة والوديعة والرهن والحوالة والصك والسفتجة ، وتناولت الضرائب والمكوس الجمركية التجارية ، والآثار السلبية المؤثرة على التجارة المرينية 0

أما الفصل الثاني تحدثتُ فيه عن العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية في ضوء الوثائق التجارية ، فتكلمت عن ماهي هذه الوثائق التجارية مثل وثائق ماس لاتري وهي وثائق لاتينية قام بجمعها من أرشيفات المدن الإيطالية ، ووثائق أماري ميشيل وهي وثائق عربية بأرشيفات المدن الإيطالية قام بنشرها بالنص العربي وأرفق معها النص اللاتيني، ووثائق لوبيز وهي الوثائق اللاتينية التي جمعها من أرشيفات المدن الإيطالية وترجمها إلى اللغة الإنجليزية، والوثائق العربية المحفوظة بالتاج الأراجوني، ومن خلال تلك الوثائق تحدثت عن مضمونها، والسمات التي كانت مشتركة بينها والخصائص الفردية لتلك الوثائق، ومدى علاقة الوثائق بالواقع التاريخي ، ثم إنتقلت إلى المسائل التجارية التي تناولتها تلك الوثائق والمعاهدات من خلال عدة موضوعات رئيسية ، منها دور القناصل التجارية ، ومسألة معاقبة التجار المخالفين للقوانين التجارية المرينية ، ومسألة التنازع بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين ، ومسألة تحطم السفن التجارية لكلا الطرفين، ومسألة وراثة التاجر المتوفي لدى الطرف الآخر ، ومسألة الضرائب الجمركية ، ومسألة الفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطاليين ، ومسألة كراء السفن ، ومسألة دور التجار الجنوية التجاري بدولة بني مرين ، ومسألة السلع التجارية المتبادلة بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين ، ومسألة دور التجار اليهود المغاربة والإيطاليون في التجارة الخارجية 0

أما الفصل الثالث فقد أفردته لأحوال التجار المغاربة والإيطاليين ، وهو ينقسم إلى قسمين ، الأول: التجار المغاربة و أوضحت فيه: 1- صفات التجار0 2- طبقات التجار، وهم التاجر الخزان والتاجر الرقاد(المتجول) والتاجر المجهز(المصدر) ، ثم أوضحت فئات التجار وهم ثلاثة فئات ، فئة كبار التجار ، وفئة التجار المتوسطين وصغار التجار، وفئة التجار المغاربة اليهود 0 3 - الجاليات المغاربية والتجار الذين عاشوا بالمدن الايطالية0

والثاني : تناولتُ فيه التجار الإيطاليين في موضوعين: 1- صفات التاجر الإيطالي ، فتحدثتُ

عن أوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية0 2- الجاليات الإيطالية والتجار الإيطاليين الذين عاشوا بدولة بني مرين 0

أما الفصل الرابع : فقد خصصته للنظم التجارية للمدن الايطالية [جنوة – بيزا – البندقية] 0 فتكلمت عن طرق التجارة الإيطالية ، والسفن التجارية الإيطالية ، وحركة الشحن البحري، والإدارة القنصلية للتجار والتجارة ، وتحدثت عن عقود التجارة البحرية [Commenda]،وعقود قرض البحر, والموثقون ، وكاتبو العقود، والحوالات والكمبيالات والقرض المالي ودور اليهود فيه، والمقايضة، وتناولت الصادرات والواردات الإيطالية وأهم السلع التي استوردتها المدن الإيطالية من بلاد المغرب وأهم السلع التي قامت المدن الإيطالية بتصديرها للدولة المرينية، وإنتقلت إلى العملات النقدية الإيطالية فأوضحت العملات النقدية وأنواعها وأسعار بعض السلع،والصيرفة والبنوك الإيطالية والضرائب الجمركية والموازين والمقاييس والمكاييل التجارية،وأنهيت الرسالة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم ذيلت الرسالة بقائمة الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع الأجنبية والعربية والمعربة 0

ويشرفني أن أتقدم بخالص التقدير والإحترام والمحبة إلى أستاذي الجليل ،فضيلة العالم الكبير الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم ،المشرف الرئيسي للبحث ، الذي تعهد البحث والباحث برعايته الكبيرة وملاحظاته وتوجيهاته السديدة التي أفدت منها إفادة كبيرة ، فله مني أفضل تقدير وخالص الشكر وعنِّي أجزل وخير الجزاء، كما أتقدم بوافر الشكر للأستاذة الدكتورة سامية مصطفي مُسعد مُشرفة الرسالة بخالص الشكر والعرفان علي ما بذلته من جهد ومساعدة وملاحظات قيمة طوال فترة البحث، وأتقدم بوافر الشكر للدكتور حاتم عبد الرحمن الطحاوي مشرف الرسالة على مابذله من جهد كبير وملاحظاته القيمة طوال فترة البحث ،

كما أتقدم بالتقدير والإحترام لفضيلة الأستاذ الدكتور رضوان البارودي عميد كلية التربية بجامعة كفر الشيخ وأستاذ التاريخ الإسلامي علي ما بذله من جهد كبير ورعاية فائقة للبحث، فقد أمدني بمكتبته العلمية الذاخرة، وأمدني بجميع وثائق الرسالة فله مني أفضل تقدير وإحترام، وأوجه الشكر إلى الدكتور إبراهيم السايح مدرس اللغات اللاتينية واليونانية بجامعة الزقازيق ، وأمناء وموظفي مكتبات القاهرة وجامعة القاهرة ومكتبة الإسكندرية ، ومكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، ومكتبة البلدية بالإسكندرية والجامعة الأمريكية بالقاهرة والمركز

الأمريكي بالإسكندرية ومركز المخطوطات بجامعة الدول العربية، والأب منصور مستريح ودير الآباء الفرنسيسكان ومكتبة السفارة الإيطالية بالقاهرة ،

وأتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أبي وأمي وزوجتي على ما بذلوه من جهد كبير وعناء ومشقة من أجل هذا البحث فلهم مني أفضل تقدير وشكر وأختم حديثي بأنني قد اجتهدت في هذا البحث جهداً كبيراً، فإن أصبت فلي عند الله أجران وإن أخطأت فلي أجر واحد ، وأرجو من الله أن يتقبل عملي هذا ويجعله في ميزان عملنا يوم الدين ، والسلام عليكم ورحمه الله 0

الباحث

[ب] دراسة نقدية لأهم مصادر البحث :

اعتمدت في كتابة هذا البحث على العديد من الوثائق والمخطوطات والمصادر الأجنبية و العربية المتنوعة من كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والشعر والطبقات والحسبة والتصوف والفقه والتجارة والنوازل والعقود ، التي أفادت البحث وتناولت الفترة التاريخية موضوع البحث وفيما يلي عرض لأهم المصادر :

أولا : الوثائق العربية التي نشرها الباحثون الأجانب:

1-Amari(M.): I Diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino(1)

تعد مجموعة الوثائق العربية التي نشرها أماري ميشيل من أهم الوثائق التي احتوت على العديد من الوثائق التجارية ،و التي جرت بين بيزا ومختلف بلدان البحر المتوسط الإسلامية مثل دولة الموحدين ببلاد المغرب ، و دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، والدولة الحفصية بتونس ، ودولة المماليك بمصروالشام، و معظم تلك الوثائق عبارة عن مراسلات دارت بين بيزا و بلاد المغرب ، وقد قام أماري ميشيل بنقلها من أرشيف بيزا بالنص اللاتيني والنص العربي ، لذا تعد تلك الوثائق العربية في هذا الكتاب من أهم الوثائق التي ارتبطت بموضوع البحث . ومن أهمها وثيقة معاهدة تجارية بين بيزا ودولة بني مرين في عصر السلطان أبي عنان المريني في 759هـ-1359م والتي أفادت موضوع البحث لاسيما في الفصل الخاص بالمعاهدات والإتفاقيات التجارية، كذلك أفادتني في النظم التجارية التي سادت بدولة بني مرين والمدن الإيطالية ، فقد استقيت معلومات مباشرة في موضوع البحث تناولت كافة النظم التجارية المتداولة بين الطرفين مثل توفير الأمن لكافة التجار من كلا الطرفين في البر والبحر ومعاقبة التجار الذين قاموا بالخروج على القوانين التي تختص بالبلاد التي يتاجرون بها ، مع إستمرار عقد الصلح بين الطرفين ، وعندما تتعرض مراكب وسفن

----

(1) Le Monnier , 1863 .

كلا الطرفين لحوادث البحر ونوّاته ويتكسر بفعل ذلك، فيجب إعادة ما تبقى من المراكب التي تكسرت إلى أصحابها دون المساس بحقوقهم ، كذلك إقامة التجار البيازنة في فنادق خاصة بهم بالمدن الساحلية التي يتاجرون بها كما تحدثت الوثيقة عن إعادة الأسرى البيازنة إلى بلادهم كذلك تسريح الأسرى المسلمين ، وأيضاً نظم الكراء والسلف بين الطرفين وحماية السفن لكلا الطرفين من خطر القراصنة أو الجهاد البحري ، وتحددت الضريبة الجمركية بنسبة 10% للسلع الصادرة للبيازنة إلى بلاد المغرب المريني ، وتضمنت هذه المعاهدة معلومة في غاية الأهمية منها أن تلك النظم التجارية التي تعاملت بها دولة بني مرين مع بيزا كانت هي نفس النظم التي تعاملت بها دولة بني مرين مع الكتلان [أراجون وكتالونيا] مما يعني أن تلك النظم التجارية كانت سائدة بحوض البحر المتوسط ، وأنها كانت من الدرجة الأولى ببلاد المغرب والمدن الإيطالية ثم اقتبسها الكتلان والأراجونيين بعد ذلك ،

واستقيت أيضاً من كتاب أماري العديد من المعاهدات الأخرى بين المدن الإيطالية مع الدولة الحفصية بتونس وذلك لمعرفة النظم التجارية التي اشتغلت بها المدن الايطالية مع المدن المغربية, وهل هناك فارق بين الذي تعاملت به المدن الإيطالية مع الدولة الحفصية أو الدولة المرينية ، وقد اتضحت الصورة بأن النظام كان واحدًا في التعامل التجاري، ومن تلك المعاهدات التجارية معاهدة مدينة بيزا مع تونس عام 713هـ/1313م وتعد هذه المعاهدة أساس الاتفاقيات التي دارت بعد ذلك بين الطرفين حتى دخل عليها بعض التعديلات في عام 800هـ/ 1397م ، واستمرت هذه الاتفاقيات التجارية سارية حتى عام 849هـ/ 1445م .

2- Maximiliano Y Reman Gracia: L Documentos Árabes Diplomáticos Del Archivo de la Corona de Aragón/Madrid –Granada 1940.

تعد الوثائق المغربية المرينية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجوني التي نشرها الباحث ماكسميليانو بالنص العربي و أرفق معه النص الأسباني من أهم الوثائق المتعلقة بموضوع البحث لاسيما وأن العلاقات التجارية ونظمها المختلفة لدي دولة بني مرين والتي كانت قائمة مع المدن الإيطالية في نفس الوقت، كانت قائمة مع دولة أراجون والكتلان مما يوضح أن النظم التجارية بين دولة بني مرين والمدن الإيطالية كانت هي نفسها فيما يتعلق بتجارة

بني مرين مع أراجون وكتالونيا ، لذا استعنت بوثائق التاج الأراجوني لمعرفة طبيعة العلاقات التجارية لأراجون وكتالونيا مع دولة بني مرين، وبالتالي معرفة المزيد من النظم التجارية التي تعاملت بها الدولة المرينية مع المدن الإيطالية ، وقد كانت وثائق التاج الأراجوني مليئة بالمعلومات القيمة والتي اقتبسنا منها وجود تجار جنوية بغرناطة للتجارة ومن هؤلاء التجار الجنوية التاجر ملول دي نغروني الجنوي الذي كان علي قيد الحياه عام 724هـ / 1324م وكان يتاجر بين غرناطة وأراجون ، ووثيقة أخرى توضح اتفاقية سلمية تجارية بين أراجون وغرناطة في عام 721هـ / 1321م ، اقتبسنا منها النظم التجارية المتبادلة والتي كانت نفس النظم التجارية بين الدولة المرينية والمدن الايطالية ، ووثائق أخرى توضح الاتفاقيات ما بين ملك أراجون والدولة المرينية حول وقف نشاط القراصنة والمشتغلين بحركة الجهاد البحري الإسلامية لتأمين حركة التجارة بين البلدين ، وحل المشاكل الناجمة عن عمليات القرصنة والجهاد البحري ، مثل تسريح المأسورين, كذلك الإفراج عن السفن والسلع التي إستولى عليها أحد الطرفين من الأخر،

وهناك وثيقة توضح اتفاقية صلح وسلم بين أراجون وغرناطة في عام 756هـ/1354م، نستنتج منها قيام قراصنة ميورقة ويابسة وغيرها من الجزر المجاورة بأسر المسلمين المغاربة [بالمغرب الأقصي] وسلب أمتعتهم ومتاجرهم وبيعهم كعبيد ببلاد أراجون رغم وجود معاهدة صلح بين غرناطة وأراجون ودولة بني مرين ،

ووثيقة أخرى عام 746هـ/1345م توضح رسالة بعثها السلطان أبوالحسن المريني إلى ملك أراجون لكي يكف أتباعه عن مهاجمة السفن المغربية وأسر المسلمين ونهب متاجرهم وأموالهم، وتكررذلك في رسائل عديدة في عهد السلطان أبو عنان المريني، ووثيقة توضح اتفاقية سلمية شملت جنوة وكتالونيا وقشتالة وغرناطة ودولة بني مرين عام 745هـ/ 1344م استفدت منها في معرفة موقف دولة بني مرين من السلم والصلح مع جنوة بعد أن كانت جنوة قد اتحدت مع البرتغال وقشتالة لإغراق الأسطول المريني في معركة طريف في عهد السلطان أبو الحسن المريني ، ووثيقة أخرى سياسية تجارية بين أراجون ودولة بني مرين في عام 709هـ/1309م عرفنا من خلالها استعانة الدولة المرينية بأساطيل أراجون لاستعادة مدينة سبتة من أيدي بني الأحمر ، ونفس أهداف تلك المعاهدة قد جرت من قبل بين ملك أراجون

ودولة بني مرين عام 703هـ / 1304م لاستعادة سبتة من بني العزفي، بل وتدمير سبتة بالكامل وتركها نهباً للجند الأراجونيين إلا أن الاتفاقية لم تتم .

ويحتوي كتاب الوثائق العربية المحفوظة بالتاج الأراجوني علي العديد من الوثائق الهامة التي رصدت العلاقات بين دول المغرب مع أراجون وغرناطة من أجل القضاء عل القرصنة والجهاد البحري الإسلامي المتبادل بين المسلمين والنصارى ومواجهة سفن كليهما ونهبها وأسر من بها كما في معاهدات716هـ/1316م ،و 726هـ/1326م ، 739هـ/1339م، و745هـ/1344م ، و 751هـ/1350م ، و 752هـ/1351م ، و761هـ/1360م، 764هـ/1362م ، و 768هـ/1367م 0

وهناك وثيقة أخرى هامة تتعلق بعلاقات أراجون بالمدن الإيطالية توضح هجوم قراصنة أراجون على السفن التجارية البيزية والجنوية الراسية بموانئ المدن الحفصية في عام 706هـ/1306م ونهبها وسلبها والإستيلاء عليها وهو ما يدل على اشتداد المنافسة على التجارة بين أراجون وكل من البيازنة والجنوية ورغبة أراجون في الانفراد بالتجارة في غرب البحر المتوسط على حساب الجنوية والبيازنة .

ثانياَ: الوثائق الأجنبية :

1-Traites De Paix de Commerce et Documentes Divers Concernant Les Relations Des Chretiens avec Les Arabes de L'Afrique Septentrionale au Moyen age par, M.L. De Mas Latrie, 2Part,(1).

قام الباحث ماس لاتري بجمع مجموعة كبيرة من الوثائق الإيطالية اللاتينية التي تعلقت بالتجارة بين التجار الإيطاليين والمغاربة في العصور الوسطى في كتاب يتضمن جزآن: الأول خاص بالمقدمة التاريخية للكتاب والآخر يتعلق بالوثائق التجارية والسياسية بين

----

(1) paris , 1966 .

المسيحيين بحوض البحر المتوسط مع المسلمين بالمغرب الأقصى والأدنى والأوسط لاسيما مع المدن الايطالية0 وقد استقيت عدة وثائق في غاية الأهمية، وتعد من أهم الوثائق المتعلقة بموضوع البحث لاسيما الاتفاقيات التجارية ونظمها، ومنها وثيقة مؤرخة عام 790هـ/1388م تتعلق بالعلاقات بين جنوة والبندقية وبيزا لعقد حملة لمهاجمة المدن المغربية التي تقوم بأعمال الجهاد البحري الإسلامي ضد السفن التجارية والحربية وسفن النقل والمواصلات النصرانية ، ووثيقة أخرى تتعلق بالاتفاقات بين جنوة والبندقية لعقد حملة مشتركة للقضاء على الجهاد البحري الإسلامي المغربي ، ووثيقة تتناول اتفاقات عسكرية بين البندقية وجنوة بشأن أعمال الجهاد البحري الإسلامي المغربي ضد سفن جنوة وقيام المغاربة بسرقة وسلب سفن التجار الجنوية أمام السواحل الافريقية .

ووثيقة تحدثت عن عقد كراء سفينة بين تجار بيزا ورئيس مركب من جنوة لفترة سفرة واحدة لشراء الصوف من بلاد المغرب الساحلية وذلك في 775هـ/1373م .

ووثيقة مؤرخة في عام 794هـ/1392م تعلقت بالنظام القضائي الجنوي الذي أصدر قرارًا يكلف فيه سكان [صافون] بالمساهمة في صيانة وتسليح المراكب الحربية المرسلة إلى بلاد المغرب وأسبانيا 0 ووثيقة أخرى مؤرخة في عام 633-634هـ/1236-1237م أوضحت العلاقات التجارية للتجار الجنوية المستقرين في سبتة ، وحادث اعتداء الجنوية على سبتة عام 633هـ/1236م و الخسائر التي فقدها بعض التجار الجنوية بسبتة 0 ووثيقة خاصة بالمعاهدة التجارية مابين دولة بني مرين وبيزا عام 759هـ/1359م وهي بالنص الفرنسي القديم وقد نشرها أيضًا أماري ميشيل بالنص اللاتيني وأرفق معه النص العربي وسبق الحديث عنها 0

2- Lopez : Medival Trade in the Mediterranean World,(1).

قام الباحث لوبيز بنشر مجموعة وثائق هامة جمعها من أرشيفات المدن الإيطالية ومختلف البلدان الأوروبية وهي باللغة اللآتينية ، ثم ترجمها إلى اللغة الإنجليزية ،

----

(1) London, 1955.

وقد تناولت تلك الوثائق كآفة النظم التجارية في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى ، و استقينا مادة علمية في غاية الأهمية والتي بصدد موضوع البحث ، فقد تناولت تلك الوثائق العديد من النظم التجارية التي سادت بالمدن الإيطالية ومنها وثيقة رقم 39 وكانت تختص باليهود الإيطاليين وأعمالهم التجارية بالبندقية وقيامهم بقرض الأموال وكانت مؤرخة في 27 أكتوبر 1412م0ووثيقة رقم 44 كانت مؤرخة في 11 مايو 1248م وهي عبارة عن عقد بيع كتبه تاجر جنوي كان يتاجر في العبيد ، وتضمن العقد بيع جارية بيضاء من مالطة إلي تاجر جنوي آخر بمبلغ 5s.10 دينار جنوي0ووثيقة رقم 61 كانت تتعلق بقرض الأموال بجنوة0ووثيقة رقم 65 كانت مؤرخة في عام 1345م بالبندقية وتتضمن الموازين والمقاييس التي كانت متداولة في التجارة بالبندقية في ذلك الوقت مع بلاد المغرب0ووثيقة رقم 72 ،76 ،77،81 وتلك الوثائق كانت تتعلق بعقود المقايضة التي كانت متبعة في جنوة في القرن 12 و13م0 ووثيقة رقم 84 ، 86 ،90 التي دارت حول عقود التوصية"Commenda" التجارية التي كانت سائدة بالمدن الإيطالية وبلاد المغرب0ووثيقة رقم 91 التي كانت تتعلق بعقود شركة الإخوة بالبندقية، وهي نوع من الشركات التجارية التي سادت المدن الإيطالية في ذلك الوقت0ووثيقة رقم 109 كانت مؤرخة في 23 مايو عام 1251م بمدينة جنوة وهي تتعلق بعقد قرض مالي في مقابل رهن0ووثيقة رقم 115 وهي عبارة عن حوالة مالية والتي كان التجار البيازنة يتعاملون بها في التجارة0 ووثيقة رقم 126 كانت مؤرخة في 1 سبتمبر 1408م بجنوة وكانت تتعلق بحركة الشحن البحري ونظام تأجير طاقم حراسة السفن التجارية من الأخطار الخارجية في عرض البحر مثل القراصنة0ووثيقة رقم 200 كتبها راهب إيطالي يصف فيها حقيقة أخلاق وصفات التاجر الإيطالي السيئة مثل الغش والخداع وعدم مراعاة الضمير وغيرها 0ووثيقة رقم 207 كتبها تاجر إيطالي مجهول في نهاية القرن 13م يصف فيها الصفات الجيدة التي كان يجب أن يتحلى بها التاجر الإيطالي0

ثالثاَ : المخطوطات العربية .

1- مؤلف مجهول 0

ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين(1) .

تناول هذا المخطوط بناء مدينة فاس في عهد الدولة الإدريسية عام 177هـ/ 793م وتقسيم منازل الناس بالمدينة ، وكان منهم اليهود ، وترتيب الأسواق حتى عصر بني مرين وبني وطاس، وتكلم المؤلف عن أعمال الغش والتزييف والاحتكار والربا الفاحش التي اقترفها اليهود بالأسواق، وقيام العامة بقتلهم ونهب بيوتهم ، وقيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بوقف أعمال القتل والنهب ضد اليهود ، ونقلهم من فاس القديمة إلى فاس الجديد ، واستمر المؤلف في سرد المشاحنات التي دارت بين المسلمين واليهود بالمغرب الأقصى حتى عام 1075هـ ، وقد قام المؤلف بالإنتهاء من كتابة هذا المخطوط عام 1075هـ/1664م 0

و تعد المعلومات التي احتواها المخطوط في غاية الأهمية لأنها تتحدث عن دقائق الحياة التجارية بأسواق فاس المرينية لاسيما منذ عصر يعقوب بن عبد الحق المريني إلى نهاية دولة بني مرين0 لذا استقيت معلومات قيمة عن مقومات التجارة الداخلية المرينية و والواقع التاريخي لدور اليهود فيها ، وأعمال الغش والتزييف وحرص اليهود على التحكم في السلع وحركة الأسواق والأسعار ومعاملات الربا حتى تشكى كل من الذين تعاملوا معهم تجارياً، وكذلك تناولت الأحداث الدامية بين المسلمين واليهود وكيفية انتقال اليهود إلى فاس الجديدة لحمايتهم من بطش المسلمين بأمر السلطان المريني يوسف بن يعقوب ، وبهذا المخطوط معلومات هامة عن تدني أحوال التجارة بأسواق فاس المرينية بسبب فساد التجار اليهود مما كان له الأثر الكبير في تدهور الحياة التجارية بالعاصمة فاس المرينية ، وسائر مدنها لفقدها حالة الاستقرار المخزني (2) 0

---

(1) مخطوط ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين ، رقم 1637 ، تاريخ ،الرباط ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية – القاهرة 0

(2) المخزن : كلمة تعرف في الاصطلاح المغربي باسم الحكومة ، واشتهرت هذه الكلمة في عصر المرابطين حيث أطلق علي أحد أبواب مدينة مراكش الذي يصل الي قصر الحكم اسم باب المخزن ، وتنقسم بلاد المغرب الأقصي الي قسمين ، أولا : بلاد المخزن وهي المناطق التي تخضع لحكم السلطان بصفة مباشرة ورسمية ، ثانيا : بلاد السيبة، وهي المناطق التي لا تخضع للحكومة المغربية الا بصفة اسمية 0

(2) ابن الحاج النميري(1) : (713 – 768هـ/1313-1367م) 0

فيض العباب وافاضة قداح الآدا ب للحركة السعيدة المباركة بقسنطينة والزاب(2) .

يعد مخطوط فيض العباب من أهم المخطوطات التي تناولت العلاقات التجارية بين جنوة ودولة بني مرين، فقد انفرد هذا المخطوط بذكر المعاهدة التجارية بين جنوة ودولة بني مرين، وكان ابن الحاج النميري شاهد عيان لتلك المعاهدة ، وكان يشغل وقتئذ كاتب السلطان أبو عنان المريني وهو الذي دون تلك المعاهدة بنفسه ، وقد استقيت العديد من المعلومات الهامة ، فمنها مبادرة جنوة لعقد معاهدة تجارية وصلح مع السلطان أبو عنان المريني، كذلك صفة الجنوية وملابسهم وأساطيلهم واستخدام المجاديف إلى جانب الأشرعة في تسيير سفنهم ، ورغبة الجنوية في الصلح مع المرينيين بعد أن عاثت سفن الجنوية فسادًا على شواطئ بلاد المغرب ، وأيضًا قيام السلطان أبو عنان المريني بالموافقة على عقد الصلح في شوال 757 هـ/أكتوبر 1356م مع الجنوية بشروط ، وقد وافق الجنوية عليها حيث كان للجنوية رغبة في الصلح للحصول على امتيازات تجارية تفيدهم وكانوا يجنون من ورائها أموالاً ضخمة، كذلك قيمة الضريبة الجمركية التي كان يدفعها التجار الجنوية على البضائع التي كانوا يجلبونها معهم إلى الدولة المرينية أو البضائع التي يشترونها ، وكانت قيمة هذه الضريبة 10% ، وأيضاً شكل العملة الجنوية التي تعاملوا بها مع الدولة المرينية فكان شكل الدينار الجنوي مستديراَ، والدرهم ذات شكل مربع ، وقد كانت السلع الجنوية تُعرض أولاً على

----

(1) ابن الحاج النميري : هو أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن محمدبن ابراهيم بن موسي وينتهي نسبه الي ابن قاسم ويُشتهر باسم ابن الحاج النميري الغرناطي ، وُلد بغرناطة عام 713هـ/1313م وتوفي بعد عام 768هـ/1367م اشتغل قاضياً وكاتباً بغرناطة وبلغ مرتبة عالية في جودة الخط وكتابة الانشاء ، وسافر الي افريقية واشتغل كاتباً عند بعض ملوكها ثم خدم السلطان أبو الحسن المريني ، ثم أُجبر علي الاشتغال بالانشاء لدي السلطان ابو عنان المريني ، ودون رحلته الشهيرة التي رافق فيها السلطان ابو عنان المريني الي بلاد افريقية وشاهد بنفسه وفود جنوة الذين أتوا لعقد المعاهدة التجارية والصلح مع السلطان أبو عنان المريني فكان شاهد عيان لتلك المعاهدة للمزيد من التفاصيل عن ابن الحاج النميري انظر المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس دار صادر ، بيروت 1988م ، ج7 ص107-108 0

(2) تحقيق رضوان البارودي – أحمد الطوخي ، تحت الطبع ، الإسكندرية0

السلطان المريني لكي يختبر جودتها كذلك رغبة السلطان في اختيار السلع الهامة الضرورية التي كانت الدولة المرينية تحتاجها0

(3) أبو القاسم بن سلمون الكناني(1) : ت0 عام 741هـ/1340م 0
مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من ا لوثائق والأحكام(2) .

يعد مخطوط العقد المنظم من أغنى المخطوطات قيمة لاحتوائه على فيض من المعلومات التي كانت تدور حول جميع المعاملات التجارية المغربية والتي ترتبط بموضوع البحث بصورة مباشرة ، والمخطوط مكون من جزآن ومن تلك المعلومات التي استقيتها من الجزء الأول ما يتعلق بالقراض وشروطه والكراء ، والسلف ، واستعنت بالمعلومات الهامة بالجزء الثاني من المخطوط والتي تدور حول الشركة وأنواعها أربعة أنواع : منها شركة العنان وهي شركة بالأموال وتقسم الأرباح حسب رؤوس الأموال ، ويوزع العمل حسب رؤوس الأموال حيث يشترط تساوي رؤوس الأموال لتساوي العمل ثم الربح ، وشركة المفاوضة وهي أن يفوض كلُ الآخر في التصرف في ماله في غيبته وحضوره في جميع ممتلكاته ويشترط تساوي رؤوس الأموال ، وشركة الأبدان وهي تختص بالأموال لا بالأعمال أي يمكن لأحد الشريكين أن يفوز بربح بينما الآخر لايفوز ، وشركة الوجوه وهي تقوم علي الذمم من غير صنعة أو مال وهي غير صحيحة ، ولا ينبغي مشاركة يهودي أو نصراني إلا أن يكون المسلم حاضراً أمام النصراني أو اليهودي في أعمال الشركة خوفاً من قيام الذمي بالربا ، ولا ينفرد الذمي ببيع أو شراء إلا في حضور المسلم 0

----

(1) هو عبد الله بن عبد الله بن علي الكناني الغرناطي ، قابل بمدينة سبتة أبو الحسن بن عتيق بن الحسن بن رشيد ، وبفاس أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ، أنظر ابن القاضي : جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، القسم الثاني ترجمة رقم 464 ، دار المنصور للطباعة ، الرباط 01974

(2) مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام ، جزءان ، ميكروفيلم رقم 1091 ، 1093 ، قسم المخطوطات بالإسكوريال ، مكتبة الإسكندرية 0

رابعاًَ – المصادر العربية المطبوعة :

(أ) كتب التاريخ

(1) مؤرخ مجهول : (ت. أواخر القرن 6هـ/12م)

الإستبصار في عجائب الأمصار(1) .

يعد هذا الكتاب من الكتب التي تجمع بين كتب التاريخ والجغرافيا وكتب الرحلة معاً فهو يضم العديد من المعلومات القيمة التي تتعلق بموضوع البحث ، ومنها معلومات تتناول الموقع الجغرافي فقد إستعنت بالمعلومات الخاصة بالمدن الساحلية للمغرب مثل أصيلا وطنجة وتشمس وسلا وفاس وباديس وسبتة ولكن بمقارنتها مع كتاب الإدريسي (نزهة المشتاق – ت . عام 560هـ/ 1164م) وجدتها نفس المعلومات أيضاً مما يعني أن صاحب الاستبصار نقل عن الإدريسي في تلك المعلومة ، وأفادني أيضاً في المعلومات الخاصة بمقومات التجارة المرينية لاسيما مدينة فاس وتجارة النحاس الأصفر إلى جميع البلدان، ومراسي الدولة الساحلية ، والتجار اليهود في فاس على عهد الموحدين وأعمال التجارة وامتلاكهم الأموال الطائلة ، واستقيت معلومات هامة عن اليهود بسجلماسة على عهد الموحدين حيث كانوا يبذلون أقصى جهدهم ويتحملون أشد أنواع التنكيل من أجل امتلاك الأموال الطائلة والتبر وتجارة الذهب بالغش وخداع التجار بسجلماسة ، لذلك كان أهل سجلماسة يستخدمون اليهود في أعمال البناء والمراحيض ، وأيضاً المعلومات الهامة عن الفنادق التي أحدثها الموحدون في مدينة قصر عبد الكريم 0

(2) ابن عذاري : (ت. بعد عام 712هـ / 1312م)0

البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب(2) .

استقيت معلومات قيمة تناولت الأحداث السياسية التي جرت بين جنوة ومدينة سبتة في أواخر عهد الموحدين وأوائل عهد بني مرين ، حيث أفادني الكتاب في المعارك

----

(1) نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ، 1958 0

(2) ج5 ، نشر محمد بن تاويت – محمد ابراهيم الكناني ، الدار البيضاء ، 1985 0

البحرية بين جنوة وسبتة وفشل الجنوية في السيطرة على المدينة بفضل مساندة البربر لأهل سبتة وشجاعة أهلها في الدفاع عنها، وبعد ذلك خسر الجنوية كآفة ممتلكاتهم في الفنادق والمتاجر والأسواق وصارت طعمة للنيران ونهباً للبربر ، ثم عاد الجنوية مرة أخرى في العام التالي لهزيمتهم وأحاطوا المدينة بالسفن الحربية واتفقواعلى الصلح مع أسرة بني العزفي على تعويض عما فقدوه في سبتة من الممتلكات الخاصة بهم ، كذلك أفادني الكتاب بإحتوائه على معلومات تضم بعض الفنادق التجارية التي شيدت في عصر الموحدين واستمرت في عصر بني مرين ، مثل فندق السكر وفندق الزيت بمراكش .

(3) مؤرخ مجهول 0 عاش أوائل القرن 8هـ/14م 0

الذخيرة السَنية في تأريخ الدولة المرينية(1) .

أفادني هذا الكتاب في العلاقات السياسية للدولة المرينية ، فاستقيت معلومات تناولت الأمن والرخاء والدعة بالمغرب المريني في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني واستيلائه على مراكش عام 668هـ وصارت بلاد المغرب الأقصى تحت لوائه كاملة ، تأمنت بها الطرق والمواصلات ، وقضى على قطاع الطرق والمفسدين من مآسة إلى نول على المحيط الأطلسي وبلاد السوس ، وبنائه لمدينة فاس البيضاء عام 679هـ وتشييد الأسواق بها ، كذلك حالة الفوضى التي ظهرت في عام 669هـ ببلاد درعة والسوس بسبب ثورات العرب الذين أفسدوا بتلك المناطق وقطعوا الطرق ، فأرسل يعقوب المريني جيشاً للعمل على استقرار الأمور بها مرة أخرى ، كذلك حفل الكتاب بمعلومات هامة عن ظروف التجارة بدولة بني مرين مثل الأسواق التي احترقت بفاس المرينية عام 646هـ وانتشار المجاعات وارتفاع الأسعار عام 669هـ 0

----

(1) نشر محمد بن أبي شنب ، الجزائر ، 1920 0

(4) ابن أبي زرع :   (ت. 726هـ/1325م)

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب

و تاريخ مدينة فاس(1) 0

أفادني هذا الكتاب في العديد من المعلومات والموضوعات القيمة العديدة ، وفيما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالعلاقات السياسية قيام السلطان أبو سعيد عثمان المريني بتشييد السفن بدار صناعة سلا ، وفي عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني سادت بلاد المغرب المريني الأمن والاستقرار، وقمع الطغاة والمستبدين ، ورفع الأنزال(نوع من الضرائب الجائرة) والقبالات والمكوس، وكف أيدي الظلمة وأعمال النهب عن الناس ، وأيضاً الهدية التي منحها الجنوية إلى السلطان يوسف بن يعقوب المريني عام 691هـ وكانت عبارة عن شجرة مموهة بالذهب عليها طيور تغرد بحركات هندسية ، وفيما يتعلق بمقومات التجارة بدولة بني مرين، أفادني هذا الكتاب بمعلوماته المتعلقة بالكوارث والقحط والجراد والمجاعات والأوبئة والتي أثرت على التجار وعلى حركة التجارة والقوافل التجارية في الأعوام المتتالية 679هـ،683هـ /687-690هـ/693- 694هـ /711هـ/723هـ/724هـ ، كذلك قيام السلطان يعقوب المريني بتشييد السفن بدور الصناعة بسلا وسبتة وباديس وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف وطريف والجزيرة والمنكب ، كذلك أشار الكتاب إلى ارتفاع أسعار السلع بالمغرب المريني في عهد السلطان أبو الربيع سليمان ، وفيما يدور حول أحوال التجار ، و المعلومة الخاصة بصفة اشتراك التجار في الحرب ضد نصارى إسبانيا في عام 678هـ/1280م، كذلك قيمة التعويض المالي للجنوية عما فقدوه إثر نهب وحرق ممتلكاتهم بسبتة عام 633هـ/1234م والذي بلغ مقداره 400 ألف دينار ذهبي 0

----

(1) يعتبر كتاب ابن أبي زرع (روض القرطاس) من كتب التاريخ المحلي لاسيما تاريخ المدن ، فقد إعتني المؤلف عناية فائقة بمعالم مدينة فاس بقسميها القديم والجديد ، والمؤلف عرض بشكل عام أهم الأحداث السياسية والإقتصادية والإجتماعية وبعض الظواهر الكونية ، أنظر طبعة دار المنصور ، الرباط 1973 0

(5) ابن حجر العسقلاني 0 (ت.852هـ/1449م) (1) 0

أنباءالغمر بأبناء العمر في التاريخ ، الأجزاء 3،4،6،7،8،2.

استفدت من هذا المصدر بالعديد من المعلومات القيمة التي كانت تختص بالعلاقات السياسية للدولة المرينية والمدن الإيطالية ، ومن تلك المعلومات ما كان يدور حول الصراع السياسي والحربي بين المغرب الأقصى المريني والمغرب الأوسط للسيطرة على التجارة السودانية ومناطق النفوذ عالية الثراء مثل المدن الساحلية التجارية ففي عام 786هـ/1384، حاصر أبو العباس المريني تلمسان ثم تلى ذلك تبعية تلمسان للدولة المرينية فقد كانت تدفع مالاً معلوماً سنوياً ويخطب لصاحب فاس على المنابر ، وأفادني أيضاً هجوم الإيطاليين على طرابلس الغرب عام 792هـ/1390م، وغرق أسطولهم وتفرقت مراكبهم، فقصدت بقية المراكب الإيطالية إلى مدينة بسكرة (2) بتونس فقاتلهم صاحبها وقتل منهم أعداداً كبيرة ، وتناولت معلومات تشير إلى المجاعة وشيوع الخراب بفاس عام 813هـ/1410م، إثر الحصار الذي فرضه محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم المريني ضد السلطان ابو سعيد عثمان الثاني المريني ، واستمرت أعمال الحصار مما أدى إلى اشتداد الفوضى والهرج والفساد وانتهاب الأعمال والضواحي وقطع الطرق وارتفاع الأسعار 0 كذلك تناول المصدر حروب المدن الإيطالية عام 839هـ ، والتي كانت شديدة الوقع ، بالإضافة إلى هجوم البرتغاليين على سبتة واستيلائهم عليها وذلك في عام 825هـ/1423م، ثم عاد مرة أخرى وأشار إلى أن استيلاء البرتغال على سبتة كان في عام 817هـ/1414م،

وهذا خطأ غير مقصود من ابن حجر العسقلاني لأن دخول البرتغال سبتة واستيلائهم عليها كان في عام 818هـ/1415م ،وليس 825هـ/1423م ، كذلك أشار ابن حجر العسقلاني الى نهاية دولة بني مرين بفاس بعد مقتل صاحبها أبي سعيد عثمان الثاني عام 824هـ/1422م ،

----

(1) تحقيق عبد الله بن أحمد المديحج ، دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الثانية ، بيروت 1986 ، دار الكتب العلمية 0

(2) بسكرة : احدي المدن الجزائرية حالياً

والصحيح أن نهاية دولة بني مرين كان عام 869هـ/1467م بمقتل آخر سلاطينهم عبد الحق بن أبي سعيد ، وفي عام 814هـ/1411م أعقب الغلاء والوباء بفاس والمغرب المريني بكامله واستمر حتى عام 815هـ/1412م ،وكانت أعمال الحصار المفروض حول فاس بعد عام 815هـ/1412م قد أدت إلى وقوع الفساد في شتى البلاد ، واستيلاء المفسدين على خيرات البلاد وقطعت الطرق وشاع الخراب والوباء حتى كادت الديار تخلو من سكانها 0

(6)ابن مرزوق التلمساني : ت. (781هـ/1379م)(1) .

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن .

استعنت بمعلومات قيمة من هذا الكتاب نظراً لكون صاحبه معاصراً للأحداث وشاهد عيان في عصر دولة بني مرين لاسيما فترة الازدهار والقوة . وقد انفرد ابن مرزوق بذكر دخول الجنوية مدينة سبتة غدراً وفشلهم في عهد أبي الحسن المريني وتناولت معلومات هامة توضح قيام سلاطين بنو مرين واهتمامهم بالطرق والمواصلات وخدمة المسافرين من التجار وحمايتهم ، وتوفير كآفة لوازمهم ، كذلك إلغاء المكوس والضرائب الجائرة العديدة ، وأيضاً كف أيدي الظلمة والمعتدين على الناس بفرض ضرائب جائرة على السلع والمواصلات ، كما أشار إلى ما تعرضت له بلاد المغرب المرينية من الأوبئة مثل وباء عام 749هـ/1348م وعام 740هـ/1339م ،وإضافة إلى ذلك اهتمام سلاطين بني مرين في خدمة الملاحة البحرية وإنشاء المحارس والأبراج والمناظر لخدمة السفن وحركة التجار وحماية الشواطئ من الإغارات النصرانية وأعمال القرصنة 0

(7) ابن خلدون : ت . (808هـ/1405م)(2) 0

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . الأجزاء 1،6،7.

استقيت العديد من المعلومات الهامة المتعلقة بموضوع البحث لاسيما العلاقات السياسية

----

(1) نشر وتحقيق مايا خيسوس بيجيرا ، الجزائر ، 1981 0

(2) نشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، 1992 0

من أعمال هامة لسلاطين بنو مرين لتهدئة الأوضاع الداخلية مثل قيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بنشر الأمن والاستقرار بأقطار السوس عام 681هـ/1282م ومحا آثار الخوارج والخارجين على الدولة ببلاد السوس وقضى على العرب المفسدين ، وتبعه السلطان يوسف بن يعقوب في محو آثار الفساد وضبط بلاد عرب المعقل بصحراء درعة عام 686هـ/1287م الذين أضروا بالتجارة وطرقها وقطع الطرق، كذلك محو آثار الضرائب الجائرة وأيدي الظلمة ورفع المكوس والجور عن الناس، وتبعه السلطان أبو سعيد عثمان الذي افتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين ببلاد السوس وقضي على فساد عرب ذوي حسان والشبانات وزكنة المتحكمين في طرق القوافل التجارية المارة من وإلى بلاد المغرب وبلاد السودان ، كذلك قيامه برفع الضرائب الجائرة والمكوس ، وأيضاً السلطان أبو عنان المريني الذي مهد أنحاء بلاد السوس من الاضطرابات والفساد ، ثم بعد ذلك ظهرت الانقسامات داخل بلاد المغرب الأقصى في عصر أبو سالم المريني، فقد انقسمت دولة بني مرين إلى دولتين الأولى: في الشمال عاصمتها فاس والثانية: في الجنوب وعاصمتها مراكش ، وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية لدولة بني مرين لاسيما المدن الإيطالية ، فقد أفادتني المعلومات المتعلقة بجنوة حيث اشتركت مع أراجون في حملة عسكرية ضد مدينة المهدية بافريقية عام 792هـ/1390م وانهزمت جنوة ، كذلك ظهور حركة الجهاد الاسلامي البحري بكآفة المدن الساحلية لبلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ومهاجمتهم للسفن النصرانية وسواحل البلاد النصرانية والعودة بالغنائم والسبي مما أدى إلى تدهور الأوضاع التجارية المترتبة على تدهور الأمن والاستقرار بحوض البحر المتوسط وفيما يختص بمقومات التجارة بدولة بني مرين ، فإنني استقيت معلومات هامة من هذا المصدر حول ميناءي سبتة وطنجة مرقى الأساطيل ودار الإنشاء البحري ، ومدينة توات المركز التجاري الهام لتجارة الصحراء فهي المحطة التجارية للذهاب إلى دولة مالي للتجارة في الذهب والعبيد ، وكيفية عبور الصحراء المجهولة من خلال الاستعانة بالدليل وهو من رجال الملثمين ، وأيضاً بلدة بودى المركز الهام لاتجاه التجار منها إلى والاتن ولكن عرب بلاد السوس خربوها واعترضوا طرق القوافل إلى جانب قيام الأمير يعيشبن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بتدمير مدينة تارودنت عاصمة بلاد السوس عام 704هـ/1305م 0

(8) ابن خلدون 0 ت. (808هـ/1405م).

المقدمة(1) .

أفادتني مقدمة ابن خلدون جيداً لاسيما أحوال التجار، فقد استقيت العديد من صفات التاجر المغربي ، وأعمال البيع والشراء سواء نقداً أو لأجل ، ومعاناة التاجر في البيع بالأجل ومشاكله وصفاته في تلك الحالة ، ومعرفة التاجر بأحوال السلعة والسوق، وخبرة التاجر بأماكن السلع والأسواق التي كانت تحقق له فائدة كبرى في الربح وسبب تفضيل التجار المغاربة في الاتجار ببلاد السودان، وتحملهم للمخاطر الصعبة وقطاع الطرق والهلكة في الصحراء الكبرى والموت عطشاً ،كذلك المشاكل التي تعترض التجار المغاربة، وطرق الصحراء وعدد القوافل التجارية التي تمر من بلاد مالي إلى بلاد المشرق الإسلامي في عصر أبي عنان المريني .

(9) الأنصاري السبتي 0 كان حياً حتى عام 825هـ/1423م(2) .

اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الآثار .

تناولت العديد من المعلومات القيمة نظراً لكون صاحب هذا الكتاب معاصراً وشاهد عيان للأحداث ، والمشاهد التي رآها بنفسه بمدينة سبتة إلا أنه كان مبالغاً في رصد عدد الحوانيت والتربيعات والفنادق فكان يجمعهم تحت اسم الفنادق رغم أن هناك فارق بين الحانوت والتربيعة والفندق ، وقد استعنت بالمعلومات المتعلقة بمقومات التجارة مثل التربيعات التجارية بسبتة وأنواعها وأماكنها والزوايا التي كان يبيت بها التجار والحوانيت التجارية وأعدادها والمطامير الخاصة بالحبوب وعددها، وديار الإشراف وعددها، وأنواعها والأسواق وعددها، والفنادق وعددها، وفنادق النصاري، وفندق قرية بنيونش ، والأخشاب المتنوعة لصناعة السفن وعدد المراسي المتعددة لرسو السفن وأهمها ، والمحارس والمناظر والأبراج لخدمة الملاحة التجارية ودرء مخاطر القرصنة النصرانية0

----

(1) دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت ، 1992 0

(2) تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية ، 1969 0

(10) الحسن بن محمد الوزان 0 ت. 956-957هـ/1551م .

وصف إفريقيا(1) .

يعد هذا الكتاب من الكتب التي جمعت بين التاريخ والجغرافيا وكتب الرحلة ، لأن صاحبه كان يرتحل من مكان إلى آخر ويصف ما يشاهده من أحداث وآثار وعمارة ومعلومات عن كل ماتقع عليه عيناه ، لذا احتوى هذا الكتاب على الكثير من المعلومات التي أفادت البحث إفادة مباشرة لاسيما وأن الحسن بن الوزان كان قريب العهد بعصر دولة بني مرين ، وقد استقيت معلومات غنية عن المسرح الجغرافي لمنطقة السوس ومدنها الشهيرة وأعمالها الهامة في شئون التجارة ، كذلك منطقة جزولة ، وتادلة ، وحاحة الغنية، والمدن التجارية الساحلية على شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، واستفدت أيضاً معلومات تختص بالعلاقات السياسية مثل استيلاء البرتغال على ميناء سبتة التجاري الشهير عام 818هـ/1416م وقيام قراصنة صقلية وجزيرة رودس بأعمال القرصنة بالبحر المتوسط دون رادع لاسيما في أواخر عصر بني مرين، كذلك كانت جنوة تتخذ من وهران مركزاً تجارياً به فنادق لسكنى الجنوية وكان التجار المغاربة يجهزون مراكب وسفن صغيرة لأعمال الجهاد البحري ضد جزر البحر المتوسط ميورقة ومنورقة والعودة بالرقيق والأسلاب 0

وفيما يتعلق بمقومات التجارة المرينية استقيت العديد من المعلومات مثل طرق التجارة بين فاس وسجلماسة، وأخطار الثلوج بجبال أطلس العليا علي طرق القوافل التجارية ، والمراسي الشهيرة بالمغرب الأقصى والأوسط مقصد التجار الجنوية والبنادقة والتجارة بالمقايضة ، ومدينة تارودنت كان سكانها يدفعون ضريبة الخفارة للعرب لضمان سلامة طرق القوافل ، ومدينة تيقورارين مركز تجمع التجار ، وأهلها أغنياء كانوا يتاجرون ببلاد السودان ، ومنطقة جزولة المغربية كانت تشتهر بمناجم الحديد والنحاس وتاجر أهلها بالمقايضة وكان سوقها يستمر لمدة شهرين في العام ، والأسواق الشهيرة بمكناس وفاس وخارجها ، وأسواق حاحة وقيسارية سلا، وأسواق سبتة وغيرها ، والمزادات بأسواق فاس والسماسرة والدلالون،

----

(1) ترجمه عن الفرنسية الي العربية ، عبد الرحمن حميدة ، الرياض ، 1399هـ 0

والفنادق بمراكش وفاس ونظمها ، ومعلومات هامة حول مدينة باديس الميناء المغربي الواصل بين فاس إلى ساحل البحر المتوسط ، وشهرة أهلها بالجهاد البحري لاسيما في أواخر عصر بني مرين ، كذلك اشتهارها بأعمال الصيد البحري وصناعة السفن والقوارب وتجارة الأخشاب وكان يسكنها الكثير من اليهود ، وكان يأتيها البنادقة كل عامين للتجارة بالنقد إلى جانب المقايضة ، وأيضاً نقل المسافرين منها إلى البندقية أو المشرق الإسلامي ، وأهم المدن الصناعية التجارية المغربية والتي كان يسكنها الكثير من اليهود مثل تاغاوست وأمجاو والجمعة وبزو وإقليم غارت وجبل وردان وبني سعيد وتيدسي وآيت عتاب بتادلة ومآسة ومنطقة هسكورة وهادكيس وجبل سغمة بتادلة وممر الخانق بإقليم سجلماسة وقصر أم العفن بسجلماسة وآسفي ، كذلك الرسوم الجمركية بالموانئ البحرية ورسوم المرور بالممرات الجبلية على السلع والقوافل التجارية ، وأهم السلع التي كانت تنتجها المدن المغربية وتصدرها للخارج للتجار الأوروبيين مثل الشمع والجلود والعسل والصوف والفاكهة وزيت الزيتون والبرانس والقمح والعنبر كذلك التبر والعبيد المجلوبين من بلاد السودان ، وأيضاً حوادث قطع الطرق بالممرات الجبلية والسهول الجافة الموحشة، وتراخيص المرور، والمدن المغربية التي صارت خراباً في عصر بني مرين المتأخر مثل سجلماسة وأغمات ومدينة غار سلوين وأصيلا وأنفا ، وفيما يختص بنظم التجارة تناولت المعلومات التي كانت تتضمن السلع الصادرة والواردة ببلاد المغرب في عصر بني مرين مع بلاد السودان والمدن الإيطالية ، والمراكز التجارية الصناعية التي كان يقصدها التجار الإيطاليون وغيرهم مثل مدينة غساسة وسلا وتفزة وجبل بني زكار وتاكوليت وسبتة وتفنة، وأيضاً المدن السودانية التي كانت تصلها البضائع الإيطالية مثل غاءو، وتومبوكتو0

(11) مارمول [كربخال] 0 كان حياً في القرن 10هـ/16م .

إفريقيا ، 3 أجزاء(1) .

يعد هذا الكتاب على نفس النمط الذي سار عليه الحسن بن محمد الوزان في كتابه وصف إفريقيا إلا أن مارمول كان دائماً يصف المسلمين بالكفار ويميل إلى ناحية النصارى ويتعاطف معهم ويرجع ذلك لكونه أسيراً من أسارى نصارى إسبانيا عاش

----

(1) تحقيق محمد حجي -- محمد زنير ، الرباط ، مكتبة المعارف ، 1984 0

ببلاد المغرب فترة زمنية قبل أن يحصل علي حريته ويجول ببلاد المغرب يكتب مشاهداته ، وقد استقيت العديد من المعلومات القيمة لاسيما المسرح الجغرافي للمدن المغربية البحرية الهامة ومراسيها مثل أصيلا والقصر الصغير ومدينة يليش وباديس وسلا وأنفا وتطوان ، أما فيما يتعلق بالعلاقات السياسية فقد استعنت بمعلومات هامة تتصل بالمعاهدات السياسية بين المغرب المريني وأراجون من أجل استعادة مدينة سبتة من أيدي سلاطين بنو الأحمر وذلك في عام 710هـ/1310م ، كذلك استأجر السلطان أبو الحسن المريني نحو 40 سفينة من جنوة وقيام العرب بتجهيز السفن بتطوان للجهاد البحري على الشواطئ المسيحية بعد عام 803هـ/1400م، وأهمية ميناء مدينة سلا الذي كانت سفن البضائع الأوروبية ترسو فيه ، وما اختصت به سلا من دار الجمرك على البضائع الواردة ، وأيضاً اشتغال سكانها بالجهاد البحري على الشواطئ المسيحية ، بالإضافة إلى أهمية ميناء أنفا الذي قصده التجار الأوروبيون ، وقام سكانها أيضاً بالجهاد البحري ، وفيما يدور حول مقومات التجارة المرينية فهناك العديد من المعلومات الهامة مثل ميناء هنين بالمغرب الأوسط كانت تقصده أساطيل البندقية كل عام للتجارة، وميناء باديس المريني الذي كان يتميز بالسعة وتعدد السفن المترددة عليه وبها تجهزت سفن الجهاد البحري ، واشتهرت بتجارة الأخشاب وصناعة السفن ، كذلك مدينة مليلة التي تميز ميناؤها الشرقي بالاتساع حتى أنه كان يتسع لمئات السفن دون خطر ، كذلك المدن الصناعية والتجارية بداخل المغرب المريني وأهم السلع التي أنتجتها وتاجرت بها، مثل جبال رهونة بإقليم الهبط كانوا يتاجرون في الصابون السائل والعسل والزيت ، ومدينة الجمعة كان بها مناجم الحديد وجبل بني سعيد كان به مناجم الحديد واشتهرت مدينة أمجاو بإقليم أزغار بوفرة إنتاج القمح والماشية والصوف والسمن والجلود ، وبلدة تكاروست بإقليم السوس كان يقصدها التجار الزنوج، كذلك انتشر التجار اليهود في معظم المدن الصناعية والتجارية و كان يقصدهم التجار الأوروبيون ، كذلك الفنادق بفاس وعددها ووظيفة محتسب قيسارية فاس القديم ، وأيضاً أهم المنتجات الشهيرة بمكناس وفاس وآيت عتاب وتفزة وأفزة وتانزيرا وغساسة وتيكوليت وأدكيس وتدنست والمهدية ، تلك المراكز الصناعية التجارية كانت تتعامل مع الأوروبيين ، فمثلاً مدينة غساسة كانت سفن البندقية التجارية ترسو بها ، وتنشط بها التجارة كثيراً ، وكان بها جمرك للصادرات والواردات ، وامتلئت خزانتها بالأموال نظراً لكثرة حركة التجارة بها، فكانت فاس تستفيد كثيراً من هذه الأموال، وأيضاً انتقال جمرك

التجار النصارى من فاس القديم إلى فاس الجديد لأمور أمنية ، كذلك وصف أسواق فاس وتنظيماتها0

وتناولت معلومات قيمة حول صفات تجار فاس وملابسهم ، أما فيما يتعلق بنظم التجارة ، فقد استعنت بالمعلومات الخاصة بقيام التجار النصارى بجلب سلعهم مثل الأقمشة الفاخرة إلى ميناء آسفي، ويستبدلونها بالمقايضة بالشمع والجلود والعسل، وكذلك شراء الشعير ، ليس بآسفي فقط ولكن أيضاً تفتنة وجبل زكار بإقليم الهبط ، ومدينة تكوليت بإقليم حاحة ، ومدينة إداو إزكواغن بإقليم حاحة أيضاً، ومدينة السبيت كانت تقوم ببيع منتجاتها من العسل والشمع إلى مراكش حيث كان يفد إليها التجار النصارى لشراء تلك المنتجات 0

(ب) كتب الجغرافيا 0

تعتبر كتب الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية للباحث في التاريخ ، فالجغرافيا تمثل مسرح الأحداث التاريخية ووقائعها ، ولها تأثير كبير في توجيه مصائر الانسان ، ولهذا فقد اعتمدت على العديد من المصادر الجغرافية التي أفادت البحث بشكل كبير، ومن ذلك :

(1) أبو عبيد البكري 0 (ت. 487هـ/1094م) (1) 0

المُغرِبْ في ذكر بلاد إفريقية والمغرب – قطعة من كتاب المسالك والممالك .

استقيت العديد من المعلومات الهامة التي كانت من دعائم موضوع البحث ، وفيما يتعلق بالمسرح الجغرافي تناولت الموقع الجغرافي لمدينة آسفي وأهميته بالنسبة للتجارة، أما ما يخص مقومات التجارة المرينية فالطرق التجارية والقوافل من فاس إلى سجلماسة ، وكذلك ما بين سجلماسة وفاس ، وأهم السلع التي تاجرت بها سجلماسة مثل التمر والرقيق والتبر، وأيضاً أودغشت وتجارة الذهب والعبيد ، ومعالم ميناء سبتة وأهميته للملاحة البحرية والتجارة ، وأنه تميز بسكون العواصف مما جعل حركة السفن به أكثر أمناً، بعكس الحال في طنجة حيث كان ميناؤها المكشوف يتعرض للرياح العاتية مما يعرض حركة السفن والملاحة

---

(1) نشر مكتبة المثني ، بغداد ، (د0ت) 0

لخطر الغرق ، كذلك صفة سبتة والوساطة التجارية للسلع المغربية والأندلسية والسوداني للتجار النصارى ، وأيضاً قياس المرحلة وهي من مراحل السفر بالقوافل وتعادل المرحلة الكبيرة 60 ميلاً تقريباً 0

(2) الزهري 0 ت. بعد عام 545هـ/1150م .

كتاب الجغرافية(1) .

اختص هذا الكتاب بمعلومات قيمة لاسيما حول مدينتي بيزا وجنوة ، فقد استفدت عدة معلومات قيمة عن الموقع الجغرافي لمدينة بيزا وأنهارها والمراكب التي كانت تدخلها من خلال القنطرة العظيمة وصفة أهلها في ممارسة الحرب وفنون حيل البحر والهندسة وتفوقهم في صناعة المنجنيقات والأبراج وقتال المراكب والرمي بالنفط، ووفرة مستلزمات بناء السفن مثل الأخشاب الجيدة ، ومهارتهم في صناعات الحديد والألات الحربية ، وتميزهم بصناعة سفن الغربان(الغاليس) ، كذلك الموقع الجغرافي لجنوة ، وصفة أهلها التجار في البر والبحر وشدتهم في الحرب ، وفيما يتعلق بمقومات التجارة المرينية استعنت بمعلومات هامة عن بلاد السودان التي كانت القوافل التجارية المغربية تدخلها من بلاد السوس، ومدينة فاس المركز التجاري الأكبر بالمغرب الأقصى، والسلع الصادرة من بلاد المغرب إلى بلاد السودان ، والواردة من بلاد السودان إلى بلاد المغرب 0

(3) الإدريسي 0 ت. حوالي عام 560هـ/1164م .

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . جزآن(2) .

يعد هذا الكتاب من أسس كتب الجغرافيا المتخصصة في بلاد المغرب والأندلس على وجه التفصيل، لذا استقيت العديد من المعلومات التي اهتمت بالموقع الجغرافي للموانئ المغربية مثل آسفي، مازيغان ، أنفا ، ماست (ماسة) ،آصيلا، قصر مصمودة ، أنزلان مرسى الغيط،البيضاء، فضالة، سبتة، بجاية، طنجة، سلا، كذلك المدن التجارية الهامة ببلاد السودان مثل أودغشت ، ملل، غانة . وأهم السلع الصادرة من الموانئ

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د0 ت) 0

(2) عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولي ، 1989 0

المغربية إلى التجار الأوروبيين، وأيضاً السلع الصادرة من بلاد المغرب إلى بلاد السودان ، ومميزات موانئ طنجة وبجاية وسبتة وقصر مصمودة ، وطرق التجارة الواصلة بين فاس إلى تادلة وأغمات ودرعة وسجلماسة وأودغشت وغانة، وطريق ثانٍ من أودغشت إلى وارقلان ، وطريق ثالث من أودغشت إلى أوليل ، ورابع من أودغشت إلى جرمة ، وصفة السير بالصحراء ومميزات مدن بيزا وجنوة التجارية وصفة أهلها البحرية والتجارية0

(4) ابن سعيد المغربي 0 ت. 685هـ/1286م.

كتاب الجغرافيا(1).

احتوى هذا الكتاب على معلومات قيمة متخصصة عن المسرح الجغرافي لبلاد المغرب، كذلك المدن الإيطالية، لذا استعنت بمعلومات عديدة عن الموقع الجغرافي لمدينة بيزا وميناءها وحركة سكانها بالمراكب وشهرتهم بصهر الذهب، والموقع الجغرافي لمدينة البندقية ووصف منشآتها الخشبية وحركة الزوارق بين الديار الخشبية بصفة فردية داخل المدينة ، واحتواء المدينة على سوق الصرف لسيولة حركة التجارة ، وامتلاكها للأخشاب الجيدة والمتنوعة الكثيرة، وصفة أهلها بالشجاعة التي كانت تفوق جنوة ، كذلك الموقع الجغرافي لباديس ومليلة والمزمة ووهران وهنين والعرائش والقصر الكبير وأرباد وتشمس، ووفرة الأخشاب الجيدة بجبال غمارة الخاصة ببناء السفن والأساطيل والتجارة فيه، وشهرة ميناء سبتة وثراء تجارها وبعض نظمهم التجارية 0

(5) الحميري 0 ت. أواخر القرن 9هـ/15م .

الروض المعطار في خبر الأقطار(2) .

يعد هذا الكتاب من الكتب التي جمعت بين الجغرافيا والتاريخ ، وقد تناولت العديد من المعلومات الهامة منها ما يتعلق بالمسرح الجغرافي لمدينة بيزا وجنوة وصفة أهلها التجار وأساطيلهم ومعرفتهم بأساليب القتال البحري ، وأيضاً قصر مصمودة المغربية وشهرتها في تشييد الحراريق وهي نوع من سفن النقل المغربية للمسافرين والبضائع، كذلك الموقع الجغرافي لمدن مليلة وسلا وسبتة وفاس وأصيلا وآسفي ومستغانم، وفيما يدور حول مقومات التجارة المرينية منها سفن النقل والتجارة المغربية التي كانت تحمل المسافرين

----

(1) تحقيق إسماعيل العربي ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1982 0

(2) تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1980 0

والسلع من بلاد المغرب عبر البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والتي انطلقت من الموانئ المغربية مثل سبتة ومليلة وأصيلا وآسفي وسلا ، كذلك تجارة المرجان والأسماك بسبتة ، وأسواق وقيسارية فاس وسلا، بالإضافة إلى المدن السودانية الشهيرة بالتجارة مع بلاد المغرب مثل كوكو وصفة تجارها الذين تعاملوا بالقراض مع تجار المغرب، وأودغشت التي اشتهرت بتجارة العبيد والذهب والعنبر 0

(ج) كتب التراجم :

تعتبر كتب التراجم من المصادر الدفينة التي تحوي العديد من المعلومات القيمة والتي قد لا تتواجد في كتب التاريخ أو الجغرافيا أو الرحلة وغيرها ، فالتراجم تتبع منهاجاً واحداً حسب الحروف الأبجدية لأسماء العلماء والقضاة والفقهاء وغيرهم من الطبقات الأخرى ، فتذكر صاحب الترجمة كاملا، ومن خلال سيرته نقتبس الأماكن والحرف والأعمال والأحداث ، فنستقي مادة تاريخية في غاية الأهمية والدقة ، لذا كانت كتب التراجم شديدة الصلة بمصادر موضوع البحث ومنها :

(1) ابن عبد الملك المراكشي : ت. 703هـ/1304م(1) .

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر 1، 5، 6، 8 .

استعنت بمعلومات قيمة حول عدة شخصيات من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة عن طريق نظام الوكالة، فقد كانوا يوكلون عنهم من يقوم بالتجارة دون أن يتحرك صاحب رأس المال من موطنه في حين كان الوكيل يقوم بمباشرة أعمال التجارة في مقابل مادي ، وهو ما عُرف بنظام القراض عند المسلمين وكان يقابل نظام Commenda عند الأوروبيين 0

(2) ابن الخطيب : ت. 776هـ/1374م(2) .

الإحاطة في أخبار غرناطة . الأجزاء 1-2-4 .

احتوى هذا الكتاب الكبير على العديد من المعلومات في غاية الأهمية والدقة فيما يتصل بموضوع البحث لاسيما نظام الشراكة والشركات التجارية بين

---

(1) السفر الأول ، ق2 ، تحقيق ، محمد بن شريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، (د0ت) 0 / السفر الخامس ، ق1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، 1965 0 / السفر السادس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، (د0ت) 0 / السفر الثامن ، ق1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984 0 / السفر الثامن ، ق2 ، تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984 0

(2) نشر محمد عبدالله عنان ، الطبعة الأولي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1974 0

التجار المغاربة في الدولة المرينية ، والعلاقات التجارية بين تلمسان وسجلماسة وإيوالاتن ببلاد السودان ، وكيفية تقسيم الأرباح والعمل وأسهم الشركة بين الشركاء ، كذلك بعض العلماء الذين تعرضوا لأخطار قطع الطرق على القوافل التجارية في الطريق الواصل من بلاد المغرب إلى تومبوكتو في بداية القرن 8هـ/14م ، وأيضاً طاعون عام 749هـ/1348م بالمغرب المريني الذي تأثرت به حركة القوافل والنشاط التجاري بالمغرب، أضف الى ذلك اشتراك قشتالة مع غرناطة لإشاعة الفوضى السياسية بالمغرب المريني ، وتدهورت البلاد في عهد أبو سالم المريني في عام 759-762هـ/1358-1361م وتأثرت أعمال التجارة بهذا التدهور من حوادث قطع الطرق وانتهاب القوافل التجارية وغلاء الأسعار وقلة السلع وشيوع الفوضي وزيادة الضرائب والمكوس وقلة السيولة المالية0

(د) كتب الرحلة :

تعتبر كتب الرحلات من أهم المصادر التاريخية ، خاصة أنها لم تكتب بقصد أن تكون تاريخاً ، لهذا يجد الباحث ضالته العلمية فيها ، لأن معظم الرحالة كانوا يحرصون علي كتابة مشاهداتهم وأخبار رحلاتهم ، وأسماء الطرق والمسافات والأسواق ، والمراكز العمرانية ومراكز التجارة الهامة وقوافلها وغير ذلك من المعلومات التي تتصل وتتعاون مع كتب المؤرخين الرسميين لاستقاء المادة التاريخية بدقة وصحة ، دون أن تشوبها شائبة ، ومن كتب الرحلات :

(1) بنيامين التطيلي : ت. 569هـ/1173م .

رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي(1) .

استعنت من هذا الكتاب بعض المعلومات الهامة لاسيما ما يتعلق بالمدن الإيطالية والتجار اليهود المغاربة الذين تاجروا ببلاد المغرب وإيطاليا ، كذلك اهتمام اليهود بعقد الصلات الوثيقة فيما بينهم في شتى البلاد لتسهيل أمور التجارة فيما بينهم ، وأيضاً المعلومات الخاصة بالمدن الإيطالية مثل الموقع الجغرافي للمدن [بيزا ، جنوة ، برشلونة ، مونبلييه] التجارية والتي كانت تزهو بكثرة توافد السفن التجارية بها سواء مع بلاد المغرب أو غيرها ، وصفات التجار الجنوية، وقيامهم بأعمال القرصنة ضد المغاربة والنصارى في آن واحد ،

---

(1) تحقيق عزرا حداد ، الطبعة الأولي ، بيروت ، دار ابن زيدون ، 1996 0

وتعد هذه المعلومات في غاية الأهمية ، نظراً لكون صاحب الرحلة بنيامين التطيلي من التجار اليهود الرحالة، الذي شاهد بنفسه تلك الأحداث والأماكن، فاستهوته خيرات المشرق الإسلامي مما دعاه إلى قيامه بتلك الرحلة الشهيرة بداية من موطنه مدينة تطيلة ببلاد الأندلس ماراً بالمدن الايطالية ، فكان شاهد عيان ومعاصراً للأحداث مما يضفي علي معلوماته بالثقة0

(2) ابن الخطيب : ت. 776هـ/1374م .

ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب . جزآن(1) .

احتوى هذا الكتاب على العديد من المعلومات الهامة لاسيما مقومات التجارة المرينية ومنها ميناء أصيلا وتجارته في زيت الزيتون والأسماك وحركة السفن بالميناء، وأسطول سبتة القوي ومخازنها الكبرى للحبوب ووفرة المكاييل والموازين وتجارة المرجان والأسماك وزيت الزيتون والحرير والكتان ، وميناء سلا الشهير بتجارة القطن والكتان، وحركة السفن المترددة كثيراً بمينائها، واشتهارها أيضاً بتجارة زيت الزيتون والرقيق، وتعدد أسواقها وبها القيسارية ، ومدينة سجلماسة المركز التجاري الضخم لتجارة الذهب والرقيق والتمر، ومدينة فاس المركز التجاري الرئيسي بالدولة المرينية، وتعدد أسواقها وفنادقها، وتنوع السلع ونشاط الحركة التجارية بها، وميناء أنفا الشهير بتجارة القمح ورخص أسعارها، ووفرة المكيال وكثرة السفن المترددة على مينائها للتجارة ، ومدن أغمات ومراكش ومكناسة حيث اضمحلت حركة التجارة بهم لاسيما في عصر التدهور المريني، وكثرة قطاع الطرق وغارات العرب بأغمات ومكناسة، أما مراكش فقد صرح ابن الخطيب فيها [[جف حوضه وصوح روضه]] ، وتعد هذه المعلومات في غاية الأهمية والدقة نظراً لأن ابن الخطيب شاهدها بنفسه وكان متجولاً ببلاد المغرب في ذلك الوقت وكتب تلك المعلومات أثناء إقامته ببلاد المغرب 0

(3) ابن الخطيب : ت. 776هـ/1374م .

مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب(2) .

استفدت من هذا الكتاب العديد من المعلومات الهامة مثل الموقع الجغرافي لبلدة

----

(1) تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، 1981 0

(2) تحقيق أحمد مختار العبادي ، جامعة الإسكندرية ، 1958 0

آزمور ومدينة أصيلا وباديس وسبتة ، كذلك موانئ غساسة وباديس وسبتة وكثرة السفن المترددة وصناعة السفن والمراكب ودُور الجمارك علي السلع الصادرة والواردة ، ووفرة الأخشاب الجيدة المتنوعة، ومصايد المرجان والأسماك، ومخازن الحبوب الضخمة كما في سبتة ، وأيضاً مسالك طرق القوافل التجارية الآتية من بلاد السودان مارة ببلاد المغرب إلي سبتة عن طريق قصر كتامة ، وأيضاً سجلماسة بلد التبر والرقيق ومقصد التجار المتجهين إلي بلاد السودان وخدمة قوافلهم ، وميناء سلا الشهير بتجارة القطن وتردد السفن الكثيرة وتجارة الرقيق وزيت الزيتون ، وميناء أنفا الشهير بتصدير الحبوب وكثرة السفن المترددة عليه .

(4) ابن الخطيب : ت. 776هـ/1374م.

نفاضة الجراب ، القسم الثالث(1) .

تضمن هذا الكتاب معلومات توضح حالة البلاد المغربية التي رآها بنفسه ابن الخطيب أثناء تجواله بها ، مثل قُطَّاع الطرق بهسكورة وإفشائهم الفوضى والتخريب والنهب، مثل الطريق من فاس إلى سلا ، والطاعون الأسود عام 763هـ/1372م الذي أشاع الموت والقحط والجفاف بأنحائه، وتوقف حركة التجارة والقوافل التجارية، وقلة المصنوعات والموارد ، وأيضاً كانت سفن المدن الإيطالية هي التي تقوم بدور سفن النقل والمواصلات والتجارة ما بين بلاد المغرب المرينية وبلاد الأندلس والمشرق الإسلامي 0

(5) ابن بطوطة : [704-779هـ/1304-1378م](2) .

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)0

احتوى هذا الكتاب على معلومات هامة تتصل بالتجارة في الممالك السودانية مع بلاد المغرب ، مثل مالي وتومبوكتو وغانة والأسواق المكتظة بالرقيق والتبر والعاج وريش النعام ، والتجار المسلمين ، ونظم التجارة ببلاد السودان ، مثل وظيفة المشرف المالي على شئون التجارة وهو ما يعرف بالمنشاجو، كذلك وظيفة دليل الصحراء للقوافل التجارية ، وهو ما يعرف بوظيفة التكشيف ، والسفن المغربية التجارية مثل العشاريات، والمراكز التجارية، والنُزُل التي نزلها التجار بقوافلهم وبضائعهم في كل من غدامس وتوات وإيوالاتن،

----

(1) تحقيق السعدية فاغية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1989 0

(2) تحقيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولي ، 1987 0

واتخاذ الوكلاء والأدلاء لخدمة التجار ، والسلع التجارية وأنواعها وبعض أسعارها والحالة الأمنية التي لاقاها التجار المسلمون ببلاد السودان[دولة سنغاي]، وقد نشطت حركة التجارة المغربية نشاطاً فائقاً في عصر أبي عنان المريني، فكانت الدولة المرينية وسيطاً تجارياً بين المدن الإيطالية (بيزا وجنوة) وغيرها وبين بلاد السودان حيث تجارة العبيد والذهب ، أضف إلى ذلك منتجات بلاد المغرب المرينية كانت أيضاً تتهافت عليها كلٍ من المدن الايطالية وبلاد السودان ، وتعد هذه المعلومات التي كتبها ابن بطوطة في غاية الأهمية نظراً لكونه معاصراً وشاهد عيان لها ، مسافراً بنفسه ومتجولاً بين بلاد السودان والمغرب مما جعل معلوماته أكثر مصداقية 0

(هـ) كتب الفقه [النوازل] :

تعد كتب الفقه والنوازل من المصادر الدفينة التي تحتوي على نوازل ومسائل الحياة اليومية الدقيقة منها الاجتماعية والاقتصادية ، على أن ما يهمنا ما يتصل بالحياة التجارية ، فالعديد من النوازل التي تتصل بنظم التجارة والمعاملات التجارية كثيرة، وهي تضم معلومات في غاية الأهمية نظراً لوثوق هذه المعلومات ودقتها وصحتها ، ومنها،

(1) الونشريشي : ت. 914هـ/1508م .

المعيار المُعرِبْ والجامع المُغْرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب . 13 جزء(1) .

أفادني هذا المصدر الكبير كثيراً في نواحي مختلفة من البحث ، لاسيما النظم والمعاملات التجارية التي سادت بلاد المغرب في عصر بني مرين، مثل بضاعة أمانة للاتجار بها ، ونظام القراض والكراء مثل كراء شراء بضاعة ونقلها على مركب لصالح أحد التجار ، والسلف والقرض والصرف والمعاوضة (المقايضة) مثل مقايضة قمح بدنانير، وصرف الدراهم بالدراهم والذهب بالذهب ، والسلف لأجل، والشركة وأنواعها مثل شركة بين إخوة لبيع الحرير ، والشركة في مركب، واتخاذ التجار وكلاء لبيع السلع التجارية (السماسرة)، ونظام الدلالة والمزاد العلني ، وشركات منتجات الألبان وكراء المناسج وشركة المطاحن ،

---

(1) تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة بيروت 1981 0

وكراء الحوانيت وشركة للصيد البحري ، وشركة في تربية الماشية والأغنام ، ونظم الرهن والحوالة والمديان، ونوازل السفن والكراء ، إلى جانب بعض المكاييل مثل القفيز (وحدة كيلية)، وقبالة القرسطون وقبالة الخضر ، واستخدام القراقر في نقل السلع والحجاج والمسافرين بين المغرب والإسكندرية ، وشيوع القرصنة من جانب الروم والفرنج على شواطئ وسفن المسلمين 0

(و) كتب النقود :

تعد كتب النقود والأموال مصدراً هاماً من مصادر التاريخ لما تحويه من معلومات هامة عن دقائق المعاملات التجارية، مثل العملات النقدية وأوزانها ومقدارها وأنواعها عبر العصور الإسلامية، كذلك الأوزان والمكاييل والمقاييس ، أضف إلى ذلك تضمنها معلومات عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لاسيما عصور القوة والضعف، فتبدو فيه العملات النقدية قوية بينما يعتريها التزييف والضعف والغش والقلة في عصر الضعف السياسي، إلى جانب العلاقات التجارية بين الدول ، والتعامل النقدي بينهم من خلال التجارة الخارجية ، ومن هذه المصادر :

(1) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم الكومي : كان حياً في 749هـ/1348م, الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة(1) .

استعنت بالعديد من المعلومات الهامة التي تتصل بموضوع البحث، مثل الأوزان والمكاييل ومنها الوسق والصاع والمد والرطل ، وتطور النقود والأوزان والمكاييل في عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، مثل التحقيق في الدينار والدراهم والقنطار والرطل والأوقية والوسق والصاع والمد ، كذلك كيفية التعامل مع الذهب المجلوب من بلاد السودان ، وتفاحش القرض في الدرهم، وفساد المعاملات والتجارات في عهد أبي فارس عبد العزيز المريني 768-769هـ/1366-1367م، وظهور تزييف العملات بسبب قيام اليهود بالغش في

----

(1) تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، 1985 0

النقود،واشتغالهم بالتجارة في الذهب والفضة، وتشكي الناس من غش اليهود عام 736هـ/1335م في الصياغة والصرف، مما دفع السلطان أبو الحسن المريني إلى التنكيل باليهود ، وظهرت أعمال الغش مرة أخرى في عهد أبي عنان المريني، فمنعهم مرة أخرى عام 756هـ/1355م ، كذلك وثيقة خاصة بتقسيم بلاد المغرب إلى مناطق ضريبية على عهد السلطان أبو الحسن المريني ، مثل منطقة مدينة فاس وما والاها، ومنطقة سبتة وما والاها ، ومنطقة مراكش إلى بلاد السوس ، ومنطقة درعة وسجلماسة ، ومنطقة تلمسان إلى الجزائر، تلك كانت خمسة مناطق، فكان على التجار الذين يجوبون الدولة المرينية أن يدفعوا العشر في إحدى هذه المناطق مرة واحدة دون أن يدفعوه ثانيةً في أي قطر آخر ، وذلك في عام 736هـ/1335م ، وأيضاً بعض العملات الجنوية والمرينية التي كانت سائدة ببلاد المغرب المريني 0

[ج] دراسة تمهيدية :

أولاً : الموقع الجغرافي .

(1) جغرافية المغرب الأقصى .

(2) جغرافية المدن الإيطالية (بيزا – جنوة – البندقية) .

(3) أثر العوامل المناخية على التجارة البحرية .

****

أولاً : الموقع الجغرافي ،

(1) جغرافية المغرب الأقصى :

كي نفهم تاريخ العلاقات التجارية بين الأقطار والشعوب المختلفة ، لابد من دراسة البيئة الجغرافية ، ذلك لأن البيئة الجغرافية لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العلاقات التجارية للمغرب الإسلامي 0 ويحد المغرب الأقصى من الشمال البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ، ومن الجنوب الصحاري الجنوبية لوادي درعة ، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشرق المغرب الأوسط(1) ، ويتكون القسم الشمالي من المغرب الأقصى من مناطق جبلية يقل إرتفاعها عن جبال الأطلس ، وفي هذه المنطقة تظهر سلسلة مقوسة من الجبال تمتد نحو 300 كم وتسمى الريف(2) ، وتحتضن تلك الجبال الساحل الشمالي من سبتة إلى مليلة تاركة سهلاً ساحلياً ضيقاً بتلك المنطقة(3) 0 وتمتد النجاد والسهول بين المحيط الأطلسي وسفح جبال الأطلس ويقل بروزها شمالاً بين فاس وطنجة ، بينما تحيط الهضاب بالسهول ، ويتكون القسم الغربي من الطريق الرئيسي الذي يقسم البلاد عرضياً من الشرق إلى الساحل الأطلسي من سهل نهر سبو في حين تظهر هضبة المزيتا المغربية الضخمة جنوباً ما بين المحيط الأطلسي وجبال أطلس (4) 0 ويبدأ من المحيط سهل ساحلي يقل إتساعه قرب الرباط ويتسع في دكالة ، فيبلغ نحو 80 كم ثم يرتفع تدرريجياً إلى أن يشقه خور أم الربيع ، أما سلسلة جبال

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله : جغرافية المغرب ، مطابع لاسكي إخوان ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية 1956م ص22 / مجدي يسن عبد العال : مراكش منذ تأ سيسها في عصر المرابطين إلي نهاية دولة بني مرين ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الأداب جامعة الإسكندرية 2001م، ص 121 .

(2) شارل أندريه جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج1 ، ت. محمد مزالي – البشير بن سلامة ، الدار التونسية 1969م ، ص121 0

(3)محمد عبد المنعم الشرقاوي – محمد محمود الصياد : ملامح المغرب العربي ، الإسكندرية طبعة 1959 ص13 /السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 العصر الإسلامي ، طبعة 1966 ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص 129 / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1961م، ص15 0

(4) شارل أندريه جوليان : المرجع السابق ، ص 21 .

أطلس الجنوبية أو أطلس الصحراوي (1) فتبدأ بسلسلة جبال أطلس الكبرى الأكثر إرتفاعاً ولا يتخللها ممرات للعبور ، ولذا عزلت تلك الجبال المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب ، فأصبح في عزلة تامة(2) ، وينقسم المغرب الأقصى إلى قسمين : أولاهما الشمالي ويعرف بالغرب ، وثانيهما الجنوبي ويعرف بالحوز(3) 0 وقد شجع تضرس ساحل المغرب الأقصى الشديد على الاتصال البحري بين سبتة وباديس ومليلة ومدن المغرب الأوسط والأدنى الساحلية(4) والمدن الإيطالية ، أما السهول المحصورة بين المحيط الأطلسي والمرتفعات الغربية لكلاً من كست وسملال Kest – Semlel وسهل تيزنيت وشتوكة Tiznit – Chtouka فكانت تشكل طرقاً سهلة للقوافل الذاهبة إلى موجادور متبعين طريق حاحة إلى بلاد السودان(5) ، وفي أقصى جنوب المغرب الأقصي تقع منطقة السوس، ويقال لها بلاد مآسة وهي تارودنت وأغادير وتاغاوست(6) .

ويطل المغرب الأقصى على البحر المتوسط شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً ، الأمر الذي أوجد عدة مدن بحرية عديدة كان لها علاقات تجارية هامة ونشطة مع بلاد الأندلس ، وممالك الدول النصرانية بحوض البحر المتوسط ، وكان بساحل البحر المتوسط 26 مرسى مابين كبير وصغير وهي [أرشقول ، تابحريت ، ترنانة ، ملوية ، هرك ، كرط ، مرسي الدار(قبس) ، مليلة ، جراوة ، غساسة ، نكور ، باديس ، يالش ، المزمة ، قصرتازكة، حصن تيجساس ،

----

(1) تعرف جبال أطلس الصحراوي في مفهوم البربر بإسم جبال درن ويعني في اللغة العربية جبل الجبال لضخامته وشدة إرتفاعه وتراكم ثلجه ، أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثني ، بغداد (د.ت) ص147 / الإدريسي : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ،ج 1، عالم الكتب ، بيروت الطبعة الأولي 1989م ص229/ مجهول : الإستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية 1958م ص. 211 / ابن خلدون: العبروديوان المبتدأ والخبر ، ج 6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولي 1992م ص 264 .

(2) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص 128 - 129 .

(3) محمد الفاسي : التعريف بالمغرب ، مطبعة لجنة البيان العربي ،1961م ، ص14 ، ويعرف الغرب في لغة أهل المغرب باسم البسيط وليس جهة الغرب ، وهو إصطلاح أخص في المغرب ، وأما الحوز في الإصطلاح المغربي فيعرف بحوز مراكش .

(4) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي ، تطوان الطبعة الأولي 1995م ص97 .

[5] Robert Montagne : Les Barberes et le Makhzen dans le sud du Maroc, Paris, 1930, p, 16

(6) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تحقيق كولان _ بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثالثة 1983م ص6 ./ الحسن بن محمد الوزان : وصف إفريقيا ، ت. عبد الرحمن حميدة ، الرياض 1339هـ ، ص 124 -127

أنزلان ، سبتة ، قصر مصمودة ، مرسى باب اليم ، مرسى موسى، جزيرة تورة ، بليونش، دنيل ، طنجة] (1) 0

ومن أهم الموانئ البحرية التي تطل على البحر المتوسط ومضيق جبل طارق مدينة سبتة(*) وهي مدينة عظيمة تطل على مضيق جبل طارق وهو أول البحر المتوسط غرباً ، وتقابل الجزيرة الخضراء ببلاد الأندلس ، والبحر يحيط بها شرقاً وجنوباً وشمالاً ، وليس لها بالبر سوى طريق جهة الغرب(2) ويعرف البحر الملاصق لها من ناحية الشمال ببحر الزقاق ، والبحر من جهة الجنوب يسمى بحر بسول ، وهو مرسى جيد ترسو فيه السفن فتنجو من أخطار الريح العاصفة(3) ، ويلي سبتة من جهة الشرق على ساحل البحر المتوسط مدينة باديس(*) التي تقع بين جبلين شاهقين ، وبتلك الجبال المحيطة أشجار البلوط والأرز والفلين الأمر الذي شجع سكان المدينة على صناعة السفن والقوارب والطرادات وتصدير

----

(1) محمد زنيبر : المغرب في العصر الوسيط ، الدولة - المدينة - الإقتصاد ، مطبعة النجاح الجديدة ، البيضاء الطبعة الأولي 1999م ص 393

Dufourcq ; L' Espagne Catalane et le Maghrib aux XIII et IV Siecles Paris, 1966, p.158

(*) سبتة : Ceuta بالإسبانية وبالعربية بفتح السين وسكون الباء ، وهي ذات وضع جغرافي ممتاز جعلها تتصل ببلاد الأندلس بدرجة أقوي من إتصالها ببلاد المغرب ولذا تميزت سبتة بالطابع الأندلسي في المظهر والثقافة والوضع السياسي, فالأمويين بالأندلس إتخذوها قاعدة استراتيجية لهم لمقاومة الخطر الفاطمي في القرن 4هـ/10م أما في القرن 7هـ/13م إستقلت سبتة بنفسها وأدارت شئونها أسرة بني العزفي ثم إستولي عليها ملوك بنو الأحمر مدة من الزمان ثم سقطت في يد البرتغال ثم الأسبان من يعدهم في القرن 15م، انظر أحمد مختار العبادي محقق كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، جامعة الإسكندرية 1958، هامش 1 ص101 -102 / وهناك عدة تفسيرات لإسم سبتة فقد كان الرومان يطلقون عليها اسم سيبتاس فهي مشتقة من كلمة سبتوم كما يذكر ليون الإفريقي Septum بمعني سبعة لأن سبتة محاطة بسبعة جبال صغار متصلة ببعضها أنظر ،الإدريسي: المصدر السابق ، ج2 ص258 / رضوان البارودي : التاريخ السياسي لمدينة سبتة (4-7هـ/10-13م) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد 36، 1989، ص35.

(2) طافور : رحلة طافور ، ت. حسن حبشي ، دار المعارف بمصر 1968، ص5-6 / الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية بيروت 1980 ص303 .

(3) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد الجندي ، ج2 دار الكتب العلمية بيروت1990ص 206 / الإدريسي : المصدر السابق ،ج2 ص 258

(*) باديس : تسمي باديس فاس تمييزاً عن باديس الزاب ، وهي من أشهر موانئ منطقة الريف ، وتبعد عن سبتة بنحو 100 ميل وهي أقرب ميناء إلي فاس ، وقد إتخذها المرابطون ثم الموحدون ثم المرينيون مرسي حربي ، وسقطت في يد الأسبان عام 1564م ، انظر مجهول : الإستبصار ، ص 136 / ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، الطبعة الثانية الجزائر 1982، ص139-140 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابقً 327-329 / مارمول :إفريقيا ، ج2 ، ت. محمد حجي – محمد زنيبر ، الرباط 1984 ص 230-231 / أحمد مختار العبادي : محقق كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، هامش 2 ص 100 / عبد العزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية (معلمة المدن والقبائل) ج2 الرباط مطبعة فضالة 1977 ، ص80 – 82 .

الأخشاب ونقله إلى مختلف البلدان(1) ، ويلي باديس شرقاً مدينة صغيرة تسمى إيلليش(*) على مسافة أربعة أيام (مسيرة يوم وليلة يعادل من 30كم إلي 60كم) ولها ميناء صغير في غاية الأهمية لاسيما عند هبوب الريح وهياج البحر حيث تلتجئ إليه السفن الكبيرة الوافدة على باديس(2)، ويليها شرقاً مرسي بوذكور (نكور) على مسافة 20 ميلاً، ثم يليه قرية المزمة على مسافة 20 ميلاً وكان لها ميناء هام توسق المراكب منه ويبعد عنها بنحو 20 ميلاً مرسى كرط(3)، ويليه مدينة غساسة(*) التي تبعد عن مليلة جهة الغرب نحو 20 ميلاً ميناء غساسة هام تفد عليه السفن بكثرة بشتي البضائع وتقع عند مصب نهر ملوية بالبحر المتوسط(4) ويبعد عنها شرقاً مدينة مليلة التي كانت تمتلك مناجم عديدة للحديد واشتهر سكانها بتجارة العسل والشمع واللؤلؤ، ويوجد بشرقها بحيرة صغيرة تعرف بالبحر الصغير تتسع لمئات السفن (*) ، وأما من جهة غرب سبتة فتتواجد العديد من المدن الملاحية المطلة علي المحيط الأطلسي، فمنها قصر مصمودة التي تبعد عن سبتة بنحو 12 ميلاً وهو حصن كبير به دار صناعة السفن والمراكب ولها ميناء جيد(*)، ويليها مدينة طنجة التي تشبه إلى حدٍ كبير مدينة سبتة وتمتاز

---

(1) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادي جامعة الإسكندرية ، 1958 ، ص100 -101 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 327 – 328 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 230-231 .

(*) إيلليش : هكذا تعرف عند الحسن بن محمد الوزان بينما تعرف عند مارمول يليش ، انظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 329 / مارمول : نفسه، ج2 ص 243 .

(2) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 329 / مارمول : نفسه ، ص 243 .

(3) الإدريسي : المصدر السابق ج2 ص 533 .

(*) غساسة : اسم قبيلة بربرية كانت تسكن هذه المدينة فعرفت بذلك الإسم ، وقد كانت هذه المدينة مرسي لسفن الأندلس الواردة الي المغرب من بينها أسطول أبي سعيد فرج بن اسماعيل بن الأحمر صاحب مالقة عام 691هـ/1291م وقد سقطت هذه المدينة في يد الإسبان عام 1497م انظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 345 / عبد العزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية ، ج2 ص 325 .

(4) ابن الخطيب : مشاهدات 000 ص 114 – 115 / الحسن بن محمد الوزان : نفسه، ص 45 / مارمول : المصدر السابق ج2 ص 263 .

(*) مليلة : تعرف أيضاً باسم مليلية وبالبربرية لغة أهل المغرب بالمعسولة نسبة الي العسل لاشتهارها بإنتاج العسل بكثرة ، انظر مارمول : نفسه، ج2 ص236 ، وتبعد مليلة عن باديس شرقاً بنحو 100 ميل ، انظر ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص140 .

(*) قصر مصمودة : حصن كبير ومدينة صغيرة أسسها يعقوب المنصور الموحدي علي شاطئ المحيط الأطلسي لتشييد دار صناعة السفن والمراكب والحراقات التي يجوز بها الي الأندلس وهي تقع علي رأس المجاز وهي أقرب موضع الي الأندلس ، وتبعد عن طنجة بنحو 20 ميلاً ، انظر الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ص529 / الحميري المصدر السابق ص476 / مجهول : المصدر السابق ، ص476 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص213 ص258 -259 .

طنجة بميناء جيد ودار صناعة للسفن والمراكب(1) ، ويليها مدينة آصيلا(*) ولها ميناء جيد وتتردد عليها السفن كثيراً(2) ومن بعدها العرائش(*) التي تمتاز أيضاً بميناء صغير للسفن الصغيرة واشتهر سكانها بتجارة الفحم، (3)، ومدينة سلا(*) ذات ميناء جيد ، كان التجار البنادقة والجنوية يقصدونه دائماً ، وهي ميناء لكل منطقة فاس ، وبها مراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية الأندلسية الإسلامية فكانوا يقصدونها بشتي البضائع والسلع وبها القيسارية ومخازن لسلع التجار الأجانب(4) ويليها بنحو 24 ميلاً مرسي فضالة الشهير بتصدير القمح والشعير والفول والبقر والماعز والغنم والحمص ويليها جنوباً على مسافة 40 ميلاً مرسى أنفا(*)0

---

(1) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ص476 ./ مجهول : الاستبصار ، ص138 ، / ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص 103 .

(*) آصيلا : Arcila بالأسبانية وهي مدينة كبيرة آهلة بالسكان في سهل من الأرض ويحدها البحر غرباً وجنوباً وتدخل السفن الي مينائها من جهة الشرق وهو مرسي آمن إلا أنه صعب إجتيازه بالسفن نظراً لصعوبة المدخل لوجود رصيف رملي والحجارة ، وهذه البلدة ملاصقة لرأس إسبارتل ، انظر الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ص530 / طافور : المصدر السابق ، ص 4 / الحميري : المصدر السابق ، ص 42 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص197 / وكانت آصيلا تعود لأصل فينيقي ، ثم أصبحت مستعمرة رومانية باسم يوليا قسطنطينة زيليس ، وكان العرب يسمونها أزيلا أو آصيلا ، أما المغاربة فكانوا يسمونها أرزيلا أو آصيلا ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 312 ، هامش 326 0

(2) ابن الخطيب : مشاهدات 00، ص 104 / الحميري : المصدر السابق ،ص 42 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص197 – 198 .

(*) العرائش : مدينة قديمة تأسست عام 657هـ/1258م وتقع عند مصب وادي لكوس في المحيط ويحدها البحر من جهة والنهر من جهة اخري وقد دخلها النصاري عام 668هـ/1269م وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا المدينة ثم تجددت مرة أخري في عهد بنو مرين ، انظر مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص188 – 189 / عبد العزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية ، ج2 ص310 .

(3) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 188 – 189 .

(*) سلا : كانت مدينة سلا في القديم تعرف باسم شالة وهي علي مسافة ميلين من الساحل الأطلسي وتقع علي ضفة نهر أسمير ، وقد قامت سلا الحديثة علي ساحل المحيط وتبعد عن مدينة رباط الفتح بميل ونصف ولها ميناء جيد من ناحية النهر وعند حركة المد تدخل السفن الي الوادي وتخرج منه عند حركة الجذر ولايستطيع أحد أن يدخل واديها بالمراكب من ناحية البحر كذلك توجد بمدخل الوادي تروش وحجارة تتكسر عليها السفن وقليلاً ما تنجو منها وقد تعرضت المدينة لهجوم الأسطول القشتالي في عام 658هـ/1260م إلا أن يعقوب بن عبد الحق المريني إستطاع أن يطردهم في نفس العام ، انظر الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص238 -239 / الحميري : المصدر السابق ،ص 319 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 213 .

(4) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص239 / مجهول : الاستبصار ، ص 140 – 141 / ابن الخطيب : مشاهدات 00 ، ص 104 / الحميري : المصدر السابق ، ص 319 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص213 – 214 / مارول : المصدر السابق ، ج2 ص 134 – 135 .

(*) أنفا : Anfa تعرف اليوم باسم الدار البيضاء علي المحيط الأطلسي وكانت مدينة متحضرة بسبب التجارة مع المسيحيين وميناؤها ترتاده سفن للتجار الأوروبيون وكان منافساً لثغر قادس البرتغالي مما دفع البرتغال الي تدمير أنفا عام 1465م ثم أعيد بناؤها في عام 1515م ، انظر مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص127 / أحمد مختار العبادي ـ محقق المصدر السابق ، هامش 1 ص 106 .

الشهير بتصدير القمح و الشعير(1) ، وميناؤها كانت تتوارد عليه السفن تكراراً كما ذكر ابن الخطيب (.. أنفا ، قال جون الحط والإقلاع ومجلب السلاع تهدي إليها السفن شارعة وتبتدرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الإبريز وتراوح برها وتغاديه بالتبريز..)(2) 0 وعلى مسافة منها بنحو 65ميلاً مرسي مازغان(*) وهو ميناء مشهور يصدر القمح إلى سبتة وغيرها(3) ويليها على مسافة 80 ميلاً مرسي الغيط وهو مرسى جيد تحتمي به السفن من بعض الريح وترتاده السفن والمراكب لحمل القمح والشعير(4) ويبعد عنها ميناء آسفي بنحو 50 ميلاً(*) وهو ميناء مشهور جيد ترسو فيه السفن وقت سكون الريح بالمحيط الأطلسي فتحمل السفن منه البضائع والسلع والمسافرين(5) ويليها مرسي تفتنة وهو ميناء جيد للسفن الصغيرة وكان التجار البرتغاليين يرتادونه لمقايضة بضائعهم بالشمع وجلود الماعز وهي تقع على رأس الساحل مابين آسفي ومرسي مأسة(6) ، ويبعد عن آسفي بنحو 150 ميلاً ميناء مأسة(7) 0

----

(1) الإدريسي : المصدر السابق ج1 ص240 .

(2) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص106 .

(*) مازغان : يذكر الإدريسي مازغان تحت إسم مازيغن . الإدريسي: المصدر السابق ، ج1 ص240 ،

(3) ابن سعيد المغربي :كتاب الجغرافيا ، ص137 .

(4) الإدريسي : المصدر السابق ، ح1 ص240 -241 .

(*) آسفي : أورد البكري مرسي آسفي تحت إسم آسفي ،وأسفي، وأورد الإدريسي قصة الفتية المغررين الذين خرجوا من أشبونة ووصلوا إلي آسفي ، إلا أن التفسير الطبوغرافي لهذا المرسي يؤكد أنه مأخوذ من آسيف أي النهر أو الوادي ، فكلمة آسفي تعني حوض الماء المصبوب كما في اللغة البربرية لأهل المغرب ، ويدل علي ذلك أن مرسي آسفي يتميز بوجود خور مصب يسيل في فصل الشتاء ، انظر البكري : المصدر السابق ، ص86 / الإدريسي : المصدر السابق ج1ص240 / أحمد مختار العبادي : محقق المصدر السابق ، هامش 2 ص 107 / أحمد التوفيق : حول معني إسم آسفي (دراسة تاريخية وحضارية حول آسفي) أعمال الملتقي الفكري الأول لمدينة آسفي ، الرباط 1988 ، ص67 -75 .

(5) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص240 / الحميري : المصدر السابق ، ص57 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ،ص 57 .

(6) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ص120 – 121 .

(7) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص240 – 241 .

إن المكونات الطبيعية لبلاد المغرب غاية في التناقض ، فهي تشتمل على أعلى وأضخم جبال في أفريقيا الشمالية ، وسهول ممتدة وصحاري(1) ،وتتفاوت بلاد المغرب في تأثرها بالمناخ بحسب حركة الرياح ودرجات الحرارة ، فالرياح الحارة الشرقية والخماسين ، والرياح الجنوبية الغربية تهب في بداية الصيف ونهايته ، وتكون غالباً ساخنة و جافة(2) 0 أما الرياح الشمالية والشمالية الغربية الممطرة في فصل الشتاء فتكون باردة ورطبة ، وتكثر الثلوج علي قمم الجبال طوال العام (3) ، وقد يستمر سقوط الثلج لأكثر من يومين في المرة الواحدة ، وتصل أحياناً طبقة الثلج لأكثر من ثلاثة أمتار (4) ، وكانت الأمطارتسقط على مناطق تامسنا وشمال بلاد المغرب مصحوبة بشدة الريح والأنواء والسيول ، وكانت تستمر أياماً متواصلة(5)0

و كانت الأمطار في الصحراء الجنوبية في فصل الشتاء قليلة ، وإذا استمرت الأمطار من نوفمبر إلى فبراير تنتشر المراعي وتزداد حركة الرعي وتربية الماشية والأغنام بتلك المنطقة(6)0 أما منطقة سهل الشاوية الممتدة من منطقة مراكش إلى بلاد السوس ، فتتساقط عليها الثلوج والأمطار شتاءاً ، وتكون غنية جداً بالمراعي وتربية الماشية والأغنام صيفاً(7)0 أما شهور الربيع فكانت معتدلة نسبياً ، وإذا قل المطر في الفترة من 25 أبريل إلى 5 مايو فإن المحصول يكون رديئاً في ذلك العام (8) 0

----

(1) Deverdun : Marrakech des origines a' 1912, Rabat 1959 , p. 1 .

(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور بالرباط 1973 ، ص 408 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 343 ، 350 / ذكر السلاوي أن ((الريح الشرقية المتوالية الهبوب في عام 689هـ نشأ عنها قحط شديد ، وإستمر ذلك إلي آخر عام 690هـ)) 0 أنظر السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق جعفر الناصرى- محمد الناصرى،الدار البيضاء ، 1954 ، ج 3 ، ص 89 0 / Deverdun : Op. Cit., p5-6

(3) تظهر الثلوج طوال العام علي قمم جبال بلاد المغرب الأقصي مثل ، درن ، هنتاتة ، أنفيفة ، سكسيوة ، سمد ، تينو أواز ، إيمغران ، وابلان ، أنظر مجهول : الإستبصار ، ص 211 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 412 ، 413 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 87 – 88 ، 151، 153 ، 154 ، 177 ، 194 ، 326 ، 361 – 362 0

(4) ذكر الحسن بن الوزان عن الثلوج ببلاد المغرب ((00 يسقط الثلج الكثيف في أكتوبر ، وقد يستمر يومين كاملين ، وأما سمك الثلج قد يصل إلي لبانات الخيل 00)) ، ((00 وكثيراً ما تهب ريح شمالية تقذف بكميات كبيرة من الثلج ، حتي أن بعض الناس الذاهبين من نوميديا إلي فاس تباغتهم الثلوج فيدفنون فيها 00)) ، المصدر السابق ، ص 84 – 85 / 370 – 371 0

(5) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 329 ((00 وفي 3 شوال 677هـ [1279م] وصل يعقوب بن عبد الحق المريني إلي قرية مكوك من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والسيول ، ولم تزل الأنواء مصطحبة لا يفتر المطر ليلاً ولا نهاراً فلم يستطع الرحيل لأجل ذلك 00))0

(6) مجهول : الإستبصار ، ص 201 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 92 ، 180 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 82 – 83 0

(8) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 89 0

ويلاحظ أن جبال صنهاجة بالمغرب الأقصى منطقة تقسيم المياه ، فيخرج منها أكثر الأنهار المغربية طولاً وإتساعاً (1) ، مثل نهر سبو ، ونهر أسمير (2) ، وأم الربيع(3) و وادي ملوية(4) 0 أما جبال درن فيخرج منها نهر تانسيفت (5) ونهر السوس(سجلماسة)(6) ، ويخرج من جبال غمارة نهر لُكُّس(7) ومجكسة(8) 0

وقد كانت هذه الأنهار تمد بلاد المغرب الأقصى بالمياه اللازمة للزراعة وغيرها حتى في حدوث نُدرة الأمطار أو في حالات القحط الشديد والجفاف ، فلم يُحرم المغرب الأقصى من المياه بصفة مستمرة لتنوع مصادر المياه ، مما ساعد على ازدهار الزراعة وتنوع المحاصيل ونشاط السكان الصناعي والتجاري 0

وبتنوع المناخ ببلاد المغرب الأقصى تنوعت المحاصيل الزراعية ، ونشطت حركة السكان الرعوية لمختلف أنواع الماشية والأغنام وغيرها ، والصناعات القائمة عليها ، فكانت منطقة دكالة غنية جداً بإنتاج محصول القمح والعسل والزيتون ، ومناطق هسكورة اشتهرت بتربية الماشية والأغنام والماعز والصوف ومحاصيل القمح والشعير والعنب وزيت الزيتون ، ومنطقة مراكش أنتجت الشعير والقمح والتمر والكروم والتين والتفاح والكمثرى وقصب السكر وتربية الماعز والأغنام (9) ، ومنطقة جزولة اشتهرت بتربية الماشية ومحصول الشعير ، ومنطقة حاحة تميزت بتربية الماشية والماعز ومحصول الذرة البيضاء والشعير والعسل ، ومنطقة فاس أنتجت محاصيل متنوعة من الحبوب والفاكهة ، وتربية الماشية ، ومنطقة تامسنا غنية جداً بإنتاج محصول القمح ، ومنطقة السوس أنتجت محاصيل وافرة

----

(1) مجهول : كتاب الجغرافية ، ص 140 / مجهول : الإستبصار ، ص 206 ، 209 0

(2) مجهول : كتاب الجغرافية ، ص 115 / البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص 106 / الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 239 / مجهول : الإستبصار ، ص 185 0

(3) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 237 0

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 88 / الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 247 0

(5) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص235 / مجهول : الإستبصار ، ص 211 0

(6) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 225 – 226 0

(7) الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 246 0

(8) البكري : المصدر السابق ، ص 107 0

(9) ابن الخطيب : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ، القسم الثانى،تحقيق أحمد مختار العبادى ،القاهرة 1967 ، ص 270 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص133 – 148 ، 162 – 168 ، 171 – 176

من الشعير والتمر ، ومنطقة صحراء غارت كانت الماشية والأغنام والخيل والإبل والماعز تُربى فيها بأعدادٍ كبيرة (1) ، وانتشرت المراعي الواسعة وامتدت من أحواز مراكش إلى بلاد السوس لتربية الأغنام والماشية على يد قبائل العرب الشاوية (وهم فرع من قبيلة سويد إحدى قبائل زغنة الهلالية) الذين حظوا بتشجيع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، فقد أقطعهم المراعي الواسعة ،(2) واشتهرت قبائل بني جابر بأحواز مراكش بتربية الضأن والإبل ، وقبائل بني الحارث بتربية الأبقار والماعز والضأن وذلك في عهد السلطان أبو زيان محمد المتوكل (763 – 767هـ/1361-1365م) (3) ، وإشتهرت دكالة بتربية آلاف الثيران (4) 0

---

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 107، 126 ، 156 ، 204 ، 212 ، 215 ، 300 ، 350 0

(2) السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 66 0

(3) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ج2 ص 68 0

(4) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ، ص 150 0

[2] جغرافية المدن الإيطالية (البندقية – جنوة- بيزا) :

تقع البندقية(*) في سهل منخفض يمتد من نهر رينو Rino إلى نهر إيزونتسو Isonzo ومن بلدة رافنا Ravenna إلى بلدة أكويليه Aquilee على طول الساحل الغربي لبحر الأدرياتيكي وتنحدر في هذا السهل عدة أنهار عظيمة تنبع من جبال الأ لب وتمتد في هذا السهل لتصب في البحر مكونة عدة خلجان يتخللها أرخبيل من الجزر الصغيرة ، ويتكون خليج البندقية من خليجين أولهما : الخليج الراكد بالمستنقعات ، وثانيهما : الخليج الحي الذي تنتشر فيه الجزر الصغيرة المتصلة بالبحر الأدرياتيكي(1) ، فهي تقع على الخليج الحي شمال إيطاليا ، وأثناء حركة المد تتغطى جزر البندقية بالمياه ، ثم تنحسر عنها المياه عند حركة الجزر(2) ، والمدينة شديدة الزحام بالسكان وتقع وسط إقليم كبير وبيوتها شديدة التلاصق ببعضها البعض ، ويقال أن عدد سكانها كان يبلغ 70 ألف نسمة أما الأجانب والعمال ومعظمهم من العبيد فكثيرون جداً وليس للمدينة أسوار ولا قلاع سوى حصنين قريبين للميناء(3) ، ونظراً لوفرة الأخشاب بالجبال المحيطة بها فإن البنادقة شيدوا منازلهم بالأخشاب وكانت الحركة داخل المدينة بالمراكب والقوارب ، فكانت الزوارق تتردد بين المنازل، ويرسو مركب كل شخص عند داره (4)، و إستمد البنادقة قوتهم من البحر، ونظراً لكثرة الأخشاب وتزايد نشاطهم في بناء السفن والمراكب وحبهم للمغامرة، صار شعب البنادقة من أمهر الملاحين(5)، وبالبندقية دارين للصناعة إحداهما للسفن وهي ضخمة وفائقة

(*) البندقية : تسمي فينسيا وقد نشأت علي جزيرة ريالتو أكبر جزر جمهورية البندقية Rialto وإليها لجأت قبيلة الفينيت Veneti التي كانت قد أخلت الأقسام الشمالية الشرقية من إيطاليا في التاريخ الروماني المبكر وأطلق عليها اسم Venezia في القرن 13م علي مجموعة جزر اللاجئين في تلك الجهات ، انظر عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطي الأوروبية 746هـ/1500م المكتبة العصرية بيروت 1967 ص293 / ناجلا محمد عبد النبي : مصر والبندقية ، عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولي ، 2001 ص32 . / Daru : Histoire de Venise,Bruxelles,1840,part 1, p.p5-35 .

(1) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ، ت. أحمد عزت عبد الكريم – توفيق إسكندر ، دار المعارف 1947،ص7-9 / فايد حماد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الأدني الإسلامي في العصر الأيوبي ، دار المعارف 1980 ، ص34-35 / جوزيف نسيم يوسف : دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، الطبعة الثانية 1988، ص 70 .

(2) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 10 .

(3) طافور : المصدر السابق ، ص 170 .

(4) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 182 / طافور : المصدر السابق ، ص 170 – 171 / القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ،ج5 ، دار الكتب المصرية 1914 ، ص 404 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 11 .

(5) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 182 / طافور : المصدر السابق ، ص 170 – 171 م شارل ديل : المرجع السابق ، ص 11 .

البناء والتجهيز ، والثانية للمدفعية وكل مايلزم الملاحة(1) ، وفي بداية الأمر اشتغل البنادقة بالقرصنة على سفن المسلمين والنصارى على حدٍ سواء التي كانت تقترب من سواحلهم مما حقق لهم بعض المكاسب(2)، ثم تحولوا إلى صيادين(3)، واشتغلوا تدريجياً بالتجارة(4) سعياً وراء الربح الوفير ومن ثم عقدوا المعاهدات والعلاقات السياسية مع المسلمين والنصارى،وبدأت التجارة إزاء ذلك النشاط الدبلوماسي تزدهر مع البلدان المجاورة، ونشطت حركة تشييد السفن التجارية والحربية على نطاق واسع(5) ، واتصلوا بحرياً بجميع نواحي العالم وتاجروا في أشياء كثيرة، وجمعوا من وراء ذلك ثروة كبيرة (6)، وصار الأسطول البندقي أضخم أسطول في البحر المتوسط ، وقاموا بدور الوسيط التجاري الوحيد بين الشرق والغرب فنقلوا إلى الشرق الغلال والنبيذ والحديد والخشب والملح والرقيق ، وجلبوا إلى الغرب الحرير والأقمشة والتوابل والأحجار الكريمة(7) ، وارتادت أساطيل البندقية سواحل أفريقيا الشمالية ونقلت إلى تلك البلاد احتياجات أهلها من السلع ، وتعود إلى البندقية حاملة معها الرقيق والذهب وسلع أخرى تروجها في مناطق أخرى ، وبالتالي كونت لنفسها ثروة طائلة(8)، الأمر الذي جعلها تتفوق على جارتها جنوة (9) وبيزا0

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 178 / فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ،ت. محمد مصطفي زيادة – السيد الباز العريني ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة 1976، ص 225 .

(2) (.. وكثيراً ما يكمن بين تلك الجزائر [جزر البندقية] شواني الحرامية ..) . انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ص 405 0

(3) ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 34 .

(4) كانت البندقية عبارة عن بحيرات لاينمو بها زرع ولا ضرع ، ولكي يضمن سكانها قوتهم إشتغلوا بمقايضة الملح والسمك مع جيرانهم في القارة الأوروبية مقابل القمح والكروم واللحوم وتطورت هذه المقايضة البدائية الي تجارة جعلت المدينة غنية ومشهورة ، انظر هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي (الحياة الإقتصادية والإجتماعية) ت.عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996، ص 31 – 32 .

(5) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 182 / ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 34 .

(6) طافور : المصدر السابق ، ص 174 .

(7) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 20 .

(8) شارل ديل : نفسه، ص20 / ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص34 .

(9) ابن سعيد المغربي : نفسه ،.ص182 0

أما جنوة(*) فهي تقع على ساحل ليجوريا علي البحر الأدرياتيكي ، وهي عاصمة إقليم ليجوريا وبوابة وسط وشمال غرب أوربا إلى جهة البحر المتوسط ، وترتبط بإقليم بروفانس الفرنسي عن طريق ساحل ليجوريا الغربي(1)، وتبعد عن مرسيليا الفرنسية مسيرة سبعة ونصف ميل بحراً(2) والمدينة قديمة جداً ومقامة علي جبل شاهق الإرتفاع ومشرف على البحر(3) وعلى مقربة منها نهر صغير(4) وبيوتها تشبه الأبراج ومؤلفة من أربعة طوابق أو خمسة وشوارعها ضيقة وأهلها أهل جدٍ وعمل(5) ، تجار أغنياء يسافرون براً وبحراً يحبون شق غمار البحار واقتحام السهل والوعر(6)0 والشعب الجنوي(7) شعب بحري قوي جداً ، وأما حكم المدينة وإدارة أملاكها ففي يد الأهالي(8) من خلال الشيوخ المنتخبين من قِبل الأهالي ، وينتدبهم الأهلون للقضاء(9) ، ولها ميناء رائع ورصيف به برج ومنارة تظل موقدة طوال الليل ويوجد على الشاطئ الآخر للميناء برج ثانٍ شديد الارتفاع به هو الآخر منارة حتى

(*) جنوة : Genoa من أقدم المدن الرومانية علي خليج ليجوريا Leguria وتلفظ Genua وكانت بينها وبين بيزا منافسة شديدة طيلة القرنين 12 ، 13م وتقع علي غربي جون عظيم والبحر بينها وبين الأندلس ولها ميناء ، وبشرقها تقع بيزا ، انظر بنيامين التطيلي : رحلة ابن يونة التطيلي الأندلسي إلي بلاد الشرق الإسلامي ، ت. عزرا حداد ، الطبعة الأولي بيروت 1996 ، ص 58 / ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 169 / القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ص 405 ، ويذكر الزهري أن أهل جنوة هم قريش الروم وأصلهم من نصاري العرب أولاد جبلة بن الأيهم الغساني وهم قوم تجار في البحر من بلاد الشام الي بلاد الأندلس ولهم شدة في البحر ، انظر الزهري : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ، (د – ت) ص 77 / ويقال أن اسم جنوة مشتق من Janus الإله الروماني القديم وتقول رواية أخري أن الأمير الطروادي Janus كان مولعاً بفنون الفلك وخلال رحلاته وأثناء بحثه عن مكان أمين وجد موقع جنوة الحالي بعيداً عن الأنواء البحرية في حضن الجبل فاستقر به انظر مصطفي حسن محمد الكناني : العلاقات بين جنوة والشرق الآدني الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإ سكندرية 1981 ص 293 – 294 .

(1) مصطفي حسن محمد الكناني : المرجع السابق ، ص 293 – 294 .

(2) بنيامين التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 .

(3) طافور : المصدر السابق ، ص 10 .

(4) الإ دريسي : المصدر السابق ، ج2 ص 749 – 750 .

(5) طافور : نفسه، ص 10 .

(6) الإدريسي :نفسه.

(7) كانت جنوة تعاني من الإنحطاط والمحنة وذلك قبل الحروب الصليبية ، غير أن جنوة الراقية كانت طفرة ظهرت خلال الحروب الصليبية ، انظر ، Lopez : Medieval Trade in the Mediterranean World , London ,1955 ,p, 70 .

(8) طافور : نفسه ص10، 0

(9) بنيامين التطيلي : نفسه. ص، 58 0

لا يضل أحد عن مدخل الميناء(1) ولها أسطول بحري قوي تهابه الدول المجاورة كما لهم معرفة بالطرق الحربية والهندسية(2) ولهم القدرة على البحار التي يجوبونها بسفنهم المعروفة باسم غاليس (تعرف عند العرب باسم الحراقات) ويقومون بأعمال القرصنة على الروم والمسلمين معاً(3) ووصل الجنوية إلى مدينة سلا المغربية منذ عام 559هـ / 1163م بسفنهم التجارية وذلك في عهد الموحدين مما يوحي بنشاط الجنوية البحري المزدهر(4) 0

وأما بيزا(*) فهي مدينة مشهورة بينها وبين البحر أميالِ قليلة ، يشقها نهر كبير (نهر آرنو) وتبعد عن جنوة شرقاً بنحو مسيرة يومين (مسيرة يوم تعادل تقريباً 30 كم) وهي أعظم من مدينة جنوة ، ويمتاز سكانها بحب المغامرة وخوض البحار وصناعة المراكب والسفن(5) وبالمدينة نحو عشرة آلاف بيت محصنة بالأبراج المنيعة ، والحرب قائمة بين سكانها في مختلف نواحي المدينة ، وأهلها أشداء لايدينون بطاعة لملك ، وإنما ينتخبون شيوخاً للقضاء بينهم ، والمدينة غير محاطة بسور وتبعد عن البحر بمسافة أربعة أميال(6) . وأما ميناؤها فهو النهر الذي يشقها فتدخل فيه الأغربة وتصدر عنها وأما الميناء الرئيسي فهو ميناء

----

(1) طافور :. المصدر السابق ، ص 10 0

(2) الإدريسي : نفسه / الحميري : المصدر السابق ، ص 173 .

(2) بنيامين التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 0

(4) Krueger ,H .C : Genoese Trade with North Africa in the Twelfth Century " Speculum , 1933 , VIII , v.8 , N , 3 , p,381 / عز الدين عمر موسي : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ ، دار الشروق ، الطبعة الأولي / بيروت 1983 ، ص 320 .

(*) بيزا : Pisa بلدة قديمة كانت تدعي إترورية Etruria من المدن الإثني عشرة المتحدة وموقعها عند ملتقي نهر أرنو بنهر سركيو علي مسافة 6 أميال من البحر وتعرف في المصادر العربية باسم بيشة أو بيش أو بيجة ، انظر الزهري : المصدر السابق ص 78 / الإدريسي : المصدر السابق ج2 ص 750 / بنيامين التطيلي : المصدر السابق ص58 / ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ص 69 . / الحميري المصدر السابق ص 120 .

(5) الزهري : المصدر السابق ص 78 / الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ص 750 / بنيامين التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 / ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 69 .

(6) بنيامين التطيلي : نفسه ،ص 58 .

لجهورن الشهير القريب منها للسفن والشواني وكافة أنواع السفن والمراكب الكبيرة(1)، ويمتاز سكانها بالجلد والإلمام بفنون قتال البحر والحرب وقتال المراكب والرمي بالنفط ويؤخذ عليهم الغدر والخيانة ، ويتوافر لديهم كميات هائلة من الأخشاب التي ساعدتهم في تشييد الأساطيل التجارية ، كما اشتهروا بصناعة السيوف الرفيعة اللينة والسفن الحربية مثل القطائع والغربان ويصدرون النحاس والزعفران والقطن ومختلف السلع لشتي البلدان(2) 0

ويعد الموقع الممتاز للمدن الايطالية أهم العوامل الرئيسية التي أكسبتها وفرة البحَّارة المتمرسين والتجار الأكفاء النشطين الذين كانوا على اتصال دائم بعرب أسبانيا وأفريقيا(3) فكانت موانئ تلك المدن مركزاً كبيراً للتجارة والنشاط البحري فيتواجد فيها دار الصناعة ، والمخازن والأسواق والمصارف المالية وتشييد السفن وتنتشر في شتى البلدان البحرية ، وللحفاظ على تلك المكاسب التجارية ، أقاموا مجلساً للمحافظة على أموال التجار ومتاجرهم وسفنهم وحفظ حقوق الملاحين والتجار ، وبفضل ذلك تزايدت الثروات وزادت ثروة المدن الإيطالية ، وانعكس ذلك الثراء على تشييدات القصور والمخازن الضخمة والأرصفة الواسعة والحصون والأساطيل الضخمة المتعددة ووسائل الدفاع القوية ، واستعدادها لتدمير من يتصدى لتجارتها لاسيما القراصنة(4) .

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 248 .

(2) الزهري : نفسه/ ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أنه شاهدهم بالشام [البيازنة] تجاراً ذوي ثروة ، أنظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج 1 ص 625 0

(3) هايد [ف] : تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي ، ج1 ، ترجمة أحمد محمد رضا _ عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 ، ص 111 .

(4) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، الطبعة الثانية ، 1986 ، مكتبة مدبولي ، ص 433 .

[3] أثر العوامل المناخية على التجارة البحرية :

تتمثل هذه العوامل المناخية في هياج البحر ، وتيارات البحر والضباب والشعب المرجانية والنوات، وكانت الطوارئ المرتبطة بهياج البحر والريح العاصفة تتمثل في عامل التجربة التي كان يتحصل منها على المعلومات الهامة في مواجهة تلك الأخطار الطبيعية وذلك من خلال تطور المعرفة البحرية وتحسن تقنيات الملاحة ومعرفة الطرق والمسالك وتطور صناعة السفن بما يسمح لها بمقاومة أقل ضد مخاطر البحر(1) ، وقد كان العرب المسلمون مسيطرين تماماً على البحر المتوسط أواخر القرن 11م فقد كانوا وحدهم يمخرون بسفنهم عباب البحر المتوسط والمحيط الهندي من أقصاه إلى أقصاه وخضعت جزر البحر المتوسط مثل صقلية ومالطة وجزر البليار لسلطانهم ولم تسلم بيزا رغم قوتها البحرية من التعرض للنهب عامي 1004 ، 1011 م الأمر الذي دفع المسيحيين إلى تجهيز الأساطيل البحرية واحتلال الجزر بالبحر المتوسط والتحكم في الملاحة بالبحر المتوسط ، فقد كان الميورقيين أساتذة للجنوية(*) في خرائط البحر والمسالك البحرية0(2) وقد ورث الربابنة(*) عن آبائهم أسرار البحار والتجارب البحرية ويذكر أحد الربابنة [[00اعلموا أنه قد يجري على المسافرين والتجار أهوال 00 ونحن معشر الربابنة علينا عهود ومواثيق ألا نعرض سفينة للعطب وهي باقية لم يجر عليها قدر ، ونحن معشر الربابنة لانطلعها إلا وآجالنا وأعمارنا معنا فيها

----

(1) محمد الشريف : نصوص جديدة ودراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، تطوان الطبعة الأولي ، مطبعة الحداد يوسف إخوان 1996 ، ص 110

(*)عرفت الخرائط الملاحية بإسم portolans وهي بالغة الأهمية للملاحين لأنها تبين الطرق البحرية ما بين الموانئ البحرية ، وتلك الخرائط كانت إسلامية ثم طورها الجنوية وغيرهم ، أنظر Watt, W. M, : The influence of Islam On Medieval Europe Edinburgh , U.P. 1972 , pp 20 – 21/ أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ،الدار العربية للكتاب، تونس 1997 ،ج2 ، ص 466 0

(2) خوان برنيط : هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط البحرية ، ت. أحمد مختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، العدد الأول ، السنة الأولي ،1953 ، ص 76 0

(*) كلمة ربان في الإصطلاح الملاحي في البحر الأحمر تقابل كلمة رئيس أو الرائس في إصطلاح المغرب والأندلس ، أنظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 238 ، أما في بلاد فارس فكانت كلمة صاحب السفينة أو مالكها تعني لفظ النواخذة ، أنظر جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ترجمة وتحقيق عطية القوصي ، دار الثقافة العربية ، الطبعة الثانية 1996 القاهرة ، ص 482 هامش 2 0

نعيش بسلامتها ونموت بعطبها ، فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذي يصرفنا كيف يشاء ..]](1) ، وللقبطان طاقم البحريين لمواجهة الطوارئ البحرية عندما تشتد الريح العاصفة وتتكسر الأشرعة فانهم كانوا يسرعون إلى اصلاح الأعطاب واستبدال الأجزاء التالفة بأجزاء أخرى تم إعدادها من قبل ، ويعاونهم طاقم البحريين الذين كانوا يخدمون قوارب الإنقاذ في حالة تعرض السفينة للغرق(2)، وعند اشتداد الريح العاصفة فإن رئيس السفينة (الربان) كان يأمر الطاقم بإنزال الأشرعة لتخفيف سرعة السفينة حتي لايتحول مجراها إلى طرق أخرى مجهولة، كذلك كان يقوم بنفسه بتمزيق الأشرعة في حالة عدم تمكنه من إنزالها(3) ، وإذا تعرضت السفينة للغرق إثرتزايد حمولتها كان يقوم برمي الأحمال الزائدة من السفينة في البحر خوفاً من غرقها إثر العواصف البحرية(4) ، وكان يستخدم الأشرعة الصغيرة بدلاً من الأشرعة الكبيرة في حالة اشتداد الريح وهياج البحر(5) على أن من أكبر المخاطر الطبيعية على الملاحة البحرية كان يتمثل في العواصف البحرية لاسيما في فصل الشتاء، وتتمثل في الريح الشمالية التي تهب في فصل الشتاء في شهر نوفمبر كما يذكر ابن جبير[[ثم هاجت الريح الشمالية بعد ذلك وعصفت فطار لها المركب بجناحي شراعه والبحر بها قد جُن واستشرى لجاجه وقذفت بالزبد أمواجه فتخال غواربه المتموجة جبالاً مثلجة 0]](6)، وأما الريح الغربية فهي ذات حدين أولهما أنها كانت تحدد وقت صلاحية الملاحة في البحر المتوسط في فصلي الربيع والخريف(7) ، وثانيهما في الشتاء كانت عاصفة ومصاحبة بالأنواء والأعاصير والأمطار التي تقضي علي حركة الملاحة في البحر المتوسط في ذلك الوقت

---

(1) خوان برنيط : المرجع السابق ، ص 76 .

(2) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، تحقيق طلال حرب ، دار صادر بيروت [د – ت] ، ص 285 ، 294 .

(3) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 293 – 294 .

(4) الونشريشي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، 1981 ، ج8 ص 298 – 299.

(5) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 10 .

(6) نفسه ، ص 288 .

(7) نفسه , ص 271 / الأسعد بن مماتي : كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مطبعة مصر 1943 ، ص 247 / صابر دياب : دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطي ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد 24 عام 1977، ص 69 .

فتتعرض السفن التجارية وسفن النقل والمواصلات للغرق وتُحَوِّلْ مجاري السفن عن طريقها في البحر، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن جبير(1) ، ويذكر طافور أيضاً [00 هبت عاصفة هوجاء أرغمتنا علي الهروب أمامها طوال الليل ، فلما كان الغد كنا جد بعيدين ، أما الشينيتان فقد دفعتهما الريح بلا أشرعة شطر سردينيا 000وبقينا الليلة التالية ونحن في خطر مقيم ومشقة بالغة 00](2) ، لذلك كان السفر والتجارة عبر البحر المتوسط شتاءً يعد من أكبر المخاطر ، وأفتى الونشريشي بمنع كراء السفن وقت الخطر شتاءً وأجاز كراء السفن التجارية وقت السلامة وهو انتهاء الشتاء(3) وقد عانى ابن جبير أهوال البحر في فصل الشتاء فيقول ، [00 وسفر البحر إنما هو في إبانه والمعهود من زمانه 00لا أن يعتسف في فصول أشهر الشتاء اعتسافاً له 00 فالحذر الحذر من ركوب مثل هذا الخطر0](4)، وأفضل وقت لسفر السفن التجارية والسفرية في البحر المتوسط في فصلي الربيع والخريف وهو وقت هبوب الريح الشرقية(*) والغربية فأما في الربيع فيبدأ السفر من نصف أبريل حيث تتحرك الريح الشرقية وتطول مدتها الى آخر مايو(5) ، كذلك تتحرك الغربية في نفس الفترة وهي أكثر دواماً من

----

(1) [00 وهبت علينا الريح الغربية 00 فأخذ رئيس المركب ومدبره الرومي الجنوي وكان بصيراً بصنعته ، حاذقاً في شغل الرياسة البحرية ، يراوغها تارة يميناً وتارة شمالاً ، طمعاً ألا يرجع علي عقبه 00 فقصفت (الريح) قرية الصاري 00 وألقت نصفها في البحر وبتنا بليلة شهباء 00 وألجأتنا (الريح) إلي أحد الجبال 00 وكشف النوء من الغرب وجاءت الريح عاصفة والهول يزيد والبحر قد هاج هائجه وماج مائجه فرمي بموج كالجبال 00 وودعنا الحياة بسلام وجائنا الموج من كل مكان 00 فأسقطتنا الريح عن مجرانا وخالفنا المجري المعهود 00 والأمواج والرياح تترامي بنا حيث شاءت 00 وتعاورت الريح والأمواج صفع المركب حتي تكسرت رجله الواحدة 00 وفرغ النصاري جميع ماكان لهم فيه (المركب) فأصبح في اليوم الثاني وقد جعلته الأمواج جذاذاً ورمت به إلي البحر أفلاذاً 000] انظر ابن جبير : نفسه ، ص 285 ، 287 – 290 ، 293 ، 295 / الونشريشي : المصدر السابق ، ج5 ص 485 ، 491 ،ج8 ص 297 ، 300 ، 310 – 311 0

(2) طافور : المصدر السابق ، ص 7 . ولذلك ذكر أحد الشعراء في البحر عند الخطر :

البحر مر المذاق صعب # لا جُعلت حاجتي إليه
أليس ماءٌ ونحن طينٌ # فما عسي صبرنا عليه 0

انظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 288 .

(3) الونشريشي : المصدر السابق ، ج5 ص 485 / ج8 ص 300 0

(4) ابن جبير : نفسه، ص 290 0

(*) تعرف الريح الشرقية بالريح الشرقية التجارية وهي موسم السفر البحري من المشرق إلي المغرب والأندلس ، وتقابل عند المصريين إسم الرياح الصليبية وتستعمل في مصر للدلالة علي فترة فيضان النيل في فصل الخريف ، أنظر Dozy(R.) : Supplement aux dictionnares Arabes, II, Lyden, 1927, vol.1,p.840-841 .

(5) ابن جبير : نفسه، ص 284 ، 318 / ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 247 – 248 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ، ص 114 0

الريح الشرقية ، أما في الخريف فكان السفر يبدأ من نصف أكتوبر، وتتحرك فيه الريح الشرقية والغربية إلا أن مدة الريح الشرقية كانت قصيرة والريح الغربية أطولها فترة، لذا كان يتوقف إبحار السفن في وسط البحر على حسب استمرار هبوب الريح ونوعها وشدتها ، وكان المسافرون إلى صقلية والمغرب وبلاد الأندلس وبلاد الروم ينتظرون الريح الشرقية في فصلي الربيع والخريف أما المسافرون من بلاد المغرب والأندلس إلى المدن الإيطالية والمشرق الإسلامي فكانوا ينتظرون الريح الغربية في فصلي الربيع والخريف(1) ، وكان لدخول السفن التجارية والسفرية مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي لابد أن تكون المراكب الشراعية مزودة بالمجاديف بسبب صد الريح والتيارات البحرية، وهي رحلة صعبة للغاية لذلك تلجأ بعض السفن إلي الموانئ الشرقية في انتظار الريح المناسبة، فالعبور داخل الأطلسي صعب المرتقى وبطئ(2) 0 وعادة كانت السفن التجارية والسفرية تبحر في قوافل بحرية مسلحة Armament Caravans لتتحول وقت الخطر إلى سفن حربية(3) تدافع عن نفسها ضد الخطر ، وكان موسم النشاط التجاري يبدأ بحسب المواسم والأعياد الإسلامية إلى جانب المواسم والإحتفالات المسيحية(4) 0 وكانت السفينة تقطع المسافة من سبتة إلى جزيرة منورقة في 7 مجارٍ [المجري يساوي 100 ميل] ومن سردينيا إلى منورقة 4 مجارٍ ، ومن صقلية إلى سردينيا 4 مجارٍ (5) أما الزمن الذي كانت السفينة تستغرقه في إبحارها من بلاد الشام إلى تونس مارة بجزيرة رودس فهو 33 يوماً(1) ، ومن قابس بإفريقية إلى أشبيلية

---

(1) ابن جبير : نفسه، ص 271 ، 284 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج 2 ص 114 / صابر دياب : المرجع السابق ، ص 69 .

(2) أوليفيا : التجارة والتجار في الأندلس ، ت. فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولي ، 2002 ، الرياض ، ص 60 /.
Dufourcq: OP. Cit. p. 42.

(3) صابر دياب : المرجع السابق ، ص 72 .

(4) أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب في القرن 6 هـ /12م من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة السادسة عد د 2 عام 1984 ، ص 458 ،

(5) ابن جبير : المصدر الساق ، ص 8 ، 11 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 105 .

دون توقف في 8 أيام(2) ومن عكا إلى صقلية في 10 إلى 15 يوم ، ومن أطرابنش بصقلية إلى تونس يوم وليلة (3) ، ومن مودون [بلاد المورة] إلى جزيرة كريت 350 ميلاً في مدى زمني يومين وليلتين(4) ، ومن ميورقة إلى تونس 3 أسابيع ، ومن بلنسية إلى جزيرة جربة بتونس 30 يوم ، ومن برشلونة إلى مسينا 8 أيام ، ومن مرسيليا إلى الإسكندرية 20 يوماً ، وكانت السرعة القصوى للسفينة من (12 – 13) ميل في الساعة فكانت السفينة تقطع في اليوم الواحد ما بين 40 – 80 ميل(*) بحري تقريباً(5) .

---

(1)ابن شاهين الظاهري : الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، قطعة نشرها أحمد رمضان أحمد [الرحلة والرحالة المسلمون] ، دار البيان العربي جده ، (د ت .) ص 309 .

(2) صابر دياب : المرجع السابق ، ص 67 .

(3) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 292 ، 308 .

(4) طافور : المصدر السابق ، ص 38 .

(*) الميل هو ربع فرسخ عند القياسات الأسبانية ، أما عند ابن شاهين الظاهري فيذكر أن الميل= ثلث الفرسخ ، انظر ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، دار العرب للبستاني ، الطبعة الثانية القاهرة 1988 ، ص 118 . / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 216 . والميل العربي يعادل 1941 متراً أما الميل البحري فيعادل 1852 متراً أنظر أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 125 0

(5) Dufourcq: Op. Cit., p 47.

[ثانياً] العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية

(1) الحالة السياسية للمغرب المريني .

(2) العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية
(جنوة – بيزا – البندقية) 0

(3) أثر العلاقات السياسية الإسبانية الإيطالية على التجارة بدولة بني مرين :

(أ) التجارة الأراجونية – القطلانية مع دولة بني مرين 0

(ب) البرتغال ودولة بني مرين 0

(ج) أثر الصراع السياسي والتجاري بين الجمهوريات الإيطالية (جنوة – بيزا – البندقية)على التجارة المرينية 0

(د) أثر التنافس السياسي والتجاري بين جنوة وممالك إسبانيا النصرانية على المغرب المريني 0

(4) أثر القرصنة على التجارة الإيطالية المرينية 0

****

ثانياً : العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية

(1) الحالة السياسية للمغرب المريني :

مقدمة

بدأت بلاد المغرب في القرن 7 هـ/13م تتفكك إثر انحلال الدولة الموحدية إلى ثلاث ممالك أولاها : دولة الحفصيين بإفريقية وتونس وذلك بعد عام 625هـ/1229م(1)، وثانيتها : دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط (الجزائر) عام 633هـ/1235م(2)، وثالثتها : دولة بني مرين بالمغرب الأقصى عام 646هـ/1248م(3) ، وأثناء ذلك انتشر الفساد بأرجاء بلاد المغرب وشاع الخراب لاسيما المدن والمنشآت الصناعية والعمرانية(4)، وصارت الدول الثلاث لاسيما دولتي بني عبد الواد وبني مرين في صراع دائم استمر ثلاثة قرون ، لايحتوي تاريخهم سوى قصص النهب والتخريب والحصار والثورات والصراعات الداخلية ، فلم يكن بينها استقرار(5)، وبذلك تهدد أمن المغرب الخارجي بسبب ضعف القوى الداخلية ، وترتب على ذلك تعرض المدن التجارية الساحلية لهجمات شرسة بحرية من قِبَل جنوة وقشتالة والبرتغال ، لاسيما مدن سبتة وسلا والعرائش وتشمس(*) 0 وهذا يعكس صورة التفكك والضعف الذي انتاب بلاد المغرب الأقصى(6)0 وبنو مرين من قبائل زناتة البربرية ينتهي

----

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ج7 ص 335 – 336 .

(2) ابن خلدون : نفسه، ج 7 ص 93 .

(3) ابن خلدون : نفسه، ج7 ص 205 / الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، طبعة تونس 1289هـ ص 14 / جوليان : تاريخ إفريقيا الشالية ،ج2 ، ت. البشير بن سلامة تونس 1978 ص 173 .

(4) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص 301 – 306 / محمد المنوني : ورقات عن حضارة المرينيين ، الطبعة الثانية الرباط 1966 ص 12 -13 ./السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج2 ص 828-831 0

(5) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 173 / Augustin & Bernard : Le Maroc , paris 1913 , P. 104.

(*) تشمس : مدينة أزلية قديمة فينيقية ، تأسست عام 1101 ق0م وتعرف عند المؤرخين تشمس [Lixus] أو أليكسوس وتقع علي مسافة 4 كم شمالي العرائش علي الضفة اليمني لنهر لوكوس ، وهي ذات ميناء ترتاده السفن ، انظر ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 138 / عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق ، ج2 ص 49 – 50 0

(6) ابن عذاري : البيان المغرب 00 ج5 تحقيق محمد ابراهيم الكتاني – ابن تاويت ، الدار البيضاء ، 1985 ، ص 350 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 301 0

نسبهم الى معد بن عدنان فهم عرب خُلَّصْ نزحوا من بلاد الشام إلى بلاد البربر ببلاد المغرب ، وتفرقوا في البراري والقفار ، يركبون الخيل ويتكلمون بالبربرية ، واستقروا ببلاد الزاب بإفريقية وسجلماسة ينتجعون حرفة الرعي على عادة البدو الرحل ، ولايعرفون الحرث ولا التجارة ، وكانوا ينشطون في الغارة على جيرانهم (1) 0

وقد نزح بنو مرين في بداية القرن 7هـ من مواطنهم الأصلية بين تيهرت وتلمسان إلى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى ، وكان خلفاء الموحدين كثيراً ما استعانوا بهم في الخدمات الحكومية ، فلما دب الضعف والتدهور بالدولة الموحدية ، وقع الصراع بين الموحدين وبني مرين لاسيما بعد معركة العقاب 609هـ حيث تشوف بنو مرين إلى الملك فبدأوا يشنون الغارات على أطراف المغرب حتى وصلوا إلى سائر بلادالمغرب الأقصى وأسقطوها في أيديهم عام 646هـ/1248م، ثم أتموا استيلاءهم على جنوب المغرب الأقصى في عام 668هـ/1270م 0 وقد ورث بنو مرين عظمة الدولة الموحدية وبذخها ولكنهم لم يعرفوا كيف يحتفظون بذلك(2) ، إلا أنهم تميزوا بأنهم أصحاب فكر سياسي أكثر منه فكر ديني ، ولذلك ركزوا جهودهم في بسط الأمن والاستقرار بمناطق نفوذهم تاركين لرعاياهم حرية تامة في اتباع المذهب الذي يحبونه(3) 0

---

(1) مجهول : الذخيرة السَنية في تأريخ الدولة المرينية ، نشر محمد بن أبي شنب ، الجزائر 1920 ، ص 9 – 11 ، 23 0/ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 278 – 283 0 / السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج2 ص 868 – 870 / الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، الكويت ، الطبعة الثانية 1987 ، ص 5 0

(2) دخل بنو مرين بلاد المغرب الأقصي عام 610 هـ فوجدوها قد خلت من سكانها الذين سقطوا صرعي في معركة العقاب ببلاد الأندلس عام 609هـ/1213م ، ويقول الشاعر الملزوزي في بنو مرين :

في عام عشرة وست مية * أتوا الي الغرب من البرية

جاؤوا من الصحراء ومن السباسب * علي ظهر الخيل والنجائب

كمثل ما قد دخل الملثمون * من قبل ذا وهم له ميمون 0

انظر مجهول : المصدر السابق ، ص 23 / ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 244 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ،ص 278-283 / الزركشي : المصدر السابق ، ص 14 / السلاوي : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصي ، ج3 ص 3- 4 / عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، ج1 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1968، ص 129 – 131/ مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 75 /

/ Cl. Huart : Histoire des Arabes , Paris 1913 , Tome ,II , P . 185.

(3) عبد الفتاح مقلد غنيمي : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولي ، 1994 ، ج4 ص 269 / الحريري :المرجع السابق ، ص 13 / مجدي يسن عبد العال : نفسه ، ص 75 / Augustine & Bernard : Op. Cit., P, 105.

فترة القوة والازدهار المريني (656-759هـ/1258-1357م) :

كانت دولة بني مرين في بداية عهدها تابعة للدولةالحفصية بتونس وذلك منذ عام 647هـ/ 1249م في عهد أبي بكر يحي بن أبي حفص، وبوفاته خرجت سبتة المرفأ التجاري الهام ببلاد المغرب الأقصى المرينية عن طاعة الدولة الحفصية وتبعتها بعد قليل مدينة طنجة(1) ، وبعد ذلك استقلت المغرب الأقصى المرينية عن طاعة الدولة الحفصية وصارت دولة ذات سيادة وقوة حتى هابتها سائر الدول المجاورة سواء أكانت إسلامية أم ممالك النصارى بالأندلس 0

ومن أهم الأحداث السياسية الداخلية ، قيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني [656-685هـ/1267-1286م] بالقضاء على الفتن والثورات العديدة الناشبة بأرجاء الدولة المرينية، وقام بعدة إصلاحات داخلية عديدة، و أهمها تأمين الطرق والمواصلات وإصلاح الفساد والهياكل الإدارية المتداعية ونشر الأمن(2)، وفي ذلك يذكر المؤرخ المجهول [000 وتم له مُلك المغرب وتهدنت البلاد وصلح حال جميع من فيها من العباد وتأمنت الطرقات 0 فلا ثائر ولا فاسد ، ولا قاطع ولا خارج يخشى منه ولا منازع 00](3)، فكان من أهم أعماله إفشاء السلام والأمن بطرق المواصلات والتجارة بالجنوب المغربي لاسيما بين تلمسان ومراكش و واحة تافيلالت(*) وبلاد درعة وماسة ونول إلى المحيط ، للسيطرة على المركز النهائي لتجارة الصحراء مع بلاد السودان(4)، وبتولي السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني [685 – 706هـ/ 1286 – 1307م] مقاليد البلاد نعمت الدولة المرينية في بداية عهده بعدة إصلاحات هامة منها القضاء على الضرائب الجائرة مثل القبالات والمروس

---

(1) برنشفيك : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي ، 13 – 15 م ، ت0 حمادة الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، ج1 ص 75 0

(2) مجهول : المصدر السابق ، ص 104 ، 134 – 135 ، 138 ، 188 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 307 – 311 / ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 242 ، 244 / القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ص 179 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 34 / وللمزيد من التفاصيل انظر مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 75 – 80 0

(3) مجهول : المصدر السابق ، ص 134 – 135 0

(*) المقصود بواحة تافيلالت هو المنطقة المحيطة بسجلماسة بلد التبر بجنوب المغرب الأقصي الوارد من بلاد السودان الغربي 0

(4) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين، ت0 نقولا زيادة ، مكتبة لبنان 1967 ص 26 0

والمكوس ، كذلك قضى على الفساد والثائرين وقطاع الطرق، وأشاع الأمن في الطرق والمواصلات التجارية ، وألغى ما يتعلق باغتصاب وابتزاز الأموال(1) 0 إلا أن الدولة المرينية قد فقدت ميناءها الإستراتيجي وهي مدينة سبتة إذ استولى عليها سلاطين بني الأحمر(*) بغرناطة ببلاد الأندلس وذلك عام 705هـ/1306م ، وقد حاول السلطان أبو ثابت المريني [706- 708هـ/1307 – 1309م] استعادة هذا الميناء ، غير أنه فشل وتوفى عام 708هـ/1309م ، وتبعه في استعادة سبتة السلطان أبو الربيع سليمان المريني [708 – 710هـ/1307 – 1309م] الذي لم يلبث أن فشل بدوره وبقيت في يد سلاطين بني الأحمر(2)، لكن سكان سبتة سئموا من حكام بني الأحمر فثاروا ضدهم وتحالفوا مع بني مرين، فاستعادت المدينة حريتها مرة أخرى وعادت الى تبعية الدولة المرينية عام 709هـ/1311م(3) وبتولي السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب المريني [719 – 732هـ/1310 – 1331م] أمور البلاد ظهرت الفتن ببلاد السوس ، إذ قام أعراب أبناء حسان والشبانات وزكنة(قبائل عربية) بقطع الطرق ومسالك التجارة وخرجوا على الدولة المرينية ، وسرعان ما قام السلطان بغزو معاقل الصحراء وقصور توات والمدن الواقعة على طرق التجارة ما بين المغرب المريني وبلاد السودان حتى استقامت له الأمور ، كذلك رفع المظالم والضرائب والمكوس الجائرة(4) ، وأشاع الأمن وشيد السفن بدار الصناعة

----

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 374 – 375/ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ص 249 – 250/ بدر الدين محمود العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988، ج 3 ص 39 – 40 / أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، مطبعة السعادة القاهرة 1330هـ، ج2 ص 288 / Cl. Huart: Op. Cit., tome, p. 205.

(*) بنو الأحمر : كان محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر نسبة الي لون بشرته الشقراء – ينازعه علي ملك بلاد الأندلس ابن هود ، وإستطاع ابن الأحمر الإنفراد برياسة الأندلس ، وعهد الي بنيه بالإستعانة ببني مرين في الحرب ضد نصاري الأسبان ، ومنذ ذلك الوقت ظلوا يحكمون دولتهم بغرناطة حتي سقوطها في يد الأسبان عام 897هـ/1492م ، لمزيد من التفاصيل انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام ، القسم الثاني ،تحقيق ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية لبنان 1956 ، ص 286 – 291 / السلاوي : المرجع السابق ،ج4 ص 102 – 107 0

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 282 / عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مطابع فضالة ، المملكة المغربية 1988، ج7 ص 126/ رضوان البارودي : سفارات متبادلة بين بني زيان ملوك تلمسان ومملكة أراجون ،دار نشر الثقافة الإسكندرية 1984، ص 11 / محمد بن تاويت : تاريخ سبتة ، دار الثقافة الدار البيضاء 1982 الطبعة الأولي ،ص 135 0

(3) ابن خلدون : نفسه،ج7 ، ص 284 0

(4) نفسه : ج7 ص 287 – 289 0

بمدينة سلا(1) ، ونعمت دولة بني مرين بالاستقرار لاسيما أن السلطان أبي سعيد المريني كان محباً للسلم مائلاً إليه ، ونجح في تجنب الحروب بوجه عام ، لذلك استفادت المدن التجارية الكبرى من تلك السياسة المعتدلة فنشطت حركة التجارة لاسيما بفاس(2) وسبتة(*)، ولم تلبث حالة البلاد أن عادت إلى الفوضى بعد وفاة السلطان أبي سعيد عثمان المريني لتَصَارُع أمراء بني مرين على الحكم وإنقسام الجبهة الداخلية إلى فرق متصارعة من أجل الفوز بكرسي الحكم دون النظر في مصالح البلاد وتنظيم الهياكل الإدارية والمحافظة على الأمن الداخلي وطرق المواصلات وتجديد النظم الإدارية القديمة والهياكل الإدارية التي كان بنومرين قد ورثوها عن المرابطين والموحدين من قبل ببلاد المغرب ، الأمر الذي أدى إلى ضعف حالة البلاد لمدة قصيرة ، وعند تولي السلطان أبو الحسن علي بن ابي سعيد المريني [732 – 749هـ/1331 – 1348م] أمور البلاد بدأت تتكشف حالة البلاد أمامه مما دعاه إلى القضاء على الفتن وإفشاء الأمن والهدوء بالبلاد وتمهيد طرق المواصلات وحفظها من قطاع الطرق وأعمال النهب والقتل وأزال المغارم والضرائب الجائرة(3)، واستطاع أن يقضي على الفتن والثورات الداخلية وقضى على ثورات أهل السوس وبلا درعة حتى استقامت أمور الدولة

----

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 393 0

(2) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 28 0

(*) سبتة : كانت سبتة تحت طاعة بني مرين يحكمها أسرة بنو العزفي وهي أسرة مشهورة من أعيان سبتة ، وهم ينتمون الي قبيلة لخم في اليمن وقد قام بنو الأحمر بالإستيلاء علي سبتة ونقل بنو العزفي من سبتة الي غرناطة ، وعندما عادت سبتة الي بني مرين مرة أخري عام 709هـ عادت أسرة بنو العزفي الي حكم سبتة مرة أخري حيث عقد السلطان أبوسعيد المريني لأبي زكريا يحي العزفي علي سبتة ثم صارت الإضطرابات بالمدينة عام 716هـ/1316م وقام السلطان أبو سعيد المريني بتسكين المدينة ولم تلبث أن ظهرت القلاقل بها مرة أخري عام 728هـ/1328م مما إستدعي السلطان أبوسعيد المريني الي دخولها بالقوة وفرض الأمن والإستقرار بها فبقيت كذلك حتي سقطت في يد بني الأحمر عام 773هـ/1371م ، وإستمرت في قبضة بنو الأحمر حتي عام 788هـ/1386م فإستعادها المرينيون في ذلك العام الي أن سقطت في يد البرتغال عام 818هـ/1415م ، انظر ابن خلدون : نفسه ، ج7 ص 270 – 272 ،281 ،284، 292 – 293، 421 – 422 / محمد رضوان الداية محقق كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لإبن الأحمر الغرناطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولي 1976 ، هامش 1 ص 19 / محمدبن تاويت : المرجع السابق ، ص 136 – 146 / رضوان البارودي : التاريخ السياسي لمدينة سبتة 000000 ، ص 86 / ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 1993 ، ج2 ص 62 0

(3) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق مايا خيسوس بيجيرا ، الجزائر 1981 ، ص 145 ،174، 282– 284 ،429 0

في قبضته(1) ، واستطاع أن يزيد من رقعة بلاده إلى أن وصل إلى طرابلس شرقاً وبلاد تونس وإفريقية والمغرب الأوسط (2) والمغرب الأقصى وبلاد السوس ، فكانت دولة مترامية الأطراف ، وإثر هزيمته في معركة القيروان وانسحابه إلى بلاد المغرب الأقصى ، فَقَدَ أبو الحسن المريني سائر فتوحاته في المغرب الأوسط والأدنى لاسيما جميع المدن الساحلية التجارية الهامة التي كانت ترتبط ارتباطاً تجارياً نشطاً للغاية مع الجمهوريات الإيطالية [جنوة – بيزا - البندقية] ، غير أن إبنه أبو عنان المريني [749 – 759هـ/1348- 1357م] استطاع أن يستعيد أملاك أبيه وفتوحاته السابقة، وتسارعت المدن الإيطالية إليه لاسيما بيزا(3) ، وجنوة(4) لعقد اتفاقات تجارية وسياسية هامة لتنشيط حركة التجارة بين البلدين ، ولكنه أيضاً لم يستطع الاحتفاظ بمملكته الجديدة لسقوطه في نفس الخطأ الذى ارتكبه أبيه من قبل مع عرب تونس ، ففقد مملكته بحلول عام 759هـ/1357م(5) 0

----

(1) استولي السلطان أبو الحسن المريني علي إفريقية عام 748هـ/1347م ووصل الي بجاية ثم قسطنطينة وسار الي تونس واستولي عليها بعد أن إستغل أبو الحسن الخلافات الناشبة بتونس حول العرش ، إلا أن العرب رفضوا تقديم طاعتهم لأبي الحسن وقاموا بهزيمته بالقيروان عام 749هـ/1348م للمزيد من التفاصيل انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 319 – 328 / القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ص 131 – 132 / عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسي الزياني ، حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974 ص 23 – 27 / مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 ، ص 802 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ص 39 – 40 / Augustin & Bernard : Op. Cit., 106.

(2) استولي ابو الحسن المريني علي مدن المغرب الأوسط ندرومة وهنين ووهران ومليانة والجزائر والمهدية وونشريس وشلف وتلمسان وسائر المغرب الأوسط عام 736هـ/1335م وبقيت في حوزته حتي عام 749هـ/ 1357م، وعندما إنهزم أمام العرب بالقيروان ، إنسحب الي المغرب الأقصي وتنازل عن عرشه لإبنه أبو عنان وتوفي عام 752هـ/1351م 0 انظر ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 303 – 306 ،324 – 330 / عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 27 – 28 /مبارك محمد الميلي : المرجع السابق ، ص801 – 803 / ابراهيم حزكات : المرجع السابق ، ج2 ص 37 – 38 0

(3) Amari: I Diplomi Arabi, R. Archivio. Fiorentino, Le Monnier 1863, p1 – 9.

(4) ابن الحاج النميري : مخطوط فيض العباب وإفاضة قداح الأداب للحركة السعيدة المباركة لقسنطينة والزاب ، تحقيق رضوان البارودي - أحمد محمد الطوخي ، تحت الطبع 0 ، ص 74 – 75 0

(5) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 144، 341 ، 351 – 354 / القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ص 198 – 199 / ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 69 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 135 / الميلي : المرجع السابق ،ص 507 – 507 0 / عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ، ص 91 – 97 / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1985 ، ج2 ص 301 /.Terrasse : Histoire de Maroc, Casablanca, 1949, tome II, P. 66

على أن أبي عنان المريني نجح في القضاء على الفتن والقلاقل بجنوب بلاد المغرب الأقصى، لاسيما بلاد السوس ونَشَرَ الأمن وقضى على قطّاع الطرق والأخطار التي كانت القوافل التجارية تواجهها بين بلاد السودان والمغرب الأقصى(1) 0

وأرى أن استقرار دولة بني مرين، وتطور طرق المواصلات، وحماية المسافرين والقوافل التجارية، وإلغاء الضرائب الجائرة، وقوة الهياكل الإدارية للدولة المرينية ، عمل على توفير المناخ الملائم للمغاربة للنهوض بالاقتصاد في مختلف صوره من نشاط زراعي وصناعي ورعوي وتجاري ، وتزايد الإنتاج وجودته،وحركة بناء السفن وتزويدها بالخبرات الجنوية والتقنيات الحديثة وقتئذ ، فكانت الدولة المرينية منطقة جذب اقتصادي للمدن الإيطالية، لوفرة السلع التجارية ورخص أثمانها وتنوع السلع والمحاصيل والذهب والرقيق وغيرها من المنتجات التي تهافتت عليها المدن الأوروبية، مما جعل المدن الإيطالية تتسارع في عقد الاتفاقيات التجارية مع الدولة المرينية، فكانت التجارة المرينية الإيطالية تأخذ الصفة الرسمية، فشهدت المدن التجارية المرينية حركة توافد التجار الإيطاليين بأعداد كبيرة، ونمت الحركة التجارية، وازدهرت المدن الإيطالية وجنت الأرباح الطائلة، وازدهرت أحوال البلاد المرينية أيضاً، وظهر ذلك من خلال الفتوحات المرينية في بلاد المغرب الأوسط والأدنى ، والمظاهر العمرانية الجديدة بالمدن المغربية والمدارس ، والحروب المستمرة ببلاد الأندلس ضد نصارى إسبانيا ، فكانت كل تلك الجبهات الحربية والعمرانية تتطلب الكثير من الأموال الطائلة لتنفيذها، وكان ذلك من خلال النشاط التجاري المريني- الإيطالي 0

فترة الضعف والتدهور المريني(759-869هـ/1357-1464م) :

وبموت السلطان ابو عنان المريني انهارت سائر فتوحاته وسائر النظم الإدارية والأمن تدريجياً إلى آخر عهد بني مرين ، ولم يستطع التجار أن يتوغلوا داخل البلاد خوفاً على أنفسهم من القتل والابتزاز والسرقة مما أدى إلى تدهور التجارة الداخلية والخارجية، فكانت المبادلات التجارية مع المدن الإيطالية تتم من خلال المدن والمراسي

----

(1) ابن خلدون : نفسه ، ج7 ص 348 / السلاوي : المرجع السابق ، ج 3 ص 190 – 191 / Terrasse: Op. Cit, tome, II, P. 64.

المغربية الساحلية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي(1)، كذلك انقسمت بلاد المغرب المرينية إلى دولتين إحداهما في الشمال وعاصمتها مدينة فاس، وثانيتهما في الجنوب وعاصمتها مدينة مراكش، فتفككت أوصال دولة بني مرين وظهرت بها مناطق عصيان لاتخضع لها إلا بصفة إسمية، وهي ماعرفت حسب الاصطلاح المغربي ببلاد السيبة، وتعطل طريق تجارة الذهب والرقيق بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي، فنقصت كميات الذهب والرقيق التي كانت تصل إلى الموانئ المرينية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والتي كان التجار الإيطاليون ينتظرونها بشغف، واستولى عرب المعقل بالصحراء على مراكز التجارة المغربية المتاخمة للصحراء وبلاد السودان الغربي ، وفرضوا الإتاوات والضرائب ، وابتدعوا نظماً جديدة للجباية وفرضوها بالقوة ، لذا في عهد القوة المريني كانت الحاميات العسكرية المرينية تتواجد بكثرة في المناطق الصحراوية المتاخمة للحدود مع بلاد السودان ، وعكس ذلك صحيح 0 وترتب على تدهور حالة الدولة المرينية داخلياً أن صارت فريسة للقوى الخارجية، فقد نجح أباطرة مالي(*) في تحقيق الوحدة السياسية للسودان الغربي، وخرجوا من قبضة الاحتكار المغربي، وبدأوا في سياسة تجارية نشطة تهدف إلى توسيع دائرة التجار الذين يتعاملون معهم، لتتحرر ثرواتهم الاقتصادية من الاحتكار المغربي ، وبدأ التجار السودانيين يترددون على واحات المغرب ومدنه مشاركين بنصيب في عملية تسويق سلعهم، وتزودهم بالملح والنحاس والمنتجات القيمة المطلوبة للتجارة ، وهم بنشاطهم التجاري هذا عملوا

----

(1) ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأ بناء العمر في التاريخ ، تحقيق عبد الله بن أحمد المديحج ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الثانية 1986 ، ج6 ص 236 – 237 ، ج7 ص 28 – 29، 427 / ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي القاهرة 1973 ج1 ص 306 – 308 / ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 72 / جوليان ، المرجع السابق ، ج2 ص 235 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 86 ،92 /

Terrasse: Op. Cit. ,. II. P. 75 – 77. / Deverdun: Op. Cit., P. 315 / Cl. Huart:Op. Cit. Tome. II. p. 209

(*) مالي : إسم الدولة الثانية من الممالك السودانية الإفريقية الكبري التي قامت في غرب إفريقيا ، وقد أنشأها زعيم من أسرة كيتا أو كاتيا في أوائل القرن 5هـ/11م في منطقة الفولتا جالون ثم توسعت حتي شملت حوض النيجر الأعلي كله ودخلت في حوزتها تومبوكتو ، وجاو ، ورسجو وغيرها من المدن الكبري هناك ويعرف سلطان مالي بلقب منسي وهو إسم ملوكهم ، وبلاد مالي غنية بالملح والتبر والعبيد ، للمزيد من المعلومات ، انظر ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ، تحقيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولي 1987، ص 691 – 698 / إبراهيم علي طرخان : دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1973، ص 25 – 100 0 / فيج 0 جي 0 دي : تاريخ غرب أفريقيا ، ت0 السيد يوسف نصر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، 1982 ، ص 53 – 58 0

على خلق توزيع جديد لطرق ومحاور التجارة وثابت لصالح السودانيين بهدف إضعاف الوساطة المغربية التجارية القديمة(1) 0

وسقطت مدينة سبتة الميناء الاستراتيجي المريني في يد البرتغال عام 1818م ، وتلاها الموانئ مليلة وباديس وطنجة ومراكز أخرى على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ونتج عن ذلك حرمان دولة بني مرين والمغرب الأقصى من النشاط التجاري مع المدن الإيطالية ، كذلك أصبح الساحل الأطلسي المريني معطلاً بسبب حصار الإسبان والبرتغاليين للسواحل المرينية على البحر المتوسط و المحيط الأطلسي ، وعدوانهما على المدن المرينية على المحيط الأطلسي طوال القرنين 16، 17م0

أضف إلى ذلك الإهمال بصناعة السفن وعدم تزويدها بالتقنيات البحرية وقلة استعدادها لمنافسة البحرية الأوروبية الآخذة في التطور والتوسع واختراق البحار والمحيطات ، أما المغاربة فكانوا يتاجرون ويسافرون بحراً على ظهر السفن الجنوية والبندقية (2) 0

على أن من أهم نتائج الأحوال السياسية الداخلية للمغرب المريني هو احتفاظ أسواق المدن الساحلية المرينية باتصالاتها التجارية الخارجية القوية والبعيدة ، وأمكنها من ممارسة مهنتها التجارية حتى عند مواجهتها عقبات كبيرة أربعة وهي بعد المسافة الواقعي عن المدن الإيطالية، وثانياً الإضطرابات السياسية الداخلية بدولة بني مرين ، وثالثاً الصراع المسيحي [الإسباني – البرتغالي] ضد دولة بني مرين في غرب البحر المتوسط ، ورابعاً عالم القرصنة ، ونظراً لوقوع الصراع المسيحي – الإسلامي وعالم القرصنة فإن هاتان كانتا سبباً في إعاقة تجارة المغرب الأقصى المريني , وشبكة البحر المتوسط التجارية الإسلامية0

وأرجح أيضاً أن التنافس على تجارة الذهب والرقيق كان سبب الحروب المريرة بين بني عبد الواد وبني مرين ، فكان كلاهما يحاول السيطرة علي مدن تلمسان وسجلماسة معقلا تجارة الذهب والرقيق 0

---

(1) محمد الشريف : نصوص جديدة ودراسات 00 ، ص 83 0

(2) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 4 ،7 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 329 / ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، ردمك 1996، دار إفريقيا الشرق ، ص 175 0

[2] العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية

[جنوة – بيزا – البندقية] 0

كان البحر المتوسط بحيرة إسلامية حتى القرن 11م، إلا أنه في النصف الثاني من القرن 11م، والقرن 12م اتحدت مجموعة اتجاهات سياسية وعسكرية وبشرية واقتصادية للدول المسيحية الأوروبية المتوسطية ، لتعيد التوازن بين المسيحيين والمسلمين شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وقد ساهم سكان أوروبا وصناعاتهم وتجارتهم في تبديل مركز القوى في عالم البحر المتوسط ، كذلك نمو المدن الأوروبية المتوسطية في القرنين 11 ، 12م لاسيما مدن جنوة وبيزا والبندقية ، تلك المدن قد أحدثت ثورة تجارية هائلة على مسرح البحر المتوسط التجاري، وعرف بنو مرين تلك القوى البحرية الجديدة وإنجازاتها التجارية(1)، ولم تلبث القوى البحرية للمدن الإيطالية أن نازعت القوى البحرية الإسلامية في غرب البحر المتوسط، ولم يحل عام 406هـ/1015م حتى صارت بيزا وجنوة قوتين بحريتين عظيمتين ، بينما صارت البندقية تركز بحريتها في التجارة والنقل فقط دون الدخول في أعمال القرصنة ، وبذلك صنعت لنفسها قوة بحرية أخذت تتزايد تدريجياً إبتداءً من القرن 4هـ/10م(2) ، وخلال القرن6هـ/12م سيطر الجنوية والبيازنة على التجارة وطرقها ونزعوها من (المسلمين واليهود)(3) ، واستمر التجار الإيطاليون في القرن 14 ، 15م يمثلون أكثر من أي وقت سابق بالنسبة لسلاطين بنو مرين أصدقاء مهمين ، وكانوا يعبرون مضيق جبل طارق كثيراً

----

(1) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 76 – 77 / أوليفيا : المرجع السابق ، ص 45 0

(2) أرشيبالد 0 ر 0 لويس : القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، 500 – 1100م ت0 أحمد محمد عيسي ، مكتبة النهضة المصرية 1993 ، ص 315 / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ج1 ص 173 – 174 / وللمزيد عن نشاط بيزا التجاري المبكر مع المهدية وسبتة وبلاد المغرب في القرن 5-6هـ/11-12م أنظر :

Giuseffe Rossi-sabatini : L'Espansione Di Pisa Nel Mediterraneo Fino Alla Meloria,Ferenze1935,. p.412

(3) أوليفيا : المرجع السابق ص 160 0

في القرن 15، 16م(1) ، وتعامل سلاطين بني مرين مع التجار الإيطاليين بسهولة نظراً لفائدة هؤلاء التجار الإيطاليين ، وأهميتهم في معاملاتهم ، بخلاف القطلان الذين كان لهم طموح سياسي في بلاد المغرب(2)، وقد استمدت المدن البحرية الإيطالية تلك الأهمية الكبرى من موقعها على البحر المتوسط الذي كان محور نشاطها والذي جعل منها حلقة اتصال بين الشرق والغرب، وساعد على قيامها بهذا الدور الاحتياجات المتبادلة بين شقي العالم وقتئذ(3)0 ومن مظاهر قوة بيزا وجنوة البحرية عام 480هـ/1087م قيامهما بحملة بحرية قوامها 400 سفينة لمهاجمة مدينة المهدية بتونس واستيلائهما عليها(4) ، مما يعني ضخامة القوى البحرية لهما آنذاك 0 وفي عام 555هـ/1160م عقدت جنوة عدة معاهدات تجارية مع بلاد المغرب الموحدية ، وفي عام 556هـ/1161م تم تبادل السفراء من أجل حرية التجارة والسلم المتبادل بينهم(5)، فقد نصت هذه المعاهدة على منح جنوة حرية سفنها التجارية والاتجار في كل الموانئ الموحدية، وتم تخفيض نسبة الضرائب الجمركية من 10% إلى 8% ، ويرجع ذلك إلى أن جنوة كانت صديقة لدولة الموحدين ، ولم تقم بأعمال القرصنة ضدها (6) ، لكن أطماع جنوة تعدت المعاهدات السلمية مع دولة الموحدين ، فقد رأت جنوة أن تستولى على مدينة سبتة التجارية ذات الموقع الاستراتيجي الهام المتحكم في غرب البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ، والمتحكم في حركة التجارة بتلك المنطقة أيضاً(7) ، ويرجع ذلك إلى تحول ميزان القوى بحوض البحر المتوسط الغربي ، فدولة الموحدين بدأت في

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ن ص 329 / Dufourcq: Op. Cit, P.41, 350,451 – 452

(2) Roland Oliver: The Combridge History of Africa, Cambridge – London, 1977, v. 3, p. 368

(3) جوزيف نسيم يوسف : دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ،ص 69 0

(4) أرشيبالد 0 ر 0 لويس : المرجع السابق ، 371

(5) Mas – Latrie : Traites De Paix et De Commerce, {Traites Enter Chretiens et Arabes au Moyen age} Paris, 1966, p108 ./ محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ، الطبعة الأولي القاهرة 1997 ص 174 - / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 110 0

(6) Amari : op. cit. , p. 36-37 .

(7) أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ، الطبعة الأولي ، ليبيا 1989 ، ص 45 0

الانهيار والتدهور بعد معركة العقاب ببلاد الأندلس عام 609هـ/1212م ، وتم تدمير أسطولها وجيشها فتدهورت أحوال البلاد ، واختلت التجارة الخارجية لدولة الموحدين ، ولم تقو على بسط نفوذها البحري بغرب حوض البحر المتوسط، أما جنوة فقد كانت قوتها تتزايد وأسطولها يقوى وتجارتها تنمو، فبسطت نفوذها في غرب البحر المتوسط ، وطمعت في احتلال سبتة لتحقيق أطماعها التجارية بدولة الموحدين 0

فرأت جنوة أن تفصل بلاد المغرب عن بلاد الأندلس للتحكم في مضيق جبل طارق(1) ، ولجأ الجنوية إلى الخدعة واتجهوا بأساطيلهم إلى سبتة عام 633هـ/1234م برسم التجارة(2) ، دون أن يتفطن المغاربة لما ينويه الجنوية ، وقد تولى قيادة هذه الحملة الجنوية القائد البحري فيليلمو دي نجروني {Vilielmo di Negrone} والقائد البحري بلدوينو إسبيونو {Bolduino Sppiono} وحملوا معهم الصلبان(3) إلا أن حملتهم باءت بالفشل ، إذ تواصلت قبائل البربر المتحالفة مع الحاج أبو العباس اليانشتي حاكم سبتة للدفاع عنها ، واستطاعوا أن يقتلوا الجنوية ويطردوا الباقين من سبتة كما يذكر ابن عذاري(4) وفرت البقية الباقية من الجنوية إلى مراكبهم منهزمين هزيمة منكرة ، وأراد الجنوية الانتقام لأنفسهم ، فأعدوا حملة أخرى في نفس العام وكانت مؤلفة من 100 سفينة(5) ، وتذكر الحوليات الجنوية أن حاكم جنوة أرسل أسطولاً يتكون من 22 شينياً تحت قيادة أمير البحر أنيوني دي بونفتشو ديل فولتا [Inyone di Bonfacio dell volta] ، وأربع شواني أخري تحت قيادة أوتوبونو دي كاميلا [Otto Bono di Camilla] ، وتولى القيادة العامة لهذا الأسطول

----

(1) رضوان البارودي : المرجع السابق ، ص 83 0

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 350 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ص 183 / السلاوي : المرجع السابق ج2 ص244 0

(3)Caffaro,C, : Annali Genovesi di caffaro ede' suoi continuatori, Dal MXCIXAL MCCXCIII, a cura Di Luigit Belgrano, Roma 1923, vol,3,pp.72-73. / رضوان البارودي : المرجع السابق ، ص83

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ج5 ص 350 ، [00 فقتل النصاري في ذلك اليوم قتلاً ذريعاً وقطعوا تقطيعاً وتحكمت السيوف والرماح من كل مفرق لهم ونحر ، ومن سلم من القتل رمي بنفسه عائماً الي الأجفان في البحر ، وإنتهبت أموالهم التي في فنادقهم أي إنتهاب ، وإلتهبت النار في سلعهم وسلاحهم كل إلتهاب ، وإحتوي البربر والسوقة وغزاة البحر وغيرهم علي جميع ما كان في الفنادق من أسبابهم00]0

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 350 0

القائد أنيوني(1) ، وتوجهت الحملة صوب مدينة سبتة وحاصرتها وضربتها بالمنجنيقات ، إلا أنها فشلت لمناعة المدينة واستبسال أهلها في الدفاع عنها ، وتوصل الطرفان إلى أن يحصل الجنوية على تعويض عما فقدوه من ممتلكات وأموال وبضائع كانت في فنادقهم التي نهبت من قبل إبان الحملة الجنوية الأولى(2) ، وكان مقدار التعويض المالي نحو 400 ألف دينار ذهب(3)0 واستمرت العلاقات التجارية بين البلدين قائمة على أساس منتظم الى عام 1253م(4) 0 وفي عصر القوة والازدهار المريني أرادت جنوة أن تتودد الى حكومة دولة بني مرين طمعاً في تحقيق بعض المكاسب التجارية ومحو آثار العدوان الجنوي على سبتة ، فقام أحد الجنوية بإهداء السلطان يوسف بن يعقوب المريني هدية قيمة في عام 691هـ/1292م تمثلت في شجرة مموهة بالذهب تحتوي علي طيور تغرد بحركات هندسية(5) 0

وتطورت تجارة بعض المغامرين الجنوية بفضل علاقاتهم الشخصية مع سلاطين بني مرين مثل كريستيانو سبينول [Christian de Spinola] الذي استقدمه السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، وعاش معه أثناء حصاره لمدينة تلمسان ، وكان كريستيانو شخصية تجارية رأسمالية هامة من جنوة وتعامل تجارياً مع السلطان يوسف بن يعقوب المريني ولكنه خسر نحو عشرة آلاف دينار ذهب وفشل في استعادتها(6) ، وحصل بعض التجار الإيطاليين على ترخيص للتغلغل داخل أراضي الدولة المرينية كما فعل التاجر الجنوي الذي عاش في تافيلالت في نهاية القرن 13م(7)، وقد استغل الجنوية عداء المغاربة لأراجون، والانقسامات الداخلية بدولة بني مرين للتغلغل داخل البلاد والكسب التجاري ، فقد كان للجنوية نفوذ في سبتة لاسيما و أنهم ساهموا في فرض سلطة بني الأحمر- سلاطين غرناطة- بسبتة في عام706هـ/1306م

----

(1) رضوان البارودي : المرجع السابق ص 84 / . Caffaro,C, : op. cit. p. 72 – 73

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ج5 ص 350 0

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ص 382 0

(4) ابن أبي زرع : نفسه ، ص 183 0

(5) أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ،ص 77 0

(6) Roland Oliver: Op. Cit., v.3 p. 368 / D ufourcq: Op. Cit.p. 370.

(7) Roland Oliver: Ibid .

على حساب دولة بني مرين(1) وقد استقبل السلطان يوسف بن يعقوب المريني تجاراً من جنوة بحصن تازوطا شمال شرق المغرب عام 691هـ/1291م ، وقام التاجر الجنوي Giovanni Di Garignano بوضع خريطة للصحراء الكبرى أثناء إقامته بسجلماسة خلال العقد الثاني من القرن 14م 0

ثم قام الجنوي Angelino Dulcert بوضع خريطة أخرى لجنوب الصحراء عام 1339م(2)0 وتزايد عبور البنادقة والجنوية لمضيق جبل طارق منذ بداية القرنين 13 ، 14م، وقام الرحالة الجنوية أصحاب الرحلة الشهيرة للإخوة الجنوية فيفالدي Vivaldi الى مدينة صافي عام 1291م(3) ، وفي عام 740هـ/1340م كان السلطان أبو الحسن المريني بسبتة، فاجتمع به جماعة من الجنوية البحارة المغامرين لمعرفة معالم المحيط الأطلسي ، وأخبروه بأنهم أعدوا الزاد لعامين واستولوا على الجزر الخالدات [لانزورتو] وأخبروه بذلك، وأعطوه رجلين من أهل تلك الجزر للعمل في خدمته(4) 0 وتزايدت العلاقات السياسية ما بين جنوة ودولة بني مرين في عهد السلطان أبو الحسن المريني لاسيما قبل أحداث معركة ريو سالادو [طريف] Rio Salado عام 741هـ/1340م فقد استعان السلطان أبوالحسن بالخبرة الجنوية في صناعة السفن والمراكب الحربية بمختلف أنواعها في كافة دور صناعة السفن المرينية ، كذلك استأجر السلطان أبو الحسن المريني من جنوة نحو 40 سفينة جنوية حربية لخوض معركة طريف ضد قشتالة والبرتغال وأراجون(5) ، وقد انتصر السلطان أبو

----

(1)Dufourcq: Op. Cit. p. 452.

(2) ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، ص 176/ إبراهيم علي طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص 87 / De La Ronciere (Charles) : La d'ecouvertede L'Afrique au Moyen Age, SocieteRoyale de Geographie de L;Egypte, Le Caire, pp. 112-118 , 143-147 /Bovill,E.W. : The Golden Trade of the Moors , London 1961 , p.91 .

(3) Dufourcq: Op. Cit., P. 42.

(4) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 116 – 118 0

(5) مارمول : المصدر السابق ، ج1 ص 401 / ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج2 ص 41 / مسعد عبد الله : الصراع حول السيطرة علي مضيق جبل طارق منذ منتصف القرن 7هـ/13م حتي أواخر القرن 9هـ/15م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الأداب جامعة الإسكندرية 2001 ص 157 / وللمزيد عن معركة طريف أنظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 309 – 310 / Terrasse :Op. Cit., II, p. 55. / سامية مصطفي مسعد : الجهاد الإسلامي في الأندلس ، الزهراء كمبيو سنتر ، 2002 ، ص126 130/ Zurita Geronimo : Los Anales de La Corona deAragon , Zaragoza 1888, Tome II, p. 131 /Robson J.A. : The Catalan Fleet and the Moorish Sea Power , (1337-1344) English Historical Review London 1949 , vol,74, p. 401

الحسن المريني في بداية المعركة إلا أن جنوة تخلت عنه بعد ذلك وانضمت الى البرتغال وقشتالة وأراجون التي استنجدت بها وبسفنها الحربية فوقعت الهزيمة على السلطان أبو الحسن المريني وتحطم أسطوله(1) 0 واستمرت العلاقات الجنوية المرينية في عهد السلطان أبو عنان المريني ، فقد عقدت جنوة معه معاهدة سلمية وصلح وتجارة في عام 757هـ/1356م (2) ويتضح من نص تلك المعاهدة أن جنوة عاثت فساداً بأساطيلها البحرية القوية في المدن الساحلية ببلاد المغرب قبل عهد السلطان أبو عنان المريني مستغلة ضعف البحرية المرينية وانشغالها بالأمور الداخلية وحروب الأندلس ، ويرجح ذلك ما جاء في النص : [00 واستراحت البلاد الساحلية من عدوانهم،وأمنت حمائم أبراجها من غربانهم،وهدأت المراسي من مراسهم](3)0 وقد ذكر ابن مرزوق ما يؤكد عدوان جنوة على بلاد المغرب الأقصى لاسيما مدينة سبتة في عهد السلطان أبو الحسن المريني: [00 وقد قدمت حكاية الجنويين الذين دخلوا سبتة بغير عهد ولا وعد 00](4) مما يؤكد أن جنوة بعد أن فشلت في الإستحواذ على سبتة في عهد الموحدين وبني مرين قامت بالإغارة على طرابلس الغرب في ربيع الأول 755هـ/أبريل 1354م واحتلالها غدراً ، فقد أظهر الجنوية أنهم قاصدين طرابلس الغرب للتجارة فصدقهم أهل المدينة، وفي الصباح كان الجنوية قد استولوا على البلد ، وأسروا أهلها ، ونهبوا المدينة مدة أربعة أشهر وخرجوا من المدينة بفديةٍ تقدر بخمسين ألف ديناراً ذهبياً ،

----

(1) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج2 ص 41 / Terrasse :Op. Cit., II, p. 55.

(2) انفرد ابن الحاج النميري بذكر المعاهدة الجنوية المرينية والتي دارت حول الصلح والسلم ورغبة جنوة في التعامل التجاري بشكل كبير مع الدولة المرينية وهذا نص المعاهدة [00 ثم أتت إرسال الجنويين ترغب في الصلح وتجيل الكلام في طلبه بإجالة القدح وتراه لمتاجرها أعظم الربح ولسائل حياتها أعظم المنح ، ولم تغرهم أجفانهم التي هي لعيون التجار أجفان ، وأساطيلهم التي هي لجواري الرياح شمائل وإيمان ، وأوثقتهم الأيدي المنزهة عن الغلول بالغل ، ولم يغنهم تكفنهم في الحديد عن التكفن في ثياب الذل ، وعاد مرفوع همهم الي حطٍ وشطٍ لحروبهم مزار شط ، وكُسرت أقلامهم مجاديفهم فلم تسر بخط ، ولم يجدوا بداً من التخضع ، والأصحب بعد التعصب والتمنع ، فأسعف مولانا أيده الله طلباتهم وأنجح مطامح رغباتهم ووجه مع إرسالهم أحد خدام الباب الكريم حتي تمم عقد الصلح أحسن التتميم ، وألزمهم الشروط التي توطد بها العز ، وأضحت أعطاف المدن لسماع حديثها تهتز ، واستراحت البلاد الساحلية من عدوانهم ، وأمنت حمائم أبراجها من غربانهم ، وهدأت المراسي من مراسهم ، ورفت المرافئ من خروق دعاسهم ، وإمتلأت بتجارهم دواوين الأقطار 00] انظر ، ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 46 – 47 0

(3) ابن الحاج النميري : نفسه ، ص 74 - 75 ، لوحة 46 – 47 0

(4) ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 336 0

وساهم السلطان أبو عنان المريني بالمال لافتداء المدينة من الجنوية(1) وقد شعر الجنوية بخيبة أمل في استمرارهم نهب وتخريب المدن الساحلية لبلاد المغرب المرينية ، الأمر الذي دفعهم إلى طلب الصلح والسلم من السلطان أبوعنان المريني في عام 757هـ/1356م(2)، وبعد مقتل السلطان أبو عنان المريني سادت الفوضى بلاد المغرب وعم الفساد واختلت الأمور وضعفت الدولة داخلياً وخارجياً مما أدى الى طمع الدول الخارجية في مدنها الساحلية فقامت جنوة بتشكيل حملة بحرية مكونة من 3 مراكب صقلية و 5 مراكب للبيازنة و 12 مركباً جنوياً لاحتلال جزيرة جربة(*) أمام سواحل تونس ، وقامت جنوة بالدور الرئيسي في احتلال الجزيرة واستلمت مبلغاً قدره ستة وثلاثين ألف فلورين ذهبي في عام 778هـ/1377م (3) ، وفي عام 792هـ/1389م أغارت جنوة على مدينة المهدية (*) 0

وظهرت على الساحة البحرية دولة البرتغال الفتية التي باتت تنازع جنوة السيادة على تجارة الذهب والرقيق ومنابع هاتين التجارتين ببلاد السودان والمغرب ، الأمر الذي أدى الى تصادم الدولتين معاً 0

----

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 468 – 469 / ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج4 ص 245 ، ويذكر العسقلاني أن إحتلال جنوة لطرابلس الغرب كان عام 743هـ والراجح هو عام 755هـ / عبد العزيز بنعبد الله : البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان ، عدد 3، 4 ، عام 1958 – 1959 ، ص60 / محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواوي – محمد محفوظ مجلد 1 ، الطبعة الأولي بيروت 1988 دار الغرب الإسلامي ، ص 530 / عبد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ,تونس 1974 الشركة التونسية للتوزيع , ص 108 0

(2) ابن الحاج النميري : المصدر السابق ، ص74- 75 0

(*) جربة : جزيرة بالبحر المتوسط تقع علي مقربة من قابس بتونس طولها من الشرق الي الغرب 60 ميلاً ، اهلها من البربر وكانت تتردد بين المسلمين والروم ثم صارت في قبضة المرينيين , وبعد مقتل أبو عنان المريني صارت جربة في قبضة الحفصيين بتونس ، انظر ابن خلدون : المصدر السابق ج6 ص474 – 477 للمزيد من المعلومات أنظر أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 255-260 / ممدوح حسين : الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري ، الطبعة الأولي، دار عمار الكويت 1998 ، ص 514-525

(3) أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 255 0

(*) المهدية : مدينة محدثة بناها عبيد الله الشيعي الخارجي في عام 300هـ ونسبها لنفسه ، والبحر يحيط بها من ثلاث جهات ومدخلها البحري من ناحية الغرب وتبعد عن القيروان 60 ميلاً ، وهي مركز تجاري كبير وتتردد السفن من المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها للتجارة ، للمزيد من التفاصيل انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ص 505 / الحميري : المصدر السابق ص 562 /ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 1970 ، ص 313-314 / الزركشي : المصدر السابق ، ص 112- 113/ ممدوح حسين : المرجع السابق ، ص 551- 566

وكانت جنوة تحاول ضرب الاحتكار والتوازن في البحر المتوسط عندما سيطرت البرتغال على ذهب بلاد السودان ، ولذلك عملت جنوة على الوصول الى سجلماسة وتوات في أعماق الطرق التجارية المارة عبر الصحراء الكبرى ، ولكن محاولاتها فشلت ، لذلك قامت جنوة بالاصطدام بالبرتغال ، عندما أرادت البرتغال احتلال آصيلا المغربية عام 875هـ/1470م في آخر عهد بني مرين(1) 0

أما بيزا فقد تركز نشاطها السياسي مع بلاد المغرب في عصر الموحدين حيث كانت العلاقات ما بين بيزا ودولة الموحدين في بادئ الأمر يسودها العداء نظراً لقيام بيزا بالتحالف مع بني غانية بتونس وميورقة الخارجين على دعوة الموحدين ، الى جانب قيام بيزا بأعمال القرصنة ضد دولة الموحدين بغرب البحر المتوسط ، الأمر الذي دفع الموحدين الى التضييق على التجار البيازنة، وذلك في الفترة مابين 578 -582هـ/1182 – 1186م(2)، وفي نفس الوقت عقدت دولة الموحدين المعاهدات السلمية والتجارية مع بيزا لإرضاخها وعزلها عن مساعدة بني غانية وذلك بعقد معاهدة مدتها 25عاماً من 582هـ/1186م ، ثم عقدت معاهدة أخرى عام 607هـ وصار لبيزا أربعة موانئ بشواطئ بلاد المغرب(3)، وفي عصر بني مرين عقدت بيزا مع السلطان أبو عنان المريني معاهدة سلم وتجارة عام 759هـ/1358م تنص على تنشيط التجارة بين البلدين(4)، وفي عام 1367م رسم العالم البندقي بتزياني Pizzigani خريطة ظهرت بها جبال أطلس المغربية ووضح عليها وادي السوس المؤدي

----

(1) فرنان برودل : من ذهب السودان الي فضة أمريكا ، مقال من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، 1961 ص 87 / هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ، دار الفرقان ، الطبعة الأولي1984 ، ص 393-397

(2) عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 176 / محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص 175 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 254 / هشام أبو رميلة :المرجع السابق ، ص 393-397/ Mas- Latrie : Op. Cit. p.90 – 91. / Deverdun: Op. Cit. p. 295. / Giuseffe: Op. Cit. p. 10 -11.

(3) جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، ت0 محمود هيكل ، منشأة المعارف – الإسكندرية 1991 ص 309 / Giuseppe :Op. Cit, p. 90 / Amari: Op. Cit. p. 36 – 37.

(4) Mas-Latrie: Op.Cit. p. 66 –69 / Amari: Op. Cit., p 1– 8.

إلي بلاد الذهب، ووضَّح فيها كيف تتدفق السلع الواردة من بلاد مالي إلى بلاد السوس المغربية (1) 0

أما البنادقة فقد كان لهم تجارة مزدهرة عبر البحر المتوسط تصل إلى سبتة وذلك في منتصف القرن 6هـ/12م ، وحتى منتصف القرن 8هـ/14م(2) ، وكان شعار البنادقة –لنكن أولاً بنادقة ثم بعد ذلك مسيحيين – وهذا الشعار يعبر عن أن هدف البنادقة الأول تحقيق الكسب والربح التجاري دون أدني اعتبارات أخري(3) 0 وازدهرت تجارة المرور والنقل البحري للبنادقة في القرن 13م ، 14م ، ورسمت لنفسها أربع رحلات تجارية لتصدير المنتجات والسلع الخاصة بالمناطق والبلاد الأوروبية إلى السواحل الشمالية الإفريقية ، واستيراد المنتجات المختلفة من الساحل الشمالي الأفريقي وتوزيعها في الجانب الآخر من البحر المتوسط ، وهذه الرحلات الأربع كانت مدعومة بفرق عسكرية ، ومن أهم الرحلات البندقية وأكثرها حجماً ؛ الطريق الرابع الذي كان يبدأ من صقلية الى مالطة ثم طرابلس وتونس والجزائر والمغرب ويصل الى سواحل الأطلسي في المغرب ثم البرتغال وأوروبا ويعود الى إسبانيا والموانئ الإيطالية(4) ، فقد كانت تلك التجارة الهائلة للبندقية سبباً في أن تصبح ملكة الذهب في العالم المسيحي وإحدى دول العالم العظمى(5) ،

وكان البنادقة يتوغلون إلى أعماق بلاد الصحراء بحثاً عن الذهب فقد ظهرت خريطة لعالم بندقي عام 1433م توضح الطرق المؤدية من بلاد السوس المغربية إلى بلاد الذهب (6)0

ونستدل من ذلك على أن حجم التبادل التجاري مابين بلاد المغرب والبندقية كان كبيراً0

واستمر البيازنة والبنادقة والجنوية في ممارسة التجارة في كل بلاد المغرب في الموانئ المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ويؤكد ذلك ما وُجد في الأرشيفات الإيطالية كما

----

(1) إبراهيم علي طرخان : دولة مالي ، ص 87 /Bovill: Op. Cit.p.91

(2). أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ سبتة الإسلامية ، ص 20

(3) فايد حماد عاشور: المرجع السابق ، ص 100 0

(4) Marc Antonio : Histoire De Républiques Maritimes Italiennes, Paris 1955 p. 151

(5) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 66 0

(6) إبراهيم علي طرخان : دولة مالي ، ص 89 / Bovill: Op. Cit.p.91 -92

يذكر دوفورسك(1) ، وعندما ظهرت حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية في القرن 9هـ/15م حول طريق رأس الرجاء الصالح وفتح المحيط الأطلسي للملاحة(2) لم تتأثر البندقية كثيراً بذلك لأنها كانت تحقق مكاسب اقتصادية عالية تعوض أية خسارة تحيط بها في أية جهة أخرى من الجهات التجارية ،

وأرجح أن تلك الجهات أفادت المدن الإيطالية تجارياً وعوضتها هي بلاد المغرب ، حيث تجارة الذهب والعبيد والشمع والجلود والحبوب وغيرها من المواد الخام اللازمة لمصانع أوربا التي كانت في ذلك الوقت قد نهضت صناعياً 0

----

(1) Dufourcq: Op. Cit., p. 451 – 452.

(2) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ت0 محمد بدران ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، 1967 ، ج2 مجلد 5 ص 212 0

[3] أثر العلاقات السياسية الإسبانية الإيطالية على التجارة بدولة بني مرين :

(أ) التجارة الأراجونية – القطلانية مع دولة بني مرين :

أثناء الفترة ما بين عامي 610 – 675هـ/1213 – 1276م ،
اجتاحت بلاد المغرب الأقصى الحروب الأهلية والانقسامات ، ولم يسيطر بنو مرين على إجمالي المغرب إلا في عام 672 – 673هـ/1273 – 1274م ، بإستيلائهم على سبتة وطنجة، وفي ذلك الوقت كانت طبيعة العلاقات بين المسلمين والمسيحيين الإسبان [أراجون – قشتالة – البرتغال] هي الحرب بإستثناء أوقات الهدنة ، وكانت الاضطرابات المغربية ووجود مناطق أخري مستقلة بها ، تساهم في تعقيد العلاقات بين المغاربة والمسيحيين ، وقل حجم التجارة الأراجونية والقطلانية مع المغرب المريني ، وتوقفت الأنشطة التجارية المسيحية مع موانئ بلاد المغرب الساحلية فقط بالبحر المتوسط وكانت صفقات التجارة بصفة غير رسمية آنذاك(1)0 غير أن العشرات من التجار القطلان تواجدوا بعد ذلك في الموانئ المرينية بشكل منتظم من سبتة إلى صافي على المحيط الأطلسي ، ومن سبتة إلى تاجرة على البحر المتوسط [على الحدود المشتركة بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى] وتواجد التجار القطلان أيضاً في فاس ومدينة المنصورة التي شيدها السلطان يوسف بن عبد الحق المريني في بداية القرن 8هـ/14م(2)، وتواجدوا أيضاً في موانئ الكدية وسبتة0 وعلى سبيل المثال ، وصلت نحو عشر سفن ميورقية تابعة لأراجون إلى مينائي سبتة والكدية في الفترة من أبريل 1314 إلي مارس 1315م/714 – 715هـ ، ووصلت سفن ميورقية أخرى إلى الموانئ المرينية الأطلسية مثل آزمور وأنفا وسلا وآصيلا والعرائش(3) ، وقد مارست دولة بني مرين دور الوسيط التجاري ما بين بلاد السودان حيث تجارة التبر والرقيق وبين المدن الإيطالية المزدهرة – البندقية، جنوة ، بيزا – التي لعبت دور الوسيط التجاري بين بلاد المغرب

---

(1) Dufourcq:Op. Cit. p. 157.

(2) Ibid,. p.521.

(3) Ibid. p. 464.

وأوروبا والمشرق ، غير أن ظهور قطالونيا – كتالونيا- (*) على المسرح التجاري والسياسي ببلاد المغرب المرينية أدى إلى اشتعال نار التنافس السياسي والتجاري في المنطقة الأمر الذي تمخض عنه العديد من الاتفاقيات والمعاهدات السياسية والتجارية العديدة ما بين اسبانيا النصرانية ودولة بني مرين لكي تقوم أراجون(*) وقطالونيا بدور الوسيط التجاري ما بين بلاد بني مرين والمدن الإيطالية ، كذلك دخول البرتغال حلبة التنافس التجاري والسياسي ببلاد المغرب لاسيما احتلال البرتغال مدينة سبتة وبقية المدن الساحلية المغربية لتقطع الصلات الإيطالية المغربية وتنفرد بالأمر لنفسها 0 وتركز التبادل التجاري بين أراجون ودولة بني مرين حول تجارة الذهب والعبيد المجلوبين من تومبوكتو(*) عبر القوافل إلى ميناء سبتة والكدية حيث كان يتواجد القطلان والأراجونيون لشراء السلع الثمينة وبيعها إما في أراجون أو

(*) كتالونيا : أو قطالونيا ، دولة صغيرة كانت إمتداداً فرنسياً ببلاد الأندلس وأُطلق عليها عرب الأندلس والأسبان لقب الفرنجة ، وظهرت في شمال بلاد الأندلس إثر ضعف الدولة العامرية وتفكك بلاد الأندلس إلي دويلات طائفية فأخذ القطلان يقتطعون من أملاك المسلمين تدريجياً واندمجت بعد ذلك مع أراجون لتكوين مملكة قطالونيا وأراجون عام 1137م ، وكان لقطالونيا موقعاً جغرافياً ممتازاً ونشاطاً بحرياً فائقاً بات يزداد في النمو مع بداية القرن 6هـ/12م مما جعلها مركزاً لإجتذاب التجار والمزارعون لاسيما الفرنسيون بأعداد ضخمة ، وإتصلت قطالونيا بالمدن الإيطالية البحرية فارتبطت معها تجارياً وسياسياً لاسيما بيزا وجنوة ، وعندما قويت شوكة قطالونيا وأراجون ، باتا ينازعان المدن الإيطالية وبلاد المغرب المرينية السيادة علي غرب البحر المتوسط ، فقامت قطالونيا وأراجون بالإستيلاء علي جزر جلفز وجربة وقرقنة أمام تونس في الفترة 683 – 686هـ/1284 – 1287م أنظر محمد محمود النشار : علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك ، الطبعة الأولي 1997 عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ص 191 – 192 / أوليفيا : المرجع السابق ص 121 / Amari :Op. Cit. p.6

(*) أراجون : Aragon تعرف عند العرب رغون وهي مملكة إسبانية شمال شرق بلاد الأندلس ، وقد إنتهزت أراجون تشتت المسلمين وعملت علي إستقطاع أراضي المسلمين ، فسقطت المدن الساحلية في يد أراجون علي عهد المرابطين والموحدين ، وصارت برشلونة المدينة الساحلية عاصمة أراجون والمرفأ التجاري الهام وهي مدينة صغيرة وجميلة يؤمها التجار من بيزا وجنوة وصقلية والإسكندرية وسواحل إفريقيا للبيع والشراء ، واستولت أراجون أيضاً علي أهم مرافئ الأندلس الإسلامية مثل بلنسية وألمرية في القرن 7هـ/13م وتحالفت مع جنوة عام 1147-1148م لشن حرب ضد المسلمين لإقتطاع طرطوشة وألمرية ، وكان عصر أراجون الذهبي في عهد خايم الأول 1213-1276م وصارت أراجون في عهده من أهم المراكز التجارية في عالم البحر المتوسط ، أنظر بنيامين بن يونة التطيلي : المصدر السابق ، ص 50 / جوليان : المرجع السابق ج2 ص110 – 112 / محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 40 ،99، 188 -189

(*) تومبوكتو : Tombuctu تأ سست في القرن 5هـ/11م من قِبل الطوارق ، واستقر بها التجار والعلماء المسلمين ، وتوسعت المدينة سريعاً ، ثم سقطت في يد السلطان منسي سليمان ملك دولة مالي في عام 724هـ/1324م وتشتهر تومبوكتو بتجارة العبيد والتبر ، انظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص539 -541 / وداد نصر محمد السيد الطوخي : مدينة تنبكت منذ نشأتها حتي دخول السعديين ، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1986 ص 68، 132 0

إلى التجار الإيطاليين(1) ، وباعت قطالونيا في آصيلا الصمغ واللك والقرفة والقرنفل والعفص وخشب البرازيل وأكسيد الزنك، وصدرت مدن أنفا وسلا كميات ضخمة من الحبوب رخيصة الثمن ، وكان سعر القفيز(*) الواحد من القمح في نهاية القرن7هـ/13م وبداية القرن 8هـ/14م ثلاثة دينارات فقط ، ثم تبيعه قطالونيا في بلادها بنحو ستة عشر ديناراً، وصار سعر استئجار السفينة لشحن القفيز بما يعادل 5 دينار إلى جانب عدة دراهم للجمارك المرينية والعاملين على النقل ، فكان يتحقق ربح كبير للتجارالقطلان (2) ، وصدرت آصيلا للقطلان وأراجون الشمع والصوف والكتان وخيوط القطن ، ووصلت قيمة التجارة الأراجونية مع سلطان المغرب المريني عبر ميناء سبتة في عام 1309م نحو ستين ألف دينار(3) ، واستمرت تجارة العبيد بين القطلان والمغرب المريني(4) عبر ميناء سبتة والكدية 0 وعقد ملوك أراجون معاهدات سلمية مع بلاد المغرب المريني من أجل إستتباب الأمن ونشر السلم والصلح بينهما وتنشيط التجارة بينهما ، وحماية مصالحهما التجارية بدولة بني مرين(5)، وأياً كان طموح الملوك القطلان والأراجونيين أو حماسة رجال الكنيسة ، فإن كل التحالفات السياسية والدينية الموجهة نحو المغرب لم تكن تنجح بدون الروابط الناشئة عن رغبة التجار في الثراء (6) ، لذا اهتم ملوك قطالونيا وأراجون بتنظيم شئون التجارة فأصدروا عدة تشريعات قانونية لتنظيم عمليات التجارة ونظمها مثل نظم ربييرا عام1258 م/ 656هـ

----

(1) محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 191 – 192 / Martin J. L. : La Peninsula en La Edad Media Barcelona , 1978, p. 545/ Hillgarth J. N. : Los Reinos Hispanicos, Barcelona, 1979 , 108.

(*) القفيز: وحدة كيل تساوي 325,28 كجم تقريباً ، أنظر البكري : المصدر السايق ، ص 26 -27 / أبو العباس العزفي : إثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف علي حقيقة الدينار والدرهم والمُد ، تحقيق محمد الشريف ، أبو ظبي ، 1999 ص 132 0

(2) Dufourcq:Op. Cit. p. 543.-551.

(3) Dufourcq: Op. Cit., p.554 – 591.

(4) Dufourcq: Op. Cit. 466 – 467

(5) Los Documentos Arabe Diplomaticos, Del Archivo De La Corona De Aragon, editados Y traducidos, por, Maximliano, Y Ramon Garcia, Madrid, Granada, 1940 p. 165-166,196-197,210, 212-214, 224-225.

(6) Dufourcq: Op. Cit., p. 524.

{Ordenanze de la Ribera } في عهد الملك خايم الأول(*)، وكانت تنص على تحديد مسؤوليات أصحاب السفن والبحارة فيما يتعلق بالبضائع التي ينقلونها ، وتلتزم كل سفينة بتعيين كاتب لكتابة الوثائق التجارية والعقود وكافة حقوق أعمال التجارة والعاملين عليها ، ونظم لهم كافة الضمانات والاحتياطات ضد الأخطار البحرية وحدد الأسلحة الواجب حملها على السفن ، وحدد حمولات السفن وواجبات الشاحنين(1) وبذلك التخطيط الجيد لنظم البحر والأسطول التجاري والقائمين بها ، أصبحت أراجون منذ منتصف القرن 7هـ/13م من أهم الوسطاء التجاريين لدول حوض البحر المتوسط في موانئ بلاد المغرب المرينية لاسيما سبتة، ونافست أراجون جنوة في حجم تجارتها باعتمادها على أسطول تجاري كبير(2) ، لذا ظهر التجار القطلان بكثرة في بلاد المغرب المرينية لاسيما سبتة(3)، واشتغلوا في أعمال النقل البحري على امتداد الساحل المغربي حتى الإسكندرية(4) واشتركوا كجند على السفن الحربية كما حدث في قبرص عام 829هـ/1426م(5)0

وتجلت العلاقات السياسية بين أراجون ودولة بني مرين في عهد السلطان يوسف بن يعقوب وخايم الثاني وتم عقد معاهدة بينهما تنص على التعاون الحربي بأن تقوم أراجون بمساعدة دولة بني مرين في حصار سبتة وإعادتها الى تبعية الدولة المرينية في مقابل 150 ألف دينار ذهبي مرابطي في حالة سقوط سبتة بالسيف ، أما إذا فُتحت سبتة صُلحاً فيكون لأراجون

(*) خايم الأول : Jayme I حكم أراجون في الفترة 1213-1276م ولُقب بالفاتح وبدأ عهده بسياسة الإسترداد فقام بالإستيلاء جزر البليار ومدن بلنسية وشاطبة ودانية وإشتهر بنشاطه التجاري مع دول حوض البحر المتوسط أنظر محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس (تاريخ العرب المنتصرين) الطبعة الأولي القاهرة 1949م ص 68 – 69/ محمد محمود النشار : المرجع السابق ص 86 – 87 0

(1) Prieto; Politica Aragonesa en Africa hasta, La Muerta de Fernando ET Catolico, Madrid, 1952 P. 49 – 50.
/ محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 191 0

(2) محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 191 ، 199

(3) Los Documentos Arabes Diplomaticos: Op. Cit., p. 165 – 166 ,196 – 197 ,212 – 214, 210,224 – 225.
أحمد بوشرب : دكالة والإستعمار البرتغالي الي سنة إخلاء آسفي و آزمور ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1984 ص 112

(4) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة 1961 ص 160 / حياة ناصر الحجي : العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين 8،9هـ/14، 15م الكويت 1980 ص4 – 44/ محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 40 – 49 / عبد الحميد حاجيا ت : المرجع السابق ، ص 149 – 150 / Los Documentos Arabes Doplomaticos: Op. Cit. , p. 198 .

(5) ابن شاهين الظاهري : المصدر السابق ، ص 143 0

30ألف ديناراً ذهبياً فقط وذلك عام 703هـ/1304م(1) ، وقد رفضت أراجون الإشتراك مع بني مرين في محاصرة سبتة نظراً لارتباط أراجون مع قشتالة بمعاهدة تنص على عدم مهاجمة أراجون لممتلكات مملكة غرناطة(*) التي كانت قد استولت على سبتة وقتئذ، وانعقدت معاهدة أخرى بين ملك أراجون جاك الثاني(*) والسلطان المريني أبو الربيع سليمان في 25 محرم 709هـ/5 يوليو 1309م لعمل حلف دفاعي مشترك من أجل محاصرة سبتة وقد فشلت تلك المعاهدة في تحقيق ما يرنو إليه السلطان أبو الربيع سليمان من استرجاع سبتة(2) ، وعقدت معاهدة أخرى في عام 723هـ/1323م بين أراجون ودولة بني مرين تنص على احتياج أراجون لعدد مائة فارس نصراني [يعملون بخدمة الجيش المريني] لمساعدة أراجون في حربها بسردينيا ، ولكن سلطان المغرب المريني اعتذر عن ذلك الطلب(3) ، وفي عام 745هـ/1344م عقدت معاهدة كبرى بين أراجون وقشتالة وجنوة وملك غرناطة وسلطان

---

(1) Los Documentos Arabes Doplomaticos: Ibid, p. 157 – 158.

ونص المعاهدة هو [00من عبد الله يوسف أمير المؤمنين 00بن يعقوب بن عبد الحق 00الي الملك 00جاقمة (خايم الثاني) ملك أرغون 00نعرفكم بأن الخناق صاحب سبتة ترتب لنا عنده ماية ألف دينار من الذهب في هذه السنين السالفة وهي الواجبة عليه المعتادة فلما طلبت منه صار يعاملنا بالتسويف ويعتذر بأعذار لاتقبل منه تناسب حمقه 00فبعثنا لمحلاتنا وجيوشنا وقبائل بلادنا المجاورة لسبتة من يحصرها في البر أشد الحصار ويذيق أهها النكال 00ورأينا أن تأمروا جملة من أجفانكم تنزل عليها في البحر 00والمائة ألف التي عليهم لكم فيها إن دخلت بالسيف خمسون ألف دينار ، ولنا خمسون ألف دينار 00وإذا دخلت 00فكل مافيها وعند أهلها من جميع الأشياء لكم فيه أوفر نصيب ونهدمها حتي لايبقي فيها إلا السور وترجع أجفانكم لمكانها 00وإن أعطي أهل سبتة المال قبل أن تدخل البلد فلكم فيه ثلاثون ألف دينار ولنا سبعون ألف دينار 00 وكتب في شهر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعمائة 00] 0

(*) قام صاحب غرناطة الخليفة ابو عبد الله المخلوع بالتحالف مع قشتالة ضد دولة بني مرين ، وأرسل أحد أفراد الأسرة المرينية الطامعين في الملك وهو عثمان بن أبي العلاء الذي إستطاع الإستيلاء علي مدينة سبتة وضمها إلي مملكة غرناطة من عام 703-709هـ/1304-1310م ، أنظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص

(*) خايم الثاني : Jayme II حكم مملكة أراجون في الفترة 1291-1327 ، وشهدت فترة حكمه التصادم بالبابوية وفرنسا ، وكان يملك أسطولاً قوياً في البحر المتوسط ن لأنه كان يهتم بالتجارة كثيراً حتي يكون لأراجون كيان إقتصادي ، محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 112 – 113 0

(2) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 128 ، وهناك وثيقة أخري تحمل نفس الموضوع ولكنها مؤرخة في 1 أكتوبر 1309م/24ربيع الثاني 709هـ انظر Los Documentos Arabes :Op. Cit., p. 165 – 166. ويؤرخها مارمول أيضاً في 1310م والصحيح عام 1309م أنظر مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 395 – 396 0 / Mas-Latrie :Op. Cit., p. 297 – 298.

(3) Los Documentos Arabes: Op. Cit p. 169 – 170, 171 – 172.

المغرب المريني لعقد صلح وسلم بين الجميع (1) ، واستمرت معاهدات الصلح والسلم تتخللها أعمال التجارة ما بين أراجون ودولة بني مرين في عهد أبو عنان المريني ففي 11 ربيع الثاني 751هـ/ 18 يونيو 1350م انعقدت معاهدة بينهما لعقد الصلح والسلم ، حيث أرسل ملك أراجون سفيره جيل ألبرط إلى السلطان أبو عنان المريني وتم عقد الصلح بين الطرفين [[00 فقد وصل كتابكم على يدي رسولكم الزعيم جيل البرط وقد ألقى إلينا ما ألقيتم له 00 وقد أمرنا بعقد الصلح وكتب العقود بذلك 00]] (2) 0

وتلا ذلك معاهدة أخرى سلمية تجارية في 7 شوال 751هـ/8 سبتمبر 1350م تنص على السلم والأمن لكل التجار الواردين علي المغرب(3) ، وأيضاً معاهدة أخرى في 11ذي الحجة 755هـ/18ديسمبر 1354م تدور حول قيام دولة بني مرين بتوفير الأمن للتجار النصارى بمملكة أراجون الوافدين إلى بلاد المغرب للتجارة ، وأن من يتعرض للاسترقاق والخطر يجب أن تقوم حكومة دولة بني مرين بإعادته إلى بلاده ، وقد قامت بذلك دولة بني مرين على أكمل وجه فحينما قام المغاربة باسترقاق نحو عشرين رجلاً من التجار الأراجونيين في البحر، قامت حكومة دولة بني مرين باستخلاصهم من رجال البحر المغاربة وحفظت لهم حقوقهم(4)، وتلى ذلك معاهدات أخرى سياسية وتجارية ما بين أراجون ودولة بني مرين ،

---

(1) وهذا نص المعاهدة [00 من عبد الله أمير المسلمين (أبو الحسن المريني) 00 الي أبي الحجاج (سلطان غرناطة) 00 فقد وصل كتابكم وعلمنا ما أوضح خطابكم 0 بما كان قد إنبرم بينكم وبين الجنويين والقطلانيين من الصلح وما رأيتموه في شمول ذلكم جهتنا وجهتكم للمسلمين من النجح وصرفتم إلينا نسختي تلكم المعاقدة لنقف علي ماتضمنتاه ، فنعلم ذلك علم المشاهدة وأردتم صدور الإذن من جهتنا فيما نمضيه من تلكم العقدة ونلتزم الوفاء به من شروط تلك العهدة وتعلمونا أنا أمضينا الصلح المنعقد مع القشتالي علي ما فيه من الشروط وأن الجنويين والقطلانيين شملتهم تلكم الربوط 00 كتب في التاسع لشهر جمادي الآخرة عام خمسة وأربعين وسبع مائة 00] انظر Los Documentos Arabes :,Op. Cit. p.187 – 188.

(2) Los Documentos Arabes: Op. Cit., p. 208.

(3) ونص المعاهدة [00 وقد أمضينا هذا الصلح المذكور 00 وكتبنا الي سائر بلادنا المحروسة وأشعينا خبره في نواحيها ليأمن بذلك من يتردد من هنالكم من النصاري في كل أحوالهم ويترددون علي حكم الأمن والأمان ان شاء الله تعالي من غير أن يتوصل اليهم أحد بوجه ولا حال 00] انظر Los Documentos Arabes :Op. cit., p. 212 – 213.

(4) نص المعاهدة [00 فإننا ورد علينا كتابكم 00 وحضر لدينا رسولكم 00 وألقي ما أشرتم من حسم مواد الإعراض ويسر مسالك الإعتراض لتجار النصاري ، وقد تقدم كتبنا لكم وأوفينا الأن بالإحالة وما ذكرتم عن المأخوذين ، فقد حضر لدينا عشرين رجلاً وها هم يصلون لبابكم 00 فلتأمروا من ببلادكم ونواحيكم من التجار النصاري أن يصلوا الي بلادنا لتجارتهم وعلي عوايدهم من البر والإكرام 00] انظر Los Documentos Arabes :Op. Cit., p. 201 – 202. .

ففي 22شعبان 758هـ/10 أغسطس 1357م عقدت معاهدة صلح وتحالف دفاعي ما بين بيير الرابع الأراجوني وأبو عنان المريني ، تناولت فيها الدولتين الشئون السياسية والتجارية وتوفير الأمن للتجار المغاربة في سائر الموانئ والجزر الأراجونية، وإنقاذ التجار المغاربة الذين يتعرضون لخطر العواصف البحرية والغرق وحفظ ممتلكاتهم من أموال وسلع وسفن(1)0

----

(1) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 145 0

[ب] البرتغال ودولة بني مرين :

أرادت البرتغال أن تدخل السباق التجاري بغرب البحر المتوسط لاسيما في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م لكي تنتزع الوساطة التجارية الخاصة بتجارة العبيد والذهب من بلاد المغرب مما حدا بالبرتغال إلى قيامها بأعمال عسكرية عديدة تجاه دولة بني مرين ، وكانت البداية احتلال مدينة سبتة عام 818هـ/1415م ، فقد أرادت البرتغال أن تظفر بالأسلاب والغنائم والذهب لاسيما ذهب السودان الغربي عن طريق سبتة ، وفضلاً عن ذلك الاستيلاء على ثروات المغرب المريني ، وتعزيز تجارة البرتغال في منطقة البحر المتوسط حيث كانت التجارة وقفاً على تجار المدن الإيطالية وحكراً لهم (1) ، لذا ألحت البرتغال على سبتة بالحصار طويلاً بأسطول مكون من 120 قطعة بحرية وحاصرت المدينة من الجهات الثلاث البحرية ودخلوها في جمادي الثانية 818هـ/14أغسطس 1415م في الوقت الذي تدهورت فيه حالة المغرب المريني وإنتابه الضعف والتدهور والانحلال وكثرة المحن الداخلية والفوضى علي عهد السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن أبي العباس بن أبي سالم المريني (801 – 831هـ/1398 – 1427م](2) الذي لم يكترث ويهتم باستعادة سبتة من البرتغال وتركها تسقط في يدهم تخاذلاً منه (3) رغم توسلات أهالي سبتة لنجدتهم ، فقد بعثوا برسالة إليه هذا نصها [00 الحمد لله ، هذه رسالة أهل رباط سبتة 0

لما دخل الصبانيون (البرتغال) رباط سبتة سنة حيظ (شهر الحمل 818هـ/1415م) لبس سكانها مسوح العهن والوبر 00](4) 0 وبدايةً لجأت البرتغال إلى الحيلة والدهاء فقد دخلت السفن البرتغالية محملة بصناديق كبيرة تحوي الفرسان البرتغاليين وأفهموا المغاربة أنها

---

(1) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج7 ص 152 / أحمد بو شرب : مكانة آسفي داخل الإمبراطورية التجارية البرتغالية خلال العقود الأولي من القرن 16م [مقالة من كتاب آسفي دراسات تاريخية وحضارية – أعمال الملتقي الفكري الأول لمدينةآسفي] الرباط 1988 ص 95 - 96 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 271 0

(2) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج7 ص 151 – 152 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السلبق ، ص 319 / السلاوي : المرجع السابق ، ج4 ص 92 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 319 / عبد الهادي التازي : المرجع السابق ج7 ص159 0

(4) بقية نص الرسالة [00 يا ملكاً قد صان بيضه مغرب *** بضوارم وصوارم وجنود

هتك النصاري علينا حرمة سبتة *** عذراً بنقض مواثق وعهود

غدرنا فجر عروبة بصنادق *** حطت صناديق صرعة كقرود (=)

صناديق للتجارة ، وخرجوا ليلاً واحتلوا المدينة وسيطروا على أهم منافذها ، ولما علم السلطان المريني بذلك تخاذل عن إنقاذ سبتة من يد البرتغاليين كما كان الشاعر أبو عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي يقول من قبل في الخلفاء الموحدين الضعفاء عام 620 – 624هـ :

وصاحب القصر أمسي *** فيه كمثل الوديعة (1)0

ونتج عن سقوط سبتة أن مخازن المدينة وفنادقها ومتاجرها قد نهبت وسرقت والبقية الباقية صارت طعماً للنيران ، فذهبت محتويات المتاجر والمخازن والتوابل والثياب الرفيعة والسجاجيد الشرقية وغيرها(2) ، وقتل كثير من سكان المدينة إلى جانب قيام البرتغاليين بنهب مرافق المدينة وآثارها الحضارية والعلمية ، فقد نقلوا إلى بلادهم الكتب العلمية الفائقة والرخام والأنوال والألات والأمتعة وغيرها إلى بلادهم وتركوها خراباً تحت أيديهم(3) 0 وتلي سقوط سبتة آصيلا وتحولت طرق التجارة نحو الموانئ الأخرى المغربية على ساحل الأطلسي ومنها موانئ دكالة(4) وسلا وتم نقل جمرك سلا إلى فاس الجديدة لمزيد من الأمن خوفاً من الاحتلال البرتغالي(5) وكذلك جمرك آسفي ، فصارت موانئ دكالة مركزاً لجذب التجار الأوروبيين

(=) ألفان في ألفين من أبطالهم *** عظماء أجسام طوال قدود

فقصدنا بابك ضارعين لبؤسنا *** أخمارٍ من شعر ونعل سود

فأجاب السلطان المريني : فلقد عجزت عن الدفاع كمن مضي *** من غر آبآء وأسمي جدود

هل صيت صولة من تأخر في المدي *** كالسابق السامي لأنهي جدود

لكنكم لا تخلعوا حال الأسي *** واستمطروا غيثاً من أغني رعود 000] انظر عبد الهادي التازي : المرجع السابق ج7 ص 165 – 166 ويذكر عبد الهادي التازي انه قد عثر علي مجموع خطي يتعلق بإحتلال البرتغال لمدينة سبتة عام 818هـ محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 4485 تتضمن تلك الرسالة التي كتبها السبتيون الي السلطان المريني لإنقاذهم من الإحتلال البرتغالي 0والرسالة منشورة بالكامل في كتاب إختصار الأخبار للأنصاري السبتي ، ص 76 – 80 ، وقد نشرها عبد الوهاب بن منصورمحقق الكتاب 0

(1) ابن سعيد المغربي : إختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي ، تحقيق ابراهيم الإبياري ، دار المعارف ، القاهرة 1945 ص 199 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ص 67 0

(2) أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ج2 ص 283 0

(3) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج7 ص 151 – 152 0

(4) أحمد بوشرب : دكالة والإستعمار البرتغالي 00، ص 113 / Dufourcq :Op. Cit., p. 150.

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 150 0

حيث تجارة التبر والنيلة والجلود والشمع ، وتقلص عدد التجار الإيطاليين والقطلان وذلك في القرن 15م واحتدم الصراع بين الإسبان والبرتغاليين حول الموانئ المغربية الأطلسية(1) 0 ونتج عن دخول البرتغال حلبة التنافس التجاري ببلاد المغرب المرينية واحتلالها سبتة عام 818هـ أن احتلت مدن القصر الصغير عام 862هـ/1258م وآصيلا وطنجة عام 875هـ/1471م وأنفا(2) في عام 869هـ/1465م وارتبطت البرتغال بميناء آسفي(3) المريني منذ عام 852هـ/1446م(4) ، كذلك سيطرت البرتغال على الوساطة التجارية من بلاد المغرب ، فقد تحولت معظم التجارة ببلاد المغرب المرينية التي كانت تمر بسبتة والمدن الساحلية المرينية إلى قبضة البرتغال(5) ، أما دولة بني مرين فقد خسرت تجارتها الخارجية عبر البحر المتوسط حيث تحولت التجارة الخارجية إلى مدن الساحل الأطلسي ، وحُرمت المغرب الأقصى من الموارد المالية الناتجة عن التجارة الداخلية ، كذلك حُرمت من الإتصال الخارجي بالمدن الإيطالية وغيرها ، بينما كانت البرتغال تزداد قوة وثراءً على حساب دولة بني مرين ، ولم تقف البرتغال عند هذا الحد بل توغلت إلى منابع تجارة الذهب والعبيد بالسودان الغربي وبلاد شنقيط ووجهت ضربة ساحقة للتجارة المرينية باحتلالها لبعض المراكز التجارية على سواحل الأطلسي مثل أغادير دوم (جزيرة أرغيد) عام 842هـ/1448م وآطار، و وادان عام 893هـ/1488م(6) 0

---

(1) أحمد بوشرب : المرجع السابق ص 113 / Dufourcq : Op. Cit.p. 150.

(2) قام ولي العهد البرتغالي دون فيرناندو علي رأس 50 سفينة حربية عليها 10 آلآف من الجند الي مدينة أنفا فدكها دكاً وتركها خراباً وأزالها من الوجود في عام 869هـ/1465م انظر عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص161 0

(3) إستولت البرتغال علي آسفي عام 908هـ/1503م ثم عادت الي الدولة السعدية عام 948هـ/1541م انظر محمد بن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، مطبعة الحلبي 1341هـ ص 123 0

(4) أحمد بوشرب : المرجع السابق ص 95 – 99 0

(5) أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ص 137 0

(6) الخليل النحوي : بلاد سنقيط المنارة والرباط ، تونس 1987 ، ص 96 0

وأرى أن طموح البرتغال كان أكبر من ذلك فلم تكن دولة بني مرين هي الوحيدة التي تضررت من جراء ما قامت به البرتغال حيال المدن المرينية وكذلك التجارة المرينية والخسائر الفادحة التي منيت بها دولة بني مرين وذلك في نهاية دولة بني مرين وعهد بني وطاس (818 – 920هـ/1415 – 1515م) (1) ، فقد امتدت أيدي البرتغال بعد ذلك في القرن 16م إلى دولة المماليك بمصر والشام ، وقامت بإعاقة شريان التجارة الهندية عن مصر والشام أيضاً لتقتطع من العالم الإسلامي بعض المكاسب التجارية الضخمة التي كانت تمول الجيوش وتنمي البلاد الإسلامية وتقوي بنيانها لصد الزحف الصليبي والمغولي علي الممالك الإسلامية سواء في بلاد المشرق أو المغرب الإسلامي ، ورغم أن المماليك قاوموهم وواصل العثمانيون دورهم من بعدهم ، إلا أن الدولة المرينية كانت عاجزة عن صد الزحف البرتغالي على المدن الساحلية المغربية 0 أضف إلى ذلك حرمان المدن الإيطالية من بعض الموارد المالية الضخمة من قيامها بالوساطة التجارية بين بلاد المغرب المرينية ودولة المماليك من جهة وبين العالم الأوروبي من جهة أخرى فكانت الخسائر كبيرة على المدن الإيطالية لتحول مراكز التجارة الهندية والسودان الغربي وبلاد المغرب إلى قبضة البرتغال وذلك في الفترة من القرن 9 - 10هـ/15- 16م 0

---

(1) السلاوي : المرجع السابق ، ج4 ص 110 0

[ج] أثر الصراع السياسي والتجاري بين المدن الإيطالية (البندقية ، جنوة ، بيزا) على التجارة المرينية 0

وضعت البندقية في البحر المتوسط وبحر الادرياتيك نحو 300سفينة حربية لحماية امتيازاتها وخطوط مواصلاتها وللمحافظة على مستعمراتها وذلك منذ عام 490هـ/1096م(1) ، ونظراً لتقلص النفوذ الإسلامي من صقلية ومالطة وسقوطها في يد النورمان حصل البنادقة والجنوية على امتيازات تجارية فائقة منذ عام 484هـ/1090م(2) ، وتدفقت الأرباح الطائلة والأموال على الإيطاليين ، الأمر الذي أدى إلى التنافس والصراع التجاري بين المدن الإيطالية لاسيما بين البندقية وجنوة وبيزا ، فمنذ القرن 6هـ/12م ظهرت المنافسة بين جنوة وبيزا ضد البندقية ، مما دفع البندقية إلى إعلان الحرب على بيزا وهزيمتها بحرياً عام 494هـ / 1100م، فبينما كانت جنوة تهاجم السفن التجارية للبندقية وتستولي عليها كانت بيزا في صراع ضد البندقية، فقد أثارت الدسائس ضد البندقية في بحرالأدرياتيك مما دفع البنادقة الى إعلان الحرب على بيزا لبسط نفوذها في الخليج الأدرياتيكي عام 591هـ/1195م، لكن البيازنة لم يستسلموا لذلك وحاولوا سد منافذ الأدرياتيكي في وجه سفن البندقية(3) 0

أما الصراع الجنوي البندقي فقد كان من أجل الانفراد بالتجارة، وحاول كل منهما تدمير الدعائم التجارية للطرف الآخر ، مما دفع البنادقة الى إعلان الحرب على جنوة ، واستمرت نحو 14 عاماً متواصلة انهزمت فيها جنوة غير أن الجنوية طاردوا السفن البندقية في كل مكان وهاجموا مراكزهم التجارية مما أدى الى نشوب الحرب من جديد عام 693-697هـ/ 1294-1298م وانتصرت جنوة ، وتلى ذلك نشوب الحرب بينهما عام 728هـ/1328م وعام 750هـ/1350م، وعام 753هـ/1353م وانتصرت فيهم البندقية ،

---

(1)جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، الطبعة الخامسة، الإسكندرية 1987 ، ص 87 – 90 / فايد حماد عاشور : المرجع السابق ، ص 98 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 19 – 20

(2) أرشيبالد 0ر0لويس : المرجع السابق ، ص 375 – 376 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 37 0

(3) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 37 – 40 0

غير أن جنوة هزمت البندقية مرة ثانية عام 754هـ/1354م ثم عقدت الهدنة بين الطرفين ، لكن التنافس التجاري بينهما سرعان ما يشعل الحرب من جديد بينهما وعقد صلح تورينوعام 783هـ/1381م(1) ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت قوة جنوة في التنازل بسبب الحروب التي مزقت أسطولها وبعثرت قوتها ، الأمر الذي جعلها تدخل تحت سيادة فرنسا عام 799هـ/1396م(2)، ثم تحت سيادة دوق ميلانو عاصمة لومبارديا عام 823هـ/1423م ، وتمتعت بقليل من الإستقلال ، الذي من خلاله عادت الى الحياة التجارية بغرب البحر المتوسط ، فاصطدمت مع البندقية من جديد عام 831هـ/1431م واستولت جنوة على سفينة بندقية كانت راسية بميناء تونس(3) 0 وفي عام 834هـ/1434م استولت جنوة على فاماجوستا عاصمة قبرص مما دفع البنادقة المقيمين بها الى مغادرتها(4) ، وبدأت جنوة في النهوض فتخلصت من سيطرة دوق ميلانو(5) ، و نشبت الحرب مرة ثانية عام 839هـ/1439م أمام سواحل تونس بين المدن الإيطالية فكانت معارك بحرية طاحنة(6) 0

أما الصراع الجنوي البيزي فكان أيضاً للتنافس التجاري بينهما ، لاسيما بعد تضخم أسطول جنوة البحري الحربي والتجاري في بداية أمرها ، فنشبت المعارك بين جنوة وبيزا عام 639هـ/1241م وقيام كليهما بأعمال القرصنة ضد الآخر، ومن ذلك اختطاف بيزا لإحدى سفن جنوة التجارية الوافدة من إسبانيا الى تونس عام 643هـ/1245م ، وفي المقابل احتجزت جنوة سفينة بيزية محملة بالبضائع ، وأُحرقت المراكب البيزية الأخرى المحملة بالبضائع والسلع ، وامتدت المناوشات بين الرعايا الجنوية والبيازنة في شمال أفريقيا مما أدى الى

----

(1) المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج2 ق 3 ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، القاهرة 1971 ص862 ، ويذكر المقريزي أن [00 البنادقة إنتصرت علي الجنوية وأخذت لهم 31غراباً بعد قتل من بها 00] وذلك عام 753هـ/1353م / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 37 – 56 / ول ديورانت : المرجع السابق ، ج2 مجلد 5 ، ص198 0

(2) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 56 – 57 0

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 265 – 266 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 56 – 57 0

(4) آ0آشتور : التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطي ، ت0 عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ص 418 0

(5) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 283 0

(6) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج8 ص 385 0

تدهور التجارة بغرب البحر المتوسط(1) 0 وتوالت الحروب بينهما أيضاً حول حق استغلال جزيرتي كورسيكا وسردينيا(2) ، وفي عام 681هـ/1282م احتجزت بيزا سفينة جنوية بتونس وأسرت سفينة جنوية أخرى بتونس وقامت بأعمال القرصنة ضد سفن جنوة التجارية مما دفع جنوة إلى قيامها بالاستيلاء على سفينة شراعية بيزية ، وحاصرت جنوة جمهورية بيزا ودمرت الأسطول البيزي عام 683هـ/1284م ، واستولت جنوة على سفينة أراجونية كانت محملة بالقمح إلى بيزا ، بالإضافة إلى ثلاث سفن بيزية، وإحراق السفينة الرابعة ، وطاردت جنوة القراصنة البيازنة في غرب البحر المتوسط عام 685هـ/1286م فاستولت على سفينة حربية بيزية(3) ، وتلى ذلك نشوب الحرب بينهما عام 690هـ/1291م واستولت جنوة على سفينة بندقية كانت تقل تاجراً بيزياً يحمل شحنة من الشمع والصوف المغربي ، فاستولت عليها جنوة نكاية في التاجر البيزي الذي استأجرها لنقل شحنته من بلاد المغرب الى بيزا(4) 0

ومن جراء تلك الحروب الجنوية البيزية ، تمزق أسطول بيزا مراراً، ورغم أن بيزا كونت لنفسها أسطولاً ضخماً في المنطقة الواقعة بينها وبين جزيرة سردينيا ، فإن الحروب القاسية المدمرة في القرن 14م قد أدت إلى تداعيات خطيرة وشاملة ، وتدهورت التجارة والصناعات المحلية داخل بيزا ونتج عن ذلك تأثير بالغ في البورجوازية المهيمنة ، ووصلت الديون الخارجية على بيزا عام 1325م نحو 140 ألف ليرة ، ووصلت الحالة في عام 1329م إلى توقف الليرة البيزية عن التداول وانعكس ذلك الحال على المواطنين ومدينة بيزا(5)، وانهزمت بيزا مراراً في العديد من المعارك أمام جنوة لاسيما بعد تكتل كيلف الطوكسان [Guelfes]،

----

(1) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 64 – 65 0

(2) هـ 0أ0ل0فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ، ت0 محمد مصطفي زيادة – السيد الباز العريني ،دار المعارف ، الطبعة السادسة 1976، ص 224 0

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 122 – 123 0

(4) برنشفيك : المرجع السابق ج1 ص 137 0

(5) Giuseffe Rossi-Sabatini : Pisa Al Tempo Dei Donoratico 1316 – 1347. Firenze 1938 . p. 45 – 47 .

ثم تمزقت بيزا بسبب الصراعات الداخلية فآل أمرها الى أمراء ميلان الذين باعوها في عام 802هـ/1339م الى فلورنسا وعاشت تحت الوصاية الفلورانسية في عام 809هـ/1406م(1)0

[د] أثر التنافس السياسي والتجاري بين جنوة وممالك إسبانيا النصرانية على المغرب المريني 0

اتحدت مجموعة مميزات هامة لتجعل منطقة غرب البحر المتوسط شريكاً استراتيجياً في تجارة البحر المتوسط خلال العصور الوسطي ، وهذه المميزات هي دورها كجبهة تجارية ومنطقة عبور بين المجالين التجاريين الإسلامي والمسيحي ، وموقعها الجغرافي الكامن وراء السيطرة على هذه التجارة ، واستهلاكها الاقتصادي الخاص وإنتاجها(2) ، لذا حاولت قطالونيا وأراجون جاهدة أن تستأثر بنفوذها السياسي في بلاد المغرب لكي تستحوذ على أكبر قدر من المكاسب التجارية على حساب التجار الإيطاليين ، وتقليص نفوذ التجار الإيطاليين ببلاد المغرب لاسيما في القرن 14م ، كذلك مد النفوذ القطلاني التجاري ببلاد المغرب ، وكان سلاطين بني مرين في الظروف الجيدة والعلاقات السياسية العادية مع مملكة أراجون وصقلية يتعاملون مع التجار القطلان بصورة مكثفة فكان وجود التجار الإيطاليين ببلاد المغرب يقل تدريجياً بزيادة النفوذ التجاري القطلاني ، وعندما تسوء العلاقات السياسية بين مملكة أراجون وقطالونيا مع دولة بني مرين ، كان سلاطين بني مرين يفتحون الباب على مصراعيه للتجارالإيطاليين ، ومد نفوذهم التجاري ببلاد المغرب على حساب النفوذ القطلاني ، وبالتالي كانت مملكة أراجون وقطالونيا تخسر الكثير من تجارتها ببلاد المغرب بينما يزداد النفوذ التجاري الإيطالي ببلاد المغرب على حساب النفوذ

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 13 / عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 179 0

(2) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 53 0

القطلاني الأراجوني ، وأيضاً لم تتأثر بلاد المغرب المرينية بأي شيء من ذلك التغيير في الميزان التجاري ولم تخسر شيئاً (1) ، فكانت تلك النقطة يعتمد عليها بنو مرين في الضغط على مملكة أراجون وقطالونيا والمدن الإيطالية0

وفي المقابل كانت الصفة الدائمة للسياسة الجنوية هي منافسة القطلان في الاستحواذ على الامتيازات الواسعة التجارية ببلاد المغرب المرينية ، فقد كان الجنوية ضد أية محاولات أراجونية- قطالونية أو برتغالية في احتلال أية من المدن المغربية لاسيما سبتة(2) 0

فقد قامت أراجون بغزو أيبيزا ، وفورمنتيرا في عام 632هـ/1234م {Ibiza – Formentera } ، وفي نفس الوقت كانت أراجون تغزو بلنسية الإسلامية وأرادت قطالونيا وأراجون منع المغاربة من مساعدة أيبيزا وفورمنتيرا ، فأرسلت حملة بحرية الى سبتة أطلق عليها Les Calcurini نزلت برأس تطوان ، ولم تكتف بذلك بل عملت على منع التواجد الجنوي بسبتة فقام الأسطول القطالوني – الأراجوني بحرق السفن الجنوية لإبعاد النفوذ الجنوي التجاري من سبتة لتصبح سبتة خالصةً لقطالونيا وأراجون ، وهذا يدل على العداء الواضح للجنوية (3) 0

وفي عهد السلطان يوسف بن عبد الحق المريني الذي أراد أن يغزو مدينة شريش بالأندلس عام 690هـ/1291م بأسطول بحري كان مرابطاً بطنجة ، وقبل الهجوم قامت جنوة بأسر 13 مركباً مرينياً بإيعاز من قشتالة وكان عدد القطع البحرية الجنوية 12 مركباً (4) 0

وفي نفس العام كانت قشتالة وأراجون قد اتفقتا على تقسيم مناطق النفوذ في بلاد المغرب لصالحهما على حساب المدن الإيطالية ، فكانت بلاد إفريقية والمغرب الأوسط خاضعة لنفوذ أراجون وقطالونيا ، بينما بلاد المغرب الأقصى المرينية كانت خاضعة لنفوذ

----

(1) Dufourcq: Op. Cit., p. 450 – 451. / ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي ، ص 172 / أوليفيا : المرجع السابق ص 355

(2) Dufourcq: Op. Cit., p. 451.

(3) Dufourcq: Op. Cit., p. 161 – 162.

(4) Terrasse: Op. Cit., II, p. 42 / عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام 000 ج2 ص 177 0

قشتالة(1) ، وفي المقابل كان التجار الإيطاليون لاسيما الجنوية يدافعون عن تجارتهم في سبتة وسائر الموانئ المغربية على المحيط الأطلسي مثل سلا وغيرها(2) ، بينما كانت جزيرتا صقلية وميورقة خاضعة لأراجون ، أما كورسيكا وسردينيا فكانتا تحت نفوذ بيزا ونافستها جنوة في الاستيلاء عليها ، غير أن أراجون تطلعت نحو جزيرة سردينيا قبل عام 1295م ، ولم تنته مشكلة سردينيا إلا بمعاهدة أناجني (3) في 20 يونيو 694/1295هـ بين البابوية وأراجون التي نصت على تنازل أراجون عن صقلية وميورقة للبابوية ، وحصول أراجون على جزيرتي سردينيا وكورسيكا كهبة من البابوية(4) ، الأمر الذي أشعل نار الصراع السياسي والتجاري فيما بين جنوة وبيزا ضد أراجون ، وقد كسبت أراجون التحكم في منطقة غرب البحر المتوسط و طرق التجارة بها ، بينما خسرت بيزا وجنوة نفوذهما التجاري بغرب البحر المتوسط فكانت الحرب بينهم 0

ورغم أن البابوية أمرت كلاً من جنوة وبيزا بعدم التدخل في جزيرتي سردينيا وكورسيكا(5)0 فإن أراجون قد هاجمت بيزا، وكانت جنوة تساعد أراجون في ذلك ، ولم تلبث جنوة أن أدركت تضخم حجم أراجون السياسي والحربي والتجاري بغرب البحر المتوسط إزاء محاربتها لبيزا، فقامت جنوة بالانضمام الى بيزا ضد أراجون ، وأعلنت الحرب ضد أراجون ، وهاجمت جنوة سفن أراجون في البحر المتوسط ، غير أن صلح عام 722هـ/1322م بين أراجون وبيزا قد أنهى المواجهة الحربية بتنازل بيزا عن سردينيا وكورسيكا الى أراجون(6)، لذا كانت الفترة ما بين عامي618- 694هـ/ 1282- 1295م فترة مضطربة بغرب البحر المتوسط ، شهدت حروباً عديدة أقلقت الحركة التجارية بها ،

----

(1) محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 53 0

(2) Roland Oliver: Op. Cit., V. 3 p. 366, 368.

(3) Giuseffe: Op. Cit., pp. 31 – 42 / محمد محمود النشار: المرجع السابق ، ص 54 0

(4) عن معاهدة أناجني وجزيرة سردينيا وموقف بيزا وأراجون وأهمية سردينيا وكورسيكا التجارية بغرب البحر المتوسط ، انظر :

Gino Benvenuti : Storia Della Repubblica Di Pisa , Pisa , 1962, v. II , p. 139 . / Giuseffe :Op. Cit., p. 31- -42 .

(5) محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 54 0

(6) Abadia (J. L): La Corona de Aragón en el Mediterráneo Medieval, Zaragoza, 1979, p 169. نقلاً عن محمد محمود النشار : المرجع السابق ص 54 – 55 0

فإنعدم الأمن وشاعت أعمال القرصنة من الدول النصرانية المختلفة ضد بعضها طمعاً في الاستئثار بالنفوذ التجاري لنفسها ببلاد المغرب المرينية 0

ونتج عن سقوط سردينيا في يد أراجون عام 723هـ/1323م، أن قامت ثورات الجنوية المقيمين بسردينيا ضد القطلان ، فلم يقبل الجنوية فكرة انضمامهم الى برشلونة، فعاد الصراع القديم بين جنوة وقطالونيا عام 730هـ/1330م ، وظهر ذلك الصراع في المنافسة بين الطرفين على الأسواق المغربية ، وتم طرد التجار الإيطاليين من ميورقة (كانت ميورقة خاضعة وقتئذ لأراجون)، واشتدت العداوة بين جنوة وقطالونيا ونشبت بينهما الحروب 0 فاستغلت جنوة فرصة ذهبية ببلاد المغرب المرينية وهي حاجة السلطان أبو الحسن المريني الى تشييد أسطوله البحري على أحدث طراز لمحاربة قشتا لة وقطالونيا وأراجون ، فقامت جنوة بتزويده بالخبرة الجنوية في ذلك المجال بل وبتزويده بسفن حربية جنوية أخرى ، فكان ذلك على حساب برشلونة(1) ، ونتج عن ذلك انتصار دولة بني مرين على الممالك النصرانية الإسبانية في بداية الأمر بفضل مساعدة جنوة 0

غير أن قشتالة قامت باستمالة جنوة الى صفها بأن استاجرت منها 15 سفينة حربية لمحاربة دولة بني مرين ، وكان قائد الأسطول الجنوي أخيديول (Don Egediol) وشقيق دوق جنوة، وبلغت قيمة استئجار السفينة الواحدة شهرياً 800 قطعة ذهبية(2) ، فانتصرت قشتالة وأراجون على دولة بني مرين بفضل مساعدة جنوة(ومن المشهور عند المدن الإيطالية تفضيل النواحي المالية على جميع المبادئ والاتفاقيات، فقد خان الجنوية الاتفاق الذي عُقد بينهم وبين الدولة المرينية في الوقوف بجانب السلطان أبو الحسن المريني في الحرب ضد الممالك النصرانية الإسبانية فنسي الجنوية العداء بينهم وبين أراجون ولهثوا وراء الأموال القشتالية فانضموا للفريق النصراني الإسباني ضد دولة بني مرين) ،

---

(1) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 147 / Dufourcq :Op.Cit., p. 585.

(2) López du Ayala (pedro): Crónica de Los Reyos es de Castilla Ed Cayetano Rosell. Tomes II, Madrid, 1953, p.305. / مسعد محمد عبد الله: المرجع السابق ص 163 0

ورغم تلك المساعدة فإن ذكرى مساعدة جنوة لسبتة عام 632هـ/1234م كانت عالقة بذهن ملك قشتالة الذي كان لايثق في الأسطول الجنوي (1) 0

وقد كانت جنوة تضع نصب عينيها تحركات البرتغال وإسبانيا النصرانية في بلاد المغرب المرينية ، لذلك عندما أحست جنوة بخطر قشتالة قامت باستقدام رعاياها المتواجدين بأشبيلية فقامت بإرسال أحد قوادها ويدعي خيرونيمو دي فولتاخو الذي قدم من جنوة علي ظهر مركب كبير يملكه ومعه سفينتين تابعتين لإستبان دوريا ، وخيرونيمو دوريا ، وعليهم جنود جنوية لحماية الرعايا والتجار الجنوية من القطلان ، وكان الجنوية التجار يغادرون أشبيلية ومعهم أموالهم الضخمة (2)، أضف إلى ذلك قيام جنوة منذ عام 730هـ/1330م بمحاولة اكتشاف جزر كناريا وتم بالفعل اكتشافها على يد الجنوي (Lanzaretto Malocello) ، وذلك لاستبدال طريق الذهب المطل على البحر المتوسط بطريق آخر على سواحل المحيط الأطلسي(3) ومن أجل ذلك تصدت جنوة لأطماع البرتغال في المدن المغربية وحاولت صد أطماع البرتغال للحيلولة دون امتداد نفوذها في المغرب الأقصى ، وتجلى ذلك في اشتراك جنوة مع المغرب الأقصى في صد الغزو البرتغالي لميناء ومدينة آصيلا المغربي على ساحل المحيط الأطلسي عام 875هـ/1470م(4)، ورغم أن التجار الإيطاليين قد سيطروا على الذهب الأفريقي في القرن 13 – 14م، نجد أن القطلان في النصف الثاني من القرن 14م كانوا يحصلون على الذهب الأفريقي ثم يصدرونه الى جنوة كما تدل سجلات عام 1360م أن سفن الشحن للذهب كانت تصل من إسبانيا الى جنوة، غير أنه بعد سقوط سبتة في يد البرتغال أصبح من الصعب استمرار تدفق الذهب الى إيطاليا(5) ، كذلك قامت جنوة بصد الزحف الأراجوني نحو مملكة نابلي ، فقامت معركة بحرية أمام بونزا Ponza في أغسطس 1435م

----

(1) Dufourcq: Op. Cit., p.162.

(2) طافور : المصدر السابق ، ص 4 – 5 0

(3) Dufourcq: Op. Cit., p.453.

(4) فرناند برودل : من ذهب السودان إلي فضة أمريكا (مقال من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي) ت0 توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، 1961، ص 870 0

(5) Roland Oliver: Op. Cit. v. 3, p. 369.

انتصرت فيها جنوة ووقع الملك الأراجوني ألفونسو في الأسر مع قادة جنده (1) مما يؤكد حدة الصراع بين المدن الإيطالية والممالك الإسبانية النصرانية للفوز بمناطق النفوذ التجاري0

وأرى أن الصراع السياسي والتجاري بين المدن الإيطالية لاسيما جنوة ضد الممالك الإسبانية النصرانية كان يهدف إلى رغبة أحد الطرفين في تحقيق مصالحه التجارية والحصول على المكاسب المالية الضخمة على حساب الآخر ، فبينما رغبت جنوة في توطيد مكانتها في بلاد المغرب لأسباب عديدة منها أن بلاد المغرب كانت بالنسبة لها سوقاً لتصريف السلع التجارية التي جلبتها سفن جنوة من بلاد المشرق وأسواق أوروبا ، كذلك كانت بلاد المغرب منطقة جذب تجاري ومصدراً للسلع والمحاصيل والمواد الخام المتوافرة بكميات كبيرة وبأسعار زهيدة، إلى جانب توافر الذهب والرقيق المجلوبان من بلاد السودان الغربي 0 أما الممالك الإسبانية النصرانية فقد كانت لها أطماع استعمارية ببلاد المغرب إلى جانب محاولتها الإستئثار بالتجارة وخيرات بلاد المغرب لنفسها على حساب الإيطاليين ، فتدخلت الممالك الأسبانية النصرانية في شئون المغرب المريني لإضعافه وإبعاده عن مساندة مملكة غرناطة الإسلامية لكي تنفرد الممالك الأسبانية بالأمر في شبه جزيرة أسبانيا والبرتغال وتطرد البقية الباقية من المسلمين ، وتنفرد أيضا بدور الوسيط التجاري بين بلاد المغرب والسودان الغربي وبين أوروبا والمشرق وذلك على حساب المدن الإيطالية والمغرب المريني ، فقامت باحتلال المدن الساحلية المغربية في أواخر العصر المريني 0

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص11 ،((وقد دعاني القوم لرؤية السجن المخيف الذي كان يلقي فيه ملوك أرجونة ونفارة بمن يقع في أسرهم من الفرسان00)) 0

[4] أثر القرصنة على التجارة الإيطالية المرينية :

على الرغم من المعاهدات السلمية واتفاقيات التجارة والسفر من بلد الى آخر بين الأطراف الأوروبية والمسلمة فقد حدث نشاط متزايد في مجال النهب والقرصنة(*) من الجانبين ، إما في عرض البحر أو على المدن الساحلية والجزر(1) ، وقد نشطت حركة القرصنة المسيحية ضد المسلمين خلال القرن 7هـ/13م بشكل منتظم فكانت سفن القراصنة تنطلق من قبرص ومالطة وميورقة لمهاجمة السواحل الإسلامية ، وكانت معرفة الملاحين الأوروبيين بشئون البحر المتوسط منذ القرن 6هـ/12م أصبحت أدق من معرفة الملاحين المسلمين عن طريق الخرائط البحرية أو مايعرف بالبوصلة البحرية (Campas) التي كانت تساعد السفن المسيحية على اختيار الوقت الملائم للإبحار واختيار المسالك الوعرة وإتيان الطرف المسلم من مأمنه(2) ، لذا كانت القرصنة من أهم المشاكل والمعوقات في سبيل جريان شريان التجارة بغرب البحر المتوسط مابين دولة بني مرين والمدن الإيطالية ، ورغم المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت بين مختلف دول غرب البحر المتوسط للقضاء على القرصنة ، فإنها كانت تتزايد يوماً بعد يوم(3) ، وكانت تأخذ أشكالاً مختلفة تارةً بأمر الدولة وتارةً أخرى بأمر جماعات فردية خارجة عن نطاق الدولة ، الأمر

(*) القرصنة : تعرف في المصادر العربية أيضاً بالقرصلة ، وعرفت عند الباحثين الغربيين تحت إسمين ، أولاهما : Piraerie وهي تعني السطو المسلح علي السفن التجارية بالبحر وهو شكل من اللصوصية البحرية ، وثانيهما : Course وهي تعبر عن القرصنة الدولية أي ذات صبغة قانونية لصالح الدولة ، أما عند العرب فقد عرفت بإسم الجهاد البحري ، علي أن بداية القرصنة كانت علي يد أساطيل الفرنج والإيطاليين ، عندما تغلبوا علي الأساطيل الإسلامية وصار البحر المتوسط بحيرة مسيحية ، يقومون فيه بأعمال القرصنة وأسر المسلمين وسلبهم وبيعهم عبيداً بأوروبا ، مما دفع العرب ومسلمي الأندلس والمغرب الي رد الفعل بالجهاد البحري ضد القرصنة المسيحية ، أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ص 505 / محمد الشريف : نصوص جديدة ودراسات 00، ص 110 – 112

(1) ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي ، ص 170 /أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص274 – 275 / أرشيبالد0 ر0لويس : المرجع السابق ، ص 372 – 373/ هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، 393 0

(2) الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 302 / أبو عيسي المهدي الوزاني : النوازل الجديدة الكبري فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقري المسماة بالمعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب ، تحقيق عمر بن عباد ج8 ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1997 ص 21،20 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ص 308 0

(3) محمد الشريف : المرجع السابق ص 110 – 111 / أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ج2 ص 274 – 275/ نجاة الباشا : التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلي القرن الثامن الهجري ، منشورات الجامعة التونسية ، 1976 ص 70 / هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص 394 – 395 0

الذي أعاق حركة التجارة بدرجة كبيرة ، وأشعلت الحروب، ومهاجمة المدن الإيطالية للسواحل المغربية ، واحتلال المدن المغربية وتخريبها على يد الممالك الإسبانية النصرانية وكان رد فعل المغاربة تجاه القرصنة المسيحية سواء أكانت فردية أو جماعية هو القيام بالجهاد البحري (*)، وكانت دوافعه ترجع الى إنقلاب الموازين كلياً في القرن 6هـ/12م ، لأن التجار الإيطاليين والقطالونيين وتجار البروفانس هم الذين سيطروا على التجارة عبر البحر المتوسط وهم المستفيدون منها ، واستطاع هؤلاء إنشاء العديد من المراكز التجارية في العديد من المرافئ المغربية فكانت الهيمنة المسيحية على التجارة المغربية في عقر دارها قد قابلها العداء والمواجهة ، الى جانب الضرر الفادح بالتجارة المغربية وعجزه عن حماية تجارته كذلك أعمال أسر المسلمين وبيعهم عبيداً في أسواق أوروبا ونهب المراكب التجارية المسلمة، كل ذلك ألجأ المغاربة الى الجهاد البحري(1)، ولم تقو حركة الجهاد البحري إلا في القرن

(*) الجهاد البحري : شهد غرب البحر المتوسط حركة الجهاد البحري الإسلامي منذ دخول المسلمين بلاد المغرب ، وكان يهدف إلي مواجهة رد الفعل المسيحي الذي يهدف إلي طرد المسلمين من بلاد المغرب والأندلس ، وإستطاع المسلمون خلال القرون الثلاثة الأولي للهجرة أن يسودوا بحوض البحر المتوسط ، غبر أن الأمور قد تبدلت في بلاد المغرب والأندلس بعد تفوق الجبهة النصرانية علي حساب الجبهة الإسلامية ، فقد تفككت الدولة الإسلامية بالمغرب والأندلس إلي دويلات ضعيفة متناحرة فيما بينها ، فتلاشت وحدة الدولة الإسلامية وإنهارت في حين كانت الجبهة النصرانية تشتد وتقوي علي حساب المسلمين ولم تلبث الدول الأسبانية النصرانية أن تسابقت إلي إستقطاع أملاك الدولة الإسلامية ، وطمحت في الرغبة في طرد المسلمين من بلاد الأندلس ، وكان ذلك من خلال قيامها ببناء الأساطيل البحرية القوية بمساعدة المدن الإيطالية لاسيما جنوة ، وأيضاً عملت الدول النصرانية الأسبانية علي تقوية إقتصادها من خلال الأساطيل التجارية ، ومن جراء ذلك فرضت نفسها وسيطرتها علي حوض البحر المتوسط الغربي وصاحب ذلك كله حركات القرصنة البحرية التي كانت تهدف إلي تخريب التجارة المغربية ونهبها بل وإحتلال دور الوسيط التجاري للتجارة العالمية بحوض البحر المتوسط الذي كان في يد بلاد المغرب وتمثل ذلك في إحتلال المدن المغربية الساحلية وإحتلال منابع التجارة ببلاد الصحراء هذا من جهة ، ومن جهة أخري كانت المدن الإيطالية تتنافس فيما بينها علي زعامة التجارة العالمية بحوض البحر المتوسط فنشبت الحروب الطاحنة فيما بينهم وهاجمت كل منها سفن الأخري الحربية والتجارية وسفن النقل والمسافرين دون تمييز وصاحب ذلك شيوع القرصنة بحوض البحر المتوسط الغربي فكانت سفن التجارة القليلة المغربية تتخطفها قراصنة المدن الإيطالية ، والممالك النصرانية الأسبانية ، أضف إلي ذلك قيام القراصنة بإختطاف المسلمين وبيعهم عبيداً في أسواق أوروبا أو طلب الفدية من أهلهم ، فكان رد الفعل عند ذلك الوقت هو الجهاد البحري الذي تمثل في مهاجمة السفن التجارية والسواحل النصرانية بهدف الدفاع عن مدنهم وتجارتهم وعن نفوسهم والقضاء علي القرصنة البحرية ، أنظر ابن خلدون : العبر ، ج6 ص 505 / سامية مصطفي مسعد : الجهاد الإسلامي في الأندلس ، ص11- 15 ، 19 ، 124 – 125 ، 148 – 149 / هشام أبو رميلة : المرجع السابق ، ص 0 397 – 396

(1) أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ، ص 101 / محمد الشريف : نصوص جديدة ودراسات ، ص 112 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص274 - 275 / ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي ، ص 0 175 / LaRoui (A) : The History of the Maghrib, 1966 princton, v.p. P.235.

8هـ/14م ، كما يذكر ابن خلدون (1) ، وكانت دوافع المغاربة اقتصادية والتي سبق أن أشرنا إليها الى جانب الدوافع الدينية ، والدفاع عن الممتلكات وتأديب القراصنة النصارى وحماية المدن الساحلية من أخطارهم 0

وتمثل الجهاد البحري المريني في مهاجمة سفن أراجون الراسية في الموانئ بالمغرب الأوسط وإفريقية وطرابلس الغرب(2) مما دفع السلطان الحفصي أبو زكريا بإرسال رسالة الى خايمي الثاني ملك أراجون يشكو له فساد السبتيين بالمراسي وأخذهم أجفان النصارى ، كما أرسل أيضاً الى السلطان المريني أن يمنع السبتيين من الاقتراب من بلاد إفريقية وطرابلس الغرب تحت أي سبب من الأسباب وذلك عام 716هـ/1316م (3) ، وقام السبتيون بمهاجمة السفن التجارية النصرانية الراسية بآصيلا عام 707هـ/1307م(4) ، وكان المغاربة يتجهزون بالمراكب والقطع البحرية ويغيرون على السفن النصرانية عبر البحر المتوسط ومضيق جبل طارق بعيداً عن تدخل المخزن المريني وذلك حتى وفاة السلطان أبو عنان المريني (5) ، وبعد عام 731هـ/1331م هاجمت سفن من سبتة سفناً قطلانية على مقربة من جزر البليار وسواحل أراجون (6) ، وفي عام 735هـ/1335م هاجم جفن سبتي جفناً بلنسياً كان متجهاً الى تنيس واستولى السبتيون على أهم السلع وأثمنها ثم أغرقوا الجفن بعد ذلك (7) وأشار بعض الكتاب البرتغاليين الى قيام سبتة بمهاجمة السفن التي تمر بمضيق

----

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ص 505 [[00 وإفترقت طوائف في أهل برشلونة وجنوة والبنادقة وغيرهم 00 فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل إفريقية لغزو بلادهم (النصاري) وشرع في ذلك أهل بجاية فيجمع النفراء والطائفة من غزاة البحر ويصنعون الأسطول ويتخيرون الأبطال الرجال ثم يركبونه الي سواحل الفرنجة 00]] 0

(2) Mas – Latre: Op. Cit. p. 299 – 300 / Dufourcq:Op. Cit., p.60 / محمد الشريف: المرجع السابق ص 112 / عبد الهادي التازي: المرجع السابق ، ج7 ص 129 – 130

(3) Ibid.

(4) خاف السبتيون من قيام نصاري أسبانيا بالهجوم علي مدينة آصيلا وإحتلالها فقاموا بتخريب المدينة وتدمير السفن النصرانية المتواجدة بها ، انظر: السلاوي : الإستقصا ، ج3 ص 24 – 25 / أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1968، ص 378 0

(5) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 222 0 / Terrasse :Op. Cit., II, p. 74. / Augustin & Bernard: Op. Cit.p.106.

(6) Dufourcq : Op. Cit., p.60.

(7) Dufourcq : Commerce du Maghreb Médiéval avec L'Europe et Marine Musulmane, Congre d'Histoire et de civilisation du Maghreb, Tunis, tome, I. 1979 pp. 190 – 198.

جبل طارق دون أن تحط قلاعها بسبتة ، فقد كان من المفروض على جميع السفن العابرة لمضيق جبل طارق أن ترسو في ميناء سبتة أولاً ، الأمر الذي دفع البرتغاليون الى احتلالها عام 818هـ/1415م(1) 0

وأرجح أن أعمال الجهاد البحري السبتية كانت للأسباب التي سبق الإشارة لها سواء أكانت إقتصادية أم سياسية ودينية ، فإن أطماع البرتغال في الثروات المغربية وتجارة الرقيق والذهب، ومد التغلغل البرتغالي على حساب التجار الإيطاليين ، وبناء المراكز البرتغالية على طول ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وحركة الكشوف الجغرافية فيما بعد كانت هي مقومات البرتغال لاحتلال سبتة ، وكانت أعمال الجهاد البحري السبتي ماهي إلا ذريعة تعلقت بها البرتغال لغزو سبتة واحتلالها 0

ولم يكتف المغاربة بمراكز الجهاد البحري المطلة على البحر المتوسط ، بل ظهر هناك أيضاً بالمدن الأطلسية الساحلية مثل أنفا حيث بها دار صناعة السفن يتجهز بها المغاربة لمهاجمة الشواطئ المسيحية وتخريبها(2) كذلك مدينة سلا كان بها دار صناعة للسفن يتجهز بها رجال البحر المغاربة للإغارة على الشواطئ المسيحية وتعود بالغنائم والأسلاب ، وتقضي فترة الشتاء دون عمليات أخرى نظراً لتقلبات المحيط الأطلسي في الشتاء حيث يحول الطقس دون عبور السفن به(3)، وشاهد طافورأثناء رحلته الشهيرة أمام مسينا قرب بالرمو غراباً إسلامياً ضخماً يتبعه غرابان أصغر منه خرجوا لأعمال الجهاد البحري(4) 0

ومن المشجع على حركة الجهاد البحري المريني ثراء المغرب في الأخشاب مثل غابات الريف والمعمورة التي كانت تغذي صناعة السفن ، وكانت أهم مراكز حركة الجهاد الإسلامي في المغرب مدينتي سلا وتطوان وسبتة(5) 0

---

(1) أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ج2 ص 274 0

(2) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 127 0

(3) نفسه ، ج2 ص 134 – 135 0

(4) طافور : المصدر السابق ، ص 253 0

(5) Dufourcq: L'Espagne Catalane …... p.158.

وإضافة إلى ما سبق عرضه من أسباب ودوافع الجهاد البحري الإسلامي ، هناك أيضاً تنافس كل من السفن الإيطالية والقطلانية على إحتكار الإقتصاد المريني لاسيما في مجال التسويق والتبادل وإلغاء دور الوساطة المرينية شيئاً فشيئاً(1) ، مما أوجد نوعاً من عدم الإستقرار الإقتصادي وتحول المغاربة من التجارة إلى الحرب ضد الطامعين، لذا كانت حركة الجهاد البحري توضح حالة عدم الإستقرار السياسي وتفتت السلطة المرينية ، وإصابة التجارة المرينية بالشلل ، غير أن حركة الجهاد البحري لم تمنع البحارة والتجار الإيطاليين من الذهاب إلى المغرب المريني لاسيما مدينة سبتة وسلا(2) 0

أما القرصنة الإيطالية ، فقد ظهرت في بداية الأمر في النصف الأول من القرن 5هـ/11م ، لاسيما بيزا وجنوة والبندقية للتخلص من المسلمين وسيطرتهم علي حوض البحر المتوسط والملاحة فيه ، فاحترف الإيطاليون القرصنة والمغامرة للحصول على المغانم ونهب التجارة الإسلامية ومدن المسلمين الساحلية ، ويذكر القلقشندي عن القرصان البندقي [[00 ومن هؤلاء البنادقة 00 لاتطاق ضراوة ضرهم ، ولاتطفأ شرارة شرهم ، وتارة يجهزون سفاراً يحتكمون على الإسلام في الأموال المجلوبة وتقصر عنهم يد الأحكام الموهوبة00]](3) ، ولم تفتر حماسة المدن الإيطالية (جنوة – بيزا – البندقية) لحظة واحدة ضد المسلمين ، فقد قام البيازنة بغزو ميورقة وأيبيزا بمساعدة القطلان بين عامي 1113 ، و1115م ، وقام الجنوية بتجريد حملات باهظة التكاليف ضد موانئ المسلمين ببلاد الأندلس (4) ، وكان القراصنة الإيطالية يبيعون المسلمين الأسرى رجالاً ونساءً في أسواق سردينيا (5) وأغار الجنوية على

----

(1) ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي ، ص 11 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p. 158.

(3) القلقشندي : المصدر السابق ، ج13 ص 81 – 90 ، وهناك نص آخر [[00 وكثيراً ما يكمن بين تلك الجزائر – جزر البندقية- شواني الحرامية 00]] أنظر القلقشندي : المصدر السابق ج5 ص 405 / جوزيف نسيم يوسف : دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ، ص 74 / أرشيبالد0ر0لويس : المرجع السابق ، ص 315 0

(4) داوود أبو العافية : دور التجارة في الإتصال الإسلامي المسيحي ، مقال من كتاب التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطي ، تحرير ديونيسيوس آجيوس & ريتشارد هيتشكوك ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولي 1999م دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ص 20 0

(5) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 9 [[00 وهبط واحد من المسلمين ممن يحفظ اللسان الرومي مع جملة من الروم الي أقرب المواضع المعمورة – جزيرة سردينيا التي كانت تابعة لبيزا وجنوة في عصر الموحدين وأول عهد المرينيين – منا فأعلمنا أنه رأي جملة من أسري المسلمين نحو 80 بين رجال ونساء يباعون في السوق وكان ذلك عند وصول العدو دمره الله بهم من سواحل البحر ببلاد المسلمين00]] 0

السواحل المغربية فيخطفون المسلمين ثم يعودون بهم الى بلادهم لطلب الفدية في مقابل إطلاق سراحهم (1) ، وفي عام 672هـ/1273م قامت جنوة بمهاجمة سفينة مسلمة بمياه ميورقة ودمروا السفينة وقتلوا التاجر المغربي الفاسي الذي كان على متن السفينة ، وقام حاكم جزيرة ميورقة بالعفو عن الجنوية الذين أحرقوا السفينة ، غير أن 50 مسلماً قد نجوا من الموت(2) ، وكثرت أعمال القرصنة الجنوية باستخدام الغربان الحربية (نوع من السفن الحربية الضخمة مطلية باللون الأسود وهي على شكل غراب) في الإغارة على السواحل المغربية والعياث بها فساداً(3) ، وكانت سفن جنوة وبيزا متواجدة باستمرار أمام سواحل تونس لخطف المسلمين والإغارة على المدن ونهب السفن وذلك في آخر القرن 7هـ/13م(5) والقرصنة لم تزل مستمرة ، ففي القرن 8هـ/14م وطوال القرن 9هـ/15م نشطت ظاهرة القرصنة بدرجة كبيرة لاسيما جنوة التي كان تجارها يشتهرون بتزييف العملة وسوء نية صارخة في التجارة(6) ، وامتد النشاط الجنوي والبيزي في القرصنة تجاه المدن المغربية فقد قامت جنوة وبيزا بحملة بحرية ضد مدينة المهدية عام 788هـ/1388م كان قوامها 12 سفينة جنوية كبيرة و 3 سفن

----

(1) ابن شاهين الظاهري : الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ،00000 ، ص 312 [[00 فلما تركنا السفينة – الجنوية – ورأتنا طائفة من البربر في تلك الناحية فروا وظنوا السفينة لبعض قرصان الفرنج غيروا هيئتهم حيلة لأخذ المسلمين ، فصار التجار ينادونهم من البعد باللغة العربية ويقرؤونهم الشهادتين والبربر لا يلتفتون إليهم 00]]

(2) Dufourcq: Op. Cit. p.164.

(3) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 74 ، لوحة 46 [[00 وأضحت أعطاف المدن لسماع حديثها تهتز ، وإستراحت البلاد الساحلية من عدوانهم ، وأمنت حمائم أبراجها من غربانهم ، وهدأت المراسي من مراسيهم 00]]

(4) أرشيبالد0ر0لويس : المرجع السابق ، ص 346 – 347 ، 384 0

(5)الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الثانية ، بيروت 1979 ، ص 101 – 102 0

(6) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 284 / وإمتدت القرصنة الجنوية الي مصر ففي عام 790هـ/1388م أسرت قراصنة جنوة أقارب السلطان المصري المملوكي ، فقام بحجز البضائع عن الجنوية ومنعهم من الوصول الي بلاد المسلمين الي أن يحضروا أقاربه المخطوفين علي يد القراصنة الجنوية ، أنظر، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مجلد 9 ج1 ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت 1936، ص 38 / واستولي القراصنة الجنوية في عام 854هـ/1351م علي أربعة مراكب مشحونة بالغلال والدقيق أمام رشيد وكانت عُدة سفن الجنوية تزيد علي 15 مركب ، السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة (د0ت) ص 323 – 324 0

صقلية كبيرة ، و 5 سفن من بيزا (1) وكان رد الفعل الإسلامي هو تجهيز سفن رجال الجهاد الإسلامي البحري في مدن بجاية(*) وتدلس وجربة وقرقنة وعنابة والمهدية وتونس(2) للحد من القرصنة الإيطالية فاستهدفت السفن النصرانية0

وواكب نشاط القراصة الإيطالية دخول القطلان والقبارصة حلبة القرصنة على سفن المسلمين، فلم يتركوا سفينة إسلامية في سائر حوض البحر المتوسط إلا وهاجموها وأسروا من بها من مسافرين وتجار ونهب بضائعهم ، وذلك أواخر القرن 8هـ/14م، وطوال القرن 9هـ/15م (3) وقد كان الأسرى المسلمين يلاقون من التعذيب وشدة التنكيل في الأسر على يد القراصنة كما حدث مع العالم الجليل أحمد بن محمد القيسي القرطبي (*) وأسرته[00 انتقل الى أشبيلية ثم فصل عنها راكباً البحر 00 الى سبتة وركب في جرادة فامتحن هو وأهله وأولاده بالأسر واحتمل الى منورقة أو إحدى جهاتها ففداه أهلها وهو قد أشفي على الهلاك لما لقيه من شدة التنكيل والتعذيب](4)0 وكان كل أسير حرب يصبح عبداً ، ولعب الأسرى دوراً هاماً في التجارة في البحر المتوسط فزادت حركة القرصنة المسيحية في منتصف القرن 13م للحصول على العبيد(5) ، لذا كان رد الفعل المغربي تجاه القرصنة القطلانية هو تجهيز الأساطيل الإسلامية برجال الجهاد البحري للحد من القرصنة المسيحية المتفشية بين

----

(1) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 229 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 279 / ممدوح حسين : المرجع السابق ، ص 514 – 517

(*) بجاية : Bougie مدينة بالمغرب الأوسط ذات ميناء هام يلتقي بها تجار المشرق والمغرب والصحراء السودانية ، وأهلها مياسير وبها أسواق كبري تباع فيها العديد من السلع وبها دار الإنشاء لصناعة السفن وهي تقع علي مسافة 175كم شرقي الجزائر وكان بها مركزاً للجهاد البحري ثم وقعت في يد الأسبان عام 916هـ/1510م ، انظر : الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 260 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 227 / جوليان : المرجع السابق ،ج2 ص 186 – 187 ،197 / عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق ، ج2 ص0 84 0

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 96،267،231،125 /ج2 ص 197،167 0/ممدوح حسين : المرجع السابق ، ص 518 – 519 0

(3) أحمد دراج : المماليك والفرنج ، القاهرة 1961 ص 9 / ناجلا عبد النبي : المرجع السابق ، ص 80 0

(*) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد القيسي ، قرطبي درس النحو بقرطبة وأسمع الحديث وأقرأ القرآن بقرطبة إلا أن الروم دخلوها فإنتقل الي أشبيلية ثم الي سبتة ووقع أسيراً أثناء ذلك ومات عام 643هـ، انظر ، ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول ، القسم الثاني ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت ، ص 485 0

(4) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، السفر الأول ، القسم الثاني ، ص 485 0

(5) Dufourcq: Op.Cit. p.71.

الدول النصرانية بحوض البحر المتوسط فكان رجال سبتة يتصفون بالجراة الشديدة والتي كان القطلان يعملون لها حساب كبير فكان الجهاد البحري مسلطاً على السفن القطلانية أيضاً في بجاية بل ومهاجمة القطلان أنفسهم (1)، ومن جراء ذلك تعددت المراسلات والمعاهدات بين أراجون وقطالونيا من جهة ودولة بني مرين من جهة أخرى للكف من ظاهرة القرصنة والجهاد البحري ، و في 29 رجب 751هـ/14سبتمبر 1350م أرسل السلطان أبو الحسن المريني رسالة الى ملك أراجون بيير الرابع يوضح فيها حادثة قيام القراصنة الأراجونيين باختطاف قرقورة مغربية كانت تحمل وفداً من ميورقة متجهاً الى المغرب ومعهم عمال الدولة المرينية ، وشدد السلطان المريني بالانتقام من التجار القطلان المتواجدين بالمغرب إذا لم يتم الإفراج عن المغاربة (2)0

وتلى ذلك رسالة أخرى من السلطان أبو عنان المريني الى ملك أراجون كان يشكو فيها من القراصنة الأراجونيين الذين خطفوا قرقورة وشياطي مغربية على مقربة من جبل الفتح وطلب منه إعادة هذه الشياطي والقرقورة وما بهم من سلع ومتاجر في مقابل إطلاق سراح الشيطي الأراجوني المحتجز بدولة بني مرين (3) 0

ورسالة أخرى من السلطان ابو سالم ابراهيم المريني الى بيدرو الرابع ملك أراجون في 7 شعبان 761هـ/24 يونيو1360م كانت تدور حول قيام قراصنة أراجون باختطاف عمال السلطان المريني أثناء مرورهم من ناحية الشرق الى بلاد المغرب ويطلب منه فك

---

(1)) Dufourcq: Op.Cit,. p.466

(2) [[00 فقد وصل كتابك وعرفت بوصول كتابنا إليك في شأن القرقورة التي أخذ فيها خدامنا ومن كان معهم من المسلمين ، نطلبك فيه بما يجب عليك 00 واعلم أن في بلادنا من تجار النصاري القطلان من يفي في المكافأة بأضعاف تلك القرقورة ، ولكنا وقفنا عنهم هذا الأمر وفاءً بالصلح 00 واعمل في الوفاء برد جميع ما أخذ في القرقورة ما يليق بالوفاء والصدق 00]] انظر Los Documentos Arabes Diplomaticos , : Op. Cit. p.196 – 198.

(3) [[00 خدامك الذين أخذوا الشياطي بمقربة من جبل الفتح 00 وتجارك الذين تعدوا علي أخذ القرقورة 00 وما حبس الشيطي المذكور (الأراجوني) إلا لما تحققنا من أنه للتجار الذين أخذوا لنا القرقورة000 واعلم أن جميع ما كان بالشيطي (الأراجوني) المذكور هو محفوظ باق عندنا فأمر تجارك برد جميع ما كان في القرقورة ، ونصرف عليهم جميع ما كان بالشيطي 000]] انظر Los Documentos Arabes Diplomaticos : Op. Cit. , p.210 .

أسرهم (1) ودخلت البرتغال أيضاً في مجال القرصنة ضد السفن والمدن المغربية المرينية ، فبعد أن استولت البرتغال على سبتة عام 818هـ/1415م قامت بوضع عدة سفن تتردد ما بين مينائي جبل طارق ومالقة لأسر السفن التجارية المغربية وفرض مبالغ كبيرة على ركابها افتداءً لأنفسهم (2) 0

---

(1) [[00 ركب البحر في هذه الأيام جماعة من خدامنا كانوا بجهة الشرق وقصدوا بابنا الكريم فلقيهم أجفان غلبوا عليهم بالكثرة وأخذوهم 00 وفي سواحلنا من تجاركم خلق كثير مقيمون وواردون ولم يتعرض لهم أحد بما يكره جرياً علي حكم الصلح00 00]] انظر Los Documentos Arabes Diplomaticos : Op. Cit... p. 224 – 225.

(2) ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي الإسلامي ، ص 145 0

الفصل الأول :

مقومات التجارة في دولة بني مرين 0

1 – أهم طرق التجارة 0

2 – أهم الموانئ التجارية 0

3 – السفن التجارية 0

4- الأسواق 0

5– الموازين والمكاييل والعملات النقدية 0

6– أهم السلع التجارية وبعض أسعارها 0

7– نظم التجارة المرينية : الوكالة – الشركة – القراض – الاستدانة والسلف – المقايضة – الكراء – المزايدة – الوديعة والرهن – الحوالة - الصك – السفتجة 0

8 – الضرائب والمكوس التجارية والجمركية 0

9 – العوامل السلبية المؤثرة في التجارة 0

الفصل الأول : مقومات التجارة في دولة بني مرين 0

التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بأرخص الأسعار ثم بيعها بأغلى الأسعار ، بغض النظر عن ماهية السلعة ، وفارق البيع والشراء هو الربح ، والتاجر(*) إما أن يختزن السلعة ليتحين أحوال الأسواق عند الغلاء فيبيعها رابحاً أكبر قدر من المال ، وإما أن ينقل السلعة من بلد تكون فيه رخيصة الى بلد تكون فيه غالية ، فيعظم ربحه(1) ، لذلك قال أحد الشعراء في تجارة فاس عاصمة دولة بني مرين :

فضل التجارات بادٍ في الصناعات *** لولا الذي هو فيها هاجر عاتٍ

حاز الجمال فأعياني وأعجزني *** وإن دعيت بوصافٍ ونعاتٍ (*)

1- أهم طرق التجارة :

اضطربت شبكة طرق المواصلات التجارية إثر انهيار دولة الموحدين ، فحدث تحول في المحاور التجارية ، نظراً للاضطرابات والمعوقات التي لاقتها القوافل التجارية لاسيما الطريق التجاري الغربي الواصل من بلاد الريف الى بلاد السوس ، كذلك اشتعلت الحروب بين بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى حول السيطرة على المدن الهامة الواقعة على طرق التجارة مثل سجلماسة وتلمسان(2) 0 وطرق التجارة عديدة ، فأما الطريق من فاس الى سجلماسة فكان يبدأ من فاس الى صفروي ثم تادلة وأغمات الى درعة وينتهي الى سجلماسة(3) ، وتمر من هذا الطريق قوافل التمر(4) ،

(*) التاجر هو الدهقان باللغة الفارسية وتطلق هذه الكلمة علي التاجر ، وفي اللغة تضم داله [الدُهقان] والجمع دهاقين ، انظر ابو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي : الحلال والحرام، تحقيق عبد الرحمن العمراني الإدريسي ، مطبعة فضالة ، المغرب 1990 ص 338 هامش 886

(1) ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي 1992 ، ص 420 0 /ومعني التجارة أيضاً في الإسلام ((الجالب مرزوق والمحتكر ملعون)) وكما جاء في هذا الحديث النبوي أن الجالب هو الذي ينقل السلع من مكان إلي مكان آخر ومن بلد إلي بلد آخر ، أنظر طلبة عبد العال الغباشي : أحكام نزع الملكية وتقييدها لمصلحة الغير في الشريعة الإسلامية ، طبعة 2001، مركز آيات للكومبيوتر والطباعة، الزقازيق ، ص 58 0

(*) محمد بن قاسم القرشي المالقي من مالقة بالأندلس ، توجه الي بلاد المغرب وأنشد شعراً في فاس عام 756هـ انظر ابن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة - ج2 ص 515 0

(2) محمد الشريف : نصوص جديدة ودراسات ، ص 82 – 83 / Dufourcq : op . Cit. p. 136.

(3) البكري : المصدر السابق ، ص 146 – 147 / الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 149 0

(4) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0

وهناك طريق كان يمر من مراكش إلى تارودنت عبر وادي نفيس ومرتفعات جبال أطلس الغرب من خلال ممرات جبل تلوات ، وجبل درا ، وجبل تيسيت ، وتسد الثلوج هذا الطريق شتاءً عدة أسابيع ، وهناك طريق آخر ساحلي يربط سهول السوس عبر أراضي حاحة الى مراكش ، وكان البربر والعرب يستعملونه كثيراً(1) ، وثمة طرق أخرى عديدة منها الطريق الساحلي بين المحيط الأطلسي والمرتفعات الغربية لجبال كست Kest وسملال Semlel وسهول جبل شتوكة Chtouka ، وهو طريق سهل للقوافل المتجهة من شمال المغرب الأقصى إلى موجادور عن طريق حاحة(2) وهناك طرق أخرى ما بين مراكش وتافيلالت والصحراء الكبرى من خلال الممرات العظيمة مثل ممر جبل تيشكا Tichka وطريق يصل مراكش بنهر السوس وبلاد موريتانيا من خلال ممر معاشو Maachou وممر جبل تست Test ولكن هذا الطريق الأخير هو الأهم والأساسي مابين بلاد السوس ومراكش ، وبتلك الطرق تمر قوافل العبيد والتبر(3) ، وطريق يربط مابين فاس وتافيلالت من خلال جبال أطلس الغرب ، حيث اعتاد التجار الذهاب من فاس الى تافيلالت في أواخر أكتوبر مع قوافل التمر الخاصة بهم ، وقد يباغتهم الثلج فتغوص القوافل في الثلوج وتموت تحتها(4) ، أما في شمال المغرب الأقصي فتوجد مسالك لطرق التجارة تربط العاصمة فاس بالمدن الساحلية الواقعة على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط مثل أنفا وسلا وأسفي وطنجة وأصيلا وسبتة وغساسة وباديس ومليلة(5) ، ومدينة المنصورة المرينية [تلمسان الجديدة] التي شيدها السلطان يوسف بن يعقوب المريني صارت مركزاً تجارياً مرينياً كبيراً ، فقد كانت قوافل التبر الآتية من الصحراء تمر بها وبالتالي حلت مدينة المنصورة محل تلمسان بني عبد الواد تدريجياً في الناحية التجارية وأقيمت بها تجارة المصنوعات الذهبية والحلي وصارت محطة هامة معروفة لسكان حوض البحر المتوسط ، وسوقاً جذاباً وتوافد عليها التجار المسيحيون

----

(1)Robert Montagne: op. Cit. p. 15 – 16.

(2) Robert Montagne : op. Cit. p. 16.

(3) Deverdun : op. Cit. p. 23.

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 83 / Dufourcq : op. Cit. p. 136.

(5) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 – 248 / Dufourcq : op. Cit. p. 136.

وامتلأت مخازنها بالسلع المسيحية ، وتوافد عليها التجار اليهود من مختلف البلدان(1) ، وذلك طوال فترة حكم السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، إذ بعد مقتله قام بنو عبد الواد بتدمير مدينة المنصورة وتخريبها 0

على أن أهم محاور التجارة المغربية في العصر المريني كان يمتد من مدينة سبتة الى فاس وسجلماسة وبلاد السودان ، وهذا المحور هو الذي أضفى على تجارة المغرب الصفة العالمية لتجارتها في العصور الوسطي(2) ، وأما في أقصى الجنوب ببلاد المغرب فقد كان هناك عدة طرق هامة مع بلاد السودان ومنها طريق من سجلماسة الى تومبوكتو وجني وغاو ، وثانٍ يصل وادي درعة بقلب بلاد السودان من خلال مدينة ولاتة (والاتن) ، وثالث من إيجلي قاعدة بلاد السوس الى حوض السنغال عبر ودان ، ورابع من وادي ماسة عبر الساحل الأطلسي الى وادي نون الى مصب نهر السنغال(3) ، وكان عرب بنو عامر بن زغبة يحمون الطريق التجاري مابين سجلماسة ودرعة وأودغشت حتى تيقرارين (تيكرارين) فقط بينما يواصل عرب عبيد الله من المعقل السيطرة على بقية الطريق من تيقرارين حتى تمنيط ثم تنتقل بعد ذلك الى بلاد السودان ، فكان عرب المعقل وبنو عامر يقومون بحراسة طرق التجارة والقوافل المارة به في مقابل ضريبة الخفارة التي يتقاضوها من أصحاب القوافل(4) ، وانضم إليهم عرب ذوي حسان الذين سيطروا على الطريق التجاري الساحلي المار من بلاد المغرب عبر لمتونة وجدالة الى بلاد السودان وذلك اعتباراً من القرن 7هـ/13م ، وكان بجانبهم أيضاً عرب الشبانات(5) 0

---

(1) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ 00 ، ج7 ص 262 / Dufourcq : op. Cit. p. 360.

(2) محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 372 0

(3) عبد الوهاب بن منصور : مناقب أهل الصحراء ، المطبعة الملكية الرباط 1975 ، ص 24 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ص 212، 214/ الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص95،71،68 / موريس لومبار : الذهب الإسلامي منذ القرن 8 – 11م، ت 0 توفيق إسكندر ، [مقالة من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي] 0 ص62 – 63 0

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ص 69 – 70 / مصطفي أبو ضيف أحمد عمر : القبائل العربية في المغرب عصر الموحدين وبني مرين ، رسالة ماجستير ، كلية الأداب –الإسكندرية 1975 ص 284 / حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية 1957 ص 88 0

(5) ابن خلدون : نفسه / مصطفي أبوضيف : نفسه ، ص 285 0

ومن أهم المدن التجارية بالمغرب الأقصى مدينة فاس(*) ، ومكناس(*) ، ومراكش(*) وسجلماسة(*) وباديس ومليلة وسبتة وطنجة وآصيلا ، وأما المدن التجارية الهامة الواقعة على طرق التجارة ببلاد السودان مثل : والاتة(*) ، تومبوكتو ، جني(*) ، غاو(*) ، ودان (*)،أودغشت(*)،

(*) فاس : عاصمة دولة بني مرين وإليها تصل القوافل التجارية ولها من كل شيئ أوفر حظاً ، ومنها تتجهز القوافل التجارية الي بلاد السودان والمشرق الإسلامي وبلاد الأندلس والمدن الإيطالية عبر موانئ المغرب ، للمزيد من المعلومات انظر الحميري : المصدر السابق ص 334 – 335 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 227 – 285 0

(*) مكناس : من أكبر مدن بلاد المغرب الأقصي ويشتغل أهلها بالتجارة ، وتشتهر بصناعة المنسوجات الصوفية والحرير والقطن وتجارة الجلد والشمع ، انظر ابن غازي العثماني : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، نشر عبد الوهاب بن منصور ،مطبوعات القصر الملكية الرباط 1964 ،ص 24 ، 26 / ، مارمول : المصدر السابق ج2 ص 140 – 141 0

(*) مراكش : عاصمة دولة المرابطين بالمغرب الأقصي ، تأسست عام 462هـ علي يد ابي بكر بن عمر اللمتوني ، ثم سقطت في يد دولة الموحدين عام 541هـ ثم صارت المدينة الثانية في المغرب في عصر بني مرين ، للمزيد من المعلومات انظر مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 39 ،55 ، 75 0

(*) سجلماسة : بلد تجارة التبر والعبيد بجنوب المغرب الأقصي علي حدود الصحراء الكبري ، ومنها تتجهز القوافل التجارية للسفر الي بلاد السودان ، وكذلك الوافدة الي بلاد المغرب ، انظر البكري : المصدر السابق ص 148 – 153 / مجهول : الإستبصار ، ص 215،212،206 / ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص 113 – 114 / ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج2 ص 217 0

(*) والاتة : تعرف ب إيوالاتن وهي محطة من محطات التجارة الرئيسية ببلاد السودان من بلاد السوس الي تومبوكتو وهي تقع علي مسافة 450كم غرب تومبوكتو ، و 900كم من المحيط الأطلسي ، ويقوم أهلها بحراسة وخدمة القوافل التجارية عبر الصحراء وقيادتها ، وأهلها من قبائل مسوفة الصنهاجية ، انظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 535 – 536 / الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 68 0

(*) جني : [غينيا] تعرف عند التجار الأفارقة جنيوة وعند بلاد المغرب جناوة ، ويسميها أهل البلاد جني أما الأوروبيون فيسمونها غينيا وهي تقع علي طرق التجارة مع تومبوكتو وغاو ، وتبعد عن والاته بنحو 450 كم انظر ، الزهري : المصدر السابق ، ص 125 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 537 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 214 0

(*) غاو : تعرف ب غاؤو وهي مدينة كبيرة سكانها تجار أغنياء يتجولون دائماً في المنطقة ببضاعتهم ويقصد السودان بالتبر بأحمال ضخمة لمقايضتها بالسلع الأوروبية المجلوبة الي بلاد البربر ، وبها تجارة العبيد بأعداد وفيرة ، وهي مركز تلاقي القوافل ويسكنها دائماً التجار ، انظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 – 544 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 108 – 109 0

(*) ودان : محطة تجارية لتجارة الملح وتقع علي الطرق التجارية ما بين درعة وسجلماسة شمالاً عبر ديار لمتونة الي تومبوكتو جنوباً عبر تيشيت و والاتة ، وهي تصدر لبلاد المغرب الذهب والتوابل والرقيق والعاج والأخشاب وريش النعام والحبوب وتورد الي بلاد السودان السلع المغربية مثل الملح والتمر والأقمشة والمنسوجات والمعادن والخيل ، انظر المصطفي بن أحمدان : مساهمة في كتابة تاريخ ودان ، رسالة جامعية غير منشورة ، نواكشوط 1985 ص 21 ، نقلاً عن الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 71 0

(*) أودغشت : تعرف ب أوداغشت وهي مدينة بمملكة غانا تشتهر بالتجارة ولها أسواق حافلة ، وتجارتهم بالتبر ويوجد الذهب بها علي شكل خيوط مفتلة في غاية النقاء ، انظر البكري : المصدر السابق ، ص 157 – 159 / الإدريسي : المصدر السابق ج1 ص 107 – 108 / الحميري : المصدر السابق ، ص 63 – 64 0

وتارودنت(*) وتيقورارين(*) وغانا(*) 0

ونظراً لأهمية طرق التجارة بالنسبة لدولة بني مرين فإن حكومتها قامت بعمل ترتيبات أمنية جديدة لحفظ طرق المواصلات من اللصوص وقطاع الطرق والأعراب والمغارم المالية وكذلك مخاطر الصحراء والجفاف فعملت على توفير الراحة للمسافرين بإنشاء المراكز ونقاط لراحة القوافل للتزود بالماء وحفر الآبار ، إلا أن تلك الاهتمامات كانت تتغير بحسب قوة الدولة وضعفها(1)، على أن أهم الأعمال التي سهلت عمليات التجارة وسلوك القوافل عبر الصحراء وبلاد السودان هو استخدام التجار المغاربة رجال التكشيف(2) ، كذلك المحاسب والذي عرف بالمنشاجو وهو المشرف على سير وضمان الحركة التجارية(3) ، وكان تعداد الإبل في القافلة التجارية قد يصل الى إثنى عشر ألف جمل موسقة بالبضائع(4) ومختلف السلع ، كذلك تحمل التجار العطش الشديد والحرارة الشديدة ، والتيه في الصحراء والزوابع الرملية الكبرى

(*) تارودنت : مدينة ببلاد السوس الأقصي علي الطريق التجاري الذي يصل بلاد المغرب الأقصي ببلاد السودان ، يسكنها كثير من العرب بنواحيها لحماية طرق التجارة مقابل ضريبة الخفارة ، انظر الإدريسي : المصدر السابق ، ج1 ص 128 – 129 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ،ص 129 0

(*) تيقورارين : تيكورارين ، مدينة تبعد عن سجلماسة شرقاً بنحو 370 ميلاً وسكانها تجار أغنياء يذهبون كالعادة بقوافلهم التجارية الي بلاد السودان ويجنون أرباحاً طائلة وهي ملتقي طرق التجارة ما بين سكانها وتجار البربر وتجار بلاد السودان ، انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ص 69 – 70 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 505 0

(*) غانا : هي أكبر بلاد السودان قطراً وأوسعها متجراً وهي مقصد قوافل التجار الأغنياء من جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصي ، وتتصل غانا بأرض ونقارة المشهورة بالتبر ، انظر الإدريسي : المصدر السابق ج1 ص 23 -0

(1) مجهول : الذخيرة السنية 000 ، ص 79 ، 138 / الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، دراسة وتحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولي 2001 ، ص 80 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 307 / ابن خلدون : المصدر السابق ،ج7 ص 215 – 216 ، 223 / ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 429 / محمد الهادي العامري : المرجع السابق ، ص 172 – 173 / الحريري : المرجع السابق، ص 292

(2) التكشيف :(دليل الصحراء) هي وظيفة تجارية ببلاد السودان لاسيما قبائل مسوفة الملثمون ، حيث يُطلق هذا اللقب أو الوظيفة علي الرجل الذي يكتريه أهل القافلة ليكون دليلاً لهم في الصحراء وعادةً يكون من قبيلة مسوفة ، فيتقدم رجل التكشيف الي إيوالاتن بكتب التجارليقدمها الي أصحابهم بالمدينة لشراء الديار ويخرج ، وبعد ذلك يخرج رجل التكشيف بالقافلة عبر الصحراءالمجهولة بالمساء ويبلغ السير مسيرة أربعة أيامٍ ، وربما هلك رجل التكشيف في هذه الصحراء فيهلك أهلها ، والدليل (التكشيف) من كثر تردده في الصحراء وكان له قلب ذكي وهو أعرف الناس بالطريق وكان سعره في السفرة الواحدة مائة مثقال من الذهب ، انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 685 / محمد زنبير : المرجع السابق ، ص 414 0

(3) المنشاجو : وهو المشرف المالي علي أمور التجارة بإيوالاتن ، انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ،ص 687 ، 696 / أحمد الشكري : المرجع السابق ، ص 190 0

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ص 62 0

وإغارات الأعراب والقبائل الصحراوية لأجل المال الوفير الكامن وراء تلك التجارة الكبرى(1) ، وهناك تجار بنادقة وجنوية جابوا بلاد السودان وجنوب المغرب الأقصى بحثاً عن تجارة الذهب ومنابعها(2) 0

[2] أهم الموانئ التجارية :

يعتبر ميناء سبتة من أهم الموانئ المغربية بدولة بني مرين لما له من أهمية بالغة لاسيما كون سبتة بعيدة عن مجال هبوب الرياح المعاكسة للسفن كذلك لاتتجه إليها السيول كما يحدث في طنجة التي تضرب السيول واديها ، ولأن طنجة مكشوفة للرياح(3) ، وبذلك لعبت سبتة دور البداية لخط الملاحة والتجارة الهام بغرب البحر المتوسط ونقطة تلاقي السفن التجارية ، فالميناء السبتي لم يكن محطة للسفن القادمة من إسبانيا فقط وإنما كان نقطة ملاحية تربط بين جنوة وفرنسا وإسبانيا ونقطة انطلاق أو نهاية للقوافل التجارية التي تجول الساحل الشمالي لإفريقيا نحو المشرق(4) ، وتميزت سبتة أيضاً بأنها المنفذ الرئيسي للمغرب الأقصى لتصدير الإنتاج المحلي ونقطة انطلاق قوافل الحج البحرية المغربية والأندلسية(5) ، كذلك كانت نقطة الوسيط التجاري ما بين القوافل التجارية الوافدة من بلاد السودان المحملة بالرقيق والتبر الى المدن الإيطالية وغيرها 0

ولعبت دولة بني مرين دور الوسيط التجاري لنقل وتوزيع السلع لغربي البحر المتوسط وبلاد السودان و الى المسيحيين لاسيما المدن الإيطالية وأراجون ، وجمع المرينيون إزاء ذلك ثروة هائلة من الضرائب (ضرائب المرور) التي كانت تفرضها على تلك التجارة ، الى جانب دورهم بالتجارة في العبيد والذهب(6) ، والسلع المغربية المتنوعة 0

----

(1) محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 414 – 415 0

(2) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 177 / أ 0 أشتور : المرجع السابق ، ص 418 0

(3) البكري : المصدر السابق ، ص 109 / مجهول : الإستبصار ، ص 139 / عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 320 0

(4) محمد الشريف : سبتة الإسلامية 000 ، ص 95 – 97 / أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة ، ص 21 0

(5) محمد الشريف ، المرجع السابق ، ص 97 / محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 371 – 372 0

(6) البكري : المصدر السابق ، ص 158 / المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، 1963 ص 363 ، 375 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

ومن أهم مظاهر الإهتمام المريني بالموانئ المغربية ، تشييد المحارس والمناظر(*) من آسفي الى جزائر بني مزغنانة (بالمغرب الأوسط) ، فإذا وقعت كارثة بميناء ما اشتعلت النار في أعلى المحارس لتتصل ببقية المحارس الأخرى في سرعة فائقة في ليلة واحدة ، وتلك المسافة تعد بشهرين للقوافل المارة بتلك المسافة من آسفي الى جزائر بني مزغنانة ، وفي كل محرس يقوم النظار والطلاع بكشف البحر ومعرفة أخباره ونواته ، وكذلك كشف المراكب والسفن الصديقة ، والمعادية وإبلاغ السلطات المرينية بأخبار كل قطعة بحرية تقصد سواحل البلاد وعندئذ يقوم النظار بإنارة المحارس فيتخذ كل محرس وأهل السواحل حيطتهم واستعداداتهم سواء أكانت تجارية أم حربية(1) 0

وقد ذكر الأنصاري السبتي أن مدينة سبتة تحوي بمفردها نحو ثلاثين مرسي ابتداءً من البحر الجنوبي (أبي سول) الى البحر الشمالي (بحر الرملة) ومنها مرسى المدينة وهو من المراسي الجيدة (2) وبلغت سبتة من السطوة ما جعل كل سفن الشرق والغرب المارة بالمضيق تنزل أشرعتها ، وإذا لم تقم أي سفينة بذلك فإن البحارة السبتيين يلاحقونها في الحين ويستولون عليها (3) 0

[3] السفن التجارية :

أخذ بنو مرين في النهوض بإنشاء دور صناعة السفن لاسيما بسلا في عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (4) على يد المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبد الله

(*) المحارس والمناظر : نقط مراقبة وحراسة للسواحل البحرية ومفرد كلمة المناظر ناظور وهو يشبه الفنار إذ يتواجد فيه الجند لمراقبة مياه البحر وحركة السفن بها والتعرف علي السفن المعادية والسفن الصديقة وسفن بلاده ونجدة السفن التي تتعرض للخطر أو الغرق ، وفي حالة وجود سفن معادية فإن الجند يشعلون النار لكي تتخذ كافة نقط المراقبة الإستعداد لمواجهة الأعداء بعد الرجوع الي السلطان 0 ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 398 – 399 0

(1) ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 398 – 399 0 ومن هذه الأبراج ، برج الماء بسبتة والبرج المجاور للمشحن ، وهناك برجان بجبل الفتح

(2) الانصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 54 0

(3) V.Fernandes : Description de La cote d'Afrique de Ceuta au Senegal, Paris, 1938.

نقلاً عن محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 278 0

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 331 – 332 0

بن محمد بن الحاج الأشبيلي (*)[ت0 عام 714هـ]، وقد كانت دار صناعة سلا لاتجهز إلا القليل من القطع البحرية الغزوية (الحربية) وظلت سبتة هي القاعدة الأساسية لصناعة السفن المغربية(1) ، وتبعه السلطان يوسف بن يعقوب في ذلك النشاط البحري لاسيما بقصر مصمودة وتطوان(2) ، وتوسع السلطان ابو سعيد عثمان الأول بزيادات في دار الصناعة وبني بها الأجفان الغزوية(3) وتزايدت حركة البناء وتشييد السفن وشرائها واستئجارها صيفاً وشتاءً حتى عام 749هـ كما يذكر ابن مرزوق(4) وفي عهد أبي الحسن المريني استكثر من إنشاء الأساطيل البحرية التي وصلت الى 600 قطعة ،الى جانب قيامه بإنشاء دار صناعة السفن بجبل الفتح ، واستعان بخبرة الملاحين الجنوية ليضاهي أساطيل النصارى وقتئذ (5) إلا أن الأسطول تحطم بعد ذلك وغرق بالكامل في معركة طريف ثم نكبة القيروان ، واهتم أبو عنان فارس بن السلطان أبي الحسن المريني بعد وفاة أبيه بإعادة اعمار الأسطول المريني وبذل فيه جهداً فائقاً كما اهتم بالأسطول التجاري ، فكانت الأساطيل التجارية على مدار العام تمخر عباب البحار وتجول موانئ البحر المتوسط(6) ، وقد كتب أحد الفقهاء[القاسم بن يوسف بن رضوان المالقي] الى السلطان أبي عنان فارس المريني يمدحه بكثرة تشييده للسفن(7) ،

(*) بُنيت دار الصناعة بسلا جنوبي مدينة سلا من جهة وادي أبي رقراق وكان لها بابان يدخل الوادي من أحدهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية ، حيث جلب الماء من الوادي الي الباب الملاصق لجامع حسان في ترعة عميقة ، فإذا صُنعت سفينة جديدة خرجت مع خروج الماء فتقوم السفينة لتخرج من الباب الجنوبي سابحة الي أن تقع في الوادي منشورة القلاع ، انظر محمدبن علي الدكالي السلاوي : مخطوط الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز ، مخطوط بخزانة الرباط رقم D1320 ، نقلا عن أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 380 / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : المرجع السابق، ج2 ، ص 291 0

(1) محمد الشريف : نصوص جديدة 000 ، ص96 0

(2) السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 89 / أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 381 0

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 292 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 108 0

(4) [[00 ومن سنة ولاية المولي أبي سعيد عثمان المريني والده لم تزل المراكب تتري وتتعاقب شفعاً ووتراً في كل فصل من القراقر والمراكب والغزويات والقوارب والشواني كراء وشراء صيفاً وشتاءً الي سنة تسع وأربعين 000]] انظر ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 393 0

(5)السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 171 /أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 381 / المنوني : المرجع السابق ، ص 108 / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ج2 ص 292 0

(6) المنوني : المرجع السابق ، ص 111 / علي حامد الماحي : المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الأداب – الإسكندرية 1980 ص 161 0

(7) [[000 وسبق بنفسه النفيسة سطور العساكر ، وعساكر الطروس ، فحسبك إستنباط السفن بالمراسي المحروسة ، وإسعاف الرسل بسوابغ الحسنات الجسيمة المغروسة 00]] انظر أبو الوليد بن الأحمر : نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لإبن الأحمر الغرناطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولي 1976 ، ص 248 0

وقد تعددت دور إنشاء السفن في عدة مدن بحرية منها سبتة وسلا وطنجة وأنفا وباديس(1) وفاس ، فقد أمر السلطان أبو عنان المريني بإنشاء جفنين كبيرين إحداهما يسمي شيطي يجر مائة وعشرون محارباً والثاني شلير يجر ستين محارباً ، ودفعا بوادي سبو الي أن وصلا الي معمورة سلا عام 756هـ ، كل ذلك علي يد المهندس أبي عثمان سعيد بن خزر(2) ، وقد عُرف قائد جميع قواد المراسي البحرية بالمغرب المريني بالملند (بالأسبانية Maland) حيث يشرف علي إنشاء الأساطيل والركوب عليها للجهاد أو السفر في البحر(3) ، ومما شجع المرينيون علي تشييد السفن سواء التجارية أو الغزوية كثرة وجود الأخشاب اللازمة لصناعة السفن فقد كانت جبال غمارة يكثر بها شجر الأرز الذي تشيد منه الأساطيل(4) ، كذلك جبال بني يزغة التي كانت تورد إلي فاس يومياً أحمالاً كثيرة من خشب الأرز ، وكان جبل بني بهلول غنياً بأشجار البلوط و كانت مدينة فاس تستقبل منه يومياً أحمالاً كثيرة من خشب البلوط(5) ، وجبال الريف كانت تزود سبتة وباديس وغيرها بالأخشاب إما عن طريق البر أو النهر(6) 0 وقد اهتمت الدولة المرينية بشئون النقل النهري والبحري ، فكان رجال الحسبة يهتمون بسلامة النقل وحماية الأرواح والمتاجر ، فكانت تأمر أصحاب السفن والمراكب بتخفيف حمولة السفن خوفاً من الريح العاصفة وحوادث الغرق ، كذلك حماية مراسي السفن النهرية والبحرية وموضع إصلاح السفن ومأوى الغرباء من التجار والأسواق الملحقة بها(7)0 ونظراً للصراع الحربي ما بين نصارى إسبانيا ودولة بني مرين ، اندفع سلاطين بنو مرين الى إنشاء العديد من دور الصناعة لتشييد السفن هذا من ناحية ، وكون سبتة وبقية المدن التجارية المغربية في دولة بني مرين في اتصالٍ دائم بموانئ دول البحر المتوسط المختلفة، وكان الاتصال حربياً وتجارياً ، شجع كل ذلك دولة بني مرين على اكتساب تقنيات بناء

---

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 239 ،260، 240 0

(2) الجزنائي : المصدر السابق ، ص 72 0

(3) ابن خلدون : المقدمة ، ص 265 – 266 / المنوني : المرجع السابق ، ص 85 0

(4) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 139 0

(5) الجزنائي : المصدر السابق ، ص 69 0

(6) ابن سعيد المغربي : نفسه 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 96 0

(7) ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ، نشر ليفي بروفنسال ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1955 ، ص 29 – 30 ، 47 0

السفن التجارية والحربية معاً وما يدل على ذلك ما ذكره كلٍ من ابن أبي زرع (1) ، وابن مرزوق (2) ولم يقتصر المرينيون على تصنيع السفن المحلية فقط ، بل استعانوا بخبرة الجنوية الملاحية في صناعة السفن لاسيما في عصر أبي الحسن المريني(3) ، كذلك قام أهل سبتة بشراء السفن الإيطالية والقطلانية لاسيما حكام المدينة وكبار التجار(4) ،أدى كل هذا إلى دفعة كبيرة في بناء السفن سواء أكانت تجارية أو حربية0 ومن أهم السفن المرينية: الشواني(*) والقرقورة(*)،

----

(1) أمر الأمير يوسف بن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني في عام 678هـ[[00بعمارة الأجفان بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا 000فأعد أهل سبتة خمسة وأربعين جفناً ما بين كبار وصغار 000 وأكبر جفن من أجفان المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقورة إرتفاع الجبل الشاهق ، وإذا نشرت شراعها صيرته أرضاً وجرت عليه جري الجواد السابق 000]] وذلك لطرد نصاري أسبانيا عن مدينة الجزيرة الخضراء ، انظر ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 331 – 334 0

(2) [[000 ومن سنة ولاية المولي أبي سعيد عثمان المريني والده (أبي الحسن المريني) لم تزل المراكب تتري وتتعاقب شفعاً ووتراً في كل فصل من القراقر والمراكب والغزويات والقوارب والشواني كراءً وشراءً صيفاً وشتاءً الي سنة تسع وأربعين (749هـ) 00]] انظر ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 393 0

(3) السلاوي : المرجع السابق ، ج3، ص 89 / أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 381 0

(4) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 101 – 102 -0

(*) الشواني : مفردها شيني ، وهو مركب طويل يجدف بمائة مجداف وتقوم فيه أبراج وقلاع للدفاع والهجوم ويبلغ متوسط ما يحمله 150 رجل ، وفي نفس الوقت له وظيفة تجارية فالشواني تُتخذ لحمل الغلال إذ تشتمل علي أهراء ومخازن الغلال وصهاريج لحفظ مياه الشرب ، انظر عز الدين أحمد موسي : الأسطول المغربي علي عهد المرابطين والموحدين والمرينيين ، فصل من كتاب دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، لنفس المؤلف ، بيروت 1983 ص 56 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 103 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 110 وقد ذكر المنوني أن كلاً من ابن جبير وابن بطوطة ذكر الشواني ، / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ج1 ص 137 0

(*) القرقورة : جمع قراقر ، وهو لفظ عربي ويعرف في الإيطالية Cercurus ويذكر الحموي أن القرقورة من أصل أسباني وهو :كاراكا ، ويذكر ابن منكلي أن القراقر بثلاثة طبقات ،وهي أكبر القراقر وهناك قرقورة مسطحة وقرقورة حربية وأخري كندلة وثانية كملة ، ويذكر النويري السكندري أن صاحب القرقورة يسمي قبطان Capitano بلغة الفرنج وكاتبها لتقييد البضائع يسمي شكربان Escribano والتاجر يسمي بترون Patron ، وأشار دوزي الي القراقر بأنها من المراكب التجارية تتميز بالضخامة ، انظر ، درويش النخيلي : السفن الإسلامية علي حروف المعجم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية 1979 ص 26 -27 ، 120 – 121 0، وهناك القرقورة الحربية وهي عبارة عن سفينة طويلة وضخمة لتموين الجيوش في البحر ولها ثلاث قلاع وبإستطاعتها حمل 80 حصاناً ، انظر محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 102 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 110 ، وقد جاء ذكر القرقورة التجارية في وثائق التاج الأراجوني وذلك في عهد السلطان ابي سعيد المريني والسلطان أبي عنان المريني ، انظر Los Documentos Arabes : op. Cit. p. 197 – 210. Doc.

كذلك القرقورة الحربية التي إشتركت في حملة المماليك علي قبرص عام 828هـ انظر ابن شاهين : المصدر السابق ، ص 139 – 140 / ويذكر الونشريشي أن القرقورة كانت تستخدم لنقل الركاب والحجاج من المغرب الي المشرق ، انظر الونشريشي : المصدر السابق ، ج4 ص 490 – 491 0

وقد شرح النويري القرقورةالتجارية(*)، وهناك أيضاً من السفن التجارية الشياطي (*) والسلورة (*) والطريدة (*) والعشاري(*) والبشيل(*) ،

(*) أما القرقورة التجارية فقد شرحها النويري [00 ففي القراقر ذات الطوابق الثلاث توسق بالبضائع من أبواب بأجنابها ، فإذا قرب الماء من الباب الأسفل - بعد كمال سفنها بالوسق – غُلق الباب وسُمر وقُلفظ وطُلي بالأطلية المانعة للماء وحُملت البضائع الي الباب الذي هو اعلاه في الطبقة الثانية الي أن يتكمل سد بابها الذي هو في ظهرها وصار سطحها فارغاً للركاب وأثاثها، وليمر الماء عليه عند هيجان البحر فتمر الأمواج علي سطح القرقورة ليخرج من ميازيبها المصنوعة لها بجوانبها فتصير القرقورة بتلك الميازيب آمنة من إقامة المياه علي ظهرها 00 والقراقر ليس لها سفر إلا بالقلوع الممتلئة بالريح العاصف يجريها لكبرها وثقل حملها 00] وأضاف النويري أيضاً أن القرقورة لاتقف إلا في الميناء العميق لأن القرقورة إذا إصطدمت بقاع البحر أو البر إنكسرت لثقلها وثقل حمولتها فتصل حمولتها الي بضعة عشر ألف جزيرة زيت ، أنظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 121 – 124 0

(*) الشياطي : تشير النصوص اللاتينية الي أسم Saate أو Sagete وهو الشيطي وهو مركب صغير للإستطلاع يجدف بثمانين مجداف ، يقوم بمهام نقل الأخبار لرؤساء القراقر والأغربة ، انظر محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 102 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 111 0 وقد جاء ذكر الشياطي التجارية في وثائق التاج الأراجوني علي عهد أبي عنان المريني ، كذلك في عهد محمد الرابح بن أبي الوليد إسماعيل فرج سلطان غرناطة في 11 جمادي 726هـ ، انظر Los Documentoss …, : op. Cit. p. 53 – 54, 210, 214, Doc. وجاء ذكر الشياطي الحربية أيضاً في نفس الوثائق السابقة ، أنظر Los Documentos …..: Op. Cit. p. 257.

(*) السلورة : مركب يتراوح عدد مجاديفها ما بين 16 – 24 كما يذكر ابن منكلي وأن السلورة نوع من الأجفان التي تنقل المتاجر والبضائع وقت السلم أو الحرب ولذلك عرفت بالأجفان السفرية ، أما النويري السكندري فيذكر أنها نوع من السفن النافعة لرماة المسلمين وقت الحرب في البحر ، انظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 26 ، 66 ، وقد جاء ذكر السلورة في وثائق التاج الأراجوني الخاصة بملك أراجون خايمي الثاني مع كل من سلطان غرناطة وسلطان تونس وهي السلورة الأراجونية والسلورة البيزية ، انظر Los Documentos … : Op. Cit. p. 53 – 54, 257. Doc.

(*) الطريدة : جمع طرائد وطرادات ، وهي نوع من السفن الحمالة السفرية التي يقوم الناس بنقل أمتعتهم عليها ، فهي مزدوجة الإستعمال تارة حربية وفي نفس الوقت تجارية ، انظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 89 – 91 0 وتعرف في الوثائق اللاتينية Tarido أو Taretes وهي مركب سريع يشبه البرميل الهائل مفتوح مواخره بأبواب تفتح وتغلق وتستعمل غالباً في نقل الخيول للحرب وحمولتها نحو 40 فارساً، انظر ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 339 – 340 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 111 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 103 0 وقد جاء ذكر الطريدة كنوع من السفن التجارية لجمهورية بيزا والتي كانت تحمل الصوف من تونس عام 702 هـ /1302م انظر Los Documentos … : Op. Cit. p. 257. Doc.

(*) العشاري : جمع عشاريات وهي نوع من السفن التي تجر بعشرين مجدافاً وهي الناقلة التي تنقل البضائع والمتاجر والرجال من السفن الكبيرة مثل القراقر الي الساحل ، ويذكر النويري السكندري أيضاً أن العشاريات نوع من المراكب النافعة لرماة المسلمين وقت الحرب في البحر ، أما ابن منكلي فيحدد نوعها بالمراكب السفرية أي الحمالة وأن عدد مجاديفها يتراوح بين 16 – 24 مجدافاً ، انظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 66أما ابن جبير فيذكر أن العشاري نوع من القوارب الصغيرة الملحقة بالمراكب الضخمة السفرية وذلك لنقل الأمتعة والمسافرين الي الساحل ، وتستعمل أيضاً كقوارب إنقاذ في حالات الخطر وأهوال البحر وهياجه وغرق السفن ، انظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 285 ، 294 [000 والبحريون قد ضموا العشاري لإخراج المهم من رجالهم ونسائهم وأسبابهم 00] 0 وقد إستعملها المغاربة بدولة بني مرين في الموانئ التجارية لنقل السلع والبضائع من السفن التجارية الإيطالية ، أنظر Amari : Op. Cit. p.6.

(*) البشيل : نوع من المراكب التجارية الميورقية التي عرفتها دولة بني مرين في عهد السلطان أبي عنان المريني وذلك في رسالة بعثها حاكم ميورقة الي أبي عنان للإفراج عن البشيل الميورقي المحتجز أمام سواحل الجزائر المحمل بالزرع وذلك في 20 صفر 759هـ/1358م، انظر Los Documentos ….. : Op. Cit. p. 310 – 311, Doc.

والشلندي(*) والبركوس(*) والبطسة (*) والزورق(*) والقارب(*) والمراكب السفرية(*) وتلك المراكب كانت تستعمل كحمالة أو مراكب نقل المتاجر والحجاج والناس في أسفارهم من بلد الى آخر(1) 0

على أن أهم ما يميز تلك السفن التجارية أنها كانت مجهزة لخوض المعارك البحرية في نفس الوقت وذلك لكون البحر المتوسط غاصاً بالقراصنة النصارى ، فكانت السفن التجارية على أهبة الاستعداد الحربي أيضاً 0 وكانت معظم السفن التجارية مزودة بالأشرعة وذات شكل دائري وواسعة ، غير أنها بطيئة نسبياً عن السفن المزودة بالمجاديف ، وأما الأشرعة فكانت مثلثة وهي عربية الأصل التي فضلها المسلمون نظراً لتعدد مهامها، وتلائمها مع الريح المتغيرة بالبحر المتوسط ، وأيضاً تزودت السفينة بمجدافين عند مؤخرتها لتوجيه السفينة في الاتجاه المطلوب(2) ،

(*) الشلندي : جمع شلنديات وهي نوع من السفن الحربية الكبيرة لحمل المقاتلة والسلاح كما ذكر الحموي ، وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة ، وتعرف عند البنادقة بإسم Mahon وأصلها في اللاتينية Chelandium ويستعملها الفرنج في نقل البضائع ، ويعد الشلندي إحدي القطع البحرية الحربية الأندلسية في عهد الموحدين ، وهي سفن مسطحة مفتوحة قد يجري القتال فوقها بينما المجدفون يتواجدون بأسفلها ، لذا فهي ذات طابع حربي يمكن إستخدامها في نقل المتاجر ، انظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 78 – 81 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 103 0

(*) البركوس : جمع براكيس وهي من المراكب التجارية التي كانت تستعمل لنقل الناس والجند والمتاجر والأموال وقد ذكرها الأصفهاني عام 586هـ وحمولتها نحو 25 رجلاً من التجار بالإضافة الي الأموال والأواني وغير ذلك ، وهي نوع من المراكب الخاصة بالفرنج وكانت تعمل في البحر المتوسط ، محمد عبد الغني الأشقر : تجار التوابل في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999، ص 349 0/ درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 12 – 13 ، وقد ذكر ابن مماتي البركوش تحت اسم المركوش وأنه لطيف لنقل الماء وحمولته نحو مائة أردب ، انظر ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 340 0

(*) البطسة : تعرف بالبطشة وهي نوع من المراكب الحربية والتجارية معاً تتميز بالضخامة وكثيرة القلاع ويصل عدد القلاع فيها الي 40 قلعاً ، أنظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 14 / محمد عبد الغني الأشقر : المرجع السابق ، ص 349 0

(*) الزورق : عرف المغاربة الزورق قديماً وكانوا يستعملونه في نقل الأوساق ما بين المدن الساحلية لشمال إفريقيا ، انظر درويش النخيلي : المرجع السابق ، ص 66 ، 83 0

(*) القارب : وكلمة قارب وجمعها قوارب تعني المركب الصغير وهو قارب مساعد يخدم في الميناء للشحن والتفريغ ، انظر علي محمود فهمي : التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط، القرن 7 – 10 م، ت0 د0 قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولي 1997 عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ص 130 0

(*) المراكب السفرية : من السفن الكبيرة تسع لنحو 2000 شخص من الركاب ، وهي سفن شراعية ، انظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 283 / المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ن دار صادر بيروت 1988 ، ج2 ص 118 0

(1) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 247 / السيد عبد العزيز سالم & أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ج1 ص 137 0

(2) أوليفيا : المرجع السابق، ص 63 0 والشرع عند الجنوية وسائر المدن الإيطالية تكون علي شكل صليب ومربعة الشكل لكي تمتلئ بالريح وهو مفضل لديهم ، انظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 290 0

ويحتفظ تصميم السفن التجارية الإسلامية والمسيحية ما بين المدن الإيطالية وشمال إفريقيا بمشابهات نتجت عن ميراث مشترك(1) 0

أما أجرة السفر للفرد من المغرب الأقصى إلى المشرق الإسلامي في البحر عن طريق السفن السفرية فكان لا يقل عن دينار ذهبي(2) ، أما فيما يختص بعقد بيع المراكب ، فإن القرافي صاحب الذخيرة قد أورد نص عقد بيع المراكب) [[00 تكتب في المركب(جميع المراكب والعشاريات أو الدرمونة وغيرها) جميع عدتها المتحدة برسمها التي ذكرها الجاري ذلك في يد البائع وملكه وتصرفه علي ما ذكر، وصفتها : أنها طول كذا ذراعاً بالنجاري ، ومحملها كذا أردباً أو قفيزاً بالقيرواني أو غيره ، و صفة العدة أنها صارت قطعة أو قطع فروز أو سيارة عدته كذا ، وكذا سلسلناً وحبال قنب أوقطن كذا ، ورِجل قطعة أوقطعتين ، و كذا مجدافاً ، وأصقاله، حضر وغرس وقملوس ومدراس ، مدهن السفل والعلُوُ ، مسدود الشرفين ، مقطن الجنبين ، ومرساة حديد وزنهما ربع قنطار بالمصري مكمل العدد والآلة شراءً شرعياً وتكمل المبايعة 00]] ،(3) ، وكانت ملكية السفن عند المسلمين تشبه النظم السائدة في مدينة جنوة أواخر القرن 13م عندما أدى تراكم الثروات في أيدي الأسر الغنية وتزايد نفوذها(4) إلى تزايد حركة بيع وشراء السفن التجارية، ففي عام 702هـ/1302م بمدينة سبتة اشترى شخص قطلاني جزءاً من سفينة من شخص مغربي مقابل 175 دينار ذهبي ، و كان هذا الجزء من السفينة غير محدد ، على أن أكثر الاحتمالات تدل على أن ثمن السفينة كان يتراوح ما بين 525 دينار ذهبي الى 1400 دينار ذهبي كحد أقصي ، غير أن السفن التجارية التي كانت تتردد على سبتة في الفترة من عام 679 – 700هـ/1280 – 1300م كانت تتراوح قيمتها ما بين 500 - 2500 دينار ذهبي(5)0

---

(1) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 70 0

(2) الفشتالي : تحفة المغترب ببلاد المغرب ، نشر وتحقيق فرناندو دي لاجرانخا ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد 17 ، عام 1973 ، ص 162 0

(3) أنظر القرافي : الذخيرة ، ج10 ، تحقيق محمد بو خبزة ، الطبعة الأولي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1994 ص 355 ، 373 0

(4) صابر دياب : المرجع السابق ، ص 77 0

(5) Dufourcq: Op. Cit. p. 171.

ومجمل القول أن السفن التجارية والحربية كانت آنذاك بالمغرب الأقصى والمدن الإيطالية وأراجون وقطالونيا واحدة ولم تكن هناك فروق بينها ، فكل سفينة أو معظمها هي في الأساس حاملة للبضائع ولكنها في نفس الوقت كانت مستعدة دائماً لدخول أي معركة (1) 0

[4] الأسواق بدولة بني مرين :

تفيد دراسة الأسواق(*) المرينية بالمغرب الأقصى في التعرف على الحياة الإقتصادية لتلك البلاد، ونقف على المعيار الحقيقي للتداول التجاري الخارجي للمغرب الأقصى المريني مع مدن إيطاليا التجارية 0

ففي بداية العصر المزدهر للدولة المرينية كانت الدولة مهابة داخلياً وخارجياً بفضل اهتمامات الحكومة بالمرافق التجارية داخل وخارج الدولة مما جعلها تحصل على موارد مالية هائلة جعلها تقوم بفتوحات وانتصارات حربية بالأندلس على نصارى إسبانيا وفتوحات حربية ببلاد إفريقية والمغرب الأوسط ، وفي فترات التدهور الاقتصادي بسبب إهمال طرق المواصلات والموانئ التجارية هبطت إنتاجية الدولة وانهار النقد وفشت الأوبئة والصراعات العرقية وتفتت الدولة الى امارات متناحرة ، مما جعلها لقمة سائغة في فم نصارى إسبانيا ومدن إيطاليا حيث تساقطت أهم المدن التجارية المغربية تباعاً في يد الإسبان والبرتغاليين ، الأمر الذي عجل بسقوط دولة المرينيين 0

أ- أنواع الأسواق :

كان هناك أنواع عديدة من الأسواق ببلاد المغرب المرينية منها الأسواق الدائمة،

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p.48.

(*) قاسم عبده قاسم : أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس القاهرة 1978 المقدمة ص3 0 وتعد دراسة الأسواق من المواد التراثية الشعبية بالنسبة للمؤرخ لما تحويه من المعاملات والعادات والتقاليد التي كانت سائدة بين الناس في الأسواق والحياة التجارية بصفة عامة ، فتلك المادة التراثية الشعبية تساعد علي تفسير الظواهر التاريخية وفهمها ، كما أنها تحمل ما يمكن أن يسمي البعد الثالث في الظاهرة التاريخية وفهمها ومعرفة دوافعها وطبيعتها بدقة أكثر ، فالتاريخ يعتمد علي دراسة حركة الإنسان في بعده الرأسي الصاعد وهو الموقع الزمني ، أما دراسة المكان فهو يعد البعد الأفقي ، ثم تأتي المادة التراثية الشعبية لتضيف بعداً ثالثاً يجسد الرؤية الوجدانية للتاريخ حيث يضفي عليه طابعاً روحياً نفسياً يكسبه الصفة الكلية الشاملة ، أنظر قاسم عبده قاسم : بين التاريخ والفلكلور، الطبعة الأولي 1993 ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، ص 42 0

والأسواق الأسبوعية ، والأسواق الموسمية ، وذلك بمختلف المدن والقرى المغربية0

الأسواق الدائمة: كانت تتواجد بالمدن الرئيسية ، واستقرت بها بصفة مستمرة على مدار الأسبوع ، مثل سوق فاس(*) الجديد الذي كان طوله نحو نصف ميل ما بين الباب الغربي والباب الشرقي للمدينة ، وكان به دكاكين الباعة والحرفيين من كل صنف (1)0 أما قيسارية فاس القديمة وأسواقها فكانت المركز الرئيسي للتجارة الداخلية والخارجية لاسيما في عدوة القرويين (2)، وكان بها أسواق الجملة لتجارة الحبوب على مقربة من أبواب الجيسة والفتوح والمحروق ،وذلك لتجنب نقل المتاجر الثقيلة الضخمة بكميات كبيرة عبر الشوارع الضيقة إلى داخل المدينة والأسواق (3)، أما القيسارية فكانت في وسط المدينة ، وكانت أشبه بالمخزن الضخم الممتلئ بشتى السلع مثل الأقمشة والحلي والعطور والأفاويه والمصنوعات الجلدية والشمع والقناديل وغيرها ، وكانت القيسارية تضم المخازن الضخمة والتي كانت تسمى الفنادق حيث كان تجار الجملة يخزنون بها متاجرهم التي استوردوها من الخارج لحين توزيعها بالتجزئة على التجار ،(4) وكانت تضم أيضاً سوق الدخان الذي كان يباع فيه مختلف الأطعمة، وسوق الخرازين والقزازين (الحرير) (5)، وسوق الأقمشة الصوفية ، وسوق العشابين الذي كان يباع فيه جميع أنواع الخضروات ، وسوق الجزارين، وسوق الخزافين ، وسوق الصابون السائل ،وسوق الحبوب بأنواعها المختلفة ، وسوق الأقمشة والخيوط الكتانية(6) ، وسوق التجار الذي كان عبارة عن مدينة صغيرة محاطة بجدران

(*) لمزيد من التفاصيل عن أسواق مدينة فاس ، انظر الجزنائي : المصدر السابق ص 80 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، ج2 ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولي القاهرة 1981 ، ص 312 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 239 – 245 ، 249 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 148 – 149 / أحمد مختار العبادي : الحياة الإقتصادية في الدولة الإسلامية ، فصلة من كتاب دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت 1985 منشورات ذات السلاسل ، ص 361 – 362 / لوتورنو : المرجع السابق ، ص 21 – 48 0

(1) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 187 – 188 0/ الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 283 0

(2) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخخطيب ، ص 111 / أحمد مختار العبادي : الحياة الإقتصادية في الدولة الإسلامية ، فصلة من كتاب دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت 1985 منشورات ذات السلاسل ، ص 361 – 362 0 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 21 – 38 0

(3) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 41 0

(4) لوتورنو : نفسه ، ص 41 0

(5) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 70 0

(6) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 239 – 244 0

يتخللها إثنى عشر باباً، وكان يباع فيه السلع الجيدة عالية القيمة مثل الأقمشة الفاخرة المستوردة من أوروبا، والفُرُشْ والأحذية والأقمشة الكتانية واحتياجات النساء من الأقمشة والحلي والعطور وغير ذلك ، وكان يتواجد به أغنى تجار فاس للتجارة(1) وسوق العطارين كان يباع فيه منتجات العطارة والطب ، وكان يتخلل الأسواق حوانيت عديدة لبيع الآلات والأدوات ومختلف الصناعات اليدوية ، وكانت المكانس تصدر إلى إيطاليا عبر صقلية (2) 0 أما قيسارية عدوة الأندلسيين بفاس القديم فكانت تضم أسواقاً عديدة ولكنها أقل عدداً وسلعاً بالنسبة لقيسارية عدوة القرويين بفاس القديم (3) 0

أما مدينة سبتة فقد كانت تضم نحو 142 سوقاً دائمة داخل المدينة ، ومن أهم أسواقها ، القيسارية ، وسوق العطارين ، والسوق الكبير ، وسوق مقبرة زكلو بشرق المدينة (4) وسوق سرذينة(5)، و تواجدت الحوانيت بأرجاء سبتة ووصل تعدادها ما يقرب من 24 ألف حانوت(6) ، وكان بسبتة سوق لتجارة الأواني النحاسية المنمقة بالألوان الزاهية ، وقد شاهد ليون الأفريقي بعض تلك المصنوعات في المدن الإيطالية(7) ، واحتوت سبتة أيضاً على أربعين ألفاً من المطامير(مخازن الغلال) كما يذكر الأنصاري [00 وعدد المطامير المعدة لخزن الزرع أربعون ألفاً مفترقة بالديار وببعض الحوانيت 00](8) ويتضح من النص أن الأنصاري جمع بين المطامير والحوانيت في النص مما يدل على أنه بالغ في عدد المطامير والحوانيت بسبتة على أن الذي يهمنا هو الدلالة على كثرة المخازن والحوانيت لتخزين الغلال مما يوحي بتزايد حركة التجارة بسبتة بدرجة كبيرة 0

---

(1) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، 245 – 246 0

(2) نفسه ، ص 246 – 249 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 245 – 246 / لوتورنو : نفسه ، 41 0

(4) الأنصاري السبتي : إختصار الأخبار عما بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط 1969 ص 39 0/ محمد الشريف : سبتة الإسلامية 000 ، ص 44 – 46 ، 99 0

(5) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، السفر السادس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ص 341 0

(6) الانصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 39 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 317 / محمد الشريف : المرجع السابق ن ص 46 0

(8) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ص 46 0

وكان بسبتة أيضاً أسواق أخرى عُرفت تحت إسم التربيعات(1) وهي تجمع بين خصائص الأسواق وخصائص الشوارع الضيقة الملتوية المكتظة بالباعة والمشترين ، ومنها تربيعات كانت مخصصة للحرير فقط وعددها نحو 31 تربيعة(2) أما الرحبات التي كانت مخصصة لأسواق الغلال فكانت تتواجد بالقرب من فنادق النصارى والميناء مثل رحبة الخطاب بالميناء، ورحبة الوزان، ورحبة الزجاج بالقصبة، والرحبة العظمى على مقربة من فنادق النصارى(3)0

وقد كانت كآفة المدن المغربية عامرة بالأسواق التجارية الدائمة بحيث لا تخلو مدينة واحدة من سوق دائم ، فمدينة سلا كانت لها قيسارية ، اشتهرت بتجارة العبيد السود والقطن والكتان والذهب (4)، ومدينة مراكش كانت لها قيسارية كبرى بمنطقة تمراكشت بالقصبة داخل المدينة(5) 0

الأسواق الأسبوعية : كانت متواجدة ومنتشرة بالمدن المغربية والقرى وكانت تُعقد لمدة يوم محدد من كل أسبوع ، وكانت هذه الأسواق أغلبها خارج المدينة ، فهي ملتقى سكان المدينة وسكان الريف ، فكان تجار الريف يفدون إلى المدينة بالماعز والأغنام والأبقار والبغال والحمير والخيول والطيور والمحاصيل الزراعية ومنتجاتهم الزراعية والصناعية البسيطة والمواد الخام ، فكانوا يقايضونها بسلع أخرى يحتاجونها مثل الأدوات الزراعية والأحذية والأدوية البيطرية ، والأقمشة ، وكان أهل الريف يتحصلون أيضاً من تلك التجارة على النقود(6)، ومن أمثلة ذلك السوق الكبير الذي كان متواجداً خارج مدينة فاس بأرباضها ناحية الغرب يوم الخميس من كل أسبوع ، لبيع الماشية وكآفة أنواع السلع والمحاصيل المتنوعة ،

----

(1) التربيعة التجارية : هي سوق صغير مربع الشكل يشتمل علي عدد من حوانيت الحرارين والخياطين وغيرهم من ذوي تلك التجارة وهو ما يعرف حالياً بالإسكافيين ، انظر عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب إختصار الأخبارللأنصاري السبتي هامش 1 ص 40 / عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق ، ج2 ص 141 0

(2) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 40 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 50 0

(3) البادسي : المقصد الشريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أعراب الرباط 1982 ص 140 0

(4) ابن الخطيب : مشاهدات 000 ص 65 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ج2 ص 307 / الحميري : المصدر السابق ، ص 319

(5) Deverdun : Marrakesh , p. 229 .

(6) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 55 0

فقد رأى ليون الأفريقي هذا السوق ورأى ضخامته وكثرة أنواع السلع وكمياتها ((00 ولم أر في أي مكان آخر لا في أفريقيا ولا في آسيا ولا في إيطاليا سوقاً توجد فيه بضائع بالقدر الذي يحتويه هذا السوق ، وأما قيمة ما يحتويه من بضائع فهذا شيئ يستحيل تقديره 00)) (1) 0

وكان بمدينة آصيلا سوق يعقد يوم الجمعة من كل أسبوع حافلاً بالتجار والسلع (2) ، وكان بمدينة وردان[بأحواز نكور بإتجاه البحر المتوسط] ، وتيدسي ببلاد السوس (على مقربة من تارودنت) سوق يوم السبت لتجارة الحديد والخيل والزيت ، وكان التجار اليهود المغاربة يتاجرون في هذا السوق بأعدادٍ كبيرة(3) ، وكان خارج أسوار مدينة مكناس سوقاً كبيراً يعقد يوم الإثنين من كل أسبوع(4)0 وبجبل بني زكار بإقليم الهبط كان السوق يعقد يوم السبت من كل أسبوع فكان يقصده تجار فاس وغيرهم لشراء الشمع والعسل والجلود المدبوغة، فكان التجار النصارى الجنوية يتاجرون في بلاد البربر لشراء الشمع والجلود(5) ، ومدينة تكاروست بإقليم السوس كان بها سوق يستمر يومين من كل أسبوع ، وكان تجار أعراب المنطقة والبربر وتجار بلاد السودان في يشترون الثياب المغربية(6)، وكان بمدينة سور موسي بمنطقة دكالة سوق كان يعقد لمدة يوم من كل أسبوع وكان مكتظ بالتجار والسلع لكن ابن الخطيب لم يحدد اليوم الذي كان السوق ينعقد فيه ((0 وبخارجه سوق جامعة ، يُحشر إليها الناس ضحًى ، ويتقاطرون من كل مرمى يمثلون في صعيد واحد ، قد خيمت تجارهم وظللوا، ولا ينفض الجمع إلا مع انقضاء بياض يوم00)) (7) وبخارج مدينة سبتة كان به أسواق كثيرة وصل تعدادها إلى 32 سوقاً (8) 0

الأسواق الموسمية : كانت الأسواق الموسمية منتشرة ببلاد المغرب وكانت تقام بصفة دورية بإنتظام في كل عام، وكانت مدة انعقادها تتراوح ما بين 15 يوم إلى شهرين متتاليين،

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 279 – 280 0

(2) الحميري : المصدر السابق ، ص 42 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص130 – 131 ، 349 ،

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 220 0

(5) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 225 0

(6) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 38 – 39 0

(7) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص 150 0

(8) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 39 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 44 – 46 ، 99 0

وكان يقصده التجار من مختلف البلدان ، وتميزت هذه الأسواق بأهمية الصفقات التجارية الكبيرة والهامة التي جرت به ، ومنها سوق جزولة بمنطقة جزولة (جنوب بلاد المغرب الأقصى) كانت تستمر لمدة شهرين متاليين من كل عام ، وكان التجار من بلاد السودان يفدون لعقد صفقات تجارية هامة به ، وكان السوق عادةً يبدأ يوم المولد النبوي الشريف(1)0

وفي مدينة هادكيس بإقليم حاحة كان يقام بها سوقاً موسمياً كل عام كان يستمر لمدة 15 يوماً، واشتهر سكان هادكيس بالتجارة والتجول في المناطق المجاورة وكانت العملة النقدية المتداولة أواخر دولة بني مرين من الفضة ، واشتهر السوق بتجارة الماشية والسمن وزيت الهرجان والأقمشة المغربية والأدوات الحديدية (2) 0

ب - التنظيم الداخلي للأسواق:

كان العمل بالأسواق يقوم به نوعان من العاملين : الفئة الأولى العليا وهي الفئة الإدارية التي كان على رأسها المحتسب والاداريين والموثقين والعدول وصاحب الشرطة وغيرهم ، أما الفئة الثانية فكانت تضم الدلالون والصاحة والسماسرة والجلاسون والحمالون وغيرهم ، فأما الفئة الادارية وعلى رأسها **المحتسب** الذي كان يقوم بوضع أسعار الأطعمة وتحديدها ومراقبة الموازين والمكاييل ، و كان له محكمة صغيرة للقضاء بين الباعة والمشترين ، وفض المنازعات وتأديب الخارجين على النظام ، وأعمال التفتيش للتأكد من سلامة السلع من أعمال الغش (3) ، وكان المحتسب كثيراً ما يتجول على ظهر جواده ومعه أعوانه من رجال الشرطة على باعة الأطعمة ومراقبة الموازين والأسعار ، وكان يعاقب الخارجين على النظام بعقوبات رادعة ، فكان يضع عقداً من حبات اللحم في صدر الجزار ، وكان يأمر الحراس بأن يطوفوا به الأسواق حتى يعلم الناس غش الجزار وبيعه اللحوم الفاسدة(4)، كذلك كان المحتسب يقوم أيضاً بوزن الخبز للتأكد من الوزن الصحيح ، وفي حالة مخالفة بائع الخبز للوزن فكان المحتسب

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 38 -39 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص113 0

(3) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 151 0

(4) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 154 0

يقوم بتفتيت الخبز ويلطمه على وجه ، وفي حالة تكرار ذلك فإن العقوبة الرادعة كانت الجلد(1) ، وكان المحتسب يقوم بضبط الأمن والاستقرار بالأسواق ومنع المشاجرات وأعمال الشغب بمساعدة رجال الشرطة ، فقد كان سوق مكناسة يكثر به الخلل والمشاجرات ، وذلك في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م ((00 ومكناسة أسواقها يكثر بها الهذر 00)) (2) ،وكان يقوم بتنظيم السوق بحسب أنواع السلع فكان يضم كل تجار سلعة واحدة في مكان في مجموعة واحدة وبالتالي كانت مجموعات التجار تتكون لكل سلعة واحدة بالسوق (3) 0

أما **رجال الشرطة** فكانوا ينقسمون إلى عدة وظائف حسب الأهمية فمنهم البياتة (*) الذين كانوا يحرسون المتاجر ليلاً على نفقة المتاجر ، فقد كانت أبواب الأسواق تُغلق ليلاً، وكان الحراس المسلحون يتجولون بالفوانيس وكلاب الحراسة للقبض على اللصوص ، وكانت أسواق عدوة القرويين بفاس مسقوفة في بعضها ومُزينة ، فكان سوق العطارين يجتمع فيه الجمال والإنارة نظراً لأهمية هذا السوق وارتفاع ثمن بضائعه ، حتى أن ليون الأفريقي شاهد بنفسه ذلك ((00 والسوق في غاية الزينة ذات سقوف جميلة جداً وخزائن ، ولا أعتقد أن في كل العالم قاطبةً سوق عطارين مماثل لهذا00واجتمع في سوق فاس الجمال والإنارة))(4)0 وكان الحراس في بعض الأسواق الأخرى مثل سوق منطقة جزولة الموسمي يقومون بتأمين السوق وذلك بتنظيم دوريات لحراسته وكانوا يقتلون اللصوص ، ويقدمون الطعام مجاناً للتجار الغرباء رغم تعدادهم الكبير(5) ، أما حراس المراسي التجارية فكانوا أشبه بالشرطة الخاصة كانت تُؤخذ منهم المواثيق المؤكدة في المحافظة على مهنهم ، وهو ما يُعرف بيمين الإخلاص للمهنة خوفاً من الارتشاء ، فكانوا يقومون بحراسة الموانئ ومراقبة البضائع الصادرة والواردة وتحصيل

---

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص244 0

(2) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص 109 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص156 – 157 0

(*) البياتة : بفتح الباء وتشديد الياء ، هو حارس ليلي في العامية المغربية الأندلسية ، وكان بسبتة عدة أزقة تنغلق عليها دروب وعليها بيات تجري عليه وعلي أمثاله الجرايات ، انظر الأنصاري : المصدر السابق ، ص 37 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ،ص 247 0

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص156 – 157 0

قيمة الضرائب الواجبة ومصادرة البضائع الممنوعة شرعياً وحربياً مثل الخمور والخيل والأسلحة والحبوب والمواد اللازمة لصناعة السفن (1)0 وكان بالأسواق أيضاً **الموثقون والعدول** وهم يسجلون عقود البيع والشراء ، وكان هناك العديد من مكاتبهم ، فيجلس في المكتب الواحد عدلان لتحرير جميع أنواع العقود سواء بالبادية أوالحاضرة ، ثم يوقع عليها القاضي(2)0 و**المخزنيون** وهم القائمين بالمخازن فيقومون بوضع سلع التجار وبضائعهم في المخازن بالأسواق والفنادق التجارية المتواجدة بالأسواق(3)0على أنه من الملاحظ أن قوة الدولة المرينية تظهر في الأسواق بانضباط أمورها وعدم تلاعب الباعة أو الموثقين والمخزنيين بالتجار والمشترين ، إلا أنه في فترات الضعف والتدهور المريني ، كان الأمناء يرتشون ويأكلون أموال الناس بالباطل، وكذلك المخزنيين كانوا يستولون على بضائع التجار بالمخازن ثم يقومون بإعطائها لبعض التجار لبيعها لحسابهم(4)0 وكان هناك فئة أخرى قائمة بخدمة أعمال التجارة وحمل السلع مثل **السماسرة**(*) و**الدلالون**(*)،

---

(1) ابن شنهو عبد الحميد بن أبي زيان : النظام الإداري في المغرب ، ط3 الرباط 1962 ، ص 40 / صالح محمد فياض : نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الأداب – جامعة الإسكندرية 1977 ص 123 0

(2) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 58 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 150 / كمال السيد أبو مصطفي : جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب 1996 ص 84 0

(3) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 63 / كمال السيد أبو مصطفي : المرجع السابق ، ص 84 0

(4) نفسه ، ج7 ص 305 / نفسه ، ص 50

(*) السماسرة : السمسار هو الذي يدور بالسلعة ويطوف بها علي التجار ويقول : من يزيد علي السلعة؟ والسمسرة هو الإشعار بقدوم السلع وأشباهها ، ويقعد السمسار في الحانوت ليبيع ويشتري لمن يريد ، انظر أبو علي الحسن بن رحال المعداني : كشف القناع عن تضمين الصناع تحقيق محمد أبو الأجفان ، تونس 1986 ص 100 – 101 ، والسمسار وسيط بين التاجر والمشتري يقوم بإحتكار التجار الغرباء وأهل السفر عنده بإعداد المسكن والمبيت تحت رعايته في مقابل تصريف بضائعه عن طريق البيع بالمزاد العلني فيستفيد السمسار بالإنتفاع ببعض المال من التاجر مقابل تصريف بضائعه وتوفير مسكن له ، لذلك كان المحتسب ينزل التجار عند السماسرة لضمان تصريف البضائع بالمزاد دون رفع الأسعار علي حساب المشتري ، انظر ، السقطي : في آداب الحسبة ، مطبوعات معهد العلوم المغربية ، باريس 1931 ص 59 / عز الدين أحمد موسي : النشاط الإقتصادي ، ص 285 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 239

(*) الدلالون : الدلال هو الذي يعرف القادمين من التجار بموضع السلع في البلد ويعرف ارباب السلع بالتجار فيسمي الدلال لأنه يدل المشتري علي البائع ، والبائع علي المشتري ، فوظيفته الإجارة علي بيع السلع ، أنظر أبوعلي الحسن بن رحال المعداني : المصدر السابق ، ص 100 – 101 0

و**الحمالون** (*) ، و**الجلاسون**(*) و**الصاحة والمنادون**(*)،

وقد اشتغلت النساء بالدلالة والبيع على الديار والأسواق مثل الحلي والجواهر والثياب(1) ، وقد حدد مارمول تعداد الدلالين بنحو 70 شخصاً بقيسارية فاس القديمة بعدوة القرويين فقط، وتواجدوا في زقاق كان يسمى [كواكوا سادور] حيث كان الدلال يحمل السلعة من مكان الى آخر ويأخذ فلساً واحدا عن كل درهم من مبيعاتهم(2) ، ولم يكون الدلال بالديار المغربية شاباً بل اشترط المحتسب أن يكون شيخاً عفيفاً مشهور بالصلاح والتقوى خوفاً من شيوع فسادهم بالمنازل والدور(3)، أما المنادي (السمسار) فكان يتقاضى 14 سنتاً ذهباً عن كل دينار من المبيعات(4) 0

ج – إشراف الدولة على الأسواق :

اهتمت حكومة بني مرين بإنشاء الأسواق والقيساريات وحمايتها وتنظيمها والمحافظة على مواردها رغبة في عائد فائق يضمن للحكومة المرينية بقائها واستمرارها ، ومن ذلك قيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ببناء سوق مدينة فاس الجديد ونظمه بين الباب الغربي والباب الذي يطل على الشرق وطوله نحو نصف ميل ، وتقع فيه دكاكين الباعة

(*) الحمالون : هم فئة من الناس كانوا ينقلون السلع للتجار والمشترين داخل وخارج الأسواق ، وتنقل المتاجر علي الحيوانات (البعير والحمير والبغال) ويتواجد من الحمالين بقيسارية فاس علي الأقل نحو 300 حمال وسائقي العجلات لنقل السلع ، ولابد أن يحمل الحمالين رخصة ودفع كفالة للأمين المسؤول عنهم والذي يفصل نزاعاتهم ولهم صندوق مشترك لسد حاجاتهم الضرورية ، انظر أبو علي الحسن بن رحال المعداني : المصدر السابق ص 114 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص151 / روجيه لوتورنو : المرجع السابقً 46 0

(*) الجلاسون : هم نوع من السماسرة إنتشروا في عهد بني مرين بالمغرب الأقصي وإ تخذوا حوانيت لهم من أجل نزول التجار الغرباء ، وكان الجلاسون برفعون سعر بضائع هؤلاء التجار بالإتفاق مع الدلالين في غياب التجار وبسعر أعلي من المتفق عليه ما بين التاجر والجلاس، ثم يقتس الجلاس والدلال فارق الربح ويكون ذلك علي حساب المشتري ، ، ويجلس الجلاس بالمزاد العلني فيرفع سعر السلعة بالإتفاق مع الدلال دون أن يشتري وهو ما يعرف بالنجش المحرم شرعاً لذلك كان المحتسب يُنزل التاجر علي السمسار وليس الجلاس ، انظر السقطي : المصدر السابق ص 58 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 239 0

(*) الصاحة والمنادون : وهم نوع ثانٍ من أنواع السماسرة كانوا يقومون بالمناداه علي السلع في الأسواق ، انظر أبو علي الحسن بن رحال المعداني : المصدر السابق ، ص 92 ، 101 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 242 0

(1) القاضي عياض وولده محمد : مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، تحقيق محمد بن شريفة بيروت 1990 ص 163 0

(2) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 149 ، والسنت يساوي 8 مرابطية تقريباًعلي عهد مارمول 0

(3) ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 49 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 242 0

والحرفيين من كل صنف (1)، وكانت حكومة بني مرين تضع حراساً وكتبة عند كل باب من أبواب المدينة لجباية الرسوم المفروضة على كل سلعة داخلة إلى الأسواق ، أما السلع الهامة فكان الحراس يصحبونها إلى مكتب الجمرك لتقدير ثمن البضائع ، وبالتالي تقدير قيمة الضريبة المقررة ، وكانت حكومة بني مرين قد عينت موظفاً للجمرك بأسواق فاس فكان يجبي الرسوم الجمركية ويضعها في خزينة الدولة(2) 0 وقام السلطان أبو سعيد عثمان الأول المريني بتجديد بناء سوق العطارين الذي احترق في جمادي الأول عام 723هـ/1323م فجدده وشيد حوله سوراً ، وعمل له باباً مصفحاً بالحديد وخصص السوق للعطارين فقط (3)، وأمر السلطان أبو سعيد عثمان بتجديد وبناء سوق الرصيف وسوق الصباغين وسوق الرميلة والحوانيت التي تهدمت بسبب السيل الجارف عام 725هـ/1325م الذي أغرق جوانب من المدينة وهدم بعض الحوانيت والدور ، فقام بتجديد بناء تلك الأسواق والحوانيت في أحسن بناء (4)0

وكان بسبتة أربعة دور للإشراف(*) على التجارة، الأولى للديوان (الجمرك)(*) وكانت متواجدة أمام فنادق تجار النصارى، وكانت مخصصة لتسجيل المكوس والضرائب الجمركية والأعشار ودفعها، وكانت نقطة مراقبة للسلع الصادرة والواردة،لاستخلاص الضرائب المقررة عليها (5)، والثانية للإشراف على دار السكة والعملة، والثالثة للإشراف على المخازن ويسمى بالقاعة(*) والرابعة للإشراف على النجارة (دور صناعة السفن والأخشاب)

---

(1) الجزنائي : المصدر السابق ص 80 / مجهول : الذخيرة السنية ، ص 187 – 188 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، ج2 ، ص 312 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 239 – 245 ، 249 / أحمد مختار العبادي : الحياة الإقتصادية في الدولة الإسلامية ، ص 361 – 362 / لوتورنو : المرجع السابق ، ص 21 – 48 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 254 0

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 413 0

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 414 0

(*) الإشراف : كلمة إدارية مغربية قديمة معناها الإشراف علي جباية الأموال لخزينة الدولة ، ومتوليها يسمي المشرف ، وقد حلت محلها في القرون الأخيرة كلمة أمين ، أنظر عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب إختصار الأخبار للأنصاري السبتي ، هامش 7 ص 45 0

(*) الديوان : تعادل حالياً كلمة جمرك وهو مكان تسجيل المكوس والأعشار ودفعها ، وكانت نقطة مراقبة للسلع الواردة والصادرة ، انظر عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب إختصار الأخبار للأنصاري السبتي ، هامش 2 ص 45 0

(5) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 35 0

(*) القاعة : هي سوق تخزن فيه السلع بالجملة لبيعها جملة مثل الزيت والسمن والعسل وتعرف في عموم المغاربة بإسم سوق العطور ، انظر عبد الوهاب بن منصور : نفسه هامش 3 ص 45 0

والبناء(1) ، كما أقام السلطان أبو عنان المريني زاوية كبرى بباب فاس (أحد أبواب سبتة المتجه الى تطوان) لخدمة التجار الغرباء(2) 0

وقد قامت دولة بني مرين بتعيين أسرة بني العزفي لإدارة شئون المدينة خاصةً الشئون التجارية ، وقيادة الأسطول (3) ، وتمتعت سبتة بموقع ممتاز بالنسبة لحكومة بني مرين فقد كانت التجارة الخارجية تدور الأموال الطائلة على المدينة والدولة معاً لذلك كانت سبتة بمفردها تدفع ضريبة العشر وقدرها خمسون ألف مثقال ذهب (4) 0

د – عمليات المتاجرة :

كانت عمليتا البيع والشراء حرتين ، لكن أغلب الأحوال كان البيع **بالمزاد العلني** ، فقد كان الصناع والتجار يرغبون في تهيئة سوق منتظم ومستقر لترويج سلعهم وصناعتهم ، وكان للمزاد مكان ثابت بجوار حوانيت التجار وفي الميدان أو الشارع (5) ، وكان هناك مزاد لبيع خيوط الكتان كان يبدأ في الظهيرة وينتهي عند العصر ، وكان المنادون يحملون الخيط ويتجولون به في السوق (6)، وكان هناك مزاد ثان يبدأ في الظهيرة وينتهي عند المساء لبيع الأقمشة الصوفية ، فكان المنادي يضع القماش على كتفه متجولاً في الأسواق(7) ، وكان هناك مزاد آخر يبدأ بعد الظهر وينتهي عند العصر لبيع الصوف الخام وجميع المواد الخام والمنتجات الإستهلاكية اليومية الدائمة (8) ، فكانت جرار السمن والعسل والزيت تباع بالمزاد وكان المنادون ويكيلون الزيت والسمن والعسل في الجرار لبيعها بالجملة، وكانت الجرة الواحدة تسع 150 رطلاً (9) 0

----

(1) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ن ص 45 0

(2) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 35 0

(3) ابن مرزوق : المسند الصحيح ن ص 119 / ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 247 0

(4) وكان ذلك في عصر السلطان المريني أبو سعيد عثمان الأول ، أنظر

Al – Omari : Masalik El-Absar Fi Masalik El-Amsar ,I,Gaudefroy- Demomynes . Paris, 1927 P. 171.

(5) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 155 0

(6) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 243 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 242 0

(8) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 155 0

(9) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 242 0

وقد كان عدد البائعين والمشترين والدلالين بالمزاد يتوقف على نوع السلع وجودتها ، فكلما كانت السلع عالية الجودة ومرتفعة السعر اكتظ المزاد بالباعة والمشترين والدلالين ، أما الباعة فكانوا يصلون إلى المزاد قبل انعقاده بوقت قصير لاختيار الدلال الدائم المألوف لهم ، وكانت السلع تباع في شكل منتظم مثل الأحذية كانت تباع كل ثلاثة أو ستة أزواج معاً أو أكثر من ذلك، أما الجلود الخام فكانت تباع كل ستة أو إثنى عشر قطعة ، أما جلود الثيران فكانت تباع بالواحدة ، وكان البيع بالنقد وفي هذه الحالة كان المشتري يحصل على بعض التخفيض في حالة الشراء بالنقد ، أما البيع بالأجل فكان السعر ثابت ولا يحصل المشتري على أي تخفيض(1) 0

وكان هناك نوع ثان من أنواع المتاجرة وهو **التعاقد المباشر** ما بين البائع والمشتري ، وتمثل ذلك في تجار التجزئة ، وكان هؤلاء نوعين ، الأول تَمثل في تجار المواد الثمينة والأقمشة والأحذية والحلي وكان لهم مكاناً ثابتاً في الشوارع الجانبية بالقيسارية ، وكانت أرباحهم عالية من تلك التجارة ، أما النوع الثاني فكان يتمثل في التجار البسطاء المنتشرين في حوانيتهم على مقربة من أبواب المدن وذلك لأن أكثر تجارتهم كانت مع أهل الريف ، وكثيراً ما كان هؤلاء التجار يشترون بضائعهم بالتسليف إلى أجل من تجار الجملة (2) ، وهناك من طرق المتاجرة الكثير وسوف نعرضه في مكانه لاحقاً 0

---

(1) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 156 - 157 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص239 – 240 / روجيه لوتورنو : المرجع السابق ، ص 158 – 162 0

[5] الموازين والمكاييل والعملات النقدية :

كانت الموازين والمكاييل المرابطية والموحدية هي التي سادت بلاد المغرب في عصر بني مرين ، واختلفت قيمتها ومكيالها من مدينة الى أخرى من حيث دقتها وضبطها ، إلى جانب أعمال الغش بالأسواق وكان من الصعب وضع إحصائيات دقيقة لتلك الأوزان والمكاييل 0 الأمر الذي دفع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الى التحقيق في ذلك الأمر وقام بضبطها من حيث الدقة للأوزان والمكاييل والنقود(1) ، ومن تلك الموازين والمكاييل التي سادت بلاد المغرب المرينية : الوسق(*) والصاع (*) ، والمُدْ(*) والرطل(*) والأوقية(*) والربع(*) والقفيز(*) والحمل(*) والقيراط(*)،

----

(1) الكومي : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق الطبعة الثانية 1985 ص 107 / محمد الشريف : المرجع السابق ، 53 0

(*) الوسق : حمل بعير ويساوي الصحفة والقفيز ، ويعادل 60 صاعاً ، انظرأبو العباس العزفي السبتي : إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف علي حقيقة الدينار والدرهم والمد ، تحقيق محمد الشريف ، أبو ظبي 1999 ، ص 132 / الكومي : المصدر السابق ، ص 103 / القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ص 177 / المنوني : المرجع السابق ، ص 556 : مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 242 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 151 0

(*) الصاع : مكيال يعادل 4 أمداد من المد النبوي وهو القدح المختوم وكان الولاة يضعون عليه خاتمهم لكي لايزيد ولاينقص ، انظر أبو العباس العزفي : المصدر السابق ، ص 126 / الكومي : نفسه ، ص 103 0

(*) المد : مكيال قدره ملء كفي الإنسان ويعادل ربع صاع ويساوي 1.52 تقريباً أنظر أبو العباس العزفي : نفسه، ص 126 / الكومي : نفسه 0 / القلقشندي : نفسه 0

(*) الرطل : مكيال يعادل 16 أوقية انظر القلقشندي : نفسه 0 / الكومي : نفسه ، ص 110 ،113 / وهناك الرطل العطاري لوزن الذهب والمجوهرات ، والرطل السوقي للسلع الغذائية ، انظر برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 261 / المنوني : المرجع السابق ، ص 556 / ويعادل الرطل نحو 75. من الصاع انظر ابو العباس العزفي : نفسه، ص 127 0

(*) الأوقية : مكيال يعادل 33.33 جرام انظر القلقشندي : نفسه 0 / الكومي : نفسه0

(*) الربع : مكيال يساوي 15 رطلاً وهو عبارة عن قدح مطبوع عليه ربع الكيل والكيل يساوي 60 رطل ، انظر ابن عبدون: المصدر السابق ، ص 39 – 40 0

(*) القفيز : مكيال كبير ومنتشر بأرجاء المغرب الأقصي والأدني ولكنه يختلف من مكان الي آخر فمثلاً في تونس يساوي القفيز أو الوسق 204 مداً نبوياً انظر البكري : المصدر السابق ، ص 26 – 27 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 262 / ويعادل قفيز تونس أيضاً 1.75 هكتولترات أما في سبتة فيساوي 8 هكتو لترات ، أما بلنسية فيعادل 1.4 وأراجون 1.8 وطرابلس الغرب 2.50 انظر محمد الشريف : المرجع السابق ص 53 0

(*) الحمل : حمل جمل أو الوسق أو الصحفة انظر أبو العباس العزفي : نفسه، ص 132 0

(*) القيراط : وحدة صغري في الوزن ويعادل 0.195 جرام انظر الكومي : المصدر السابق ص 98 0

والكيلجة(*) والمكوك(*) والويبة(*) والأردب(*) والقسط(*) والعرقُ(*) والفرقُ(*) والقنطار(*) والمطر(*) والجرة(*) والمزريولة(*) والقالة(*) والقبضة والحفنة(*)0 ونظراً لأن مهمة الكيل كانت في غاية الأهمية والحساسية بالنسبة للمدن التجارية لاسيما في القرن 8هـ/14م، فإن سبتة كانت تهتم بذلك أشد الاهتمام نظراً لتوافد جميع السلع والمتاجر المختلفة من شتي مدن حوض البحر المتوسط فكان تجار سبتة يلاقون صعوبة في التعامل مع مختلف الأوزان والمكاييل، والتجأ تجار سبتة آخر الأمر لعمل نظام ثابت للموازين والمكاييل بأن اتفقت مع جميع التجار الأجانب ، بأنه على المشتري والبائع تقييم السلع في عقود البيع بنظام وزن سبتة وكيلها(1) ، وأما في مدينة فاس والمدن الداخلية فقد طرأ الغش على الأوزان والمكاييل ، فقام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بتحديد الأوقية والرطل والصاع المريني وتبعه في ذلك السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، الذي قام أيضاً

(*) الكيلجة : مكيال سبتي يساوي نصف صاع انظر أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 127 0

(*) المكوك : مكيال يساوي نصف رطل ، انظر أبو العباس العزفي : نفسه 0

(*) الويبة : مكيال يساوي 3 صاع أو 12 مداً نبوياً ، انظر أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 130 / برنشفيك : نفسه 0

(*) الأردب : مكيال يساوي 6 ويبات ويعادل 18 صاعاً بتونس أو 24 صاع سبتي ، انظر أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 132 / برنشفيك : نفسه0

(*) القِسط : يساوي نصف صاع ،أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 127 0

(*) العَرْقُ : يساوي 15 صاع ، أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 131 0

(*) الفَرَقُ : يعادل ستة أقساط وهو مكيال خشب ، انظر أبو العباس العزفي : نفسه ، ص 130 0

(*) القنطار : مكيال يساوي 100 رطل ، انظر برنشفيك : نفسه ، ص 162

(*) المطر : وحدة كيل للسوائل وتساوي 20.69 لتراً انظر برنشفيك : نفسه ص 262 0

(*) الجَرة : وحدة كيل للسوائل تساوي 3 أمطار = 50 لتراً تقريباً انظر برنشفيك : نفسه 0

(*) المزريولة : وحدة كيل الخمور تساوي 2 قرتينة وهو مكيال أوروبي ، انظر برنشفيك : نفسه ، ص 263 0

(*) القالة : وحدة قياس الأقمشة بفاس المرينية ، وقد أعدها أبو عنان المريني لقياس الأقمشة بالقيسارية ومنها قالة الدرازية أو الإدريسية للمنسوجات المطرزة وطولها 46 سنتيمتر وذلك عام 755هـ ثم قالة الكتانية بسوق العطارين وطولها 55سنتيمتر لقماش القطن والكتان والحرير ، انظر المنوني : المرجع السابق ، ص 142 – 143 0

(*) القبضة والحفنة : مكيال بتونس عرفته بلاد المغرب الأقصي وهو مخصص للرجال الذين يجمعون الضرائب علي الحبوب بأخذ قبضة أو حفنة باليد الواحدة 0

(1) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 182 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 53 0

بتعديل المد النبوي(1) والوسق وتبعه السلطان أبوسعيد الأول المريني بتعديل المد النبوي(2) وتولي السلطان أبو الحسن المريني بتعديل المد النبوي مرة أخرى نظراً لشيوع أعمال الغش ، ثم ظهر في آخر الدولة المرينية تعديل عام 839هـ/1435م للمد النبوي بحيث يعادل ربع صاع نبوي بالعد والكيل والميزان(3) 0

العملات النقدية :

كانت العملات النقدية بالمغرب المريني متنوعة واعترتها الفوضى سواء في قيمتها أو نوعها وتعددت العملات النقدية منها الأوروبي مثل الجنوية والمغربي والأندلسي ، وذلك في بداية عهد دولة بني مرين ، والنقود نوعان : ذهبية وفضية ،

الدينار الذهبي والفضي : قام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بتنظيم النقد المغربي تنظيماً جديداً واختار أجود وأفضل العملات النقدية الجارية آنذاك وهو الدينار الذهبي الموحدي المنسوب إلى الخليفة المنصور الموحدي وكان وزنه729 ,4جم وكان شكله مدوراً ، وجزأ الدينار إلى نصف وربع وثُمن ليسهل التبايع بين الناس ، وكان هذا الدينار معروفاً عند الإسبان باسم دوبلة أو الدينار المضاعف Dobla (4) 0 وكان هناك الدينار الذهبي المعروف باسم القروي الذي كانت بلاد الصحراء جنوب بلاد المغرب تتعامل به ، وكان وزنه يعادل 0,9375 من الدينار الذهبي المريني(5) 0 وكان هناك الدينار الفضي العشري، وهو صغير الحجم ، و كان الوزير بن الخطيب يتقاضى راتباً شهرياً قدره نحو 500 ديناراً من الدنانير العشرية الفضية ، أثناء إقامته ببلاد المغرب المرينية ، وكان قيمة 125, 1 من الأوقية تعادل 7 دينارات فضية صغيرة عشرية(6) 0

---

(1) الكومي : المصدر السابق ، ص 104 / السلاوي : المرجع السابق ، ج4 ص 9 4/ المنوني : المرجع السابق ، ص 136 – 137 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 242 – 243 / .Al – Omari : Masalik El-Absar Fi Masalik El-Amsar ,I, P. 173

(2) المنوني : المرجع السابق ، ص 137 0

(3) نفسه ، ص 137 – 138 0

(4) الكومي : نفسه ، ص 104 / المنوني : نفسه ، ص 127 / عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ الحضارة المغربية ، مطبعة الجامعة ، الدار البيضاء ، 1962 ، ج1 ص 114 – 117 0 / مجدي يسن عبد العال : نفسه ، ص 246 ، ويذكر الكومي أن بلاد المغرب في بداية عصر بني مرين كانت العملات المتداولة بها الجنوية والهودية والقرطبية والبجائية والمرابطية والزرجانية والمؤمنية مما أوقع الناس في تخاصم شديد ، انظر الكومي : نفسه ، ص 105 – 106 0

(5) الكومي : المصدر السابق ، ص 105 0

(6) الكومي : المصدر السابق ، ص 104 / السلاوي : المرجع السابق ، ج4 ص 49 0

و كان هناك الدينار الذهبي في عصر أبي الحسن المريني وهو يعادل 120 درهماً صغيراً أو 60 درهماً كبيراً لأن الدرهم الذهبي الكبير كان يعادل درهمين صغيرين (1) ، وكان هذا مؤشراً على تحسن وارتفاع قيمة الدينار الذهبي المريني في ذلك الوقت، وقام أبو عنان المريني بسك عملة ذهبية قيمتها ديناران وهو الدينارالذهبي المضاعف وهو برسم الهدايا(2)، كذلك عملة ذهبية كانت تساوي مائة دينار كما كان في دار سكة مراكش(3)0

الدرهم الذهبي والفضي : كان الدرهم الفضي المتداول في بداية عصر بني مرين يزن 2,97جم وكان يسمى بالدرهم اليعقوبي الصغير ، وكانت الأوقية من الفضة تعادل 69 درهم فضي يعقوبي صغير ، أما الدرهم الفضي الكبير فكان يعادل ثلاثة دراهم فضية صغيرة يعقوبية ، وكانت تلك الدراهم يتعامل بها المغاربة في الفترة من عام 674 – 724 هـ (4) ،

وكان هناك الدرهم الذهبي المعروف باسم **الدرهم الغُزِّي** في عصر أبي عنان ، فقد مدحه أبو عبد الله محمد (*) بأبيات شعرية (5) 0

وكانت النقود الرائجة بالمغرب الأقصى في العصر المريني متعددة منها " الدوبل " الذي انتشر تداوله في هسكورة ، و"السكودو" بفاس و"الدوكا" بتانسيفت وهي منطقة مراكش ، و"الدرهم" بسجلماسة و"الحندوس" المربع بفاس وبلاد السوس ، والدينار القروي الذهبي

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج5 ص 177 / المنوني : نفسه ، ص 556 / Al-Omari : Op. Cit. P. 173 – 174 .

(2) المنوني : المرجع السابق ، ص 128 0

(3) المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفي السقا – ابراهيمالإبياري ، مطبعة التأليف والترجمة القاهرة 1939 ج1 ص 39 / علي حامد الماحي : المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ،ص 163 0

(4) الكومي : المصدر السابق ، ص 107 / المنوني : نفسه، ص 127 0

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسي الكومي : أحد شهود فاس من تازا عاش بفاس ومات بها ، وكان من رجال العلم ومن شهود العدول وكان في وقته بفاس إصطلاح يسمونه بالدرهم الغزي بسكون اللام وضم العين المعجمة وكسر الزاء المعجمة علي جهة المداعبة أنظر ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 434 0

(5) ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص 434 0 أعرض الغُزِّي عني ** هكذا ما كان ظني

ما علي الغُزِّي لومَ ** وكذا بلَّغه عني

كل من تلقي مُعِنيً ** فإلي الغُزِّي يعني

يقرب الغزي طوراً ** وبه طوراً يُغني

مشداً في كل وقت ** يا حبيب القلب صلني 0

ببلاد الصحراء (1) و**البيزنطة** بسبتة حيث ورد في إحدى وثائق ماس لاتري التي جرت بين بني مرين وإسبانيا النصرانية معاهدة تحالف حربية عام 674هـ/1274م، وكانت دولة بني مرين قد اتفقت على دفع [00 مائة ألف بيزنطة سبتية 00 ومائة ألف بيزنطة لإعداد سفر الفرسان 000](2) ، والبيزنطة عملة منسوبة الى القسطنطينية وكانت متداولة بمدن البحر المتوسط التجارية وهي نوعان ذهبية وفضية ، وما كان بسبتة وقت المعاهدة السابقة كان من الذهب(3) 0

وقد كانت قيمة العملة ونقائها وصحة وزنها تتفاوت بحسب الأحوال السياسية والاقتصادية بدولة بني مرين ، فهي المؤشر الاقتصادي الذي يدل على النمو والإزدهار التجاري وعكس ذلك صحيح ، فقد تميزت العملة المرينية في أول عهدها بالجودة وصحة الوزن ، وتحسنت أيضاً في عصر كل من السلطان أبو الحسن المريني ، والسلطان أبو عنان المريني ، والسلطان أبو فارس عبد العزيز المريني (4) لكن العملة كانت بين تلك الفترات تفقد قيمتها ووزنها ونقائها ، وكانت العملة تُسك خارج دار السكة على أيدي عمال السكة اليهود ،فقد قام اليهود في آخر عهد دولة الموحدين وبداية عهد دولة بني مرين بغش العملة الذهبية بخلطها بالفضة ، وذلك بدار سكة سجلماسة (5) وكانوا يغشون وزن الذهب بوضع إبر الحديد داخل حبوب الشعير الرطبة أثناء وزن جرامات الذهب (6) ، وكانت العملات الذهبية

---

(1) الكومي : المصدر السابق ، ص 105 / الحسن السائح : الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء الطبعة الثانية1986 ص 264 – 265 0

(2) Más – Latre: Op. Cit P.285. Doc., III

(3) ابن عزوز : قاعدة سبتة بين الأندلسيين والمغاربة ، مجلة الأنوار التطوانية عدد يونية 1952 ص 14 0

(4) الكومي : المصدر السابق ، ص 107 ، 137 – 140 / الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 414 ، ج5 ص 189 ،272 / ويذكر الونشريشي أنه كان بفاس ميزان للدراهم والفلوس يسمي القرسطون ويحدد ابن أبي زرع موضعه بفاس علي مقربة من جامع القرويين أنظر الونشريشي : نفسه ، ج3 ص 276 ، ج5 ص 14 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 36 ، 41 0

(5) السقطي : في آداب الحسبة ، ص 15 0

(6) الكومي : نفسه ، ص 137 – 139 0

المزيفة تُسك خارج دار السكة على أيدي اليهود ، وكان ذلك في الفترات الانتقالية بين عهد السلطان أبو الحسن المريني وعهد السلطان أبو عنان المريني ، وعندما تسلم السلطان أبو عنان الحكم منع الناس من تداول النقود المزيفة والناقصة والمغشوشة التي سكها العمال اليهود خارج دار السكة ، كذلك أمر السلطان أبوفارس عبد العزيز المريني بمنع التعامل بالدراهم المزيفة والناقصة ، وأمر الناس بأن يتعاملوا بالنقود الصحيحة المسكوكة بدار السكة(1) 0

---

(1) الكومي : المصدر السابق ، ص 139 – 140 أنظر النص ((00 ولايوجد الخارجي والمقروض إلا بأيديهم ورفع ذلك لمولانا المرحوم أبي عنان رحمه الله ، فمنع أن يجوز من الزائف والمقروض شيئاً ولا من الخارجي 00 وذلك في رابع ذي الحجة من عام ستة وخمسين وسبعمائة 00 فوقع بهؤلاء(اليهود) الإغفال عنهم وسارعت أيديهم لما نهوا عنه وأخلوا بما إلتزموه 00 وفسدت المعاملات والتجارات إلي أن رحم الله المسلمين بما نفذ به الأمر الجزم من مولانا الخليفة 00 أبي فارس عبد العزيز 00 من كف أيدي المعتدين ومنع من المعاملات بالدراهم الزائفة الناقصة ، وأنه لا يتعامل إلا بالمسكوكة الوازنة الخالصة ، وإشتد علي من يتعامل بالناقص منها لدوران الربا وفساد النقود الناشئين عنها 00)) 0

[6] أهم السلع التجارية وبعض أسعارها :

كانت مدينة فاس مركزاً تجارياً هاماً ، ربطتها المصالح التجارية بالأقطار الأوروبية الواقعة على البحر المتوسط والمشرق الإسلامي وبلاد السودان الغربي فيما وراء الصحراء الكبرى (1) ومدينة سبتة أبرز المدن المغربية في عصر بني مرين التي اجتذبت أنظار التجار بشتي جنسياتهم ، فكان تجار جنوة والبندقية وبيزا يقصدونها دوماً 0 لأنها كانت بداية لطرق القوافل التجارية المؤدية الى غانة والسودان الغربي ، وكان بها التجار الأغنياء الذين كانوا يشترون المركب بما فيه من سلع وبضائع الهند وغيرها ، فكانت مركزاً لتصريف السلع التي كان يجلبها الإيطاليون والسلع المغربية الصادرة إلى المدن الإيطالية ، وأصبحت محطاً لرحلات الحجيج ورحلات المراكب الجنوية ، وفاقت شهرتها شهرة مدينة فاس في التجارة الخارجية(2) 0 لكنه في نهاية القرن 8هـ/14م طرأ على فاس الضعف التجاري الذي ترتب على التدهور السياسي المريني ، وكان هناك العديد من العوامل المؤثرة على التجارة المرينية الخارجية والداخلية ، التي قللت من مكاسبها التجارية بعض الوقت ، ومنها بُعْد مدينة فاس عن شبكة الخطوط التجارية البحرية الكبرى التي تحولت الى الدولة الحفصية بتونس ،كذلك المنافسة الشديدة مع تلمسان فقد كانت تلمسان في موقع أقرب وأفضل بالنسبة لشبكة الخطوط التجارية الإيطالية وأيضاً بالنسبة لطرق التجارة مع بلاد السودان الغربي، وكانت الموانئ التي استفادت منها تلمسان على ساحل البحر المتوسط مثل وهران وهنين ورسغونة ، أيسر وأقرب للمدن الإيطالية عنها من الموانئ المغربية المرينية ، كذلك كانت بلاد المغرب في حالة صراع حربي وسياسي مع إسبانيا النصرانية ودولة بني الأحمر الأندلسية (3)، و رغم تلك المعوقات فإن المدن المغربية الساحلية قد تمتعت بنشاط اقتصادي هائل مع المدن الإيطالية ،

---

(1) الزهري : المصدر السابق ، ص 114 / مجهول : الإستبصار، ص 181 / الجزنائي : المصدر السابق ، ص 29 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 10 ،137 – 139 0

(2) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 139 / الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 60 – 61 / ابن الخطيب : مشاهدات 000 ، ص 101 - 102 / أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة ، ص 44 ، 49 0

(2) لوتورنو : نفسه، ص 162 – 163 0

ويرجع ذلك إلى تنوع المحاصيل والكميات الوافرة والأسعار الزهيدة والنشاط التجاري الكبير لكبار التجار بتلك المدن الساحلية مثل سبتة وغساسة والكدية وباديس وآصيلا وأنفا وسلا وطنجة وغيرهم، فقد كانت سفن البنادقة تقصد ميناء غساسة كل عام للتجارة ، وكانت الصفقات التجارية بين الطرفين كبيرة وهامة، وتواجد التجار الكبار من فاس وغيرها في ذلك الميناء لعقد الصفقات التجارية الكبرى مع البنادقة ، كذلك ميناء باديس كان البنادقة يقصدوه بصفة مستمرة مرتين في كل عام، وكان التجار المغاربة يسافرون على السفن البندقية إلى جمهورية البندقية نفسها للتجارة(1)، إلى جانب جنوة وبيزا في بقية المدن والموانئ المغربية0

وأرى أن التجارة الخارجية لدولة بني مرين كانت مستمرة مع المدن الإيطالية سواء كانت حالة البلاد الداخلية جيدة أو متدهورة ، وتمثل ذلك في المدن التجارية الساحلية بدولة بني مرين على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، فكانت التجارة تأخذ الصفة الرسمية في شكل معاهدات واتفاقيات ، ولكن أغلب المعاملات التجارية كانت في شكل صفقات تجارية كبيرة بين كبار التجار المغاربة بدولة بني مرين وبين تجار المدن الإيطالية ، وكانت عملية التصدير بدولة بني مرين تتم وفقاً للسلع الأكثر إنتاجاً وطلباً ، فقد كان التجار الإيطاليون يتهافتون على القمح والرقيق السوداني والذهب والجلود والشمع والصوف والعسل والماشية والأغنام والمرجان وخيوط القطن ومواد الدباغة ، وكانت السلع متواجدة بكميات هائلة بدولة بني مرين، وكانت عمليات المتاجرة بين التجار الإيطاليين والمغاربة بالمقايضة والفائض كان يتم بالنقد ، فكانت بلاد المغرب المرينية تستورد ما تحتاج إليه من سلع ومنتجات أكثر جودة ، وكانت تلك التجارة الخارجية تمد خزائن الدولة بالمال الوفير من خلال الرسوم الجمركية على السلع الصادرة والواردة ، لذلك كانت الصادرات المغربية تفوق الواردات ، فقد كان الفائض التجاري من خلال الصادرات والواردات يجعل الميزان التجاري للتجارة الخارجية في صالح دولة بني مرين ، لذلك شجعت الدولة المرينية التجارة الخارجية وعمليات التصدير، فخفضت قيمة الضريبة على بعض السلع المغربية وتارة أخرى إعفاء بعض السلع من الضرائب الجمركية 0

---

(1) الحسن ابن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 329 ، 345 0

أهم السلع التجارية :

ومن أهم السلع بالمغرب المريني زيت الزيتون بسبتة(1) وسلا(2) وأصيلا(3) ومراكش(4)، ومنطقة هسكورة ومدينة بزو وجبل وردان(5)، وبجبال رهونة بإقليم الهبط(6)0 والعسل والشمع بتاكوليت بإقليم حاحة وتفتنة على المحيط الأطلسي(7) ، وبإقليم حاحة حيث مدينة آسفي وتدنست، وإداو إزكواغن، وقبيلة جبل عاقل وجبل تانزيرا والسِبيِّت ومكناس وإقليم الهبط وجبل بني زكار ومليلة(8) 0 والجلود بإقليم هسكورة وتادلة وميناء تفتنة(9)، وإقليم أزغار وإقليم حاحة وجبل بني زكار ومكناس(10) ومراكش(11) وفاس(12)0 والشعير والقمح بمرسى أنفا ومرسى فضالة ومرسى الغيط ومازغان ومرسى آسفي(13) وسبتة(14) وتاكوليت بإقليم حاحة(15) وجبل تانزيرا وقبيلة جبل عاقل وإقليم أزغار(16)0 والماشية والخيل والسمن والفول والحمص والتمر والسكر ببلاد السوس(17)، ومرسى فضالة(18)،

----

(1) ابن الخطيب : نفسه 0 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ، ج2 ص 305 / المقري : المصدر السابق ، ج6 ص 210 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

(2) ابن الخطيب : مشاهدات 00 ، ص 104 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ، ج2 ص 307 ، 358 / الحميري : المصدر السابق ، ص 319

(3) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00، ج2 ص 307 0

(4)ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ، الدار البيضاء الطبعة الأولي ، 1997 ص 311 / لوتورنو : نفسه ، ص 129 0

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 171 ،177، 349 0

(6) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 224 0

(7) الحسن ابن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 112 ، 120 0

(8) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 5،10،15،17،24،25،26،101،141،224،225،258 0

(9) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 120،171،177،184 0

(10) مارمول : نفسه ص 5،10،140،141،187،188،225 0

(11) Al-Omari : Op. Cit. p.189 / Deverdun : Op. Cit. P.134.

(12) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 137 – 138 /الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

(13) الإدريسي : المصدر السابق ،ج1 ص 240 – 241 / ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 137 / ابن الخطيب : مشاهدات00 ، ص 106 / الحميري : المصدر السابق ، ص 57 0

(14) ابن الخطيب : نفسه ، ص 101 – 102 0

(15) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 112 0

(16) مارمول : نفسه ص 25،26،187،188 0

(17) الزهري : المرجع السابق ، ص 117 0

(18) الإدريسي : نفسه ص 239 – 240 0

وسجلماسة(1)، وجبل وردان بأحواز نهر نكور(2)، ومكناس وإقليم أزغار وجبل تانزيرا ودرعة(3)0والحوت(الأسماك) والملح والخمور والعطوربمراكش(4)وسبتة(5)وأصيلا(6) وتازة وتفتنة(7)0والأقمشة الصوفية والكتانية والقطنية والجلدية بسلا وسبتة(8) وفاس(9) ومنطقة تادلة ومنطقة هسكورة وبلاد السوس وتدنست بحاحة وإقليم أزغار ومكناسة الزيتون(10)0 والحديد والنحاس والزجاج في بلاد السوس(11)، وأيضاً في بني ملال وفي تيحمامين من ضواحي سجلماسة، وفي تنودادان ما بين درعة وسجلماسة(12)، وفي فاس(13) وسبتة(14)، وإقليم غارت بمنطقة فاس وبأحواز جبال نهر نكور، وجبل بني سعيد ومدينة أمجاو ومدينة الجمعة(15)، وجبل تانزيرا ومليلة(16)0

----

(1) ابن الخطيب : نفسه ص 113 – 114 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 349 0

(3) مارمول : نفسه ج1 ص 106 ج2 ص 25 – 26 ، 140 – 141 ، 187 – 188 0

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 35 0

(5) ابن الخطيب : نفسه ص 101 – 102 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ، ج2 ص 305 / الحميري : نفسه ص 303 0

(6) ابن الخطيب : نفسه ج2 ص 307 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 120 ، 358 / الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 95 / أمين توفيق الطيبي : دراسات فى تاريخ مدينة سبتة ، ص 48 /أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ج2 ص 188 – 189 / مصطفي أبو ضيف أحمد عمر : المرجع السابق ، ص 185 0

(8) ابن الخطيب : مشاهدات ، ص 101 – 102 ، 104 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ، ج2 ص 305 ، 307 0

(9) المقري : نفح الطيب 00 ، ج6 ص 210 / الحميري : نفسه ص 334 / الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 250 / مارمول : نفسه ج2 ص 155 / الحريري : نفسه ص 294 / لوتورنو : نفسه ص 137 – 138 / أمين توفيق الطيبي : نفسه ج2 ص 188 0

(10) الحسن بن محمد الوزان ، ص 110 – 111 ،131 ، 171 ، 177 ، 184 ، 190 – 191 / مارمول : نفسه ص39 ، 116 – 120 ، 140 – 141 ، 187 – 188 0

(11) الزهري : المصدر السابق ، ص 117 0

(12) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 55 / أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، مجلة البحوث التاريخية ، عدد 2 السنة السادسة 1984 ص 450

(13)مجهول : الإستبصار ، ص 181 / الحميري : نفسه ص 335 / مارمول : نفسه ، 155 0

(14) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 60 – 61 / الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 318 – 319 0

(15) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص176،346،348،349،363 / مارمول : نفسه، 110،111،264،266 0

(16) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 25 – 26 ، 258 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث 00 ، ج2 ص 188 – 189 0

والمرجان واللؤلؤ بسبتة(1) ومليلة(2)0 والصابون بمراكش(3) وبجبال رهونة بإقليم الهبط(4)0 والتبر والرقيق بسجلماسة(5) وتارودنت(6) وأودغشت(7) وسلا(8) وبلاد السوس(9)0 والقطن والكمون والشب الكَّواري بجنوب المغرب الأقصى(10) 0 والعنبر بسواحل الأطلس المغربية(11) 0أما تجارة الأخشاب والسفن والفحم، فقد تميزت بها سبتة(*) وسلا(*) وفاس(*) وطنجة(*) وباديس(*) والعرائش(*) 0

----

(1) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ص 529 / ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 139 / المقري : أزهار الرياض 00 ،ج1 ، ص 35 – 36 / الحميري : المصدر السابق ، ص 303 0

(2) مارمول : نفسه ص 258 – 259 0

(3) ابن الموقت : مخطوط السعادة الأبدية ، ميكروفيلم رقم 35552 الهيئة المصرية للكتاب ، ورقة 51 0

(4) مارمول : نفسه ص 224 0

(5) ابن الخطيب : مشاهدات 00 ، ص 113 – 114 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ، ج2 ص 201 ، 314 /

Jacques- Meunie`, Djinn : Le Maroc Saharien Des Origines Au XVI Siecle P.392.

(6) مارمول : نفسه ص 31 0

(7) الحميري : نفسه ص 63- 64 0

(8) ابن الخطيب : مشاهدات 00 ، ص 104 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ، ج2 ص 307 0

(9) الزهري : المصدر السابق ، ص 117 – 118 / يذكر الإدريسي أن السودان يتخذون بعض الحيل لإختطاف العبيد من بلاد لملم وإخراجهم قطاراً الي التجار وفي كل عام يخرج الكثير منهم الي المغرب الأقصي ، انظر الإدريسي : نفسه ج2 ص 22 / ويذكر الحسن بن محمد الوزان أنه في تاغاوست من بلاد السوس يقام بها سوقاً للعبيد مرتين في الأسبوع ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 131 0

(10) أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 450 0

(11) الفشتالي : المصدر السابق ، ص 92 0

(*) تميزت سبتة بصناعة السفن التجاريةوالحربية لوفرة الأخشاب والحديد والقطران وأنواع الخشب الجيدة مثل الأرز والبلوط والبقس وغيرها والأيدي العاملة وكان بها داراً للإشراف علي النجارة وأعمال التشييد وبناء السفن والمخازن وغيره ، انظر الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 60 – 61 / ابن الخطيب : مشاهدات 00 ، ص 101 – 102 / ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00، ج2 ص 305 0

(*) سلا : تميزت بصناعة السفن التجارية والحربية ، وسبق الحديث عن دار صناعة السفن بسلا ،

(*) فاس : اشتهرت بإحتوائها علي مستودعات كبري لنشر الأخشاب المختلفة الأنواع ، انظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 250 0

(*) طنجة : تميزت بتشييد السفن التجارية والحربية ، انظر ، الإدريسي : نفسه ص 529 0

(*) باديس : تنتج الجبال المحيطة بها أفضل أنواع الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، انظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 327 – 329 / مارمول : نفسه ص 230 – 231 0

(*) العرائش : اشتهرت بتجارة الفحم وكان أهلها ينقلون الفحم بالزوارق الصغيرة من العرائش الي طنجة لبيعه هناك في طنجة وآصيلا وغيرها وللتجار الأوروبيين ، انظر مارمول : نفسه ص 189 0

الصادرات المغربية :

أما الصادرات المغربيه فتمثلت في تجارة الحبوب نظراً لانخفاض أسعارها بالمغرب الأقصى عن بقية بلدان بلاد المغرب(1) ، و صدرت آصيلا الصوف والكتان و الشمع وخيوط القطن (2) , و صدرت دكالة التبر و النيلة و الجلود و الشمع (3) , و اشتهرت أنفا وسلا وسبتة بتصدير كميات ضخمة من الحبوب والرقيق والتبر (4)0 وتميزت صادرات المغرب المريني بدرجات مختلفة من الجودة لاسيما المنسوجات القطنية والصوفية والجلدية والزيت والفاكهة المجففة والمرجان والجلود والمصنوعات الجلدية المدبوغة ومواد الصباغة والخيول والخشب والسجاد والشمع والسكر والسمك المملح ، كما قامت بلاد المغرب الأقصى بتصدير المنتجات الواردة من بلاد السودان إلى الدول الأوروبية مثل ريش النعام والعاج والرقيق والصمغ والتبر والزجاج(5) ، كما صدرت بلاد المغرب المريني أيضاً الرقيق القطلاني الذي تهافتت عليه أراجون وقطالونيا لعتقهم(6) ، وإستوردت جنوة من بلاد المغرب المريني الجلود والمصنوعات الجلدية والصوف والشب المستعمل في الدباغة والصباغة وتبر الذهب والقمح(7) 0

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. P. 551. / Roland Oliver: Op. Cit. P. 368.

(2) Dufourcq : Op. Cit. P. 591.

(3) أحمد بو شرب : المرجع السابق ، ص 113 0

(4) Dufourcq: Op. Cit. P. 543.

(5) محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 378 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 52 ، 57 / عطا علي محمد شحاتة : اليهود في بلاد المغرب الأقصي ،في عهد المرينيين والوطاسيين ، الطبعة الأولي 1999 ، دمشق دار الكلمة ، ص 163 /

Roland Oliver : Op. Cit. p.368.

(6)Dufourcq: Op. Cit. p. 466 – 467.

(7) أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 454 /

Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p.392, 402, 413,414.

الواردات المغربية :

استوردت بلاد المغرب المرينية من جنوة منسوجات أندلسية ، فقد تضمنت سجلات العدل الجنوية في النصف الثاني من القرن 12م ما يقرب من 50 عقداً لرحلات جنوية الى موانئ المغرب، منها موافقة أحد تجار جنوة على نقل منسوجات أندلسية من جنوة الى سبتة عام 1197 م (1) ، وأيضاً الأقمشة الكتانية والحريرية والسجاد ومواد الصباغة، مثل الزعفران واللك والنيلة والأحجار الكريمة والعطور والمسك والتوابل والتين المجفف والنحاس والورق والميروبالان الهندي الخاص لعلاج عسر الهضم والإسهال والمستخدم في الدباغة والصباغة، وملح النشادر المستخدم في الدباغة(2) 0 واشتهرت آصيلا باستيراد الصمغ واللك والقرفة والقرنفل والعفص وخشب البرازيل وأكسيد الزنك(3)0 واشتغلت بلاد المغرب المرينية كوسيط تجاري في استيراد بعض السلع الأوروبية من البندقية، مثل السيوف والخرز والملف والأغطية لتصديرها الى بلاد السودان(4) في مقابل بعض السلع الأخرى، مثل العنبر والصمغ والدرق وجلود الفنك والتبر والرقيق(5) 0 وكان التجار الأوروبيون يصدرون الى بلاد المغرب احتياجاتها من الأسلحة والخمور والكتان والثياب الحريرية والجوخ والأواني النحاسية (6)، وإستوردت أيضاً القصدير والمصنوعات المعدنية والخشبية والحرير وطيور الصيد والفلفل وخرز الزجاج والأواني الزجاجية والتوابل والعطور وخيوط الغزل الصوفية والكتانية والأقمشة القطنية والمنسوجات المصبوغة(7) 0

أسعار بعض السلع : وكانت أسعار السلع بالمغرب المريني تتفاوت تدريجياً بين الارتفاع والانخفاض حسب الحالة السياسية التي كانت البلاد تمر بها ، فمثلاً في حالة الحروب

---

(1) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 88 0

(2) أمين توفيق الطيبي : نفسه 0

(3) Dufourcq: Op. Cit. p. 543.

(4) الحسن بن محمد الوزان : المرجع السابق ، ص 465 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 170 ، 176 0

(5) محمد زنيبر : نفسه ، ص 413 0

(6) محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 378 0

(7) Roland Oliver: Op. Cit. p.368. / Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p. 414 – 415.

وأحوال الحصار كانت الأسعار ترتفع ارتفاعاً كبيراً ، كذلك في حالة المجاعات والأوبئة والقحط الشديد الذي كان شديد الوطأة على بلاد المغرب المريني ، فارتفعت الأسعار نتيجة لذلك ارتفاعاً مخيفاً ، أما في حالة السلم والرخاء فإن الأسعار كانت في متناول أيدي الفقراء و توافرت بكميات وافية(1) 0

وكانت الأسعارترتفع وتنخفض أيضاً حسب سنوات الزراعة الجيدة أو السيئة أو الأزمات الداخلية ، وكانت ترتفع قبل الأعياد والمواسم وفي نهاية فصل الربيع (2) ، وتأثرت الأسعار أيضاً بتكاليف الشحن واستئجار المراكب ودفع الضرائب والجمارك علي البضائع ومصاريف العمال والشحنات التي كانت تُفقد فى البحر وتتعرض للغرق أو القرصنة(3)0

ويوضح الجدول التالي بعض أسعار السلع بدولة بني مرين في حالة الرخاء وإنخفاض الأسعار :

	الوزن/الكيل	السعر	الزمن	المصدر/المرجع
القمح	الصحفة	6 درهم	عصريعقوب المريني	(4)
القمح	الصحفة	20 درهم	يوسف بن يعقوب	(5)
القمح	الصحفة	20 درهم	أبو الحسن علي	(6)
الشعير	الصحفة	3 درهم	يعقوب المريني	(7)
الشعير	الصحفة	8 درهم	يوسف بن يعقوب	(8)
الدقيق	الربع	1 درهم	يعقوب المريني	(9)
العسل	3 رطل	1 درهم	"	"

(=)

----

(1) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 130 / ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 383 ، 395 ، 401 ، 405 0

(2) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 157 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 210 0

(4) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 104 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 302 0

(5) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 384 – 385 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 89 – 91 0

(6) Al- Omari : Op. Cit. p. 173 – 174 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 556 0

(7) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 104 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 302 0

(8) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 384 – 385 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 89 – 91 0

(9) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 104 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 302 0

(=)

الزبيب	الصحفة	1 درهم	"	(1)
زيت الزيتون	4 رطل	1 درهم	"	"
السمن	1,5 رطل	1 درهم	"	"
التمر	6 رطل	1 درهم	"	"
اللوز	الصاع	1 درهم	"	"
لحم الضأن	10 رطل	5 درهم	"	"
الملح	الصحفة	1 درهم	"	"
لحم البقر	10 رطل	1 درهم	"	"
عنبر أنفا	الرطل	10 دينار ذهب	يعقوب المريني	(2)
الدجاج	الواحدة	1,5 درهم	أبو الحسن المريني	(3)
سمك الشابل	الثلاثة	1 درهم	يعقوب المريني	(4)
سمك المملح	الثلاثة	1 درهم	"	"
عنبر مآسَّة	الأونس	1 دينار ذهب	في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م	(5)

---

(1) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 104 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 302 0

(2) الفشتالي : المصدر السابق ، ص 92 0

(3) Al- Omari : Op. Cit. p. 173 – 174 / محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 556 0

(4) مجهول : الذخيرة السنية ، ص 104 / ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 302 0

(5) الحسن ابن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 126 0

ويوضح الجدول الثاني بعض أسعار السلع ببلاد المغرب المرينية في حالة الغلاء :

القمح	الصحفة	20 درهم	أبو الحسن المريني	(1)
"	الصاع	10 درهم	عام 677هـ/1277م	(2)
"	المد	10 درهم	يوسف بن يعقوب المريني	(3)
"	"	15 درهم	أبو سعيد عثمان الأول	(4)
الشعير	الصحفة	15 درهم	أبو الحسن المريني	(5)
الدقيق	6 أوقيات	1 درهم	عام 677هـ/1277م وعصر يوسف بن يعقوب	(6)
الدقيق	4 أوقيات	1 درهم	عصر أبو سعيد عثمان الأول	(7)
لحم البقر	الرطل	نصف درهم	أبو الحسن المريني	(8)
"	نصف الرطل	نصف درهم	أبو عنان المريني	(9)
البيت	الواحد	1000 دينار ذهب	أبو الربيع سليمان	(10)
الزيت	2 أوقية	1 درهم	أبو سعيد عثمان الأول	(11)

(=)

---

(1) Al- Omari : Op. Cit. p. 173 – 174 / 0 556 محمد المنوني : المرجع السابق ، ص

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق 413 0 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 89 – 91 0

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 409 0

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 401 0

(5) Al- Omari : Op. Cit. p. 173 – 174 / 0 556 محمد المنوني : المرجع السابق ، ص

(6) ابن أبي زرع : المصدر السابق 409، 413 0 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 89 – 91 0

(7) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 401 0

(8) Al- Omari : Op. Cit. p. 173 – 174 / 0 556 محمد المنوني : المرجع السابق ، ص

(9) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 665 0

(10) شهدت بلاد المغرب المرينية في عصر السلطان أبو الربيع سليمان إرتفاع الأسعار طوال عهده ، أنظر ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 395 0

(11) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 401 0

(=)

العسل	2 أوقية	1 درهم	"	(1)
السمن	1,5 أوقية	1 درهم	"	"
العنبر	الرطل الواحد	60 دينار	آخر عصر بني مرين	(2)
الزباد	الرطل الواحد	60 دينار	"	"
المسك	"	60 دينار	"	"
البعير	الواحد	70 دينار	"	"
الخصيإسود	الواحد	40 دينار	"	"
الزنجية	الواحدة	15 درهم	"	"
جلد اللمت	الواحدة	8 دينار	"	"

وقد كانت هناك أسعاراً أخرى لبعض السلع التي كانت تصدر عبر موانئ أنفا وآصيلا إلى الدول الأوروبية في بداية القرن 8هـ/14م :

السلعة	الوزن /الكمية	السعر	الميناء	المصدر/ المرجع
جلد البقر	100 قطعة وزنها700 كجم	60 – 70 دينار ذهب	أنفا	(2)
الصوف	القنطار	8,25 دينار	آصيلا	"
القمح	القفيز	3 – 4 دينار	كآفة الموانئ	"
الحصان	الواحد	60 دينار	"	"

----

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 401 0

(2) الحسن ابن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 181 0

(3) Dufourcq : Op. Cit. P. 550 – 551 .

وكان التجار المغاربة في آخر عصر بني مرين يصدرون الملح إلى غرب السودان ، فكان الوسق من الملح يساوي عشرة مثاقيل ذهب (1) ، وكانوا يشترون العبيد في توات ووصل ثمن العبد الواحد إلي أوقيتين من الذهب (2) 0

----

(1) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني [إمبراطورية مالي 1230 – 1430 م] مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد 17 عام 1973 ، ص 193 / ويذكر ابن بطوطة أن سعر حمل الملح في إيوالاتن بعشرة مثاقيل إلي ثمانية مثاقيل ، وكان يباع في مالي بنحو ثلاثين مثقالاً من الذهب ، أنظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 684 0

(2) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 202 0

(7) نظم التجارة المرينية :

كان المسلمون أول من نظم أساليب تجارتهم حسب مقتضيات السوق العالمية ،واستمر ذلك قروناً عديدة ، فلما جاء عهد الموحدين في القرن 6هـ/12م، حسنوا طرقهم ، فإقتبسها الأوروبيون منهم ، و استمرت المبادلات التجارية بين تجار أوروبا والمسلمين في تزايد رغم فوارق الدين ، بل رغم تكاثر القرصنة النصرانية والجهاد البحري الإسلامي التي أفلت زمامها(1) 0

وأول من تحمل عبء التجارة الخارجية المرينية هم **تجار الجملة** ، الذين جنوا أرباحاً طائلة بفضل التجارة الخارجية ، فهم يجمعون المصنوعات المحلية ثم يبيعونها الي تجار المدن الإيطالية ، ويتحكمون في تجارة فاس الخارجية، فهم يشترون البضائع من التجار النصارى مثل البنادقة والجنوية والبيازنة المقيمين في مليلة وبادس وسبتة ، وهي بضائع مرتفعة الأثمان لاسيما الأقمشة الرفيعة للأسر الثرية وبلاط السلطان ، وتولي تجار الجملة أيضاً توفير العملات النقدية اللآزمة لأفواج الحجيج ونقلهم من بلاد المغرب إلى المشرق الإسلامي حيث كان الحجاج ينقلون معهم سلعاً مغربية للمتاجرة بها بالمشرق الإسلامي ،وقام تجار الجملة أيضاً بتنظيم القوافل التجارية الذاهبة إلى بلاد السودان التي تحمل الأقمشة والجلود من فاس ثم تعود محملة بالتبر وريش النعام والرقيق ، فكان لتجار الجملة وكلاء بتافيلالت لتنظيم التجارة(2) وقد بلغ ثراء بعض التجار أن قاموا بشراء المراكب بما تحمله من بضائع الهند

----

(1) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 160

(2) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 50 ، 159 / كانت فترة النصف الأول من القرن 8هـ/15م فترة إزدهار تجاري بين شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي ، إستقبل فيها الأمراء بمملكة سنغاي التجار بحفاوة وهيؤا لهم الأمن وإستدعوهم لحفلاتهم وإستقبلوهم في بلاطهم وكان تعداد التجار كبيراً ، انظر عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 213 / فكان التجار يشعرون بالأمن والأمان فلا لصوص ولا غاصبين ، كذلك لم يتعرض السودانيين بدولة مالي لمال التجار البيض الذين ماتوا ببلادهم مهما بلغت أموالهم ، إنما يتركونه بيد ثقة من التجار البيض حتي يأخذه من يستحقه ، انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 698 / لذا بلغت قوافل التجار بالمغرب الأقصي وشمال إفريقيا الي تومبوكتو في عام 751هـ/1350م إثني عشر ألف جمل ، انظر الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 9 -12هـ/15-18م، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1999 ، ص 308

وغير ذلك في صفقة واحدة(1) ، لذلك كانت بيوت وقصور وبساتين التجار دليل ثرائهم بفاس وسبتة ومراكش وغيرها من المدن التجارية الكبرى بالمغرب المريني(2) وكان للمغاربة مصلحة مباشرة في التجارة ، فلم يكن المكسب يذهب فقط للسلطان وعملائه بالجمرك ، ولكن ايضاً للسكان من تجار كبار، وتجار تجزئة، وحمالين وعمال الميناء ، ولم تكن عمليات البيع تتم في الفندق باستمرار ، ولا يداً بيد ، بل كان يحدث إلى جانب ذلك البيع بالمزاد العلني، فكان هناك نشاط إقتصادي كامل ينشأ من التجارة مع التجار المسيحيين ، وكانت تلك الحياة في الموانئ ، فما أن تصل سفينة وبعد أن تدفع حقوق الرسو ، تبدأ سلسلة طويلة من العمليات التجارية(3) ، وتتم تلك العمليات التجارية في نطاق الشريعة الإسلامية التي تحمي حقوق الخواص والجماعة وحقوق الدولة بأكثر ما يمكن من الدقة (4) ، على أن الفئة التي تحملت عبء التجارة هم كبار التجار فلم يقتصروا على تنظيم قوافل التجارة ببلاد السودان أو مع المدن الإيطالية وغيرها ، وإنما وضعوا نظماً للتجارة الداخلية والخارجية ، فمنها :

[أ] الوكالة :

إتخذ التجار الكبار الوكلاء(*) لمباشرة تجارتهم المنتشرة ، والوكيل في التجارة المحلية الداخلية هو السمسار لبيع سلعة أو غيرها (5) ، أما في التجارة الكبرى فهو يقوم

---

(1) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 139 0

(2) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 50 0

(3) Dufourcq: Op. Cit. p. 524.

(4) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 6 0

(1) الوكالة : عقد يلزم بالإيجاب والقبول كسائر العقود ، وهي نوعان : توكيل خاص وعام ، والوكالة هي النظر فيما فيه التوكيل مثل أن يكون قابلاً للنيابة مثل البيع والحوالة والضمان والشركة وسائر العقود والوكالة والمصارف والفسوخ ، انظر ابن رشد الحفيد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثانية القاهرة 1983 ، ج2 ص 366 / الونشريشي : المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعني اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، تحقيق لطيفة الحسيني ، المملكة المغربية طبعة 1997 ص 324 / علي أن الشريعة الإسلامية منعت توكيل الذمي علي مسلم ولو كان عبداً له فقد خاف المسلمون أن يقوم الذمي بالربا أو التجارة في الخمور ولحوم الخنزير وغير ذلك مما يرفضه الشرع الإسلامي ، انظر القرافي : المصدر السابق ، ج8 تحقيق محمد حجي ، ص 5 -6 / الوزاني : المرجع السابق ، ج6 ص 434 0

(2) الونشريشي : المعيار 000 ، ج9 ص 120 – 121 0

بحق القبض وطلب الحقوق وغير ذلك نيابة عن موكله(1)،أما وظيفة رئيس وكالة التجار عند المسلمين فهي تعادل وظيفة القنصل التجاري بالمدن الإيطالية (2)، ويسافر الوكيل بالبضائع أو يشتريها أو يرسلها إلى موكله أو يشرف علي نقلها من المراسي(3) ، ففي سبتة كان الوكيل يعمل بدور التاجر المراسل في البلدان النائية ومنهم من جعل أبناءه وكلاءه مثل التاجر الكبير أبي عبد الله بن جوبر من سبتة كان يدير تجارة كبيرة بقيسارية سبتة ، وأعطي لإبنه أموالاً ضخمة للتجارة ،(4) كذلك التاجر المشهور ابو الحسن الشاري ، [ت0 عام 649هـ/1251م] كان يتخذ الوكلاء للتجارة [[000ومما يؤثر عنه من تخصصه أنه لم يباشر قط ديناراً ولا درهماً إنما كان يتصرف له في ذلك وكلاؤه واللائذون بجنابه 00]](5)، والوكيل قد يقوم بخدمة تاجر واحد أو عدة تجار كبار في آنٍ واحد من خلال حانوت خاص به يديره لمباشرة تجارات هؤلاء التجار الكبار خارج البلاد أو داخلها ، وما يتعلق بها من شؤون مالية(6) ، ويتم عقد الوكالة التجارية في صورة عقد يبرم عند القاضي بين الموكل والموكل إليه(7) ،

وقد تزايدت طبقة الوكلاء التجاريون بسبتة المدينة التجارية وكثرت شكايات التجار منهم لقلة الأمانة عند الوكلاء مما دفع القاضي محمد بن القاضي عياض بتضمين(8) الوكلاء والسماسرة لكثرتهم وقلة أمانتهم(9) 0

----

(1) الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 196 ، ج10 ص 332 – 333 ، 337 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 258 0

(2) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ص 334 0

(3) الونشريشي : نفسه ص 207 – 208 ، 230 / ج9 ص 52 ، ج10 ص 231 0

(4) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، السفر السادس ، ق 1 ، ص 340 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 63 0

(5) ابن عبد الملك المراكشي : نفسه ، السفر الثامن ، ق 1 ص 201 0

(6) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 162 – 163 / ابن عبد الملك المراكشي : نفسه ، ص 201 / الونشريشي : نفسه ، ج9 ص 92 0

(7) الونشريشي : نفسه ج10 ص 337 0

(8) الضمان : لغةً مصدر ضمن الشيئ ضماناًإذا كفل به ، والضامن هو الكافل أي الملتزم ، والضمان شرعاً واجب رد الشيئ أو بدله بالمثل وبالقيمة ، انظر أبو علي الحسن بن رحال المعداني : المصدر السابق ، ص 42 ، 77 ، والضمان سببه التسبب في الإتلاف أو العدوان أو عدم الأمانة 0

(9) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 162 – 163 0

[ب] الشركة :

ظهرت الشركة(*) بصورة كبيرة في المعاملات التجارية فكانت الشركة تعني تجميع رؤوس الأموال لفترة طويلة(1) ، وقد إستدعي قيامها وجود العديد من الوكلاء التجار(2) ، وهناك العديد من الشركات التي كانت سائدة ببلاد المغرب في العصر المريني ومنها شركة يتساوي فيها رؤوس الأموال والعمل فيقوم أحد الشركاء بالسفر والآخر يباشر أعمال التجارة بمحل إقامته ، وكل مفوضٌ من الآخر أو موكلٌ عنه(متضامنون) ، ويشبه هذا النوع [التفاوض] الشركات البحرية الإيطالية التي ظهرت من هذا النوع بسبتة(3) ، وشركة يشترك فيها التجار معاً في شركة واحدة ثم يرسلون أحدهم لجلب البضائع ثم يتقاسمونها بحسب رؤوس الأموال، وشركة أخري يقوم التاجر باقراض أحد المسافرين بالمال ثم يتقاسم معه الربح مناصفة(4) وشركة أخرى يقوم فيها الشركاء أصحاب السفينة بالسفر معاً مستثمرين رأس مالهم الثابت والمتحول(5) ورغم تحذيرات الشريعة الإسلامية من تكوين شركات مع أهل الذمة فإن مكاسب التجارة جمعت بين المغاربة بشتي المعتقدات الدينية المختلفة فهناك شركات تجارية تضم مسلمين ونصاري ويهود ، وهناك شركة في ملكية

(*) الشركة : أربعة أنواع منها شركة العنان وهي شركة بالأموال وتقسم الأرباح حسب رؤوس الأموال ، ويوزع العمل حسب رؤوس الأموال حيث يشترط تساوي رؤوس الأموال لتساوي العمل ثم الربح ، وشركة المفاوضة وهي أن يفوض كلا الآخر في التصرف في ماله في غيبته وحضوره في جميع ممتلكاته ويشترط تساوي رؤوس الأموال ، وشركة الأبدان وهي تختص بالأموال لا بالأعمال أي يمكن لأحد الشريكين أن يفوز بربح بينما الآخر لايفوز ، وشركة الوجوه وهي تقوم علي الذمم من غير صنعة أو مال وهي غير صحيحة ، انظر ابن رشد الحفيد : المصدر السابق ، ج22 ص 304 – 308 / ابو القاسم بن سلمون الكناني : مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام ، ج2 لوحة 121 ص 2، ولا ينبغي مشاركة يهودياً أو نصرانياً إلا أن يكون المسلم حاضراً أمام النصراني أو اليهودي في أعمال الشركة خوفاً من قيام الذمي بالربا ، ولا ينفرد الذمي ببيع أو شراء إلا في حضور المسلم ، انظر القرافي : المصدر السابق ، ج8 ص 20 0

(1) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 62 0

(2) عز الدين أحمد موسي : النشاط الإقتصادي 000 ، ص 282 0

(3) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج2 ص 63 / المقري : نفح الطيب ، ج2 ص 205 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 62

(4) الونشريشي : المصدر السابق ، ج10 ص 28 / ج5 ص 215 0

(5) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 235 0

السفن بين كبار تجار سبتة والتجار النصارى(1) 0 ومن أمثلة أنواع الشركات سالفةالذكر ، قيام أبناء وذرية القاضي أبي عبد الله المقري(*) [قاضي الجماعة بفاس وتلمسان والمتوفي عام 759هـ] بتكوين شركة تجارية يتوزع أفرادها على مدن ثلاث هي تلمسان وسجلماسة وتوات ولكل واحد منهم عمل يقوم به فيبعث المتواجد بتوات التبر والعاج ومختلف السلع السودانية إلى المتواجد بسجلماسة الذي يحدد أسعار السلع وتقدير المكاسب وثمن البيع لتلك البضائع والتنبيه على الخسارة ويرسل تقارير إلى بقية أفراد الشركة ليعرفهم أحوال البلاد الإقتصادية وأعمال التجارة وأسعار السلع وأنواعها، أما المتواجد بتلمسان فهو يحدد أنواع السلع المطلوبة بالأسواق ويقوم بأعمال البيع ، وتقسم الأرباح بينهم بالتساوي وهي شركة تتساوي فيها رؤوس الأموال والعمل وكذلك الأرباح (2) ، وشركة أخرى بين رجلين في أملاك واسعة ، وكان أحدهما [00 أكثر دهره غائباً متصرفاً في أسباب التجارات ، وكان هذا الشريك يضم جميع المال ويستغل جميع فوائده وما يعود منه 000] (3)، وشركة بين رجلين في مركب لحمل المتاجر ونقل المسافرين وكان العمل والربح مناصفة(4)، وشركة بين رجلين كل منهما دفع مائة مثقال ذهب والربح كان مناصفة وشركة بين زوجين في تجارة العبيد والقطاني والماشية والأطعمة وشركة بين إخوة ثلاثة في تجارة الحريروشركة في تجارة

----

(1) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 62 – 63 0

(*) المقري : هو يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داوود القرشي المقري أحد أجداد أبي عبد الله محمد قاضي الجماعة بفاس وتلمسان ، انظر ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2 ص 191

(2) [00 إشتهرت ذريته علي ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار وإتخاذ طبل الرحيل وراية التقدم عند المسير ، وكان ولد يحي خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه وفيما يملكوه علي السواء بينهم والإعتدال ، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمن شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد وعلي شقيقاهما الصغيران بأيوالاتن (والاتة) فإتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار 000 وكان التلمساني يبعث الي الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتي إتسعت أموالهم وإرتفعت في الفخامة أحوالهم 000] انظر ابن الخطيب : نفسه ،ج2 ،ص 191 – 193 / المقري : المصدر السابق ، ج2 ص 205 / مبارك بن محمد الميلي : المرجع السابق ، ص 858 0 / Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p 403 / .Roland Oliver: Op. Cit. P. 369 – 370 /

(3) القاضي عياض وولده محمد : نفسه ص 153 / الونشريشي : نفسه ج8 ص 103 – 104 ، ج9 ص 189 – 190 ، ج10 ص 28 0

(4) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 235 / القرافي : المصدر السابق ، ج5 تحقيق محمد بو خبزة ، ص 491 ، ج8 تحقيق محمد حجي ، ص 72 / الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 308 ، 312 ، ج9 ص 418 / أبو عيسي الوزاني : المرجع السابق ، ج6 ص 519 0

منتجا ت الألبان وشركة في صيد الأسماك (1)، وشركة في تجارة الغنم والبقر(2)، وغيرها من الشركات العديدة التي تناولتها كتب النوازل المغربية ، والملاحظ على الشركة في المغرب المريني بصفة عامة أنها تميل إلى أن تكون أطول عمراً ، أما في العقود المسيحية فهي سارية لعملية تجارية واحدة عملياً (3) 0

[ج] القراض :

تحدثت نوازل كثيرة عن شركة القراض (*) التي كانت تتم بين صاحب الما ل المستثمر والوكيل الذي يقوم بأعمال التجارة وحملها على ظهر السفن لبيعها ، وقد إنتشرت شركة القراض ببلاد المغرب المرينية، ومن أمثلتها شركاء في سفينة أخذوا مالاً وذهباً من الناس على وجه القراض واشتروا به قمحاً وسافروا به للتجارة (4)، ودفع رجل مالاً قرا ضاً لصاحب مركب لحمل السلع والبضائع على وجه القراض والربح بينهما ، وآخر دفع سفينة وأموال إلى جماعة على أن يكون له ثلثي الربح وللعاملين الثلث ، بحيث تكون السفينة كراء والمال قراض ، ودفع رجل ثانٍ مركب ومائة دينار عليس وجه القراض ليكون لصاحب المركب والمال الثلثين من الربح وللعامل الثلث ، وكان القراض يأخذ صوراً مختلفة من المال والفضة والذهب والسفن وغير ذلك، وقد يطول أمد القراض ليصل أكثر من عشرة سنوات مثل رجل أخذ مالاً من رجل على وجه القراض وسافر به إلى بلاد السودان (تادمكة) وشهد بذلك الشهود ، واستقر الوكيل ببلاد غانا وتأهل هناك وقام احدى عشرة سنة من يوم خروجه من البلد الذي أخذ فيه المال ، على أن هناك من التجار المسافرين من يتلاعب بالقراض

----

(1) الونشريشي : نفسه ج8 ص 179 ،191 ، 192، 180، 189 ، ج7 ص 75 ،ج5 ص 36 ، 59 ،62 ، 125 ، 215 ، 239 ، 296 ،

(2) أبو القاسم بن سلمون الكناني : المخطوط السابق ، ج2 لوحة 122 ص 1 / الونشريشي : نفسه ج5 ص 93 ، ج8 ص 179 ، 190 ، 195 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 125 0

(*) القراض : كان في الجاهلية وأقره الإسلام وأجمعوا علي أن صفته أن يعطي الرجل لرجل المال علي أن يتجر به علي جزء معلوم يأخذه العامل من ربح المال ، انظر ابن رشد الحفيد : المصدر السابق ، ج2 ص 285 ، / أبو القاسم بن سلمون الكناني : نفسه ، ج1 لوحة 252 ص 2 / أبو عيسي الوزاني : المرجع السابق ، ج8 ص 3 / والقراض عند المسلمين كان مشابهاً للشراكة اليهودية التي تعرف بالعبرية (عصق Isqa وبالبيزنطية Cheokinonia ويميز القراض من خلال إعفاء الوكيل في معظم الحالات من أي مسؤولية عند فقدان رأس المال ، انظر أوليفيا : نفسه ص 126 0

(4) القاضي عياض وولده محمد : نفسه ، ص 235 0

والأرباح فتارة يدعي فقدان المال وتارة أخرى يغيب فترة طويلة دون أن يتصل بصاحب القراض وينقطع عنه مما يدفع صاحب القراض إلى اللجوء للقاضي للوصول إلى حقوقه المالية (1) وتارة أخرى يكون القراض في الدرهم ناقص القيمة والوزن(2) **0**

والقراض يعرف عند التجار الأوروبيين بإسم Commend ، التوصية أى Qir'ad (3) وقد كانت مدينة سبتة تتعامل بعقود القراض مع التجار الأوروبيين ، فقد صدرت سبتة خيوط غزل القطن بواقع عقدين قراض (توصية) وعقد آخر لبيع الملح إلى مرسيليا في الفترة ما بين عامي 1207 – 1255م ، و كذلك عقدين من نفس النوع لتصدير جلود الأغنام في نفس الفترة إلى مرسيليا ، و ثلاثة عقود قراض لتصدير جلود الأغنام وعقد آخر لبيع ابو فروة إلى مرسيليا عام 1248م ، واستوردت أيضاً مدينة سبتة سلعاً متنوعة عن طريق عقود القراض بواقع 12 عقداً من مرسيليا في الفترة ما بين عامي 1207 – 1255م وفي عام 1248م كانت عدد عقود القراض من مرسيليا إلى سبتة وصلت الي 18 عقداً (4) 0

[د] الإستدانة والسلف :

لجأ التجار الصغار إلى الاستدانة للقيام بادارة رؤوس الأموال اللازمة للتجارة ، كذلك كان التجار الكبار والصرافون يقومون بأعمال التسليف فكثرت الإشارات إلى أعمال السلف(*) والديون التجارية 0 فيذكر الونشريشي عدة نوازل تتصل بالاستدانة والديون التي كانت عديدة وسائدة ببلاد المغرب المرينية ، فقد كان من جراء القحط والجدب

---

(1) الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 205 ، 212 ، 306 0 / ج9 ص 116 – 117 ، ج5 ص 215 / أبو عيسي الوزاني : المرجع السابق ، ج8 ص 20 0

(2) كان في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني ما بين عامي 768 – 769هـ أن [00 تفاحش القرض في الدرهم حتي صار التعامل بالدراهم التي في الأوقية 11 ديناراً وفسدت المعاملات والتجارات 00] انظر الكومي : المصدر السابق ، ص 139 – 140 /ويذكر الونشريشي أيضاً غش العملة بالنحاس انظر : المصدر السابق ، ج5 ص 202 0

(3) John H. Pryor: Commerce, Shipping and Naval Warfare in the Medieval Mediterranean, London 1987 vol. IV, p.438.

(4) Ibid, p.403, 424, 425.

(*) السلف : هو أن يقطع الإنسان جزء من ماله للمستسلف ، ويرد إليه مرة ثانية دون زيادة أو نقص ، والسلف مخالف للربا ، انظر : القرافي : المصدر السابق ، ج5 ص 285 / الونشريشي : نفسه ج5 ص 57 ، 81 0

أن قام العرب والبدو والبربر بشراء الحبوب والأطعمة بالدَين، وكذلك كان تاجرٌ قد إشترى قمحاً بالدَين لأجل ، وتاجرٌ من أهل الأندلس كان عليه دَين لرجل من فاس ، واحد الأشخاص كان يقترض الأموال على سبيل السلف من أحد التجار ، ورجل من أهل الذمة بالمغرب كان قد سلّف رجل دنانير لتجارة الزيت ، وغالباً ما تحدث مضايقات بين المستدين وصاحب المال حتي تنتهي الأمور باللجوء إلى القاضي لحسم الأمر(1) ، وقد قام اليهود المغاربة بدور كبير في أعمال الصيرفة والتسليف، لأن صغار التجار كانوا يودعون أموالهم عند الصرافين كذلك كان الصرافون اليهود يشتغلون بالصرافة من تصريف الفلوس بالدراهم والدراهم بالفلوس ، فكان التجار في أمس الحاجة إليهم (2)0

وهناك تسليف بفائدة كما فعل يهود المغرب مع التجار وكانت نسبتها نحو 60% وأخرى 100% وهذا يتوقف على أجل السلف فمنها ما يصل إلى 11 عاماً وآخر 15 عاماً(3) على أن التجار المغاربة المسلمين كانوا لايحبون الخوض في أعمال السلف والصيرفة بالفائدة لأن العمل بالصرف خطر عظيم علي دين التاجر الإسلامي وهو ما يعرف بالربا المحرم شرعاً ، فيقول ابن الإخوة [[00 التمعش بالصرف خطر عظيم على دين متعاطيه بل لايبقى للدين معه إلا بعد معرفة الشرع ليتجنب المحظورات 00]] (4) ، أما الونشريشي فيقول [[00فالغالب علي معاملتهم الفساد والربا]](5)، وقام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بتقديم قرض مالي قدره مائة ألف دينار ذهبى إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة الذي رهن تاجه الذهبي لدى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني عام 681هـ (6) 0

----

(1) الونشريشي : نفسه ، ج5 ص 238 ، 87 ، 89 ، ج10 ص 436 ، 443 ، 409 ، 440 ، 434 0

(2) الكومي : نفسه ص 137 – 138 / مجهول : المخطوط السابق ، ورقة 4 0 / الونشريشي : نفسه ج12 ص 376 / مسعود كواتي : اليهود في المغرب الإسلامي ، ص 150 ، الجزائر 2000م دار هوجة للطباعة والنشر ، ص 150 / عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 280 – 282 0

(3) عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 280 – 282 0

(4) مسعود كواتي : نفسه ص 150 – 151 0

(5) ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص 242 0

(6) الونشريشي : نفسه ج 5 ص 64 / مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 151 0

[هـ] المعاوضة أو المقايضة :

اشتهرت التجارة المغربية في عصر بني مرين بنظام المقايضة(*) لاسيما في التجارة المحلية والخارجية ، فكان أهل البوادي والجبال والقرى يحملون سلعهم ويذهبون للأسواق ويبادلونها بسلع أخرى يحتاجونها وهو ما عرف بالمقايضة، كذلك كانت المدن التجارية الساحلية تتجر مع الدول النصرانية بنظام المقايضة في بعض الأحيان ، فيذكر الونشريشي أن المغاربة عاوضوا أو قايضوا الحبوب بالزيت(1)، كذلك المدن الساحلية مثل تفتنة التي تقع علي المحيط الأطلسي ، كانت تتجر مع البرتغاليين بنظام المقايضة(2) ، وكانت شركة أولاد المقري تتجر بدول المغرب بالمقايضة مع الدول النصرانية وبلاد السودان بالمقايضة [[00 أن بلاد الصحراء كانت تجلب لها من المغرب ما لا بالٍ له من السلع **فيعاوض** عنه بما له بالٍ من الثمن 00]](3) فكانت تلك المقايضة تدر ربحاً وافياً للتجار المغاربة 0

[و] الكراء :

شاع الكراء في التجارة المغربية المرينية بين جميع الطبقات التجارية داخل وخارج البلاد ، ففي داخل البلاد إكترى التجار الحوانيت بالقيسارية بفاس ومراكش وغيرها من المدن ، حيث كانت تلك الحوانيت تابعة للسلطان أو الأحباس أوبيت المال (4) ، وشاع كراء السفن لاسيما بسبتة وغيرها من المدن الساحلية فقد كانت التجارة بسبتة لاتتم إلا عن طريق السفن ، وكان تجار سبتة يمارسون كراء السفن بوجه التجارة ونقل الحجيج

(*) المقايضة : ظل نظام المقايضة العريق قائماً في صور مختلفة وساد بلاد المغرب لفترة طويلة ، وكان يتخذ أحياناً نوعان من النظام النقدي وآخر سلعي مثل مقايضة سلعة بسلعة أو نقد بنقد أو مقايضة قطع الحديد بالسلع ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 127 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 283 0 وهناك مقايضة أو معاوضة قمح بدنانير [الونشريشي : المصدر السابق ، ج5 ص 89] أو مقايضة الذهب بالسلع كما في غانا مع بلاد المغرب الأقصي مثل مقايضة الذهب بالملح أو بالخرز وخواتم النحاس ، أنظر ابراهيم حركات : نفسه ص 284 0

(1) الونشريشي : نفسه ، ج5 ص 57 ، 89 ، 238 /ج10 ص 436 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 120 0

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2 ص 193 0

(4) مجهول : مخطوط ذكر قضية المهاجرين 00 ، ورقة 5 ص 2 / الونشريشي : نفسه ، ج5 ص 281 ج6 ص 257 0

والمواطنين (1)، وذكر الونشريشي أن نظام كراء السفن بين التاجر وصاحب المركب كان يتم بأجرة معينة يتفق عليها الطرفان كما هو العادة بين الناس ، [00 دفع رجل إلى صاحب لوح(مركب) دنانير ، فقال له إشحن لي بها معك طعاماً ، وتأخذ كراءك كما تكرى من الناس، ففعل ما يلزم في هذا 00](2) وسواء كانت السفن حكومية أو خاصة فإن صيغة عقد الإيجار (الكراء) إملائية من القانون (الشريعة الإسلامية) وفي عقد الإيجار يتعهد المؤجر بنقل المستأجر وبضائعه محدداً بوضوح الطريق الواجب اتباعه ، وتشحن البضائع خلال الرحلة ويدفع المستأجر مبلغاً من المال للمؤجر (3) 0

وتتدخل الحكومة في نشاط التاجر من خلال سلطة الجمارك التي كانت تبت في موضوع الشحن ، وكان القاضي يصدق على عقد إيجار المركب (4) ، وكان الكراء متوقفاً وقت دخول الشتاء نظراً لخطر الغرق وضياع التجارات(5)0 وكثيراً ما حدثت بعض المشاحنات ما بين التاجر وصاحب المركب أو السفينة نظراً لقيام صاحب السفينة بشحن أكبر قدر من السلع والبضائع والأفراد دون النظر إلى الأخطار الناجمة عن الحمولات الزائدة وأخطار الغرق في البحر ومواجهة الريح بحمولة تفوق السفينة ، وكان التجار لايستغنون عن كراء السفن ، وللتخلص من مشكلات الشحن أشركوا أصحاب السفن معهم في تجارتهم وتخلصوا من تحكم أصحاب المراكب والسفن في تجارات التجار (6)0 غير أن هناك العديد من المعوقات التي أعاقت نظم الكراء والتجارة والتي تمثلت في قيام القراصنة بنهب السلع والبضائع في عرض البحر أو تتأخر عن موعد التسليم حيث كانت السفن تتأخر في الموانئ فيدخل عليها فصل الشتاء فتتعرض للريح المعاكسة للملاحة والغرق أو تتعرض السفن للعطب في بعض الطريق ،

---

(1) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 235 : البرزلي : مخطوط فتاوي البرزلي رقم 4/365 الإسكوريال ، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ورقة 33 0 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 64 0

(2) الونشريشي : نفسه ج8 ص 308 – 311 ، 299 ج9 ص 117 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 195 0

(4) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 196 0

(5) القرافي : المصدر السابق ، ج5 ص 485 / الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 300 – 301 0

(6) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 235 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 64 – 65 0

أو تقوم الريح بتغيير مجرى ومسار السفن فيحدث التأخير(1) 0

[ل] المزايدة :

كانت القاعدة العامة للتجار بفاس المرينية أو الشراء بالمزايدة ، وهو المزاد العلني الذي كان يعقد يومياً بالأسواق لدى حوانيت التجار الكبار ويكون الدفع إما نقداً أو لأجل وعندما يقوم السماسرة والدلالون والمنادون على بدء المزاد تحدث المزايدة بين الناس عند الشراء(2) ، فقد كانت عمليات البيع والشراء تتم بين التاجر الأجنبي والمشتري المغربي داخل الديوانة المغربية وتحت إشرافها سواء عن طريق البيع بالمزاد العلني أو خارج الديوانة في الفنادق مثلاً وتلك العمليتان خاضعتين للديوانة ويتم البيع بمساعدة دلال تعينه الدولة المعنية وبحضور شهود ومفتشين ، وبعد المزاد يتم تقدير قيمة الجمارك المستحقة على السلع(3) وتعرف عملية البيع بالمزاد العلني في الوثائق اللاتينية LaGalega أو Calga وهي كلمة مشتقة من حلقة المزاد العلني (4)0

[ك] الوديعة والرهن :

استعمل تجار بلاد المغرب المرينية الوديعة في معاملاتهم التجارية فكان التجار المغاربة يأخذون البضائع كوديعة أو أمانة للمتاجرة بها في بلاد المغرب، كذلك كان أحد التجار بسبتة سافر لبيع الزيت في الجزائر وكان معه كمية من الزيت لبعض أهل بلدة سبتة، وقد كانت بعض القواعد التي تحكم نظام الوديعة في التجارة المرينية ذكرها الونشريشي، ومنها في حالة تلاعب التاجر المسافر بالوديعة التي معه وإدعى فقدانها وتحرك في مسار غير الذي حدده له صاحب الوديعة ، فعلى ذلك التاجر المسافر أن يرد الوديعة، أما في حالة وفاة التاجر المسافر أو فقدانه أو عدم معرفة من صاحب الوديعة فإن مال الوديعة

---

(1) القرافي : نفسه ص ج5 ،ص 485 ، 491 ، ج8 ص 330 ، 485 ، ج12 ص 260 / الونشريشي : نفسه ج8 ص 297 – 298،300 – 302 ، 308 – 311 0

(2) الونشريشي : نفسه ، ج5 ص 202 ، 313 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 245 – 246 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 149 / لوتورنو : المرجع السابق ، ص 155 – 157 0 وقد سبق الحديث عن السماسرة والمنادون والدلالون والمزاد العلني في العاملين بالأسواق 0

(3) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 100 0

(4) Mas-Latrie: Op.Cit. p.193. Doc.

يرجع لبيت المال وينفق في مصالح المسلمين(1) 0

وشاع الرهن (*) في رهونات الدور والبساتين والأراضي مقابل المال وكان الرهن يتم بالبينة العادلة (2) ، ومن المرجح أن التجار الصغار كانوا يلجأون إلى رهن ممتلكاتهم لاستمرارية عملهم التجاري وتسديد المستحقات المالية التي عليهم في حالات الخسارة أو غرق المركب أو الحريق أو سقوط البضائع في يد العدو من جراء القراصنة النصارى 0

[ى] الحوالة – الصك – السفتجة] :

عرفت بلاد المغرب الوسائل البنكية الثلاثة، وهي الحوالة والصك والسفتاجة(*) ، وتمثل الثلاثة أشكالاً مختلفة من الوعد بالأداء والدفع المؤجل ، وقد ساد التعامل بها في المشرق إنطلاقاً من إيران والدول الإسلامية (3)، وعُرفت الوسائل البنكية أيضاً علي أيدي يهود شمال أفريقيا ومصر ، فقد أشارت أوراق الجنيزة إلى الكثير من أُذونات الدفع ، التي كانت تُختتم بعبارة [[تكرم بالدفع لحامله (دون ذكر اسم) كذا وكذا مبلغ (بالكتابة) دينار فقط]]، كذلك تحمل معظم الأذونات في جانبها العلوي الأيمن حرف[ب] ، وهو إختصار للعبارة الآرامية (باسمك يارحيم) وعند المسلمين البسملة (4)0 وقد عرفها المرابطون بالمغرب الأقصى ثم الموحدين وبنو مرين ، على أيدى الصيارفة اليهود المغاربة والأعاجم ، فيذكر ابن عبد الرؤوف [00ويمنع الصرافون من الصرف 00 بالحوالة 0](5) وشاع في بلاد المغرب نظام الحوالة في عصر بني مرين فكانت الحوالة تؤول إلى الصراف لكي تصل

----

(1) الونشريشي : المصدر السابق ، ج9 ص 92 – 96 ، 75 ، 82 – 83 0 / كمال السيد أبو مصطفي : المرجع السابق ، ص 90

(*) الرهن : هو المتمول الذي يؤخذ توثقاً به في دَين ودافعه المدين يُسمي الراهن ، وآخذه يسمي المرتهن ويضمن (أي يكون المرتهن مسئولاًعن الرهن) المرتهن الرهن ، فإذا إدعي المرتهن ضياع الرهن أو تلفه أو عدم رده ضمن مثله أو قيمته ، انظر أبو علي الحسن بن رحال المعداني : المصدر السابق ، هامش 70 ص 84 0

(2) الونشريشي : نفسه ، ج6 ص 490 – 494 ، ج10 ص 412 0

(*) السفاتج : مفردها سفتجة وهي البطاقة تكتب فيها آجال الديون كالرجل تجتمع له أموال ببلد ما فيسلفها لرجل آخر وتكتب له الي وكيلك ببلد آخر لك فيه مال أن يعطيه هناك خوفاً من خطر الطريق ، أو الخوف الذي يعم البر والبحر فيجوز الضرورة ، انظر القرافي : المصدر السابق ، ج5 ص 293 / أبو عيسي الوزاني : المرجع السابق ، ج6 ص 68 0

(3) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 282 0

(4) جواتيان : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 466 0

(5) أحمد بن عبد الرؤوف : رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ، نشر ليفي بروفنسال ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة 1955 ص 84

قيمتها بعد ذلك إلى صاحبها المرسلة إليه ، وكان بعض التجار يدفعون أموالهم للصيرفي ثم يشترون سلعهم ، ويقبض البائع أمواله المحولة عند الصيرفي(1) 0
كذلك كانت الصكوك مشهورة بسجلماسة المرينية بين التجار ، فكان أحد الصكوك يقدر بمبلغ أربعون ألف دينار (2) 0

[8] الضرائب و المكوس التجارية و الجمركية :

تعددت الضرائب و المكوس التجارية و الجمركية ببلاد المغرب الأقصى المرينية ،فمنها ضرائب كانت تتعلق بالأسواق و الأبواب بالممرات والطرق التجارية ، و أخرى ضرائب الجمارك المتعلقة بتجارة الصادرات والواردات من خلال المدن التجارية الكبرى مثل فاس ومراكش وسبتة وأنفا وغيرها من المدن التجارية الساحلية ، فقد كان للتجار النصارى جمرك في فاس القديم ثم نُقل إلى قيسارية فاس الجديد في عهد بني مرين خوفاً على التجار النصارى من أعمال النهب (3)، وكان للجمرك مشرفاً مسئولاً عن الجمرك والمكوس الجمركية وادارته ، ويجمع الرسوم التجارية ويضعها في خزينة الدولة ، وكان للمشرف أعوان هم الكتبة والموثقون والخزنة والحراس(4)، وكان المعتاد أن يتركز إهتمام الدولة المرينية بالموانئ لكونها مركز النشاط التجاري ، لذا إعتاد التجار أن يعلنوا عن بضائعهم في مكتب الضرائب الجمركية ، وقاموا بتخزينها في المخازن ونزلوا بالفنادق، وقام موظفوا الموانئ المرينية بمراقبة التجار النصارى وحفظ الأمن والنظام بالجمارك وتنظيم حركة التجار داخل الموانئ فلم يكن مسموحاً للتجار النصارى الإقتراب من الشواطئ إلا بإذن السلطات المرينية ، وكانت تلك القيود مفيدة لحماية الغرباء في المدن والموانئ ، وكان القاضي

---

(1) الونشريشي : نفسه ، ج6 ص 315، ج10 ص 407 / كمال السيد أبو مصطفي : نفسه ، ص 88 0

(2) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج5 ، ص 164 ، أنظر النص [00 ولسجلماسة متاجر إلي بلاد السودان يخرجون إليها بالملح والنحاس والودع ، ويرجعون منها بالذهب التبر ، قال ابن سعيد المغربي : رأيت صكاً لأحدهم علي آخر مبلغه أربعون ألف دينار 00] 0

(3) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 150 0

(4) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 63 – 64 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 254 / هو بكنز : النظم الاسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، ت0 امين توفيق الطيبى ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،1980 م ، ص 107 / فياض : المرجع السابق ، ص 143 0

يعين كبار الموظفين والقضاة لحفظ النظام العام بالموانئ ومراقبة التجارة والتعامل مع التجار الأجانب(1) ، وقد أورد العمري قائمة أموال الجباية التي كانت في عهد السلطان أبو سعيد عثمان الأول المريني ، وهو ما يُعرف بالضمان المالي(*)، وكانت تضم أموال الزكاة والخراج والمكوس فقط 0

وفيما يلي جدول يوضح قيمة المجابي التي كانت مفروضة على المدن المرينية في عهد السلطان أبو سعيد عثمان الأول المريني(2) :

المنطقة أو المدينة	قيمة الضمان المالي	المنطقة أو المدينة	قيمة الضمان المالي
فاس	150 ألف دينار ذهب	قصر ابن عبد الكريم	20 ألف دينار ذهب
مراكش	" " "	طنجة	30 ألف " "
سبتة	50 ألف " "	باديس	10 آلاف " "
أسفي	40 ألف " "	مكناسة	60 ألف " "
أغمات	25 ألف " "	صفروي(*)	6 آلاف " "
أنفا	40 ألف " "	سجلماسة ودرعة	150 ألف " "
آزمور	20 ألف " "	تازا (تازي)	30 ألف " "
سلا	40 ألف " "	غساسة/مليلة/المزمة	30 ألف " "
العرائش	10 آلاف " "	تيط	5آلاف " "

----

(1) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 182 – 183 0

(*) الضمان المالي : هو ما يقابل في مصر في عصر المماليك والعثمانيين بنظام الإلتزام ، فيقوم شخص من الأثرياء بضمان جميع الأموال المستحقة للمخزن المريني بشراء هذه المجابي من الحكومة المرينية ، ثم يقوم بجمعها بأكثر من قيمتها لنفسه ، وكانت تلك المجابي (الضرائب والمكوس) لا يدخل في نطاقها ضرائب المواشي ولا الغلال والجزية والأعشار ، أنظر محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 120 / . Al – Omari : Op. Cit. ,p. 171

(2)Al – Omari : Op. Cit. ,p. 171 ./ محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 120

(*) صفروي : إحدي المدن الصغيرة التي تجاور مدينة فاس علي الطريق التجاري الواصل بين فاس وسجلماسة ، ويشتهر أهل صفروي بالثراء ، كذلك ثيابهم يكثر بها بقع الزيت بإستمرار مما يدل علي كثرة إشتغالهم بصناعة زيت الزيتون ، (00 وأهل صفروي أغنياء 00 وثيابهم مليئة دوماً ببقع الزيت إذ يصنعون الزيت علي مدار العام وينقلونه إلي فاس لبيعه 00) ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 366 0

ومن خلال الجدول السابق نستنتج أن قيمة المكوس التي كانت الحكومة المرينية تقوم بجمعها كانت كبيرة مما يعني ازدهار حركة التجارة الداخلية والخارجية 0

أما المراكز الجمركية فكانت عديدة ويتضح من الجدول السابق أن مقدار الأموال التى كانت المدن التجارية والموانئ التجارية التي كانت تتحصل عليها كبيرة ، نظراً لإزدهار التجارة الخارجية وكانت المراكز الجمركية لدولة بني مرين كثيرة منها جمرك قيسارية فاس القديم كان يجمع نحو 30 دينار ذهب في اليوم(1) ، وكان جمرك كل من غساسة وتفتنة يجمع مبالغ طائلة من الضرائب الجمركية التي كانت تتحصل من السلع الواردة من التجار الإيطاليين ، ومنهم البنادقة (2) ، وكان بمدينة سلا مركزاً جمركياً للتجارة الخارجية ، ولكن في عهد بني مرين المتأخر قام المخزن المريني بنقله إلى فاس الجديد لمزيد من الأمن وخوفاً من التهديدات البرتغالية (3)، وأما مدينة سبتة فقد سبق الحديث عن دور الإشراف على التجارة الخارجية الأربعة ، ومنها دار الإشراف للديوان ، وهو المركز الجمركي وكان متواجداً أمام فنادق التجار النصارى ، ودار الإشراف على السكة والعملة، لتسهيل الصرف على أعمال البيع والشراء بالنقد وكان متواجداً بقصبة سبتة ، وكانت سبتة تهتم في المقام الأول بالتجارة الخارجية مع المدن الإيطالية ، الأمر الذي جعل كآفة شئونها متعلقة بالتجارة الخارجية وقد لعب رئيس الإشراف للجمرك دور القنصل أو السفير المكلف بالعلاقات الخارجية مع البلدان المسيحية ومنها المدن الإيطالية (4) 0

وقد تحصلت سبتة في عام 1309م على 60 ألف دينار ذهبي أرباحاً من التجارة مع دولة أراجون، وربحت نحو أربعة آلاف ديناراً ذهبياً من التجارة مع مدينة برشلونة عام 1322م(5)، وكان إيراد مدينة سبتة في اليوم الواحد يتراوح بين 500 إلى 700 دينار ذهبي ،

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 254 0

(2) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص 114 - 115 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 120 ، 345 / مارمول :المصدر السابق ، ج2 ص ، 22،263 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 150 0

(4)الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 41 – 42 / محمد السشريف : سبتة الإسلامية 00 ، ص 107 0

(5) Dufourcq : Op. Cit. , p. 554 , 595 .

وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفي دينار ذهبي (1)،وكان الجمرك المريني على وجه الإجمال لا يتقاضى أي رسوم أو أموال على المياه والطعام الخاص لأطقم السفينة فقط ، وكانت بعض الصادرات المرينية مثل الخمر في بعض الأحيان يصدر إلى قطالونيا دون رسوم جمركية(2)،

وبالإجمال فإن الطابع العام للتنظيمات الجمركية كانت بسيطة وشبه موحدة في بلاد المغرب المرينية ، وكان مرناً لدرجة الإقبال الشديد من التجار النصارى بدول حوض البحر المتوسط لاسيما المدن الإيطالية للتجارة مع المدن المرينية 0

أما الضرائب والمكوس التجارية فكانت كثيرة ومتنوعة ، وفيما يلي جدول يبين الضرائب والمكوس التجارية والجمركية بدولة بني مرين :

الضريبة	النوع	القيمة	مكان تحصيلها	المصدر/المرجع
ضريبة السلع	محلية	_	داخل الأسواق	(3)
مكس الباب	محلية على السلع الواردة إلى داخل المدينة عبر الأبواب	_	أبواب المدينة	(4)
المنح/الموجبات	تُفرض على القوافل التجارية الواردة إلى المدينة	_	أبواب المدينة	(5)

----

(1) المقري :وأزهار الرياض 00 ج1 ، ص 42 – 44 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p. 524.

(3) ضريبة السلع : كانت هذه الضريبة تُفرض علي السلع الإستهلاكية في نقطة التوزيع القريبة للمستهلك ، أنظر مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 149 0 / هو بكنز : المرجع السابق ، ص 94 0

(4) ضريبة مكس الباب : كانت هذه الضريبة تُفرض علي السلع المحلية العابرة إلي داخل المدينة من خلال الأبواب وتباع في الأسواق بالمزاد ، ويقوم المتقبل بجمع هذه الضريبة كما في مدينة فاس ، أنظر الونشريشى: المصدر السابق ،ج3،ص276-277 / ليفى بروفنسال:سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس و تاريخها ، ترجمة عبد الهادى شعيرة ، الأسكندرية ،1951م ص82 0 / أما المتقبل فهو صاحب القبالة يكترى قبالة ما مثل قبالة القرسطون أوالسوق أو حوانيت السلطان و غيرها ، و كان يجمع نسبة من كل سلعة أو أجر أو غيره و يدفعة للسلطان و فى نفس الوقت كان يأخذ جزءاً أخر لنفسة بدون وجه حق ، فكان يأكل أموال الناس بالباطل حتى عرف بمستغرقى الذمة لمزيد من المعلومات ، انظر ابن عبدون : المصدر السابق ،ص30 -32 ، / الونشريشى: المصدر السابق، ج3،ص276-277 / ليفى بروفنسال : المرجع السابق ، ص 82 0

(5) Louis Massignon: Memorire de la Societe Historique Algerienne, I, Le Maroc, Alger, 1906 p.179

(=)

مغرم السوق	محلية على السلع وتستخدم للأغراض الحربية	_	داخل الأسواق	(1)
النكاس	محلية على المبيعات	_	داخل الأسواق	(2)
ضريبة على المتاجر	محلية	زهيدة جداً	أسواق أحواز فاس	(3)
ضريبة الجلد المدبوغ	ضريبة جمركية	درهمان لكل قطعة جلد مدبوغة	جمرك مدينة فاس	(4)
ضريبة جلد البقر	جمركية	9 دنانير لكل 100 قطعة جلد بقر	جمرك أنفا	(5)
ضريبة الأقمشة	جمركية	7 سنت لكل قطعة جوخ	فاس	(6)
ضريبة السلع القيمة	جمركية	2 دينار عن كل بضاعة تصل قيمتها 100 دينار	جمرك التجار النصارى بفاس	(7)

(=)

----

(1) مغرم السوق :ضريبة نقدية تدفع فى الحال على السلع و البضائع بالأسواق وكانت تؤخذ من التجار والباعة فهى ضريبة تجارية توظف للأغراض الحربية ، انظر الونشريشى : نفسة ج 5 ،ص 32 / Dozy –R : Supplement aux dictionnires arabes,I I, p-209, Leyden ,1927

(2) ضريبة النكاس كانت تُفرض علي المبيعات ، An – nakas أنظر . Louis Massignon : Op. Cit. , p. 179

(3) كانت بأحواز فاس أسواق ،وكان التجار يدفعون ضريبة زهيدة جداً علي متاجرهم ، لذا كانت تلك الأسواق رائجة جداً ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 279 – 280 0

(4) ضريبة الجلد المدبوغ : كان جمرك مدينة فاس يأخذ درهمان علي كل قطعة جلد مدبوغة ، وكانت حكومة بنو مرين تتحصل علي ألفي دينار مما يعنى أن تجارة الجلود المدبوغة داخل فاس كانت تحوى مائة وعشرين الف قطعة جلد مدبوغة ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 265 0

(5) كان جمرك مدينة أنفا يأخذ 9 دنانير ضريبة جمركية علي كل 100 قطعة جلد بقري وكان وزن القطعة 7 كجم ، أنظر Dufourcq: Op. Cit. p. 550.

(6) كان تجار الأقمشة بأسواق فاس الداخلية يدفعون ضريبة جمركية علي القماش ، فكانوا يدفعون سبعة سنتات (بيوكشى ايطالى)عن كل قطعة جوخ 0أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 245 0

(7) كان عمال الجمرك بمدينة فاس يأخذون ديناران ضريبة جمركية علي كل بضاعة تصل قيمتها مائة دينار للتجار النصاري ، فكان الحرس الجمركي يصطحب السلع القيمة ، ويقوم بتقديرها وتقدير الضريبة المطلوبة ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 254 0

(=)

العُشر 10%	جمركية	10%علي السلع الأوروبية الصادرة والواردة للتجار النصارى	جميع الموانئ والمدن التجارية المرينية	(1)
الخفارة	حراسة القوافل	ربع دينار على كل حمل جمل	الطريق بين سجلماسة ودرعة	(2)
مرور	إذن مرور	ربع دينار على كل جمل	الممر الجبلي بين فاس وسجلماسة	(3)
مرور	إذن مرور	مبالغ باهظة	ممر جبل سغمة بتادلة	(4)
مرور	إذن مرور	ربع قيمة البضاعة	ممر جبل داداس بتادلة	(5)
خفارة	حراسة القوافل	مبالغ باهظة	الطريق بين فاس و سجلماسة ومن سجلماسة إلى أودغشت	(6)
مرور	إذن مرور	ما يعادل 75 فرنك ذهبي على كل حمل جوخ أو كتان	ممر جبل تادلة إلى فاس ومنها إلى بلاد السودان	(7)

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 120 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 22 / أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 456 / Goitein S . D.: A Mediterranean Society, the Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza. University of California, press, 1967 vol . I, p.16, 70, 344.

(2) كانت الطرق والممرات في معظم الأوقات في عصر بني مرين في أيدي العرب وقطاع الطرق من القبائل المغربية ، وكانت الضرائب الخاصة بالقوافل التجارية يؤول منها القليل إلي خزينة الدولة ، وكان الذمي والمسلم علي السواء في دفع ضريبة المرور أو الخفارة ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 500 0

(3) كان التجار يدفعون رسوم العبور إجبارياً في الممر الجبلي بين فاس وسجلماسة ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 192 – 193 0

(4) كان التجار لايستطيعون المرور بجبال سغمة بتادلة إلا بعد دفع مبالغ باهظة مقابل إذن مرور ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 205

(5) كان التجار يدفعون ربع قيمة البضاعة التي يحملونها خلال عبورهم ممر جبل داداس في منطقة تادلة ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ،ص 195 – 196 0

(6) قام التجار بدفع مبالغ باهظة إلي قبائل العرب من أجل حمايتهم من قطاع الطرق في الطريق الواصل من فاس إلي سجلماسة ومنها إلي أودغشت وتلك المناطق كانت غير خاضعة للمخزن المرينيوعرفت بإسم بلاد السيبة و هي البلاد السائبة التي تخرج عن دائرة الحكومة وقبضتها وتظهر في الجبال والأودية والصحراء وهي المناطق النائية التي لاتخضع للسلطان المريني من الناحية الجبائية والإدارية ولكنها تخضع له إسمياً فقط ، ويقابل بلاد السيبة بلاد المخزن وهي الخاضعة للسلطان المريني ، انظر ، عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق ، ج2 ص 279 / لذا كانت المناطق النائية في صراع مع المخزن المريني باستمرار حول الجبايات ، انظر : Robert Montagne Op. Cit, p. 71./ ابن حوقل : صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت (د0ت) ص 72 0 / هوبكنز : المرجع السابق ، ص 96 / عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 83 0

(7) دفع التجار رسم مرور كبيراً للغاية كان يعادل واحد غوليو إيطالي أو ما يعادل 75 فرنك ذهبي مقابل حمل جمل من الجوخ أو الكتان ، أنظر الحسن بن محمد الوزان : نفسه ،ص 495 0

وكان هناك ضرائب أخرى تتعلق بالتجارة وكانت خاصة بالتجار اليهود المغاربة والأجانب، فقد كان تجار اليهود الجوالين سواء المغاربة أو الأجانب كانوا يتاجرون داخل بلاد المغرب، وكانوا يدفعون الجزية، إلى جانب العشر ، وذلك بسبب الحماية التي توفرها لهم الدولة ولانتفاع التجار اليهود بالمرافق التجارية كطرق المواصلات والقناطر والجسور والموانئ وغير ذلك (1)، و إذا دفع التاجر اليهودي الجزية كان عليه تقديم شهادة تثبت تأديته للجزية (براءة)(*) لمسئولي الدولة ، وأما التجار النصارى فكانوا يدفعون العشر في مناطق الحدود والموانئ(2)0

---

(1) مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 152 0

(*) سوف نتعرض لمسألة البراءة في الفصل الثاني بالتفصيل 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 120 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 22 / أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 456 / Goitein S . D.: A Mediterranean Society, the Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza., vol . I, p.16, 70, 344.

[9] العوامل السلبية المؤثرة في التجارة :

عانت التجارة والتجار بالمغرب المريني الويلات والقتل والنهب لأرواحهم وممتلكاتهم وسلعهم التجارية من جراء قطاع الطرق ، فقد كان الأمن مضطرباً في البوادي لايستقر غالباً على حال من الفتن رغم أن المدن كانت تنتعش بفترات سلمية هادئة قصيرة ، وكان الأعراب لاسيما قبائل بني هلال أكبر قطاع طرق ، فقد قطعوا طريقين من أهم طرق القوافل التجارية الواصلة عبر الصحراء بين المغرب وبلاد السودان، فيمر إحداهما بواحة أوجلة والثاني بواحة غدامس(1) وبالتالي عزلت عرب بني هلال الحوض الغربي للبحر المتوسط عن بقية العالم الإسلامى ، و سهلت المشروعات التجارية التي قامت بها جنوة على شواطئ بلاد البربر(2) 0 وقد إشتكى العبدري في رحلته من مخاطر قطع الطرق في الطريق من فاس إلى الإسكندرية ، ففي المفازة من تازة إلى تلمسان، قال [00 وهي مقطعة موحشة لاتخلوا من قطاع الطريق البتة وهم بها أشد خلق الله ضرراً وأكثرهم جرأة 00 ليس في أصناف القطاع أخس منهم همماً 00] (3) وقد قام السلطان أبو ثابت عامر المريني في عام 707هـ بضرب أعناق عشرين من فساد مدينة أنفا(المرسى التجاري على المحيط الأطلسي) الذين قطعوا طرق التجارة وصلبهم علي سور أنفا وقتل ثلاثين من أمثالهم بمدينة رباط الفتح وصلبهم على أسوار المدينة(4) ، ونظراً لشيوع حوادث قطع الطرق التجارية على التجار والمسافرين أفتى علماء المغرب بأن يطبق على هؤلاء المفسدين في الأرض حدْ الحرابة ، وحث الفقهاء الحكام على قتلهم درءاً لشرهم وفسادهم(5)، ويذكر ابن الخطيب في مشاهداته الكثيرمن حوادث قطع الطرق ونهب التجار ومنها : [00 وأغمات فأموالها لعدم المنعة في غير ضمان ، ونفوسها لاتعرف طعم أمان00]، وعن مدينة أنفا [00 والعرب عليها في الفتن ملحَّة00] ،(6)،

---

(1) أرشيبالد 0ر0لويس : المرجع السابق ، ص 385 – 386 0

(2) موريس لومبار : المرجع السابق ، ص 64 0

(3) العبدري : الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط 1968 ص 278 0

(4) أبو العباس ابراهيم المراكشي : الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1974 ج8 ص 8 – 9

(5) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 402 ، 528 – 529 0

(6) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ج2 ص ، 125 0

وعن مكناسة [[00 أوعز إلى بُهْتِ بقطع الطريق ، وأطلق يده على التفريق ، وإشراق القوافل مع كثرة الماء بالرِّيق 00]](1) وفي تامسنا [[00وإتصل ما إنتهي إليه عرب تامسنا الموتورين بالهساكرة من العياث في أذيال ذلك الجبل 00 فإنتسفوه وأتوا على راعيته، وإحترشوا الأرض من خزينه ، 00 ثم تحقق خروج الوزير مسعود بن رحو 00 في جيش كثيف 00 في سبيل تمهيد وطن تامسنا فقد كان أهله طردوا السعاة 00 وأخافوا السبل0]](2)، وأيضاً بلاد غمارة كان الطغاة يعبثون بنواحي غمارة وعلى من يسلك بلادها(3) وفي السهل الواصل بين فاس ومكناسة كان اللصوص يقطعون الطريق على التجار فيقتلونهم وينهبون متاجرهم ، ويتعيشون على قطع الطرق ، وكانت قبيلة جدالة[[في جبال الزيز المتاخمة لتادلة من الغرب ومن الجنوب سجلماسة]] تقوم بقتل التجار فهم أكبر اللصوص، وعلى التجار الذين يريدون عبور بلادهم أن يحصلوا على ترخيص مرور، وبهذا الترخيص يستطيع التاجر ممارسة تجارته بكل امان، ويمنحون نفس التراخيص لقوافل التجار الذين يدفعون لكل قبيلة في هذه الجبال حق المرور الخاص بهم وإلا تعرضوا للنهب ، وفي بعض المناطق الأخرى مثل جبل دادس بتادلة لايقصد التجار تلك المنطقة خوفاً من السلب ولا يستطيع التجار المرور [[00 الذين يحملون جواز مرور خاص من بعض الزعماء المحليين0]] إلا بعد أن يدفعوا ربع قيمة البضائع التي معهم في مقابل مرورهم من منطقتهم(4)،وكان التجار عادةً يهربون من التوجه إلى جبل أنفيفة ببلاد حاحة بسبب حوادث الإغتيالات ضد التجار(5)، وبمدينة المهدية بحوز فاس بين جبال الأطلس الكبير شرق المغرب الأقصى قام الأعراب بمهاجمة قوافل التجارة المارة بها ، و كانت جميع القوافل التجارية المارة بهذه الجبال تدفع خراج عن كل حمل بعير، وكل من مر بدون جوا ز مرور نُُهب ، وفى الطريق الواصل بين فاس وتلمسان

---

(1) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب 00 ج2 ص ، 125 ، 308 ، 311 0

(2) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ق3 تحقيق السعدية فاغية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1989 ص 109 / الونشريشي : نفسه ج8 ص 233 0

(3) الونشريشي : نفسه ج3 ص 279 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص195 – 196 ، 373 ، 382 0

(5) نفسه ، ص 151 0

قام الأعراب بنهب المسافرين، ومن أراد الأمن من المسافرين يجب أن يدفع مبلغاً ًمن المال للقائمين على حماية الطريق حتى لا يُنهب (1) ، أما طريق التجارة ما بين بلاد المغرب المرينية وبلاد السودان فكان أشد نهباًّ، وذكر ابن خلدون أن الأعراب ببلاد السوس[00 كانوا يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها (التجار المغاربة المتجهون إلى بلاد مالى)00] (2)، كذلك كان قطاع الطرق يغيرون على التجار الوافدين من غانةإلى سجلماسة فينهبون أموالهم(3)، وقام أهل ورقلة ببلاد الصحراء بالأعتداء على كل التجار الذين يلاقونهم فى الصحراء فسلبوهم وقتلوهم(4)، وقد تعرض الطويجن (*) عند سفره إلى بلاد السودان لحادثة قطع الطريق ونجا منها وذلك فى الطريق الواصل بين بلاد المغرب الأقصى وتومبوكتو (5)0 ونظراً لحوادث قطع الطرق ونهب المتاجر وقتل التجار ,كان التجار يستأجرون رجال حماه مزودين بالنبال والسهام بأجرشهرى للدفاع عن التجار ومتاجرهم , وكان أجر الفرد يتراوح فى الشهر ما بين 10دينارات إلى 12ديناراً (6)0

واستعمل بعض التجار بعض الحيل للتخلص من شرور قطاع الطرق ونهبهم للمتاجر،فيروى صاحب الرحلة أن جماعة من التجار باعوا فى فاس وأرادوا العودة إلى بلادهم ، فأظهروا لقطاع الطرق أنهم مرضى بالجذام المُعدي وأنهم يتجولون بأزوادهم على الحمير ، فكان

---

(1) مارمول :المصدر السابق ، ج2 ، ص 278 ، 292

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ،ج7 ، ص 68

(3) الهادى المبروك الدالى : المرجع السابق ، ص 317 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 523 0

(*) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الأنصارى الساحلى المشهور بالطويجن من غرناطه سافر الى بلاد السودان واستقر بتومبوكتو وتزوج الزنجيات وتوفى بها وكان ذو جاه وشهرة انظر ابن الخطيب :الأحاطة ، ج1 ، ص 341 0

(5) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 341 0

(6) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ص 172 / مارمول :نفسه ، ص 107 0

العرب قطاع الطرق يتخوفون منهم خشية العدوى أن تصيبهم(1)0 أما عرب المعقل فكان فسادهم بطرق التجارة كثير لاسيما بوادى درعة وسجلماسة(2)، غير أن الأحوال قد تحسنت بفضل قيام دولة فى سجلماسة على يد الأمير أبو على بن السلطان أبو سعيد عثمان الأول المرينى الذى أحيا الطريق التجارى الغربى بعد أن كان راكداً طوال العهد الموحدى ، كذلك تجدد العلاقات بين ممالك بلاد السودان مثل كانم وبورنوعلى عهد السلطان أبو الحسن المرينى(3) ، لكن هذا التحسن لم يستمرطويلاّ ، إذ أعقبه حوادث قطع الطرق والنهب وقتل التجار لاسيما فى فترات التدهور المرينى والتى أعقبت مقتل السلطان أبو عنان المرينى إلى سقوطها0

ومن المعوقات التى جابهتها التجارة المرينية، الكوارث البشرية و الطبيعية والتى تمثلت فى هدم المدن أثناء الحروب وهجران أهلها بسبب الظلم والعسف من الحكام وضياع الأمن إلى جانب الأمراض والأوبئة والقحط والجفاف والجراد الكاسح والحرائق، ففى عام 679 هـ - اكتسح الجراد زروع بلاد المغرب ، وصاحب ذلك تفشى المجاعة وارتفاع الأسعار ، وتلى ذلك فى عام 683هـ /1284م القحط الشديد الذى لم يرى الناس فيه ماءاّ،وفى عام 687هـ /1288م كان القحط الشديد الذى استمر إلى عام 690هـ ، وفى عام 693هـ /1294م كانت المجاعة الشديدة بالمغرب ، وتفشى الوباء القاتل فكان الناس يحملون الموتى أربعة وثلاثة واثنين فى نعش واحد من كثرة الموتى (4)، وفى عام 701هـ/1302م كان القحط الشديد

---

(1) [00 فإتفق أربعة منهم علي الرجوع بحيلة إحتالوها ، مشت علي العرب وقطاع الطرق ، بأن إشتروا حميراً وجعلوا عليها أخراجاً بما كان معهم من المال النقدي ، وعمدوا الي عبي عتيقة (أغطية) علي الأخراج وأنهم أخذوا الطحال من الغنم فجففوه ودقوه وحملوه معهم مع شيئ من الغراء وخرجوا وكانوا إذا قربوا من طائفة من الأعراب (العربان) أو نجع أذابوا الغراء الذي معهم وجعلوا يلطخون مواضع من أبدانهم علي رقابهم ووجوههم وأيديهم الي المرافق ، وارجلهم الي نصف الساق ثم يذرون علي ذلك مما معهم من الطحال المدقوق المجفف ويمشون ويوهمون بأنهم مجاذيم(مرضي الجذام) من أهل البلاد وأنهم يجولون بحميرهم عليها زادهم وأثاثهم فكانوا إذا إجتازوا علي العرب ورأوهم علي تلك الحالة هربوا فارين منهم وأبعدوهم عنهم خشية العدوي 000 وكان يكاد أن لايطير الطير من شرورهم من إجتاز بهم من العربان 00] أنظر ابن شاهين الظاهري : رحلة زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري ، قطعة نشرها أحمد رمضان أحمد في كتاب الرحلة والرحالة المسلمون ، ص 312 0

(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 370- 372 / Roland oliver : Op. Cit.: p -370 / Jacques- Meunie`, Djinn: Op. Cit - -p -404

(3) عبدالله العروى :مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء الطبعة الأولي 1994 ،ج2 ، ص 224 -225 0

(4) ابن أبى زرع :المصدر السابق ، ص 340 ،384 ، 405 ، 408 ، 413 0 / سامية مصطفي مسعد : الحرب والطبيعة في المغرب الأقصي في عصر بني مرين ، الطبعة الأولي 2003 ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ص 22 0

والجفاف (1)، وتكرر ذلك فى عام 711هـ /1312م، و عام 723هـ، ثم ظهرت بعد ذلك المجاعة الشديدة ببلاد المغرب، وصاحبها إرتفاع الأسعار وذلك فى عام 724هـ(2)، وفى عام 749 -750هـ كان الوباء القاتل الذى عم المشرق والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى فى عهد أبي عنان المريني(3)، ووصف السلاوي مظاهرهذا الوباء القاتل بأن خلت بلاد المغرب من العمران والناس (4)، وعندما كان لسان الدين ابن الخطيب مستقراً ببلاد المغرب وصف أحوالها وذلك ما بين عامى 762– 763هـ فذكر تفشى مرض الطاعون فى فاس وتازا ومكناسة وخراب البلاد المرينية وضعفها(5)، كذلك شيوع الخراب والدمار بالقري والبوادي الزراعية وأعمال السلب والقتل بالطرق ما بين سلا وفاس(6)، وأيضاً هجرة سكان مدينة مراكش من كثرة الجفاف والقحط الذي نشب بحوز مراكش فيقول [[00رحل من بلده مراكش لما جف حوضه وصوَّح روضه0]](7)،وفي عام 776هـ إنتشرت المجاعة العظيمة ببلاد المغرب وتفشى الخراب

----

(1) السلاوى : المرجع السابق ، ج3 ، ص 178 0

(2) ابن أبى زرع : نفسه ، ص 393 ،401 / السلاوى :نفسه ، ص 179 0

(3) ابن مرزوق :المصدر السابق ، ص 261 ، 265 /ابن القاضى : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة الرباط 1974 ، القسم الثانى ، ص539 / السلاوى : نفسه ص 164 0

(4) ((000وفى منتصف القرن 8هـ نزل الطاعون الجارف 00الذى كثيراً من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال أحوالها ، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل السكان00000)) انظر السلاوي : المرجع السابق ، ج4 ص 85 0

(5) ((000وانتهى أمرهذه السنة 763 ممسكة شحاً كلما موهت بالقزع تلاشى هلهلة وفشا دخانة وظهر الطاعون (الأسود) بأرض مكناسة وفاس وتازا وما إلي ذلك لكونها لم تستأثر ببُلاله رحمه مما قسم الله لغيرها الى ما أصابها من معرة الفتنة الى هذا العهد ، واستهدف من بها الى هلكة المجاعة ، وفشو الموتان ، 00وعظم الجفاف وعصفت الرياح الرجف ، تنقل الهضاب قبل ارتداد الطرف 00فصيرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد أمام مضارب البيد يبسا وقحلا وعقراً للأرجل000)) انظر ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، القسم الثالث ، ص 61 0

(6) ((00 تغيرت البلاد ومن عليها *** فوجه الأرض مغبر قبيح 0 0 والناس يموجون بين منتفخ سحره ، سام لم يناله طرفه ، وسائل من الذعر سَلُحُه 00 وسباع قد أخصبوا من سلب قومهم وإرتاشوا من بحار عيصهم ، وإمتصوا عظام عشائرهم ، لايرجعون فيها الي سياسة ناظمة ولا شريعة حاكمة ولا عفاف وازع ولا خوف من الله رادع يصطفون كراعهم للإمتطاء 00)) أنظر ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثالث ، ص 85 0

(7) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ، ج2 ص 408 0

عامةً فكان الجوع ناشباً بين أضلاعه(1)، وتلى ذلك في عام 792هـ إنتشار وباء الطاعون بسبتة(2)، وظهرت المجاعة الشديدة بفاس عام 816هـ(3)، والطاعون الجارف بسبتة عام 817هـ(4)، وتفشي الوباء القاتل بفاس والذي عرف بوباء عزونة عام 846هـ(5) 0

وأما الحرائق فقد إجتاحت سوق العطارين الكبرى بفاس في عصر السلطان أبي سعيد المريني الأول في جمادي الأولي 723هـ(6)، فقد كانت النيران مصدر خوف كبير وكانت تنتشر بسرعة لاسيما الأسواق والمخازن حيث المتاجر المتكدسة التي صارت وقوداً للنيران، لذلك كانت حكومة بني مرين تعين العسس في الأسواق للحيلولة دون إندلاع النيران ومنع السرقة(7)0 ومن بقية الأخطار الطبيعية أيضاً السيول والثلوج فقد كانت السيول في عام 725هـ قد غمرت أسواق فاس وهدمتها(8)، و كانت الثلوج تغطي الممرات الجبلية التي كان التجار يمرون منها بقوافلهم فتقضي عليهم أثناء العبور فجأة أثناء الشتاء ، وقد سبق الحديث عنها في الطرق التجارية 0

أما الكوارث البشرية فتمثلت في آثارالتخريب والتدمير على يد العرب وقطاع الطرق وعمال المدن وظلمهم لأهالى البلاد وكذلك أثار التدمير من جراء الحروب والفتن الداخلية ببلاد المغرب، ففى تارودنت قاعدة بلاد السوس وتجارة الذهب والرقيق قام يعيش بن يعقوب (أخو السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى) بهدم قاعدة أرض السوس وهى تارودنت للقضاء على عرب درعة والخارجين على الدولة المرينية عام 704هـ (9)0

---

(1) السلاوي : نفسه ، ص 84 0

(2) محمد بن تاويت : المرجع السابق ، ص 161 0

(3) ابن القاضي : نفسه ص 475 / ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج7 ص 77 ، 151 – 152 / محمد بن تاويت : نفسه ، ص 163 0

(4) ابن حجر العسقلاني : نفسه ص 151 – 152 / محمد بن تاويت : نفسه 0

(5) ابن القاضي : نفسه ، ص 535 0

(6) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 413 / السلاوي : نفسه ، ج3 ص 179 0

(7) لوتورنو : المرجع السابق ،ص 75 0

(8) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 412 - 414 0 / السلاوى : المرجع السابق ، ج3 ، ص 179 /0وقد ذكر ابن أبي زرع مظاهر السيول بأسواق فاس أنظر النص ص 414 (00 أتي سيل بوادي مدينة فاس عام 725 هـ أول الليل منها لم يعهد قبله مثله ، فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب الدور وسوق الصباغين وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة بسوق السلسلة ، وهدم سوق الرميلة وهلك من الناس المعروفين 73 شخص ومن الديار 115 دار 00 ومن الحوانيت 94 حانوت 00) 0

(9) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ، ص179

ومدينة سجلماسة كانت أمنة جداً واشتهرت بتجارة الذهب والعبيد وكل سكانها كانوا أغنياء بسبب التجارة إلا أنها فى أخر عهد بنى مرين صارت مهدمة تماماً ومهجورة وذلك بداية من عام 796هـ/1393م (1)، وبسبب العرب خربت القرى والمجاشر، فمدينة غار سلوين التى تقع على سفح جبل زيز صارت فى أخرعهد بنى مرين لا تحوى سوى خرائب قبيحة(2)،ومدينة أغمات التى كان يسكنها نحو ستة ألاف أسرة فى عهد الموحدين ، صارت فى عهد الفتن المرينية مأوى للذئاب والثعالب (3) ، وهجرها أهلها بسبب جور الحكام المرينين وفساد العرب0 أما مدينة تيجساس بشرق تطوان كانت مركزاً لزراعة الكتان والفواكة حتى عام 800هـ ، ثم جلا عنها أهلها بسبب جور عاملها فارح بن مهدى العلج أحد موالى السلطان أبى العباس المرينى، وكانت المدينة من قبل مرسى بحرية، أمابعد ذلك صارت فارغة من سكانها (4)0ومدينة مراكش عاصمة بلاد المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين، والمدينة الثانية فى عصر دولة بنى مرين صارت خاوية من سكانها بنسبة الثلثين، بسبب فسادالعربان وغاراتهم المستمرة على المدينة وأحوازها، وقلة إهتمام حكام مراكش المرينية تجاه المدينة، فصارت تضم الخرائب وأثارالموحدين المهدمة مثل قصورهم وديارهم ومكتباتهم التي كانت مأوى لأعشاش الطيور (5)0

ومن العوامل السلبية التي أعاقت حركة التجارة أيضاً ظاهرة فساد البضائع أثناء عمليات النقل البحرى وتعرضها للغرق أوالمطر أوالتأخير، وسوء الشحن ، وأعطاب السفن ، فقد تعددت النوازل مراراّ حول ذلك، ومنها ما يختص بالحمولات الزائدة أثناء هياج البحر والمطر، فكان صاحب السفينة يقوم بإلقاء البضائع الثقيلة للتخفيف عن السفينة خوفاّ من الغرق وبالتالى ضياع البضائع(6)، كذلك تعرض السفينة للنقر بقاع البحر وبالتالى تُخفَّفْ السفينة من حمولاتها خوفاً

---

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 493 -497

(2) نفسه ، ص 374 – 375

(3) نفسه ، ص 148 – 149

(4) أبو العباس ابراهيم المراكشى : المرجع السابق ،ج8 ، ص 13 / عبدالعزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية ، ج 2 ، ص 157

(5) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 140 / مجدى يسن عبدالعال : المرجع السابق ص 75 – 95 0

(6) القاضى عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 235 ، 237 / الونشريشى : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 298 ، 299 ، 306 ، 307 ، 309 ، 312

من الغرق فكان يتم إلقاءالبضائع فى البحر (1)، وأيضا عند هياج البحر كانت السفن تتعرض للخطر حيث ينفتح أحد جانبيها أمام شدة هياج البحر عندئذ كان يتم تخفيف حمولة السفينة بإلقاء البضائع فى البحر(2)، و كانت المياه تتسرب إلى داخل السفينة فتفسد البضائع سواء أكانت أثواب حريرأوأطعمة أوغير ذلك (3) ، وكثيراً ما نشبت المنازعات بين التجار وأصحاب السفن حول ضياع تجاراتهم فى البحر ،أضف إلى ذلك كراهة التجارة فى أرض الحرب وهوما يعنى كراهة التجارة مع الدول المعادية لدولة بني مرين، فقد أفتى الكثير من العلماء حول ذلك (4)، وهناك فتوى أخرى تنهى عن التجارة مع الدول النصرانية المعادية، وأيضاً منع التجار ومراقبتهم ولا يُسمح للتجار الدخول إلى أرض الأعداء إلا لمفاداة الأسرى(5) ، وقد أشار اللخمي إلى عدم السفر على السفن النصرانية خوفاً من إستيلاء النصارى على المسلمين غير أن بعض العلماء أباح السفر على السفن النصرانية لتعذر السفر براً(6) 0

وأرجح أنه لم تكن أعمال قطع الطرق وحوادث الغرق والقرصنة وغيرها من المعوقات التى كانت سببًا فى تدهور التجارة ولكن كانت هناك أسبابًا أخرى أكثر قوة لاسيما أعمال التخريب الداخلى وهو ما يتعلق بالسياسة الداخلية للدولة المرينية ، وإنعدام الأمن وسوء التدبير

----

(1) الونشريشى : نفسه ، ج 8 ، ص 306

(2) القاضى عياض وولدة محمد : نفسه ، ص 237

(3) الونشريشى : نفسه ، ج 8 ، ص 308

(4) [[000لا يقيم(يثوى)المسلم بين المشركين ويقيم بين أظهرهم لئلا تجرى عليهم أحكامهم فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث تجرى علية أحكامهم فى تجارة أو غيرها]] كان ذلك رأى قاضى القضاة أبو الوليد بن رشد الجد ، انظر الونشريشي : أسني المتاجر في بيان أحكام من غلب علي وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، تحقيق حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية 1996 ص 30 – 31 0

(5) [[00 وأما الداخل الي بلاد الكفر والتجارة وطلب الدنيا فذلك جرحة فيه تسقط بها إمامته وشهادته إذ لايجوز لأحد دخول أرض الشرك إلا لمفاداة أسري المسلمين ، والواجب علي أئمة المسلمين وجماعتهم أن يُمنعوا من الدخول الي أرض الحرب للمتاجرة ، ويضعوا لهم المراصد في الطريق وشدد مالك الكراهية في التجارة الي أرض الحرب 00]] أنظر أبو عيسي المهدي الوزاني : المرجع السابق ، ج3 ص 30 0

(6) [[00 السفر في البحر في مراكب النصاري يكرون للمسلمين من أفريقيا الي الإسكندرية وربما كانت الطائلة والإستيلاء للنصاري علي المسلمين حتي يصلوا ، كذلك الركوب من الإسكندرية الي ناحية بلاد المغرب 00 فكان الإمام الفقيه يحكي أنه (الركوب في سفن النصاري) كالتجارة الي أرض الحرب وقد رأيت بعض أهل الفضل والعلم يسافرون معهم ورآها ضرورة لتعذر طريق البر أباحت له ذلك 00]] انظر البرزلي : مخطوط فتاوي البرزلي ، مخطوط بجامعة الدول العربية القاهرة رقم 365 / 4 الإسكوريال ورقة 33 لوحة أ 0

الإدارى والمالى والجبائى ونقص الأنظمة السياسية للحزم والنزاهة والنظر إلى مستقبل الدولة الإسلامية ، أضف إلى ذلك تهديدات الدول النصرانية للمدن الساحلية الهامة التجارية مثل سبتة وأنفا وطنجة و الحروب الخارجية بين دولة بنى مرين وأسبانيا النصرانية وجنوة والبرتغال ، كذلك تخلف تقنيات صناعة السفن المرينية أثناء التدهور المرينى ، إلى جانب المنافسة الإيطالية فى الأساطيل البحرية وظهورها بمظهر القوة التجارية البحريةالأولى بالبحرالمتوسط إلى جانب تفوقها فى أعمال الصيرفة وتطور المصارف ونفوذها المالى والدولى فى حين كانت دولة بنى مرين تتعاورها الفتن و الحروب والإنقسامات الداخلية لاسيما بعد مقتل السلطان أبو عنان المرينى وحتى سقوط دولة بنى مرين على يد بني وطاس لذا كانت التجارة المرينية الخارجية تتذبذب بحسب أحوال الدولة فى التقدم والتأخر وهذا فيما يتعلق بالتجارة التى تأخذ الصفة الرسمية ،أما التجارة الغير رسمية فهى كانت على عاتق كبار تجار سبتة وفاس والمدن الكبرى وكانت مستمرة بحسب أحوالهم المالية 0

الفصل الثاني : العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية (جنوة – بيزا – البندقية) في ضوء الوثائق 0

أ - تمهيد: (ما هذه الوثائق- مضمونها-السمات المشتركة-الخصائص الفردية- مدى علاقة الوثيقة بالواقع التاريخي0)

ب – مواد التجارة من خلال الوثائق:

1- دور القناصل التجارية 0

2- معاقبة التجار لمخالفتهم القوانين التجارية 0

3- التنازع بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين 0

4- تحطم سفن التجار 0

5- وراثة التاجر المتوفى لدى المعسكر الآخر 0

6- الضرائب الجمركية0

7- الفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطاليين 0

8- كراء السفن 0

9- دور التجار الجنوية التجاري بدولة بني مرين :

10- السلع التجارية المتبادلة بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين 0

11- أثر التجار اليهود المغاربة والإيطاليون في التجارة الخارجية 0

الفصل الثاني : العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية (جنوة- بيزا- البندقية) في ضوء الوثائق0

تمهيد

ما هذه الوثائق؟

كانت بلاد المغرب تتاجر مع مدن بيزا وجنوة والبندقية منذ عصر المرابطين والموحدين، وكانت المعاهدات التجارية التي وقعها الحكام المسيحيون مع ملوك أفريقيا الشمالية تكون وحدها سفراً كبيراً ومنها وثائق ماس لاتري التي جمعها في عام 1886م من أرشيفات المدن الإيطالية وفرنسا وغيرها من المدن الأوروبية ، وقد قام ماس لاتري بكتابة مقدمة تاريخية عن المعاهدات التجارية في المجلد الأول باللغة الفرنسية تناول فيها العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية وشمال أفريقيا، كذلك علاقات البابوية ببلاد المغرب ،أما المجلد الثاني فتناول فيه المعاهدات التجارية باللغة الفرنسية و الإيطالية القديمة واللغة اللآتينية للمدن الإيطالية وفرنسا وأراجون وقبرص مع كل من بلاد المغرب الأدنى والأقصى(1) ، وكشفت تلك الوثائق عن استمرارية ممارسة البيازنة والجنوية والبنادقة للتجارة في كل بلاد المغرب المرينية في الموانئ المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي (2)0

----

(1)Mas Latri : Traites De Paix de Commerce et Documentes Divers Concernant Les Relations Des Chretiens avec Les Arabes de L'Afrique Septentrionale au Moyen age par, M.L. De Mas Latrie, 2 Part, paris , 1966.

(2) ومن أمثلة تلك الوثائق وثائق جرت بين المدن الإيطالية وبلاد المغرب في عصر الموحدين،في السنوات555هـ/1160م، 571هـ/1176م،580هـ/1182م،587 هـ /1191م ، وكانت تنص في معظمها علي عدم الإعتداء من كلا الطرفين علي سفن الآخر ، وكان العشر هو السائد في معظم الأحوال عما تبايعه التجار في مراكبهم ، والكف عن أعمال القرصنة من قِبل البيازنة ، وإسقاط الموحدين العشر عما تبايعه التجار الإيطاليين في مراكبهم ، وعن السفن التي يبيعونها لأشخاص مسلمين ، مع التشديد علي عدم بيع البضائع المخطوفة 0 ووثيقة أخري تحمل رسالة من سبتة الي بيزا في عهد الناصر الموحدي مؤرخة في 9 جمادي الأولي 597هـ/11فبراير1201م تحث البيازنة علي التبادل الدبلوماسي بين البلدين الي جانب التبادل التجاري ، وتلي ذلك إتفاقية تجارية بين بيزا والمغرب الموحدي عام 607هـ/1211م ، وقد غيرت الإتفاقيات التجارية التي سبقتها ، ووثيقة مؤرخة عام 790هـ/1388م في عصر بني مرين كانت تتعلق بالعلاقات بين جنوة والبندقية وبيزا لعقد حملة لمهاجمة المدن المغربية التي تقوم بأعمال الجهاد البحري الإسلامي ضد السفن التجارية والحربية وسفن النقل والمواصلات النصرانية ، ووثيقة أخري تتعلق بالإتفاقات بين جنوة والبندقية لعقد حملة مشتركة للقضاء علي الجهاد البحري الإسلامي المغربي ، ووثيقة تتناول إتفاقات عسكرية بين البندقية وجنوة بشأن أعمال الجهاد البحري الإسلامي المغربي ضد سفن جنوة وقيام المغاربة بسرقة وسلب سفن التجار الجنوية أمام السواحل الافريقية .ووثيقة تحدثت عن عقد كراء سفينة بين تجار بيزا ورئيس مركب من جنوة لفترة سفرة واحدة لشراء الصوف من بلاد المغرب الساحلية وذلك في 775هـ/1373م .ووثيقة مؤرخة في عام 794هـ/1392م تعلقت بالنظام القضائي الجنوي الذي أصدر قراراً يكلف فيه سكان [صافون] بالمساهمة في صيانة وتسليح المراكب الحربية المرسلة إلي بلاد المغرب وأسبانيا 0 ووثيقة أخري مؤرخة في عام 633-634هـ/1236-1237م أوضحت العلاقات التجارية للتجار الجنوية المستقرين في سبتة ، وحادث إعتداء الجنوية علي سبتة عام 633هـ/1236م و الخسائر التي فقدها بعض التجار الجنوية بسبتة 0 ووثيقة خاصة بالمعاهدة التجارية مابين دولة بني مرين وبيزا عام 759هـ/1359م وهي بالنص الفرنسي القديم وهي موضوع البحث 0

وهناك وثائق أخرى جمعها أماري ميشيل من أرشيف بيزا، وقام بنشرها بالنص العربي إلى جانب النص اللآتيني، وهي رسائل كانت تتصل بالتجارة الخارجية لمدينة بيزا مع بلاد المغرب منذ عهد الموحدين حتى نهاية عصر دولة بني مرين ،ونشر أيضاً الوثائق التجارية التي دارت بين بيزا ودولة المماليك بمصر،وكشفت تلك الوثائق عن النظم التجارية المختلفة التي كانت سائدة بين المدن الإيطالية وبلاد المغرب(1) 0

----

(1) Amai (M.): I Diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino, Le Monnier , 1863 .

ومن أمثلة تلك الوثائق التي دار حولها البحث وثيقة كانت مؤرخة في عام 582هـ/ 1184م بين بيزا وبلاد المغرب وكانت مدتها 25عام ، ونصت علي تخصيص موانئ مخصصة لنزول التجار البيازنة لمزاولة التجارة والإقامة في الفنادق المعدة لهم بتلك المدن المغربية ومنها مدينة سبتة،وتحديد ضريبة العشر علي السلع الصادرة والواردة للتجار البيازنة بالجمارك المغربية،وأن يتاجر التجار البيازنة بحرية دون قيود فلهم الحرية في عملية البيع والشراء،وغيرها من البنود0 ووثيقة ثانية كانت مؤرخة في عام 596هـ/1200م بين بيزا وبلاد المغرب كانت تنص علي قيام البيازنة بخطف ثلاث سفن تجارية للتجار المغاربة ونهبوها وقتلوا بعض التجار المغاربة، فقدمت دولة الموحدين تلك الرسالة تشكو القراصنة البيازنة وأفعالهم بالتجار المغاربة للكمون البيزي وتطلب منه إعادة تلك السفن الثلاث مع جميع الحقوق المسلوبة للتجار المغاربة ،ووثيقة ثالثة كانت مؤرخة في عام 597هـ/1201م لعقد السلم بين بيزا وبلاد المغرب وتم كتابتها في مدينة سبتة، وكانت موجهة إلي بيزا لدعم العلاقات بين الطرفين وإعادة الحياة التجارية بينهما مرة ثانية 0 ووثيقة رابعة كانت منعقدة في تونس في آخر القرن 6هـ/13م وقد كتبها تاجر مغربي يدعي محرز القابسي ، وهي رسالة كانت موجهة إلي التاجر البيزي باج Pace Pisano حيث قام الأخير بشراء الجلود من الأول دون أن يسدد جميع ثمنها ،فطلب منه سداد باقي المبلغ 0 ووثيقة خامسة كتبها التاجر عثمان الترجمان إلي التاجر باش فيجليو بن كرس البيزي Pace figlio di Carso يخبره فيها توافر السلع التجارية ورخص أسعارها ويشجعه علي التجارة ببلاد المغرب ، ويطلب منه إخبار التجار البيازنة Forestano ,Sesigiero , Cristiano بذلك وتشجيعهم علي التجارة ببلاد المغرب وكانت تلك الرسالة مؤرخة في نهاية القرن 6هـ/13م 0 ووثيقة أرسلها التاجر هلال بن خليفة الجمنوسي إلي التاجر باج البيزي يخبره فيها أن يرد الأخير المستحقات المالية لدي الطرف الآخر وهو مبلغ 165 دينار ثمن 1031 قطعة جلد0 ورسالة أخري أرسلها التاجر إبراهيم بن خليفة تاجر الجلود (الجلاد في مفهوم بلاد تونس) إلي التاجر باج البيزي يطلب منه رد جميع مستحقاته المالية وهو مبلغ 37 دينار ثمن الجلود التي إشتراها الطرف الثاني من الطرف الأول 0 ورسالة أخري أرسلها الحاج صدقة الجلاد بتونس إلي التجار البيازنة Forestano , Papiano , Benenato Cerchi, ser Albano ،يخبره فيها أنهم إشتروا 1485 جلد خروف ولم يقوموا بسداد ثمنهم وهو مبلغ 251 دينار و6 دراهم 0 ووثيقة أرسلها التاجر عمر بن أبي بكر الصابوني من تونس إلي دوج بيزا أوبالدو فسكونتيUbaldoVisconti بتاريخ 13 أكتوبر 1227م/20 شوال 624هـ يشكو إليه من التجار البيازنة وهم أبيذ بن اليهودي وصهره بيتورة المتنصر وغيرهم حيث أجروا عقود تجارية دون دفع الحقوق المالية التي عليهم،فطلب من الدوج أن يرد له مستحقاته المالية من هؤلاء التجار البيازنة، وقد حمل الرسالة إلي بيزا عمر بن أبي الجيد الإسرائيلي0 وهناك وثيقة تجارية هامة جرت بين بيزا وتونس عام 713هـ/1313م كانت تتضمن بنوداً كثيرة وإشتراطات للبيازنة من أجل التجارة ببلاد المغرب الحفصية(تونس) وتبعها وثائق تجارية أخري علي نفس المنوال جرت بين الطرفين وكانت تحمل نفس المضمون مع إختلافات طفيفة مثل معاهدة عام754 هـ/ 1353م ،و عام 800هـ /1397م، وعام 817هـ/1414م، وعام824هـ/1421م0 وهناك وثيقة هامة جرت بين بيزا ودولة بني مرين يوم الأحد 28 ربيع الآخر 759هـ/7 أبريل1359م،وتلك الوثيقة هي محور هذه الدراسة ، فقد نصت علي كافة النظم التجارية التي كان يعمل بها كلا الطرفين في ذلك الوقت0

وهناك وثائق أخرى هامة قام بجمعها لوبيزLopez من أرشيفات جنوة وبيزا والبندقية، وهي في غاية الأهمية، فقد تضمنت تلك الوثائق العديدة من النظم التجارية التي كانت المدن الإيطالية تتعامل بها في منطقة غرب البحر المتوسط وبلاد المغرب وقتئذ ،وقد جمعها بالنص اللاتيني،ثم قام بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية(1) 0

وهناك وثائق أخرى هامة وهي الوثائق الدبلوماسية العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجوني والتي دارت بين بلاد المغرب ومملكتي أراجون وقطالونيا وقد نشرها مكسيميليانو، و رامون جارسيا بالنص العربي ومرفق معه النص الأسباني(2)،وتضمنت تلك الوثائق العديد من الاتفاقيات التجارية بين أراجون ودولة بني مرين ورغبة الطرفين في تهيئة الأوضاع لتسهيل أمور التجارة بين البلدين، ومحاولة القضاء على القرصنة البحرية النصرانية ضد سفن التجار

----

(1) Lopez : Medival Trade in the Mediterranean World,London,1955.

ومن تلك الوثائق وثيقة رقم 39 كانت تختص باليهود الإيطاليين وأعمالهم التجارية بالبندقية وقيامهم بقرض الأموال وكانت مؤرخة في 27 أكتوبر 1412م0ووثيقة رقم 44 كانت مؤرخة في 11 مايو 1248م وهي عبارة عن عقد بيع كتبه تاجر جنوي كان يتاجر في العبيد ؛ وتضمن العقد بيع جارية بيضاء من مالطة إلي تاجر جنوي آخر بمبلغ 5s.10 دينار جنوي0ووثيقة رقم 61 كانت تتعلق بقرض الأموال بجنوة0 ووثيقة رقم 65 كانت مؤرخة في عام 1345م بالبندقية وتتضمن الموازين والمقاييس التي كانت متداولة في التجارة بالبندقية في ذلك الوقت مع بلاد المغرب0والوثائق رقم 72 و76 و77و81 و كانت تتعلق بعقود المقايضة التي كانت متبعة في جنوة في القرن 12 و13م0 ووثيقة رقم 84 و86و90 كانت تدور حول عقود التوصيةCommenda التجارية التي سادت بالمدن الإيطالية وبلاد المغرب،ووثيقة رقم 91 كانت تتعلق بعقود شركة الإخوة بالبندقية وهي نوع من الشركات التجارية التي سادت المدن الإيطالية في ذلك الوقت0ووثيقة رقم 109 كانت مؤرخة في 23 مايو عام 1251م بمدينة جنوة وهي تتعلق بعقد قرض مالي في مقابل رهن0ووثيقة رقم 115 وهي عبارة عن حوالة مالية والتي كان التجار البيازنة يتعاملون بها في التجارة0 ووثيقة رقم 126 كانت مؤرخة في 1 سبتمبر 1408م بجنوة وكانت تتعلق بحركة الشحن البحري ونظام تأجير طاقم حراسة السفن التجارية من الأخطار الخارجية في عرض البحر مثل القراصنة0ووثيقة رقم 200 كتبها راهب إيطالي يصف فيها حقيقة أخلاق وصفات التاجر الإيطالي السيئة مثل الغش والخداع وعدم مراعاة الضمير وغيرها 0ووثيقة رقم 207 كتبها تاجر إيطالي مجهول في نهاية القرن 13م يصف فيها الصفات الجيدة التي يجب أن يتحلي بها التاجر الإيطالي0

(2) Maximiliano Y Reman Gracia: L Documentos Árabes Diplomáticos Del Archivo de la Corona de Aragón/Madrid –Granada 1940.

ومن أمثلة تلك الوثائق وثائق رقم 26 ، 99 ، 103، 140 إقتبسنا منهم أنواع السفن التجارية التي كانت بدولة بني مرين، ووثيقة رقم 78 كانت تدور حول إتفاقية بين أراجون ودولة بني مرين علي قيام الطرفين بمهاجمة سبتة براً وبحراً وتدميرها ، وهو ما يدل علي عدم إستقرار الأمور للتجارة بأهم مرافئ دولة بني مرين التجارية في ذلك الوقت ،ووثيقة رقم 81 إقتبسنا منها وجود التجار اليهود المغاربة بكثرة بمدينة سبتة المرينية، ووثيقة رقم 82 كانت تنص علي التجارة بدولة بني مرين مع أراجون، ووثيقة رقم 100 كانت تدور حول منع القرصنة بين دولة بني مرين وأراجون كذلك توفير الأمن لتجار كلا الطرفين وتحديد ضريبة العشر الواجبة علي تجار كلا الطرفين ، ووثيقة رقم 103 ،ورقم 104 ، ورقم 105 ، ورقم 106كانت تناقش مسألة القرصنة المتبادلة بين أراجون ودولة بني مرين ووجوب توفير الأمن لتجار كلا الطرفين، ووثيقة رقم 99 كانت تدل علي كثرة التجار القطلان ببلاد المغرب المرينية في عصر أبو عنان المريني، ووثائق رقم 116، 119 ،146كانت تدور حول معاهدات تجارية بين أراجون ودولة بني مرين والتي تناولت نفس المسائل التجارية التي كانت المدن الإيطالية تتناولها مع دولة بني مرين في ذلك الوقت 0

المغاربة من جهة، ومحاولة منع حركة الجهاد البحري الإسلامية ضد مراكب التجار النصارى من جهة أخرى ، وتضمنت أيضاً تلك المعاهدات التجارية العديد من النظم التجارية التي سادت بين الطرفين والتي كانت نفس النظم التجارية الإيطالية المعمول بها مع دولة بني مرين في ذلك الوقت مما يدل على أن النظم التجارية التي كانت بغرب حوض البحر المتوسط كانت واحدة 0

وهناك وثيقة هامة نشرها صاحب مخطوط فيض العباب(1) ، وقد تضمنت معاهدة تجارية بين جنوة ودولة بني مرين بصفة رسمية ، في شوال 757هـ/أكتوبر 1356م في عصر السلطان المريني أبوعنان فارس، وقد انفرد بنشرها صاحب مخطوط فيض العباب ابن الحاج النميري ، ونستدل منها على رغبة جنوة في السلم والصلح بعد أن كانت تغير بأساطيلها الكبيرة على المدن الساحلية ببلاد المغرب وأعاقت حركة التجارة بتلك المدن وأشاعت الفوضى ، وحينما تقلد السلطان أبو عنان المريني حكم البلاد وتوحدت تحت يده سائر بلاد المغرب ، رغبت جنوة في الصلح والتجارة مع دولة بني مرين ، ونستدل من تلك المعاهدة أيضاً أن جنوة هي التي بادرت الى عقد هذه المعاهدة ونجحت تلك المعاهدة في نشر الأمن لجميع المسافرين من التجار الجنوية والمغاربة لكلا الطرفين ، فنشطت التجارة مرة أخرى وامتلأت دواوين بلاد المغرب بأسماء التجار الجنوية مما يدل على كثرة وفودهم وتعدادهم ببلاد المغرب، الأمر الذي ساعد على نهضة الدولة المرينية وقوتها بعد أن تعاورتها المحن والهزائم شرقاً وغرباً على أيدي عرب أفريقية ونصارى بلاد الأندلس لاسيما في عصر السلطان أبو الحسن المريني ، كذلك اطِّلاع المغاربة على نوع العملة الجنوية وشكلها التي تعاملت بها جنوة مع دولة بني مرين مثل

----

(1)أنظر نص المعاهدة [[00 أتت إليه إرسال الجنويين ترغب في الصلح وتجيل الكلام في طلبه بإجالة القدح وتراه لمتاجرها أعظم الربح ، ولسائل حياتها أعظم المنح ، ولم تغرهم أجفانهم التي هي لعيون التجار أجفان ، وأساطيلهم التي هي لجواري الرياح شمائل وأيمان ، وأوثقتهم الأيدي المنزهة عن الغلول بالغل ، ولم يغنهم تكفنهم في الحديد عن التكفن في ثياب الذل وعاد مرفوع همهم الي حط وشط لحروبهم مزار شط ، وكسرت أقلام مجاذيفهم فلم تسر بخط ، ولم يجدوا بداً من التخضع والتمنع ، فأسعف مولانا أيده الله طلباتهم ، وأنجح مطامح رغباتهم ، ووجه مع أرسالهم أحد خدام الباب الكريم حتي تمم عقد الصلح أحسن التتميم ، وألزمهم الشروط التي توطد بها العز ، وأضحت أعطاف المدن لسماع حديثها تهتز ، وإستراحت البلاد الساحلية من عدوانهم ، وأمنت حمائم أبراها من غربانهم ، وهدأت المراسي من مراسمهم ، ورفت المرافئ خروق دعاسهم ، وإمتلأت بتجارهم دواوين الأقطار وأدوا أعشارهم دنانير مستديرة كالأعشار ، ودراهم يبدو وفقها المربع للمشتري مدي الأعصار ، وسلعاً رُفع الي الملك الأوحد مجموعها علي حسب القصد والإختيار ، فالأمان مشفوع بالفوائد والعز قد قرن أصليه بالزائد ، والسعادة خارقة للعوائد 00]] ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 74 لوحة 46 0

الدينار الذهبي المدور الشكل والدرهم الجنوي الفضي المربع الشكل ، وأيضاً فرضت دولة بني مرين على جنوة نسبة ضريبية على السلع الجنوية المباعة بدولة بني مرين وهي 10% ، ورغب السلطان المريني في أن تُعرض عليه السلع الجنوية المجلوبة الى بلاد بني مرين لاختيار أنسبها وحاجة البلاد إليها ، كذلك استفادت دولة بني مرين من تلك المعاهدة التجارية في تهيئة الموانئ المرينية من جديد للعمل التجاري وإصلاح الأعطاب وتحديث السفن وآلات الموانئ والقوارب وغيرها من معدات الموانئ وأعمال التجارة كما يشير إليها صاحب المخطوط 0

فقد كانت منطقة غرب حوض البحر المتوسط، منطقة متشابكة تجارياً، وتداخلت فيها كآفة النظم التجارية فكانت كل بلد تحاول الكسب على حساب الأخرى لاسيما المدن الإيطالية، ولذلك كانت دور الوثائق الأوروبية تحوي عدداً ضخماً من الوثائق التي لم يسبق بحثها عن هذه العلاقات التجارية التي جرت بين بلاد المغرب والمدن الإيطالية(1)، فكشفت تلك الوثائق عن استمرارية ممارسة البيازنة والبنادقة والجنوية للتجارة في كل بلاد المغرب في الموانئ المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي كما تشهد بذلك الدفاتر التجارية الإيطالية(2) 0

مضمون الوثائق :

تضمنت الوثائق العديد من مواد التجارة المختلفة التي دارت بين المغرب المريني والمدن الإيطالية مثل دور القناصل التجارية بالنسبة للتجار البنادقة والبيازنة والجنوية و معاقبة التجار لمخالفتهم القوانين التجارية و التنازع بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين و تحطم سفن التجار و وراثة التاجر المتوفي لدي المعسكر الآخر و الضرائب الجمركية و الفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطاليين و كراء السفن و دور التجار الجنوية التجاري بدولة بني مرين، و السلع التجارية المتبادلة بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين، و أثر التجار اليهود المغاربة والإيطاليون في التجارة الخارجية ،وسوف نتناول مواد التجارة بالتفصيل لاحقاً 0

---

(1) فرنان برودل : المرجع السابق ، ص 83 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p.451 0 452 0

السمات المشتركة للوثائق :

اشتركت الوثائق في العديد من المسائل التجارية مثل معالجة حطام السفن،و القناصل التجارية وضريبة العشر و أموال التاجر المتوفي والمنازعات بين التاجر الأجنبي والتاجر المغربي وكراء السفن، فقد تناولتها وثائق ماس لاتري ووثائق التاج الأراجوني ووثاق أماري ميشيل بالتفصيل واتفقت كل الوثائق في معالجة هذه القضايا ، مما يدل على أن تلك المسائل التجارية كانت سائدة بدرجة واحدة بحوض البحر المتوسط في ذلك الوقت ولكن هناك بعض المسائل انفردت بعض الوثائق بنشرها ومعالجتها مثل مسألة العملة الجنوية وهو الدينار المدور والدرهم المربع فقد انفرد مخطوط فيض العباب بنشرها0 كذلك مسألة ضباط البحر الذين كانوا يقومون بحفظ الأمن الداخلي والخارجي لسفينة التاجر الإيطالي وعقود التوصية الإيطالية انفرد بنشرها لوبيز، وانفردت وثائق ماس لاتري بنشر المسائل المتعلقة بالبابوية وقيامها بتنظيم الأمور الدينية ورعاية الجاليات المسيحية وهم في معظمهم من التجار الإيطاليين ببلاد المغرب، أيضاً انفردت وثائق أماري ميشيل بنشر بعض السلوكيات الخاطئة للتجار الإيطاليين الذين اشتغلوا بالتجارة ببلاد المغرب وكانوا لايقومون بسداد المستحقات المالية المستحقة عليهم وسوف نتعرض بالتفصيل لجميع الوثائق حسب وضعها في البحث0

مدي علاقة الوثيقة بالواقع التاريخي :

لم تكن بعض الوثائق التاريخية في معظم الأحوال تتفق مع الواقع التاريخي فعلي سبيل المثال مسألة القرصنة، فرغم وجود العديد من الاتفاقيات بين جميع دول حوض البحر المتوسط لمنع القرصنة لكن المسألة لم تتوقف ،واستمرت بحوض البحر المتوسط طوال العصور الوسطي وحتى العصور الحديثة، كذلك كان بعض التجار الإيطاليين يشترون بضائع التجار المغاربة دون أن يقوموا بسداد قيمتها المالية ، أضف إلى ذلك قيام التجار الجنوية بإدارة بعض الفنادق لحسابهم الخاص وتحويله إلى بؤرة للفساد الأخلاقي وشرب الخمور بين الأوساط المغربية ولم يحافظوا على التقاليد والعادات الاجتماعية الإسلامية فكان همهم النواحي المالية فوق أية اعتبارات دينية سواء أكانت إسلامية أو مسيحية،أيضًا مسألة وراثة أموال التاجر المتوفي ، بينما اشترطت المدن الإيطالية على دولة بني مرين حفظ حقوق التاجرالإيطالي المتوفي كان الجنوية يرثون أموال التاجر المغربي المتوفي على السفن الجنوية في عرض البحر 0

ب – مواد التجارة من خلال الوثائق :

1- دور القناصل التجارية :

تضمنت المعاهدات التجارية التي أُبرمت بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين على تحديد دور القناصل التجاري والذي كان شديد الأهمية من أجل التجارة والتجار الإيطاليين بدولة بني مرين0 فكان دور القنصل التجاري يدور حول النظر في أمر التجار الإيطاليين لاسيما البيازنة المحكوم عليهم بالسجن داخل الدولة المرينية وهذا يعني تكليف الدولة البيزية للقنصل البيزي المتواجد بالموانئ المرينية بالنظر في أمر البيازنة المحكوم عليهم بالسجن والدفاع عنهم وهو ما يعرف بالاعتراف بالقضاء القنصلي0 ويتضح من ذلك أن القنصل كان يعمل قاضياً لحل مشكلات التجار البيازنة ببلاد المغرب المرينية(1)، وقد جاء في العديد من الاتفاقيات التجارية المختلفة بين بلدان بلاد المغرب والمدن الإيطالية ذِكْرْ دور القنصل كقاضي لحل مشكلات التجار الإيطاليين ببلاد المغرب (2)، وكان القنصل أيضاً يقوم بجمع مال التاجر المتوفي أو التاجر المحكوم عليه بالموت فيقوم بحفظها وإرسالها الى وطن التاجر المتوفي ليتسلمها ورثته ، كذلك كان القنصل يقوم بحفظ أموال التاجر المحكوم عليه بالسجن فيحفظها لحين خروج التاجر من السجن ثم يعيد إليه ماله ، وهو ما يعني قيام القنصل بدور الحافظ لمال التجار تحت أي ظروف كانت سواء عند وفاة التاجر أو وقوعه تحت طائلة قوانين الدولة المرينية (3) 0 ويقوم القنصل أيضاً بحل النزاع الناشب بين التجار البيازنة أو غيرهم من الإيطاليين بحل مشاكلهم ونزاعاتهم فيما بينهم فيقوم القنصل بتنظيم المسائل القضائية التي تقع بين التجار البيزيين وأجناسهم فيحكم بينهم فإذا تخاصم تاجر بيزي

---

(1) [00 ومنها وهو الفصل الثاني مما طلبوه أنه إذا إدعي مسلم علي نصراني منهم فإن إنسجن النصراني فننظر نحن في أمره ، فعملنا لهم ذلك 00] أنظر Amari : Op. Cit, p.3.

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 56 – 57 0

(3) [00 ومنها وهو الفصل الثالث مما طلبوه أنه إذا أذنب تاجر من تجارهم ذنباً وإستوجب العقوبة فيعاقب في نفسه ولا يعاقب في ماله ، فإن مات التاجر فلا يتعرض لماله الذي بيده فعملنا لهم بذلك 00] أنظر الإتفاقية التجارية بين دولة بني مرين وبيزا عام 759هـ/1358م Amari : Op. Cit. P. 3. ، كذلك هناك نص آخر لوثيقة تجارية بين بيزا وبلاد أفريقية تدور حول نفس الموضوع [00 وأنه متي خرج أحد من عمالة البيشانيين أو خزائرهم المذكورة واضر بأحد من اهل البلاد الأفريقية أو من إنضاف إليها فعلي حاكمهم وأشياخهم وقناصلتهم الإنصاف من ذلك وأخذ الجانين وقتلهم والتمكين من أموالهم 00] انظر Amari : Op. Cit. p. 93- 94. / برنشفيك : نفسه ، ج1 ص 56 – 57 0

مع نظيره البيزي أو من جنسه في مسألة غير شرعية فإن القنصل البيزي يفصل بينهم (1)0

2- معاقبة التجار المخالفين للقوانين التجارية المرينية :

كان التاجر الإيطالي بصفة عامة إذا ما ارتكب مخالفة مع تاجر آخر إيطالي فإنه كان يحاكم وفقاً لقانون مجتمعه وليس للإقليم الذي ينتمي إليه عمله التجاري،لذا كانت هذه الصفة تعمل على حرية التجارة بحوض البحر المتوسط (2)0 أما عندما يقوم التاجر البيزي بمخالفة القوانين التجارية المرينية لاسيما الشرعية فإنه كان يتعرض للعقوبة بحسب قدر المخالفة إما السجن أو الجلد أو الموت 0 وقد طلبت بيزا من الدولة المرينية أن تنظر في أمر التجار البيازنة المحكوم عليهم بالسجن داخل الدولة المرينية وحددت دولة بيزا مع دولة بني مرين نوع العقوبة للتاجر المسجون المخالف للقوانين التجارية المرينية بأن يعاقب في نفسه إما بالجلد أو السجن دون التعرض لأموال التاجر البيزي للمصادرة من قِبَل الحكومة المرينية 0 أما التاجر البيزي المحكوم عليه بالموت أو المتوفي فلا يتعرض لأمواله أحد مما يعني رغبة دولة بيزا في الحفاظ على أموال التجار البيازنة تحت أي ظروف يتعرض لها التاجر البيزي(3)0 غير أن دولة بني مرين اشترطت على بيزا أنه في حالة قيام أحد التجار البيازنة بارتكاب مخالفة وقيامه بالهرب فإن الحكومة المرينية ستقوم بالتحفظ على جميع التجار الذين من جنسه واستضافتهم تحت رعاية تامة وحفظ أموالهم ونفوسهم حتى يقع الإنصاف من الجاني الذي قام بغدر أو خيانة في نفس أو مال وقد وافقت بيزا على ذلك الشرط

---

(1) [00 ومنها وهو الفصل الحادي عشر مما طلبوه أنه إن تخاصم تاجر من البجانيين مع غيره من النصاري فيكون خصامهم عند قنصلهم ، إلا إن كانت الخصومة شرعية فيكون خصامهم عند قاضي البلد ، 00] أنظر Amari : Op. Cit. p. 5.

(2) جواتيان : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 415 0

(3) [00ومنها وهو الفصل الثالث مما طلبوه أنه إذا أذنب تاجر من تجارهم ذنباً وإستوجب العقوبة فيعاقب في نفسه ولا يعاقب في ماله ، فإن مات التاجر فلا يتعرض لماله الذي يكون بيده فعملنا لهم بذلك 00] انظر Amari : Op. Cit. p. 3 – 4

وهو ما يعرف بالعقاب الجماعي لحين القصاص من الجاني (1)0 غيرأن بيزا من قبل قد رفضت هذا الشرط عام 713هـ/1313م في معاهدة تجارية التي جرت بين بيزا وتونس الحفصية وطلبت من الحكومة الحفصية أن يتم القصاص من الجاني وليس العقاب الجماعي أو القصاص من القنصل البيزي (2) 0 واتجهت ميورقة مع دولة بني عبد الواد بتلمسان نفس الاتجاه الذي سلكه البيازنة مع تونس ألا وهو رفض مبدأ المسئولية الجماعية لكافة التجار حيث اتفق الطرفان عام 739هـ/1339م على أن يعاقب الجاني في نفسه وليس التجار على وجه العموم ، وأن يتولى سلطانه عقابه ، فيشتد عليه في غُرم ما أتلفه ورد ما أخذه (3) 0

غير أن البندقية كانت تنص في اتفاقياتها التجارية مع الدولة الحفصية على رفض مبدأ العقاب الجماعي وفرض المسئولية الجماعية على التجار في حالة قيام أحد التجار البنادقة بارتكاب غدر أو خيانة في نفس أو مال ببلاد المغرب الحفصية (4) ،

وأرى أن قبول بيزا مسألة العقاب الجماعي للتجار البيازنة وفرض المسئولية الجماعية عليهم من أجل القصاص من التجار الذين يخالفون القوانين التجارية المرينية كان اضطرارياً فلم يكن في وسع دولة بيزا أن تخاطر برفض هذا الشرط الذي فرضته الدولة المرينية ، فقد كانت دولة بني مرين من القوة والمهابة والاتساع ما جعل كافة المدن الإيطالية تسارع الى الرغبة في الصلح وعقد المعاهدات التجارية لاسيما مع السلطان المريني أبو فارس عنان الذي سيطر على معظم بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى فضلا عن ذلك رغبة السلطان المريني

---

(1) [00 وشرطنا عليهم أيضاً أنه إن وقعت من واحدة منهم خيانة للمسلمين أو غدر في نفس أو مال فيثقف جميع من يكون ببلادنا من تجارهم ويكونون محوطين محفوظين في نفوسهم وأموالهم الي أن يقع الخلاص في ذلك ويحصل الإنصاف منهم 00] أنظر Amari : Op. Cit. p. 7 – 8.

(2) أنظر المعاهدة التجارية عام 713هـ/1313م بين تونس الحفصية وبيزا [00 وإن فر بيشاني أو غَرَّ برهن أو حق للجانب الكريم أو لأحد من المسلمين فلا يُطلب قنصل البيشانيين ولا تجارهم بذلك إن لم يكونون ضامنين له ولا يُطلب بذلك إلا الجاني بنفسه 00] أنظر Amari : Op. Cit. p. 39.

(3) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 196 0

(4) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 56 – 57 0

أبو فارس عنان في تأمين بلاده من الغرباء نظراً لاتساع مملكته واتساع الجبهات الحربية في المشرق والمغرب (1) فكان لزاماً على بيزا القبول من أجل استمرار حياتها التجارية النشطة مع بلاد المغرب المرينية ، ويؤكد ذلك أنه بمقتل السلطان أبو فارس عنان المريني عقدت كل المدن الإيطالية معاهدات تجارية مع الدولة الحفصية التي استردت حريتها واستقلالها بعد أن كانت تابعة للدولة المرينية لوقت قصير 0

3- التنازع بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين :

طلبت بيزا من دولة بني مرين أنه في حالة حدوث نزاع بين أحد التجار البيزيين مع آخر مسلم فإن الظالم يعاقب ولا يتأثر الصلح بذلك الأمر ، فقد كان نص المعاهدة التجارية ينص على الأمان لكافة البيازنة المتواجدين للتجارة بدولة بني مرين وكذلك الأمر بالنسبة للتجار المغاربة بدولة بني مرين المتواجدين بدولة بيزا وتلك النقطة كانت تتصدر كآفة الاتفاقيات التجارية(2)، ففي عصر دولة الموحدين ببلاد المغرب تعددت المعاهدات التجارية بين المدن الإيطالية ودولة الموحدين في الأعوام التالية 555هـ/1160م ، 571هـ/1176م ، 580هـ/1184م ، 582هـ/1186م ، 587هـ/1191م،وكانت تنص على عدم الاعتداء من كلا الطرفين على سفن الآخر (3) ، وفيما بعد في عصر الدولة الحفصية بتونس كانت الاتفاقيات التجارية التي أُبرمت بين الطرفين تنص أيضاً على طمأنة التجار البيازنة لكي يستمروا في مزاولة نشاطهم التجاري بتونس0

----

(1) وعن مدي إتساع دولة بني مرين ببلاد المغرب أنظر نص المعاهدة التجارية التي أُبرمت بين بيزا ودولة بني مرين عام 759هـ/1358م [0 0 أننا السلطان عبد الله المتوكل علي الله فارس أمير المؤمنين 00 سلطان فاس ومكناسة وسلا ومراكش وبلاد السوس وسجلماسة وبلاد القبلة وتازي وتلمسان والجزاير وبجاية وقسنطينة وبلد العناب وبسكرة وبلاد الزاب وبلاد إفريقية وقابس وبلاد الجريد وإطرابلس وطنجة وسبتة وجبل الفتح ورندة وما الي ذلك من البلاد الشرقية والأندلسية 00] انظر Amari : Op. Cit. p. 1 – 2.

(2) انظر نص المعاهدة التجارية بين بيزا ودولة بني مرين [00 لما وصلنا النصراني البيجاني (البيزاني) بطرة من باربة (Pietro di Barba) رسولاً عن أشياخ الكمون بيجة بعقد مفوض له فيه أن ينوب عنهم في طلب الصلح والرغبة في المهادنة ، أسعفنا رغبتهم في ذلك وأنعمنا به ليكون كل من تردد الي بلادنا 00 منهم سالمين مطمئنين في نفوسهم وأموالهم وجميع أحوالهم في البر والبحر وفي أي الأجفان كانوا من سفري أو غزوي وعقدنا لهم بذلك علي الشروط التي تذكر بعد فمنها 00 وهو الفصل الأول مما طلبوه أنه متي حدث شَرْ أو نزاع بين أحد من بيجة وبين مسلم فيعاقب الظالم ويبقي الصلح ثابتاً لا يتغير له حكم فعملنا لهم ذلك 00] أنظر Amari : Op. Cit. p. 1 – 2.

(3) Amari : Op. Cit. p . 11 – 12, 14 – 15, 33 – 35, 41 – 47, 66 – 67.

وعلى سبيل المثال بعث أحد التجار المغاربة الى أحد التجار البيازنة والذي تعرض للضرب على أيدي المغاربة وغادر البلاد يطمئنه للعودة الى مزاولة أعماله التجارية ببلاد المغرب(1)، وهناك رسالة أخرى بعثها تاجر مغربي الى تاجر من البيازنة يستحثه على العودة الى بلاد المغرب لمزاولة أعماله التجارية ويخبره بتحسن أحوال التجارة أكثر مما سبق وأنه سوف يقيم مكرماً آمناً ببلاد المغرب (2) وأيضاً في الاتفاقيات التجارية بين أراجون والدولة الحفصية بتونس (3) وبين أراجون والمغرب الأوسط (دولة بني عبد الواد) (4) وبين غرناطة(دولة بني الأحمر) وأراجون(5) وبين المدن الإيطالية بصفة عامة مع الدولة الحفصية بتونس(6) ، وبين دولة بني مرين وميورقة(7) وبين دولة بني مرين وأراجون(8)، فقد كان الأمن للتجار على قائمة كل المعاهدات التجارية التي سادت منطقة غرب البحر المتوسط وذلك لإنعاش التجارة بين أقطار منطقة حوض البحر المتوسط الغربي مع المدن الإيطالية 0

وقد اتفقت بيزا مع دولة بني مرين على اختصاصها في النظر في أمر البيازنة المسجونين بدولة بني مرين للنظر في أمر الجرائم التي ارتكبوها وذلك للدفاع عنهم ، كذلك تنظيم المسائل القضائية التي كانت تنشب بين البيازنة والمغاربة أو بين البيازنة وأجناسهم في مخالفات شرعية فطلبت بيزا من دولة بني مرين أنه إذا تخاصم أحد البيازنة مع مثيله في مسألة

---

(1) أنظر نص الرسالة [00 لاتتردد في الرجوع وستجد حيث حللت الترحاب أنت ومن معك ، فسوق البضائع نافقة ، وفي وسعك أن تقوم بكل الشراءات التي ترومها 00] جوليان : المرجع السابق ، ج 2 ص 161 0

(2) انظر نص الرسالة [00 إن الحالة والتجارة علي ما يرام أحسن مما انت عليه عند رحيلك ، ستتنزل مكرماً مبجلاً مثلما كان ذلك في السابق 00] انظر جوليان : نفسه 0

(3) Los Documentos Arabes . : Op. Cit. p.247 – 249, 257 – 259.

(4) Ibid., p. 237 – 238.

(5)Ibid, p. 146 – 147.

(6) Amari: Op. Cit. p. 86 – 97, 98 – 109, 123 – 132, 151 – 164, 169 – 180. /
برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 56 ، 97 0

(7) انظر نص الرسالة [00 أن يتردد المسافرون من كل واحدة من الجهتين الي الأخري محمولين علي الآمان في نفوسهم وأموالهم وأجفانهم وجميع أحوالهم براً وبحراً في المراسي وغيرها فلا يعرض أحد من كلتا الجهتين لأهل الأخري بضرر ، ولا يؤذيهم في ورد ولا صدر 00] انظر بقية الرسالة في عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 196 0

(8) Los Documentos Arabes...: Op. Cit. p.146 – 147 , 165 – 166 , 201 – 202 , 224 – 225.

غيرشرعية فيجب على القنصل البيزي أن يحكم بينهم ، وإذا لم يتواجد قنصل في مكان ارتكاب المخالفة فيجب على صاحب قصبة المدينة (1) أو الوالي أن يحكم بين المتخاصمين ، أما إذا حدث بين أحد البيازنة وبين آخر من المغاربة تخاصم ، أو حدث تخاصم بين أحد البيازنة مع مثيله في مسألة شرعية فيجب في كلا المسألتين أن يقوم قاضي البلد بالقضاء بينهم (2) 0

وقد حدث في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني نزاع بينه وبين أحد المستثمرين الجنوية وهو التاجر كرستيان دي سبينولا ، حيث أن ذلك التاجر الجنوي قد قام باستثمار أمواله في تجارة واسعة بمدينة المنصورة الجديدة التي شيدها السلطان يوسف بن يعقوب المريني بدلاً من تلمسان التي كانت مُحاصرة من قِبل السلطان يوسف المريني ، وقد خسر ذلك التاجر الجنوي مبالغ كبيرة في تلك التجارة مع المخزن المريني وبلغ مقدارها نحو عشرة آلاف دينار ذهب ، وحاول التاجر الجنوي استردادها من المخزن المريني ولكنه فشل ، ولم يكتف التاجر الجنوي بذلك بل قام بالتوسل بملك أراجون للضغط علي السلطان المريني لكي يرد إليه ماله ولكنه فشل(3) 0

وهناك قضية أخرى هامة جرت بين بيزا ودولة بني مرين ألا وهي مسألة إطلاق الأسرى لدي الطرفين، وأرجح أن معظم هؤلاء الأسرى من التجار لاسيما الذين وقعوا في أيدي المسلمين من جراء حركة الجهاد البحري المضاد للقرصنة المسيحية ضد سفن المسلمين والمدن المرينية الساحلية ، لذلك رأت بيزا أن تطلب من دولة بني مرين إطلاق سراح جميع الأسرى الموجودين ببلاد بني مرين وفي مقابل ذلك اشترطت دولة بني مرين المعاملة بالمثل وهو

----

(1) القصبة : تعني في المفهوم المغربي الحصن أو القلعة الحربية ، أما صاحب القصبة فهو الحاكم العسكري للمدينة، يقوم السلطان بتعيينه لتولي الأمور العسكرية بها و يدير الحامية العسكرية للمدينة وينفذ الأوامر العسكرية الصادرة له من السلطان كذلك يقوم بإستنفار الجند وتعبئتهم في حالة الحرب لذا يعد صاحب القصبة هو الحاكم الفعلي للمدينة 0

(2) انظر نص الرسالة [00 ومنها وهو الفصل الحادي عشر مما طلبوه أنه إن تخاصم تاجر من البجانيين مع غيره من النصاري فيكون خصامهم عند قنصلهم ، إلا إن كانت الخصومة شرعية فيكون خصامهم عند قاضي البلد ، فإن لم يكن في الموضع الذي يحدث فيه ذلك قنصل فيحكم بينهم الوالي أو صاحب القصبة ، فعملنا لهم ذلك ، وإن كان الخصام بين مسلم ونصراني منهم فالحكم فيه لحكام المسلمين وقضاتهم 00 Amari : Op. Cit. p.5 – 6. [

(3) Dofourcq: Op. Cit. p.371.

إطلاق جميع الأسرى المسلمين المغاربة الموجودين بدولة بيزا وهو ما يعني تهدئة الأوضاع الأمنية والاستقرار وتهيئة المناخ المناسب أمام التجار سواء الإيطاليين أو المغاربة لمزاولة الحياة التجارية (1) ، وقد تعاملت بيزا من قبل في هذه المسألة مع تونس الحفصية حيث ورد في إحدى بنود الاتفاقيات التجارية بينهما مسألة تحرير الأسرى لكلا الطرفين طوال فترة الصلح (2) 0

4- تحطم سفن التجار(3) :

تناولت المعاهدات التجارية التي أُبرمت بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين مسألة تحطم السفن التجارية لدي الطرفين ، إثر تعرضها لحوادث الغرق بسبب

----

(1) [00 ومنها وهو الفصل العاشر مما طلبوه أنه إذا أُخذ أسير من البجانيين في بلد من بلادنا فيُسَرَّح حسبما إقتضاه الصلح والمهادنة فعملنا لهم ذلك وسَرَّحْنا مَن ببلادنا منهم وشرطنا عليهم مثل ذلك في أسري المسلمين الذين يتحصَّلون ببلادهم 00] Amari : Op. Cit. , p.5.

(2) انظر نص الإتفاقية التجارية التي جرت بين بيزا وتونس عام 754هـ/1353م [00 وأن يكون كل أسير من البيشانيين في الحضرة العلية وساير بلادها مسرحاً مدة هذاالصلح وكذلك يكون كل أسير من المسلمين من أهل بلاد الحضرة العلية وساير بلادها ببلاد البيشانيين وجزائرهم فهو مسرح مدة الصلح المذكور 00] Ibid, p.109 .

(3) عرف حوض البحر المتوسط مسألة تحطم السفن التجارية والسفرية من خلال قوانين رودس و قانون أمالفي وقانون البحر لمملكة بيت المقدس وقوانين الشريعة الإسلامية ، فعندما يحدث أن تتعرض السفينة للغرق بسبب ما فإن ربان السفينة يقوم بتخفيف الحمولة بإلقاء الحمولات الزائدة في البحر وتشمل السلع ومتاجر التجار وكثيراً ما ينشب الصراع والشكوي من جراء ضياع حقوق التجار ومتاجرهم فقوانين رودس وقوانين أمالفي تأمر ربان السفينة بالتشاور مع أصحاب المتاجر حول كيفية إلقاء السلع وأخفها ضرراً علي التاجر ، في حين يري قانون البحر لمملكة بيت المقدس إنفراد ربان اسفينة بإلقاء الحمولات الزائدة في البحر دون الرجوع الي أصحابها ، أنظر حاتم الطحاوي : القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية ، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس ، مجلة كلية الأداب –جامعة القاهرة مجلد 58 ، عدد 4 شهر أكتوبر 1998 ، ص 485 – 486 0 / أما في الشريعة الإسلامية فقد اوضحت النوازل بدولة بني مرين أن التجار يتشاورون مع صاحب السفينة (عندما تتعرض للغرق بسبب زيادة حمولة المركب أو خطر ما) حول السلع التي يجب أن تُقذف في البحر ، فإشترط الفقهاء أنه يجب إلقاء الحمولات الزائدة من المتاع فهي التي تُثقل السفينة وتعرضها للخطر أما التجار الذين يحملون معهم علي السفينة ذهب وأموال وأمانات وسلع وبضائع فلا يجب أن يطرحوا منه شيئ في البحر ، أما إذا إضطُر صاحب السفينة الي إلقاء السلع في البحر لتخفيف حمولة السفينة وخوفاً من الغرق ، فإن التجار إختلفوا فيمن سوف يتحمل ثمن هذه البضائع فأشار العلماء الي أن يتحمل بقية التجار ثمن تلك السلع التي أُلقيت في البحر 0 وهناك أمر آخر وهو عند قيام جماعة من التجار بشحن غلال في سفينة و تعرضوا للغرق بسبب زيادة حمولة السفينة عن معدلها و أرادوا تخفيف حمولة السفينة بأن يقوم التجار بإنزال جزء من شحنته الي البر ، فإختلف التجار في ذلك فأجاب العلماء بأن يقوم كل تاجر بإنزال عُشر أو خُمس وزن شُحنته من الغلال علي(=)

نـوات البحـر وأخطـار الشـتاء أو بعـض الأعطـاب التـي تتعـرض لهـا السـفن فـي البحـر ، فقـد اشترطت بيزا أن السفن التجارية التي تتعرض للأعطاب والكسر بأحد مراسـي وسـواحل بـلاد المغـرب ألا يتعـرض لهـا أحـد مـن المغاربـة مـن أعمـال سـلب ونـهب ومصـادرة ، وإنمـا يقـوم المخـزن المرينـي بحفظ ما تبقى من حطام السفن والمراكب التي تعرضت للكسر ، وكذلك حفظ ما به من مالٍ وعُدة حتى يتسلمه أصحابه، ويبـاح التصـرف لأهـل المركب إمـا بإعـادة أملاكهـم الـى بلادهـم أو بيعهـا دون أن يغرمـوا أيـة ضـريبة يفرضـها المخـزن المرينـي علـيهم ، وقـد اشترطت دولة بني مرين أيضاً نفس الشروط علـى السـفن المرينيـة التـي تتكسـر بمراسـي بيـزا بأن تقوم حكومة بيزا بحماية أموال وممتلكات التجار المتمثلة في المراكب وعدتها وما بهـا مـن بضائع وعُدة دون أن تفرض بيزا ضرائب على ما تبقى من السفن المرينيـة التـي تكسـرت أمـام سواحل ومراسي بيزا(1)0

و كانت مسألة حطام السفن وتخفيف الحمولات الزائدة معروفة في القرن 11م وذكرتـها أوراق الجنيزة (*)0 فقد عرفـت دول غـرب البحـر المتوسـط مـا يتعلـق بحطـام السـفن التجاريـة وعـدة المراكـب والسـلع والأمـوال المتبقيـة مـن الغـرق أو الأعطـاب التـي تتعـرض لهـا السـفن ، ففـي معاهدة تجارية بين أراجون وتونس جرت عام 701هـ/1301م نصت في أحد بنودها على

(=) أساس تخفيف عُشر أو خُمس شحنة السفينة ، أنظر الونشريشي : المصدر السابق ن ج8 ص 299 ، 307 ، 311 – 312 0 أما إذا دخل الماء الي السلع ففسدت وإذا كان دخول الماء بسبب عيب في السفينة فلا يجب أن يقوم المكتري بدفع الكراء لصاحب المركب لأن صـاحب المركب تسبب في إتلاف سلع المكتري وعليه ضمان مـا فسد من السلع ، أمـا إذا كـان الفسـاد لا دخـل لصـاحب السفينة فيـه وفسدت السلع فلايقوم صـاحب السفينة بضمان ما فسد من السلع ولايجب أن يدفع المكتري ثمن الكراء ، أنظـر الونشريشـي : نفسـه ج8 ص 308 – 309/ وأمـا تقدير ثمن وقيمة البضائع التي أُلقيت في البحر خوفاً من الغرق فيجب ان يتم تقدير سعرها بيوم الشراء ، أو يوم شحنها بالمركب عند الإقلاع حسب قول القرافي ، انظر حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 490 0

وهناك مسألة اخري تتعلق بالعثور علي حطام السفن التجارية ، فقوانين مملكة بيت المقدس تـري ان مـن يجد حطـام وسـلع إحدي السفن التجارية فله نصفها ويؤول النصف الآخر الي صاحبها ، أما قوانين رودس البحري فيري أن من يجد حطـام وسـلع المراكب التجاريـة فلـه خمس قيمتها ، أما قانون تراني فيحدد القيمة بالنصف ، أنظر حاتم الطحاوي : نفسه ص 497 – 498 0 / أمـا الشريعة الإسـلامية فهـي تري أن حطام السفن التجارية في حكم اللقطة و أنه لايحق لمن وجد سلعاً وبضائع طافية فوق سطح الماء أو غارقة في قاع البحر أن يقوم بتملكها حتي يجد صـاحبها فيعطيها له ويأخذ ما تكلفه من مصاريف حفظها ونقلها وعملـه فـي سبيل إنقاذهـا وإذا لـم يجد صـاحبها يعطيهـا لبيت المال فليس من حقه أخذها ، انظرالسيد سابق : فقه السُنة ، ج3 مكتبة دار التراث القاهرة، ص 242 – 245 0

(1) [00 ومنها وهو الفصل السادس ، مما طلبوه أنـه متـي إنكسـر جفـن مـن أجفـان البيجـانيين بمرسـي مـن مراسـي بلادنـا أو بسـاحل مـن سـواحله فيبـاح التصـرف لأهل الجفن المذكور فيما يكون فيه من المـال والعُدَّة ذلك بمـا يظهـر لـهم من بيع أو رد الـي بلادهم ولا يغرمـون علـي ذلك شيئاً فعملنا لهم ذلك وشرطنا عليهم مثله أن اتفق أن يكون ذلك 00] أنظر Amari : Op. Cit. p. 4.

(2) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ،ص 416

أن كل سفينة تونسية تعرضت للعطب أو للكسر في موضع من بلاد أراجون فيجب على أهل ذلك المكان ألا يتعرضوا لحطام تلك السفينة بسلبٍ أو نهب وألا يتعرضوا لأصحاب تلك السفينة بأذى أو شر من أعمال القرصنة أو بيعهم عبيداً في أسواق بلاد أراجون ، وأيضاً ألا يمنعوا أصحاب المركب من جمع حطام سفينتهم وسلعهم وأموالهم التي لفظها البحر أثناء تعرض سفينتهم للغرق أو للعطب وبالمثل في السفن الأراجونية التي تتعرض للعطب أو الكسر بالسواحل التونسية (1)، وأضافت بيزا بند آخر الى تلك البنود السابقة في التحفظ على حطام السفن بأحد سواحل غرب البحر المتوسط وهو البند الخاص بعدم أخذ أجرعلى عملية الحراسة لحطام السفن التي تعرضت للعطب أو الكسر ، وذلك كما جاء في المعاهدة التي جرت بين بيزا وتونس عام 713هـ/1313م (2) 0

وفي عام 739هـ/1339م أُبرمت معاهدة تجارية بين ملك ميورقة والسلطان أبو الحسن المريني ومن أهم بنودها التحفظ على حطام السفن المتبقية لدي الطرف الآخر ودفعها إليه، غير أنهما اتفقا على أن هناك رسوماً و مستحقات مالية تدفع كأجر على عملية حراسةالسفن العاطبة أو التي تكسرت أمام سواحلها وعدتها والسلع المتبقية وكذلك الأموال والتجارات ، وعاملتها دولة بني مرين بالمثل (3)، وهو ما لايوجد في سائر المعاهدات التجارية السابقة والتي انفردت بها ميورقة عن بقية مدن غرب البحر المتوسط في مسألة حراسة حطام السفن المتكسرة أو التي تعرضت للعطب 0

كذلك في عصر السلطان أبو عنان المريني أرسلت ميورقة إليه تلتمس منه الإفراج عن

----

(1) [00 أن كل جفن يعطب لأحد من بلاد الحضرة العلية (تونس) في موضع من بلاد الملك جاقمو المذكور (خايمي الثاني ملك اراجون) أو مسلم يكون من أهل بلاد الحضرة (تونس) 000 في جفن يعطب للنصاري فعلي أهل ذلك الموضع الذي يكون فيها العطب أن لا يتعرض أحد منهم أحداً من المسلمين بسرٍ ولا يحولوا بينهم وبين ما يلفظه البحر لهم من سلعهم أو من حطامهم 00] أنظر : Los Documentos Arabes Op. Cit. p. 247 – 248. Doc.

(2) [00وأنه متي عطب لتجارهم مركب في ساحل من السواحل الأفريقية وما إليها فعلي من قرُب منه من سكان البلاد المذكورة حراستهم بغير إجارة حتي يخلصه أصحابه 00] أنظر Amari : Op. Cit. p.89.

(3) [00 وأي جفن تكسر أو رمت به الريح أو البحر من أجفان الفريقين من ساحل من سواحل الجهتين فالأمان شامل للجفن وعمرته وما إحتوي عليه من الأموال والتجارات والعدد ، يُدفع لمستحقه ولا تمنع من مستوجبه 00] انظر عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 196 0

المركب الذي تكسر بأحد سواحل بلاد المغرب المرينية ، والذي كان يحمل الغلال (1) 0 وقد طلبت بيزا من دولة بني مرين مساعدتها في مسألة لجوء إحدى سفنها كبيرة أو صغيرة تجارية أو حربية الى أحد الموانئ المرينية بسبب هروبها من عدو يطاردها أو تعرضها لعطب أو أخطار الريح المعاكسة وحوادث الغرق ، بأن يقوم أهل المرفأ المريني الذي التجأت إليه بانقاذها وتفريغ حمولتها بقوارب الإنقاذ ومراكب الشحن والتفريغ وتسكين السلع في المخازن وحفظها بحسب إمكانيات المرفأ ، وقد وافقت دولة بني مرين على ذلك المطلب واشترطت مثله مع البيازنة (2) 0

ويعد هذا البند قمة التقدم والنضوج و التعاون التجاري ما بين دولة بني مرين وبيزا إذ يهدف الى تقليل الخسائر التجارية في أصعب الظروف والمحافظة على مكاسب التجار وتجاراتهم من الضياع وحمايتها من القراصنة والتلف 0

ونستدل من كل ماسبق رغبة الدول التجارية وعلى رأسها بيزا ودولة بني مرين في حفظ حقوق التجار والتجارة ووضع نظم لحماية السفن التجارية من أعمال السلب والنهب 0

5 – وراثة التاجر المتوفي لدي الطرف الآخر :

تناولت العلاقات التجارية بين دولة بني مرين وبيزا مسألة وراثة التجار الذين ماتوا لدي الطرف الآخر فقد اشترطت بيزا على دولة بني مرين عدم التعرض لمال التاجر البيزي المتوفي ببلاد المغرب لاسيما الذي ليس له وريث في البلد التي توفى بها ، أو عدم تواجد قنصل أو تاجر بيزي آخر يضمن أموال التاجر المتوفي ، ففي تلك الحالة يقوم المخزن المريني بالتحفظ على أموال التاجر البيزي المتوفي وعدِّها وتوثيق

---

(1) عبد الهادي التازي : نفسه ، ص 15 – 16 0

(2) انظر الإتفاقية التجارية [00ومنها وهو الفصل الثالث عشر ، أنه متي قصد جفن كبير أو صغير من أجفانهم مرسي من مراسي بلادنا أمام عدو يطرده أو مخافة من هول البحر فإن الجهة التي يلجأ إليها يعينهم أهلها بالعشاريات والقوارب ليفرغوا كلما يكون عندهم علي حسب إختيارهم فعملنا لهم ذلك وشرطنا عليهم مثله إن أمكن وقوعه 00] Amari : Op. Cit. p. 6 - 7.

كل ذلك بالشهود وتحتفظ به دولة بني مرين لحين إخطار كمون بيزا لكي يرسل مندوباً يتسلمها(1) 0

وفي حالة وفاة التاجر البيزي ببلاد المغرب وله سلعٌ كان يتاجر فيها فيجب على المخزن المريني ألا يفرض عليها مغارم سوى المغرم المعتاد وهي ضريبة العشر (2) 0

ويتضح من تكرار بيزا في نصوص المعاهدة التجارية مع دولة بني مرين رغبتها في الحفاظ على أموال التجار البيازنة في جميع أحواله ما يرجح أن التاجر البيزي أو الإيطالي بصفة عامة كان يتعرض للسلب والنهب ومصادرة أمواله لاسيما بعد موته أو وفاته ، وتلك الحالة كانت منتشرة في بلا المغرب بصفة عامة لاسيما في فترات التدهور المريني وانتقال السلطة من سلطان الى آخر ، كذلك كانت هذه الظاهرة شائعة ببلاد تونس الحفصية كما تذكر بعض الوثائق التجارية بين المدن الإيطالية وتونس الحفصية (3) 0 وفي عصر الموحدين كان رؤساء السفن الجنوية يرثون الركاب المسلمين والنصارى كآفة حينما تأتيهم المنية ، ولا يستطيع أحد أن يتجرأ على طلب ميراث قريبه الذي مات بالمركب الجنوي أثناء سفره وتلك الحالة كانت سائدة عند الجنوية(4) 0

مما يعني شيوع حالة نهب مال التاجر المتوفي في حوض البحر المتوسط الغربي في تلك الفترة فيما قبل عصر المرينيين وفي آخر عصر بني مرين لذلك تكرر في كثير من المعاهدات التجارية البيزية مع دول بلاد المغرب عامة ضمان وحفظ مال التاجر المتوفي أو المسجون بالديار المرينية أو غيرها 0

---

(1) انظر نص الإتفاقية [00 ومنها وهو الفصل الرابع مما طلبوه أنه كل تاجر يموت في بلادنا حرسها الله تعالي من تجارهم ولا يترك وارثاً ولا يكون في البلد الذي يموت فيه تاجر ولا قنصل فيقَّيد مالهُ بالشهادة ويبقي مودعاً بخلال ما ينفذ من بيجة من يقبضه فعملنا لهم ذلك 00] Amari Op. Cit. p. 3 – 4.

(2) أنظر نص المعاهدة [00 ومنها وهو الفصل الرابع عشر مما طلبوه أنه متي توفي في بلادنا تاجر منهم فلا يؤخذ من تركته مغرم فعملنا لهم ذلك إلا أن تكون التركة سلعاً أرادوا بيعها فيغرمون عليها مغرم البيع علي العادة 00] Ibid.p. 6 - 7.

(3) أنظر نص الإتفاقية التجارية بين بيزا وتونس الحفصية عام 849هـ/1445م [00 وإذا مات أحد من التجار وهم بتونس أو بغيرها فعلي البلد تعين تركته بالشهادة ويمكن ذلك للقنصل 00] Ibid, p. 177.

(4) أنظر ابن جبير [00 ومات فيه (المركب الجنوي) رجلان من المسلمين رحمهما الله فقذفا في البحر ومن البلغريين إثنان أيضاً ومات منهم بعد ذلك خلق 00 وورث هؤلاء الأموات من المسلمين والنصاري البلغريين رئيس المركب لأنها سُنّة عندهم في كل من يموت في البحر ولا سبيل لوارث الميت الي ميراثه فطال عجبنا من ذلك 00] ابن جبير : المصدر السابق ، ص 218 0

6- الضرائب الجمركية :

نصت الاتفاقيات التجارية بين دولة بني مرين وكل المدن الإيطالية على ضريبة العشر على السلع الإيطالية الواردة الى بلاد المغرب ، وكان هذا النظام معمولاً به في غرب حوض البحر المتوسط آنذاك فقد اشترطت دولة بني مرين على بيزا دفع ضريبة العشر على السلع الإيطالية المُباعة ببلاد المغرب المرينية كما تأخُذُهُ من تجار قطالونيا (1) ، فقد كانت كل الموانئ المرينية تأخذ ضريبة العشر على كآفة السلع لكل التجار الأجانب ومنهم الإيطاليين والقطلان واليهود الواردة الى دولة بني مرين (2) ،

كذلك اشترطت دولة بني مرين على جنوة دفع ضريبة العشر على السلع الجنوية المباعة بدولة بني مرين (3) ، وتضمنت اتفاقيات تجارية عديدة مسألة العشر ، وكانت تنص عليها بوضوح كما في الوثيقة التجارية بين تونس وأراجون عام 701هـ/1301م [00 وأنهم يؤخذ منهم العشر في ما يبيعونه من السلع 00] (4) وفي اتفاقية تجارية أخرى بين بيزا وتونس عام 713هـ/1311م [00 وأن يؤخذ منهم فيما يبيعونه من السلع العشر بكماله 00] (5) ،

ولذلك كانت مسألة ضريبة العشر بالنسبة للدولة المرينية في غاية الأهمية نظراً لكونها مصدر دخل كبير للمخزن المريني ، فقام المخزن المريني بتقسيم بلاد المغرب المرينية إلى أقاليم محددة ليسهل على التاجر الأجنبي دفع ضريبة العشر دون أن يتعرض لمضايقات أو مغارم أخرى ، فقام المخزن المريني بتقسيم بلاد المغرب المرينية الى عدة مناطق ضريبية كل منطقة تمثل وحدة إقليمية مالية يقوم واليها بحق جباية العشور بداخلها ، كما جاء في

----

(1) أنظر نص الإتفاقية التجارية بين بيزا ودولة بني مرين [00 وشرطنا عليهم أن يكون عشرهم ومخزنهم علي نحو ما يعطيه النصاري القطلانيون في بلادنا سواءً من غير زيادة ولا نقص 00] .Amari : Op. Cit. p. 6 – 7

(2) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 22 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 120 / مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 152 / أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 456 0

(3) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 74 لوحة 46 [00وامتلأت بتجارهم دواوين الأقطار ، وأدوا أعشارهم دنانير مستديرة 00] 0 / عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 173 0

(4) Los Documentos Arabes...: Op. Cit. p. 248.

(5) Amari: Op. Cit. p.88.

وثيقة ترجع الى عصر السلطان أبو الحسن المريني، نشرها صاحب كتاب الدوحة المشتبكة [[00وليعلم أن الأقطار التي تجب فيها الأعشار من بلادنا خمسة : حضرة فاس وما والاها من البلاد من سلا الى تازا قطر واحد ، وسبتة وما والاها من البلاد الى الريف والهبط الى قصر كتامة قطر ثانٍ ، ومراكش وما والاها من البلاد الى السوس قطر ثالث ، ودرعة وسجلماسة وما والاها من البلاد قطر رابع ، وتلمسان وما والاها وما وراءها من البلاد الى الجزاير قطر خامس ، فمن أراد أداء العشر في قطر منها فلا يؤده في الآخر وذلك في 16 محرم 736هـ/1336م 00] (1) 0

وعندما كان التاجر الإيطالي أو الأجنبي بصفة عامة يقوم بدفع العشر (10%) في أحد هذه الأقطار فإنه كان يحصل على براءة وهي وثيقة توضح قيامه بدفع العشر حتى لايقوم بدفع العشر مرة أخرى عند انتقاله داخل مختلف الأقطار والمدن المرينية 0 ومسألة البراءة معروفة أيضاً بين مختلف دول بلاد المغرب والمدن الإيطالية وكذلك المدن النصرانية ببلاد الأندلس ، وعلى سبيل المثال هناك وثيقة تجارية عام 701هـ/1301م بين أراجون وتونس تنص على مسألة البراءة [00فتكتب له براءة 00 يستظهر بها في بلاد الحضرة 00] (2) ، واتفاقية تجارية أخرى بين بيزا وتونس عام 800هـ/1397م [00 وعلى الديوان أن يعطيه (البيزاني) براءة تضمن دفع الملزوم في السلع 00] (3) 0

غير أن هناك سلعاً خاصة التي كان التجار الإيطاليون يجلبونها الى السلطان المريني، وعندما يشتريها الباب العالي من التجار الإيطاليون فإنها تكون معفاة من الضرائب الجمركية ، وتعرض بقية السلع بالفندق للتبايع ويُفرض عليها نسبة العشر المعتادة (4) ، وهناك أنواع من السلع الهامة مثل الفضة والذهب والحلي والمشغولات الذهبية والعقيق وغيرها من مواد الترف

---

(1) الكومي : المصدر السابق ، ص 138 0

(2) Los Documentos Arabes...: Op. Cit. p. 248 – 249

(3) Amari: Op. Cit. p. 128

(4) [00 ومنها وهو الفصل الثامن مما طلبوه أنه إن ساق أحد منهم (البيازنة) تجارة برسم الباب العليّ 00 فلا يكون لأحد سبيل الي حلها ولا نظرها حتي تبلغ الباب العليّ فلا يُغرم عليها شيئاً ، وإن لم تُشتر فيُغرم عليها المغرم المعتاد فعملنا لهم ذلك 00] Ibid, p. 4 -5. وما يتعلق بالجنوية فقد ذكر ابن الحاج النميري تلك المسألة أيضاً بخصوص جنوة مع (=)

فهناك قيمة أخرى للضريبة الجمركية المفروضة عليها وهي نسبة (5%) ، وهي الرسوم الجمركية المعتادة على سلع الترف والتي جاءت في بعض الوثائق التجارية التي جرت بين أراجون وتونس(1) وكذلك بين كل من بيزا وتونس (2) ، وتتنوع سلع الترف التي تتميز بالجودة وارتفاع قيمتها التي ترد على السلطان من ملابس فاخرة وأسلحة وطيور القنص والحلي والعطور والأواني الزجاجية والتوابل والأواني النحاسية المنمقة واحتياجات الجيوش ومستلزمات السفن وغيره من السلع الاستراتيجية (3) 0 وفي حالة عدم بيع تلك السلع الهامة تعود مرة أخرى الي بيزا دون أن تدفع عليها أية رسوم (4)0

وهناك ضريبة خاصة تميزت بها دولة بني مرين عن معظم دول غرب حوض البحر المتوسط ألا وهي فرض ضريبة السفن النصرانية التي تتردد الى الموانئ المرينية ، وتتمثل تلك الضريبة في أن يعطي كل مركب بيزي سرياقاً(5) من الحديد في كل مرة يصل المركب بالتجارة الى البلاد المرينية ، وقد كانت هذه الضريبة واجبة على كل السفن لكل الدول الأوروبية التي كانت تدخل الموانئ المرينية فكانت سائر السفن الواردة الى الموانئ المرينية سواء أكانت تابعة للبيازنة أو البنادقة أو الجنوية أو القطلان تدفع تلك الضريبة ، وقد وافقت بيزا على دفع تلك الضريبة(6) ،

ويؤكد وجود ضريبة السرياق الحديد أو المخطاف ما ذكره الونشريشي في إحدى النوازل

.

(=) دولة بني مرين [00 وسلعاً رُفِعَ الي الملك الأوحد مجموعها علي حسب القصد الإختيار 00] انظر ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، . لوحة 74 ص 46 0

(1) جاءت قيمة نصف العشر علي سلع الذهب والفضة والترف في وثيقة تجارية بين أراجون وتونس عام 701هـ/1301م ، أنظر Documentos Los Arabes...: Op. Cit. p.248.

(2) جاءت قيمة نصف العشر علي سلع الذهب والفضة والجوهر والياقوت والذهب في وثيقة تجارية بين بيزا وتونس عام 713هـ/1313م كذلك في وثيقة عام 800هـ/1397م أنظر . Amari: Op. Cit. p89, 127.

(3) Rland Oliver: Op. Cit. p.368.

(4) Amari: Op. Cit.p.89 – 90 .

(5) السرياق : هو المخطاف أو الهلب الذي يساعد المركب علي الثبات وعدم الحركة بفعل الريح أثناء تفريغ المركب من السلع والركاب فيسهل عملية التفريغ والشحن 0

(6) [00 وشرطنا أيضاً عليهم عادة أجفان التجار النصاري التي تصل الي بلادنا 00 وهي أن يعطي كل جفن سرياقاً أو مخطافاً من الحديد في كل مرة يصل بالتجارة الي بلادنا 00] Ibid, p.8.

بدولة بني مرين حيث يشير الى قيام النواتيه (البحارة) كالعادة أخذ البرطيل والمقصود به عند المغاربة المخطاف أو السرياق الحديد من التجار إلى جانب أجر الكراء مقابل توصيل سلعهم من بلد إلى آخر (1) 0

----

(1) الونشريشي : المصدر السابق ، ج 8 ص 300 – 301 0

7- الفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطالية :

أهمية الفندق :

تواجدت الفنادق (1) بشتى المدن المغربية في عصر بني مرين ، وقد أقام ولاة الأمر تلك الفنادق وعملوا على تجديدها نظراً لأهميتها الإقتصادية الكبرى، فهي موضع إقامة التجار الإيطاليين والغرباء ممن لهم أثر كبير في الحركة التجارية ، وكانت الفنادق مخازن لمختلف أنواع السلع والتجارات(2) 0

وكان الفند ق مبنى ضخماً وكان من عدة طبقات ، أما الدور الأرضي فكان عبارة عن مخازن ومستودعات للغلال والسلع والبضائع وحوانيت كبيرة وصغيرة ،ومخازن للعربات والدواب والعلف ، ومرابط للخيل والدواب ، وبالفندق حوش (فناء) واسع لإنزال وتفريغ وشحن السلع والبضائع ورفعها ، وبداخل الفندق كنيسة وحمامات ودور للعبادة والصلاة وفرن وموازين ومقبرة لدفن الموتى وأماكن للمكاييل والموازين خاصة بالتجار الإيطاليين ، وأماكن أخرى للموثقين والمترجمين والمحاسبين والمغربلين والحمالين والدلالين والسماسرة والسكرتاريين والوكلاء ، ودور العبادة المختلفة وأماكن تناول الخمور ومقبرة لدفن موتاهم ، وكان الفندق محاطاً بسور وبداخله الأشجار والزروع الأليفة التي كانت تذكرهم بأوطانهم،أما الطوابق العليا فكانت عبارة عن غرف مخصصة لسكن التجار ، وكان المبنى بصفة عامة قطعة من الوطن الأم للتاجر الأجنبي فكان يجد فيه الحرية الشخصية والأمن والحماية له ولسلعه ، و كان مسموحاً له شُرب الخمر داخل الفندق ،ومزاولة شعائره الدينية بالكنيسة داخل الفندق ،فكان الفندق سوقاً يرتاده المسلمون والمسيحيون واليهود ، وكان مؤسسة لخدمة التجار فهو قمة

---

(1) الفندق : كلمة مأخوذة من اليونانية Pandokion ونقلت إلي الإيطالية Fondaco ، أما بالأسبانية Alhondigaje أو Fondach ، وبالفارسية خان ، وللمزيد من المعلومات عن الفندق ، انظر نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 288 – 291 / مصطفي حسن محمد الكناني : المرجع السابق ، ص 336 – 338 / صبحي لبيب : الفندق ظاهرة سياسية – إقتصادية – قانونية ، فصلة من كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، ص 292 – 296 / آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت0 محمد عبد الهادي ابو ريدة ، الطبعة الثانية 1958 ، ج2 ص 326 – 327 / وقد قام الباحث بزيارة لمدينة بنغازي حيث يُطلق علي سوق المدينة إسم الفندق وهو عبارة عن محلات عديدة وحوانيت ذات طابق واحد تضم بوسطها فناء مكشوف للتجارة وهذا المكان قريب من ميناء بني غازي البحري مما يؤكد أن هذا الفندق كان في العصور الوسطي يُستخدم لخدمة التجار الأجانب ، وكلمة فندق أيضاً مستعملة حتي الآن في ريف بلاد المغرب بصفة عامة 0

(2) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص 169 / الحريري : المرجع السابق ص 293 0

ما وصلت إليه التجارة الخارجية لدولة بني مرين مع المدن الإيطالية، أو ما يُعرف في العصر الحديث بالبورصة التجارية (1)،وكان الفندق عادةً تنبعث منه أصواتاً عالية ولهجات مختلفة لمختلف الجنسيات من التجار والعاملين به والمناقشات بلغات عديدة أو لغة Sabir وهي لهجة مزيج من لغات متعددة من العربية والفرنسية والإيطالية والإسبانية ، فكان عالماً مزدحماً يتجاور فيه اليهود والنصارى والمسلمون (2) 0

وكان هناك نوع آخر من الفنادق في بلاد المغرب وهي المخازن فكان يسمى إحداها فندقاً في عامية بلاد المغرب ، وكان تجار الجملة يخزنون فيه متاجرهم التي يستوردونها من الخارج قبل بيعها إلى تجار التجزئة (3) أو يخزنون فيها الغلال لتصديرها للخارج (4) 0

إدارة الفندق :

كانت الفنادق ملكاً لدولة بني مرين ، فكانت تُكْريه للجالية الإيطالية المراد التجارة معها مثل البنادقة والبيازنة والجنوية ، وعندما كانت الجالية الإيطالية تحصل على كراء فندق من دولة بني مرين وتدفع ثمن الكراء ، فإن الجالية الإيطالية كانت تقوم بتعيين قنصلهم التابع لدولتهم لحل قضاياهم بالتعاون مع الحكومة المرينية ، فكانت إدارة الفندق تقع علي عاتق القنصل ، فقام القنصل بعدة وظائف إدارية عديدة وهامة للغاية ، فكان يمثل سلطة الدولة التابع لها على جميع التجار الذين من جنسيته ، وكان يقوم بالتحكيم بينهم في خلافاتهم، وكان يتوسط لصالح مواطنيه أمام الحاكم المحلي ، وأمام صاحب دولته ، وكان يتحكم في إدارة الحياة والأنشطة في الفندق (5) ، وكان له حق إستعمال موازينه ومكاييله الخاصة بداخل الفندق

---

(1) البرزلي : مخطوط فتاوي البرزلي ، ميكروفيلم رقم 4/365 ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ورقة 35 ص أ / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 236 – 237 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 147 – 148 / ابو علي حسن المعداني : المصدر السابق ن ص 115 / آدم متز : المرجع السابق ، ص 292 – 294 / صبحي لبيب : المرجع السابق ، ص 292 – 294 / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 280 – 291 / مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ، ص 336 – 338 / عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب إختصار الأخبار للأنصاري ، ص 41 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 41 – 42 0

(2) Dufourcq: Op.Cit. p. 70.

(3) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 41 0

(4) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 41 0

(5) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 465 – 466 / صبحي لبيب : المرجع السابق ، ص 294 / مصطفي الكناني : المرجع السابق ، ص 352 – 354 / Dufourcq: Op. Cit. p.69. / للمزيد من المعلومات عن الفنادق في بلاد المغرب ، أنظر Mas-Latri : Op. cit., vol. 1 , p.89 - 92

والمسموح بها طبقاً لنظام دولته ، فكان القنصل يجمع بين التمثيل الدبلوماسي والسياسي والتجاري والقانوني ، وهو المسئول الأول أمام الحكومة الإسلامية عن شئون الفندق ، وكان يقوم بالإتصال بفئات المدينة مثل السماسرة والحمالين والمثمنين والمترجمين والكيالين والبريدي والمغربلين وعمال المخازن (1) ،) ونظراً لأهمية دور القنصل في إدارة التجارة الخارجية لبلاده من خلال الفندق ، فإن المدن الإيطالية إهتمت بمهام القنصل وقامت برفع درجة قناصلها ، وعلى سبيل المثال قامت جنوة عام 1267م برفع درجة قنصلها في سبتة إلى قنصل عام تخضع له كل قنصلياتها في الأندلس وبلاد المغرب كآفة (2) ،وذلك لأهمية ميناء سبتة المريني بالنسبة للتجارة الإيطالية ، وتبع ذلك في عام 1276م أن قامت جنوة بتنظيم قناصلها وراء البحار في قنصليتين أحدهما في مدينة صور ببلاد الشام والثانية في سبتة بدولة بني مرين (3) 0

أما دولة بيزا فقد نظمت وظائف القنصل البيزي بدولة بني مرين من خلال المعاهدة التجارية عام 759هـ (4)0

ونظراً لإقامة التجار الإيطاليين في المدن المرينية الساحلية بالفنادق مدة طويلة لممارسة التجارة، فكان من الضروري وجود هيئة تتولى الإتصال بين هؤلاء التجار والسلطة المحلية باستمرار ، فكانت جمهوريتي البندقية وجنوة ترسل لمراكز نشاطها التجاري ثلا ثة قناصل بحيث يحل كل واحد مكان الذي تنتهي مدة خدمته ، فكان يقوم بتحصيل الرسوم الواجبة علي تجار دولته (5)0 وفي مقابل هذا العمل كان القنصل يتقاضى راتباً عبارة عن جزء من

----

(1) برنشفيك : نفسه ، ج1 ص 466 – 467 0 / صبحي لبيب : نفسه ، ص 292 ، 294 ، 298 0 / للمزيد عن دور القنصل الايطالي ببلاد المغرب أنظر . Mas-Latri : Op. cit., vol. 1 , p.86 – 89

(2) أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ مدينة سبتة ، ص 84 0

(3) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 79 0

(4) للمزيد من التفاصيل عن دور القنصل البيزي بدولة بني مرين أنظر المعاهدة التجارية بين بيزا ودولة بني مرين في الفصل الثاني من الرسالة ونظراً لعدم التكرار فرأينا عدم ذكرها هنا 0 / Amari : Op. Cit. p. 1 – 8.

(5) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 323 – 325 0

إيرادات الفندق بالإضافة إلى نسبة مئوية أو مبلغ ثابت من إيرادات الجمارك أو الموانئ التي كان مواطنوهم مطالبين بدفعها (1) 0

وكانت دولة بني مرين تُكري بعض فنادقها إلى بعض التجار الإيطاليين في مقابل مبلغ من المال لمدة عام واحد ، وكان التاجر الإيطالي ينفرد بإدارة الفندق بحرية تامة دون تدخل السلطات المغربية ، ورغم أن السلطات المغربية قد حرمت على التجار الإيطاليين بصفة عامة إحتساء الخمور خارج الفندق (2) ، أو تغيير هيئة الكنيسة التي بداخل الفندق (3) إلا أن التجار الإيطاليون ضربوا بالقوانين المغربية عرض الحائط ، فأباحوا إحتساء الخمور جهاراً خارج الفندق ، وأباحوا أعمال الفسق والدعارة بالفندق ، الأمر الذي أحنق المغاربة من تلك الأفعال التي كانت تتعارض مع الشريعة الإسلامية والتقاليد المغربية ، ((00 وكان فندقاً تُستباح فيه كبائر المعاصي جهاراً من غير مغير ولا منكر ، لأن بعض النصارى (الجنوية) إلتزمه باثنى عشر ألف ديناراً ذهباً في كل عام ، ليبيع فيه الخمر وغيره من المسكرات ، ويجتمع عنده من عظائم المنكرات ما يحزن قلوب المخلصين 00)) (4) 0

أما إدارة الفندق عند المغاربة فكانت لها وظيفة تسمى الفنداقي أو صاحب الفندق Fondachi فكان هو المسئول والحارس للفندق ولمتاجر وسلع التجار ، وكان له أعوان مثل الشهود والعدول لتحرير عقود البيع والشراء ، والسماسرة والمنادون والأمناء لتحديد السلع والتأكد من سلامتها من الغش ، ومترجمون للتجار الإيطاليين وغيرهم ، وكان يساهم في تحضير الأطعمة لخدمة الجيش ، وكان يرسل الطهاة لمرافقة الجيش أثناء التحركات العسكرية (5) 0

---

(1) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 465 – 469 0

(2) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 289 – 290 / مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ، ص 328 0

(3) البرزلي : نفسه 0 والنص يشير الي [00 والمسئلة الأخري جدد بعضٌ كنيسة في فندقهم وعلا عليها شيئاً يشبه الصومعة فطلبوا بذلك فأقرأ بكتاب العهد فوجد فيه أنهم لا يحال بينهم وبين مبني بنوا فيه بيتاً لتعبداتهم ، واعتذروا عن رفع البناء الذي يشبه الصومعة أنه للضوء فبعث القاضي إليه من نظره فإن كان فيه ناقوس غيره ، فوجده للضوء كما ذكروه لأن إظهاره كإظهار شرب الخمر والزنا 00] 0

(4) عبد الله الترجمان : تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب ، تحقيق محمود علي حماية ، الطبعة الأولي 1983 ، مطبعة دار الثقافة ، القاهرة ، ص 50 0

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ص 236 / مارمول : المصدر السابق ج2 ص 148 / ابوعلي الحسن المعداني : المصدر السابق ، ص 115 / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة ألمرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1984 ص 169 / الحريري : المرجع السابق ص327/ لوتورنو: المرجع السابق ص 41 – 42 / وعلي أصحاب الفنادق المساهمة في تجهيز وتحضير الطعام وخدمة الجيش ومرافقته أثناء الحروب والتحركات العسكرية ، انظر / مارمول : المصدر السابق ج2 ص 148 0

أماكن الفنادق :

انتشرت الفنادق في المدن الساحلية التجارية الهامة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والمدن الكبرى بدولة بني مرين ، فقد كان للجنوية عدة فنادق بمدينة سبتة ، أطلق عليها فنادق النصارى وكانوا سبعة فنادق بالرحبة العظمى منها أربعة على صف واحد منهم فندقان كانا مخصصان للبيازنة والجنوية، ثم ثلاث مفترقة(1)، وكان للجنوية فنادق في كل من سلا وآصيلا والعرائش وأنفا ، حيث تردد العديد من التجار الجنوية على تلك المدن وفنادقها للتجارة (2) 0 أما البيازنة فقد إشترطوا على دولة بني مرين في معاهدة التجارة بين البلدين عام 759هـ أن تخصص دولة بني مرين فنادق خاصة لإقامة التجار وجاليات البيازنة بمفردهم بعيداً عن أية أجناس أخرى من التجار الأجانب ليمارسوا فيه بِحُرِية تجاراتهم ، وقد وافقت دولة بني مرين على ذلك الشرط وجهزت لهم الفنادق بكافة المدن الساحلية التي تردد عليها التجار البيازنة ، كما جاء في الإتفاقية التجارية بين بيزا ودولة بني مرين [00 ومنها وهو الفصل التاسع مما طلبوه أنهم حيثما حلوا من بلادنا حاطها الله تعالي فيسكنون في فندق خاص بهم ، أو دار إن لم يكن بالبلد فندق منحازين دون غيرهم من طوائف الروم فعملنا لهم ذلك 00] (3) 0

وقد نصت إتفاقيات تجارية عديدة أُبرمت في القرن 7 ، 8 هـ/13، 14م بين المدن الإيطالية وأراجون مع سائر بلاد شمال أفريقيا على توفير فنادق مخصصة لنزول التجار الأجانب بكافة دول حوض البحر المتوسط الغربي ومنها فيما يتعلق بهذه المسألة إتفاقية بين أراجون وتونس عام 701هـ/1301م (4) وأخرى بين بيزا وتونس عام 713هـ/1313م ، وعام 754هـ/1353م(5) 0

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج5 ص 350 / ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 8 ق 1 ، ص416 / الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 45 0 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 123 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p. 451.

(3) Amari : Op.Cit., p.5.

(4) انظر نص المعاهدة التجارية في وثائق التاج الأراجوني [00 ويسكنون في فندقهم علي عادتهم 00] Los Documentos Arabes...: Op. Cit. p. 248 – 249.

(5) [00 وعلي أن يكون لهم في كل بلد من البلاد الساحلية من البلاد الأفريقية وما إليها المعلومة بنزولهم فيها لتجارتهم لا يشاركهم في سكناه أحد من النصري ويمكنوا في كل فندق من الكنيسة التي فيه ومن مدفن لموتاهم ومن فرن يختصون به علي جري العادة المتقدمة وأن لهم دخول حمام يختصون به يوماً في الجمعة 00] Ibid, p.88 , 101

وقد كان هناك الكثير من الفنادق التي كانت مخصصة للتجار الأجانب ، ففي مدينة فاس أحصى كل من الجزنائي وابن أبي زرع عدد الفنادق بفاس فبلغت نحو 467 فندقاً(1) ، وكان العديد منها في الزقاق الواصل من باب الفتوح إلى القنطرة المؤدي إلى جامع الأندلس بعدوة الأندلسيين، ، ومنها فندق التطاوين المريني بجوار الجدار الشرقي لجامع القرويين(2) وقد شاهد ليون الأفريقي بفاس القديمة نحو مائتى فندق للغرباء وهي فنادق كبيرة حسنة البناء، و كان بعضها يحوي نحو مائة وعشرين غرفة والبعض الأخر أكثر من ذلك ، وقد كانت تلك الفنادق أكثر تطوراً عن مثيلاتها في المدن الإيطالية(3)، وكان من أشهر الفنادق بفاس الجديدة فندق كبير لأسرى الحرب النصارى ، يشتغلون فيه بصناعة الأدوات الحديدية والأسلحة والذخيرة(4) ، وفندق اليهود الشهير بفندق اليهودي على مقربة من جامع النارنجة بجوار باب الجيسة(5)، والفندق الكبير بسوق الشماعين ، وفندق ابن حبون ، وفندق ابن ميمون بجوار جامع القرويين (6) ، وكان بمراكش عدة فنادق منها فندق لبيب(7) وفندق مقبل (8) وفندق السكر (9) ، وكان بقصبة مراكش الجديدة فنادق عديدة على عهد الموحدين وبني مرين(10)0

---

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 48 0 / محمد زنيبر : المرجع السابق ، ص 373 – 374 0

(2) لوتورنو : فاس قبل الحماية ، ت0 محمد حجي – محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992 ،ج1 ص 199 ، 210 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ص 236 – 237 / مارمول : المصدر السابق ج2 ص 147 – 148 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين، ص 96 0

(4) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 157 0

(5) ابن القاضي : جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة الرباط 1974 ق2 ص491 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 53 – 54 0

(6) الجزنائي : المصدر السابق ، ص 78 ،114 ، 116 0

(7) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت 1970 ج4 ص 24 0 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 189 0

(8) أبو العباس ابراهيم المراكشي : الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1974 ج1 ص239 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 190 0

(9) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 319 / مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 190

(10) مجهول : الإستبصار ، ص 210 / الحميري : المصدر السابق ، ص 540 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 138 0

وكانت سبتة من أكثر المدن المغربية في عصر بني مرين التي ضمت عدداً فائقاً من الفنـادق ، وحدد الأنصاري السبتي عددها بنحو 360 فندقاً وكـان أعظمهـا وأوسعها سـاحة الفنـدق الكبيـر الذي كان معداً لتخزين الغلال للتصدير وكان يحوي نحو 52 مخزن ، وقد بنـاه أبو القاسم العزفي بسبتة ، ويليه في الكبـر من الفنـادق لسكني التجار فنـدق غـانم الـذي كـان يضـم ثـلاث طوابـق و80 بيتـاً وتسـع مصـريات (تعـرف المصـرية فـي العصـر الحـديث بإسـم شـقة فـوق الحوانيت) وفندق الوهراني(1)، و أيضاً فندق أحمد بن ابراهيم الزيات الذي كان بغرب مقبرة السوق وهو من أقدم الفنادق بسبتة(2)، وبقرية بنيونش بجوار سبتة كان يتواجد بها فندق واحد خارج سورها كان مخصصاً للتجار الأجانب وتصدير الفاكهة إلى مختلف البلدان(3) ،وكـان هنـاك فنـادق متفرقـة بـبلاد المغـرب المرينيـة منهـا مدينـة قصـر عبـد الكـريم كـان بهـا فنـدقين عجيبين كان كثير من التجـار يقصـدهما(4) وهنـاك فنـادق للتجـار أيضـاً بمـدن السـودان الغربـي وبلاد السوس مثل غدامس وتوات وإيوالاتن كانت بها فنادق وأدلاء ووكلاء لخدمة التجار(5)0

---

(1) القاضي عياض وولده محمد : المصدر السابق ، ص 194 / ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 8 ق 1 ، ص 416 / الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 41 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 50 0

(2) القاضي عياض ولده محمد : نفسه 0

(3) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 57 0 ويعرف الآن بفندق ساحل الحجارة والمنطقة محتلة تحت الإحتلال الأسباني وتسمي عند الأسبان Benzu 0

(4) مجهول : الإستبصار ، ص 189 0

(5) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 684 – 687 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 212 0

8- كراء السفن :

كان المخزن المريني في أشد الحاجة إلى سفن النقل والتجارة فهو يعتمد عليها لنقل المحاصيل الزراعية والأسلحة والجند والخيل وآلآت الحرب ، لحاجة الجيش باستمرارإلى المدد والمؤن والعتاد لاسيما وأن حركة الفتوحات المرينية في بلاد المغرب الأدن والأوسط مستمرة لم تنته بعد ، وأن الأسطول المريني كان قد قُضى عليه في معركة طريف أمام جنوة والبرتغال وقشتالة فكان من الضروري الإستعانة بالسفن البيزية للتخلص من تلك المشكلة، كذلك كان المخزن المريني يحتاج إلى السفن لحمل ضريبة العشر الواجبة علي السلع الواردة إلى موانئ الدولة المرينية، فاقتنص المخزن المريني فرصة مبادرة البيازنة في الصلح والتجارة فطلبوا منهم التعاون في مجال كراء السفن 0

فعرض المخزن المريني علي البيازنة مسألة كراء السفن التجارية وسفن النقل بشروط جيدة مما جعل البيازنة يبدون موافقتهم عليها وتمثلت شروط كراء السفن البيزية في أن يكون الكراء بموافقة البيازنة دون أية ضغوط يمارسها المخزن المريني عليهم ، وأن يوافق البيازنة على ثمن الكراء حسب إختيارهم دون إكراه (1)، فتكون قيمة الكراء موافقة للبيازنة دون إنتقاص عما يطلبوه وبحُرِّية كاملة ، وقد كانت مسألة الكراء للسفن معروفة لدى مختلف بلاد المغرب والمدن الإيطالية ، كذلك الممالك النصرانية ببلاد الأندلس ،

ومن المؤكد أن نظم كراء السفن كان معروفاً من قبل ويوضح ذلك عدة إتفاقيات جرت بين بيزا وتونس عام 713هـ/ 1313م (2) وما بين أراجون وتونس غير أن أراجون حددت الكراء بثُلث عدد السفن المراد كرائها وليس جميعها ويعني ذلك أنه إذا تاجرت أراجون مع تونس بتسعة مراكب تجارية وأرادت تونس كراء السفن الأراجونية لحمل سلع أوغير ذلك ،

---

(1) انظر الإتفاقية التجارية بين بيزا ودولة بني مرين [00 ومنها وهو الفصل الثاني عشر أنه متي إكتُري منهم جفن من أجفانهم برسم الوسق الي جانب العليّ الزرع أوالخيل أو العدة أو غير ذلك فيعطي صاحب الجفن سلفته علي حسب إختياره من غير إكراه علي الكراء ولا علي السلفة فعملنا لهم ذلك 00] Amari: Op. Cit. p.5 – 6.

(2) أنظر الإتفاقية التجارية [00وأنه متي أُحتيج الي مركب من مراكبهم لحمل عشر أو غيره أن يؤخذ من كل ثلاثة مراكب مركب بالكراء يعينه قنصلهم 00] Ibid,p.92.

فلا يُسمح لتونس إلا بكراء ثلاثة سفن أراجونية فقط وذلك عام 701هـ/1301م (1) 0 وهناك وثيقة تجارية تحمل في طياتها عقد كراء سفينة للتجارة البيزية والجنوية مع بلاد المغرب وشراء الصوف المريني المشهور ، ففي وثيقة بتاريخ 4أغسطس 1373م/15 صفر 775هـ عقد كراء سفينة بين تجار من بيزا وبين أحد كبار الممولين التجاريين الجنوية لفترة سفرة واحدة وشراء الصوف المريني المشهور من بلاد المغرب وجزيرة جربة وساحل شمال أفريقيا، وهنا في عقد الكراء يوضح صاحب السفينة الممول الجنوي توماس ماركيوس خط سير سفينته للتاجر البيزي جوهان آلوباردي الذي يعمل تحت رعاية التاجر البيزي جيرالدوس فيرو ويكلفه بعدم تعديل خط سيرها المحدد ، حيث تقوم السفينة بالإبحار من جنوة إلى بيزا ثم تنطلق إلى المواقع المحددة من جزيرة صقلية ثم جزيرة جربة وساحل شمال أفريقيا ولا يحق لأحد تعديل المسار الذي رسمه صاحب السفينة الجنوي ،غير أن صاحب السفينة وافق علي أن يكون للمكتري حق تعديل المسارات الفرعية الموصلة إلى مواقع بلاد البربر (بلاد المغرب) فقط لكي يمارس عملية الشراء والبيع من المواقع البربرية الشهيرة بالسلع المراد شراؤها بسهولة دون قيود ،وليحقق الهدف المطلوب من عملية الكراء ، ويكون كراء السفينة لمدة سفرة واحدة (2) 0

وهناك العديد من النوازل الإسلامية توضح العلاقات مابين المكتري وصاحب المركب ، فعندما يقوم تاجر بكراء مركب لشحن سلع ما ثم إعترضه القراصنة في البحر ونهبوا السلع

----

(1) أنظر الإتفاقية التجارية [00 وما يشتريه أهل المراكب بأكرية مراكبهم أو غيرها من السفن التي تُكري 00 ومتي أُحتيج الي مراكبهم لحمل عشر أو غيره فيؤخذ لهم الثلث بكراية 00] . Los Documentos Arabes...: Op. Cit. p. 248- 249 .

(2) أنظر وثيقة عقد الكراء [00 توماس ماركيوس مواطن من جنوة بإسمه الشخصي من جانب ، وجوهان آلوباردي من بيزا ، بإسمه أيضاً و تحت رعاية جيرالدوس دي فيرو البيزي حيث أن توماس المذكور سلفاً قد قدم الوعد لجوهان المذكور أعلاه بإرسال إحدي السفن التي يرغب توماس نفسه في إستخدامها في أماكن وأجزاء يحددها توماس بمقاطعة جنوة والموقع المسمي جزيرة جربة وهي أجزاء من بلاد البربر ، والسفينة المذكورة من جنوة تؤدي رحلة لفترة سفرة واحدة بين شهر سبتمبر القادم وتقوم بالإبحار المستمر الي الموقع المذكور في جربة ومن هناك يتم إستعمال الرحلة الي مواقع البربر كما يحددها توماس المذكور أعلاه ، وفيما يتعلق بهذه المذكورة ، ووفقاً للعقد الذي تم إبرامه ، يتم الإتجاه الي ميناء بيزا أو من أي تحرك ثم يتم التحرك بمشيئة الله الي الحدود البحرية لهذه الأقاليم وتكون الرحلة المذورة من الميناء وذلك للمواقع المحددة من أجزاء صقلية وفق ما يري توماس ، ولا يكون لأي شخص آخر حق تعديل هذه المسارات التي يراها توماس ، وتبدأ الرحلة من هناك ثم يكون لجوهان تحديد المسارات الفرعية حتي الوصول الي مواقع البربر ، وتم ذل العقد في العام 1373 من الميلاد وفي اليوم الرابع من شهر أغسطس 00] Mas – Latre : Op. Cit. 0p.128.

وتركوا المركب، وهنا يجب علي المكتري أن يدفع الكراء لصاحب المركب لأن السلع لم تتلف بسبب المركب ، أما إذا أخذ القراصنة المركب بما فيه فإن المكتري يسقط عنه قيمة الكراء لصاحب المركب (1) ، أما إذا قام تاجر بكراء مركب في وقت الملاحة ثم جاءه عائق فتأخر إلى وقت الشتاء فعاد التاجر ببضائعه إلى المخازن إنتظاراً لإنتهاء فصل الشتاء وأراد صاحب المركب فسخ عقد الكراء فيجوز له فسخ العقد لوجود عذر وهو فصل الشتاء (2) ، أما إذا إكترى تاجر مركب وشحنه بضائع لبيعها في إحدى المدن الإيطالية ولكن الريح ردته إلى مكانه الأول فلا يجوز لصاحب المركب أخذ الكراء لعدم منفعة المكتري فيما جرى لعودة المركب بسبب الريح المعاكسة (3)، وكان لأحد الجنوية مركباً يمتلكه لنقل الحجيج المغاربة كان يسمى مركون الجنوي (4) 0

9- دور التجار الجنوية التجاري بدولة بني مرين :

لعب التجار الجنوية دوراً كبيراً في التجارة مع دولة بني مرين وكانت لهم الأسبقية في عهد الموحدين وكذلك في عصر دولة بني مرين نظراً لموقع جنوة الجغرافي القريب من شمال بلاد المغرب ولأن جزيرتي كورسيكا وسردينيا كانتا محطات ومخازن لتجارة جنوة(5)، وكان لأحد التجار الجنوية مركباً يمتلكه لنقل الحجيج المغاربة وكان يسمى مركون (6)0 وإتخذ الجنوية مدينة مالقة نقطة للإستراحة وجمع المعلومات عن شروط الأسواق والتجارة عبر البحر وبناء على هذه المعلومات كان التجار الجنوية يقررون توجههم إلى ميناء سبتة أو ميناء غيره (7) حيث ينزلون بفنادقهم في سبتة

---

(1) الونشريشي : المصدر السابق ، ج8 ص 310 – 311 0

(2) القرافي : المصدر السابق ، ج 5 ص 485 / الونشريشي : نفسه ، ج8 ص 300 0

(3) الونشريشي : نفسه ، ج8 ص 310 – 311 0

(4) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 317 0

(5) Gabriella Airaldi : Genova e la Liguria nel Medioevo , Torino , 1986 p.39. /
محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 71 0

(6) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 317 0

(7) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 360 0

.

وأصيلا والعرائش وسلا وأنفا (1) ،ففي عام 1253م كان هناك عقد تجاري يسمح للسفن التجارية بالتوقف في مالقة في الطريق من جنوة إلى شمال أفريقيا وسبتة (2) ، فقد كان الجنوية بصفة خاصة والإيطاليون بصفة عامة شديدي الشغف بالذهب السوداني الواصل إلى سبتة ومليلة وسلا وآصيلا وباديس عبر بلاد المغرب المرينية ، فقد تزايد الطلب على الذهب السوداني الذي صار المحرك الموضح للاقتصاد ، فقامت جنوة بسك عملة نقدية عام 1252م والبندقية عام 1284م وبلغ سعر الذهب أعلى رقم في الفترة ما بين عام 1305 – 1339م(3)0 على أن المنافس اللدود للتجار الإيطاليين لاسيما الجنوية كانوا هم التجار القطلان ، لذا دافع التجار الجنوية عن تجارتهم في سبتة وسائر المدن المغربية المطلة على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ، تلك المنافسة التجارية بين الجنوية والقطلان أكسبت دولة بني مرين القوة والإزدهار وعدم الخضوع لأراجون وقطالونيا وجعلت الرادع التجاري ضد دولة بني مرين في أغلب الأحوال من المستحيل تطبيقه (4) 0

فقد كان للتجار الجنوية دور كبير في الازدهار التجاري بدولة بني مرين ومنهم من امتلك المراكب الكبيرة العديدة يتاجرون بها مع بلاد المغرب مثل التاجر خيرونيمو دي فولتاخو ، والتاجر إستبان دوريا ، والتاجر خيرونيمو دوريا وهؤلاء كانت سفنهم مزودة بالجند والأسلحة للدفاع عن أموالهم ومتاجرهم وتجاراتهم (5) 0

كذلك التاجر كريستيان سبينولا الجنوي Christian de Spinola الشخصية الرأسمالية الهامة الذي كان من رجال ملك أراجون وكان يتعامل مع السلطان يوسف بن يعقوب المريني في التجارة بشتى أنواعها فكان السلطان المريني يستعمله ويقربه إليه ، واستقر بالمنصورة بجوار السلطان المريني فترة طويلة (6) ، وأيضاً حصل أحد التجار الجنوية على ترخيص

----

(1)Dofourcq: Op. Cit. p.451.

(2) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 122 0

(3)Roland Oliver: Op. Cit. p. 369.

(4)Roland Oliver: Op. Cit. p.368.

(5) طافور : المصدر السابق ، ص 4 0

(6) Dufourcq: Op. Cit. p. 371, 451. / Roland Oliver: Op. Cit. p.368.

للتغلغل داخل بلاد بني مرين وعاش في تافيلالت في نهاية القرن 13م (1) والتاجر جيوفاني Giovanni Di Garignano الذي وضع خريطة للصحراء الكبرى أثناء إقامته بسجلماسة في العقد الثاني من القرن 14م ، وتاجر آخر جنوي وضع خريطة أخرى لجنوب الصحراء يدعى Angelino Dulcert عام 1339م ، توضح الطريق من سجلماسة إلى توات ثم إلى والاتة ثم مالى (2) ، وفي عام 692هـ/1292م قدم تاجر جنوي هدية إلى السلطان يوسف بن يعقوب المريني عبارة عن شجرة مموهة بالذهب عليها طيور تغرد بحركات هندسية (3) بغرض التودد إلى السلطان المريني والتجارة ببلاد المغرب المرينية ، وكان هذا التاجر موفداً في سفارة رسمية من قبل جنوة إلى السلطان يوسف بن يعقوب المريني (4) وتشير إحدى الوثائق الجنوية في عام 746هـ/1346م التي دارت بين جنوة ودولة بني مرين حيث أرسلت دولة بني مرين سفارة إلى جنوة عبر جزيرة ميورقة وكان رئيس السفارة المرينية محمد الحزيري ومعه مترجم يدعى العباس وأربعة آخرون هم على أسماى العلج ، ومرصو بن عمر ، وعبد الله سالم ، ومحمد بن عامر (5)0

وتضم سجلات العدل الجنوية نحو 50 عقداً تجارياً إلى موانئ بلاد المغرب والأندلس في منتصف القرن 12م ، منها عقد يوضح موافقة أحد التجار الجنوية على نقل أقمشة ومنسوجات أندلسية من جنوة إلى سبتة في1183 ، 1197م (6) ، وأرسلت جنوة سفارة إلى سبتة عام 634هـ/1236م بقيادة Sorl Cone Pevere وتلى ذلك في عام 640هـ/ 1242م أن أرسلت جنوة ثلاث قطع بحرية حربية إلى سبتة لحماية التجارة والسفن التجارية الجنوية أثناء الحرب الجنوية – البيزية ، وتسجل وثائق العدل الجنوية أيضاً العديد من عقود التجارة لاسيما بعد عام 648هـ/1250م والتي تعاقدت بها جنوة مع سبتة وكانت قيمتها مرتفعة مما يدل على أن التبادل التجاري بين جنوة وسبتة كان قوياً ، ومثال على ذلك بلغت قيمة الإستثمارات الجنوية

----

(1) Roland Oliver: Op. Cit. p.368.

(2) Roland Oliver: Op. Cit. p.378,373 ../ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 176 0

(3) السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 74 0

(4) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 171 0

(5) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 66 – 67 0

(6) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 88 0

التجارية بسبتة ما بين عام 550 – 689هـ/1155 – 1290م إلى 37,5% من عدد العمليات التجارية 0 وفي عام 661هـ/1262م وصلت سفارة جنوية إلى مدينة الزقاق المرينية لتأكيد الروابط التجارية السابقة مابين جنوة وسبتة المرينية (1) ،

ووصل التجار الجنوية إلى موانئ ماسّة وأغادير بالمغرب الأقصى المريني على ساحل المحيط الأطلسي للحصول على الذهب وباعوا لتجار بلاد السوس الأسلحة والنحاس والحديد والكبريت (2) 0

وهناك من اشتغل من التجار الجنوية وسيطاً بين تجار الرقيق وسلاطين بلاد المغرب ، فكان الجنوية يجمعون أسارى المغاربة المسلمين لفك أسرهم فحصلوا على مبالغ مالية كبيرة إزاء ذلك ووصل سعر الشاب نحو من 60 إلى 70 دينار ذهب أما الشيوخ فكان لايتعدى الواحد 50 ديناراً ذهبياً ، ومن الجنوية من إشتغل مترجماً من اللغة الصقلية إلى اللغة العربية (3)0

----

(1) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 78 0

(2) Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p.410, 415.

(3) عبد الله الترجمان : المصدر السابق ، ص 43 ، 49 0

10- السلع التجارية المتبادلة بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين :

وضعت البندقية خريطة لتحديد أهم المراكز والموانئ التجارية المرينية لتسهيل عمليات التجارة ، ففي وثيقة جغرافية ترجع لعام 718هـ/1318م وضعها الملاح البندقي بورتيلان دوبيير فيسكونتي دى جين Portulan de Pierre Vixonti de Gene وهي من أرشيف فينسيا ، و ترجع لعهد السلطان أبو سعيد عثمان الأول المريني ، توضح تلك الموانئ المرينية كالتالي : الجزر الجعفرية - مليلة- جزيرة الطيور- الصويرة – المزمة- باديس- سبتة- القصر الصغير- طنجة- سبارتل- آصيلا- العرائش- المعمورة- سلا- فضالة- أنفا- آزمور- مازكان(مازغان)- آسفي (1) 0

وأرى أن إهتمام البندقية برسم خرائط توضيحية للمراكز البحرية والموانئ المغربية المرينية ماهو إلا دليل قاطع على الرغبة الشديدة في إقامة جسر تجاري بين الدولتين ويرجح ذلك ما ألمحت إليه بعض المصادر والمراجع 0

فقد أشارالحسن بن محمد الوزان إلى بعض المعلومات القيمة التي تتصل بتجارة البندقية بميناء سلا المريني فيذكر أن البنادقة كانوا يقصدونها لعقد الصفقات التجارية بينهم وبين تجار مدينة فاس الذين كانوا يفدون إلى سلا للإتجار مع البنادقة (2) ، وكانت سفن البنادقة تفد على ميناء غساسة المريني القريب من ميناء مليلة ، فقد إعتادت سفن البنادقة إرتياد ذلك الميناء فكان كبار تجار مدينة فاس ينتظرون التجار البنادقة لعقد صفقات تجارية كبيرة بين الطرفين ، وكانت تلك الصفقات التجارية تدر ربحا كبيراً بالنسبة للطرفين (3) ، وكان أسطول البنادقة التجاري يرسو كل عامين بميناء باديس المريني ، فكان تجار فاس ينتظرونهم لعقد صفقات تجارية هامة ويتبادلون السلع التجارية ، كذلك جنوة وبيزا ، وسوف نوضح السلع التي كانت متبادلة بين بلاد المغرب المرينية والمدن الايطالية في الجداول التالية 0

أ – أهم السلع المغربية الواردة للمدن الإيطالية :

---

(1) عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 174 0

(2) المصدر السابق ، ص 213 0

(3) نفسه ، ص 345 0

السلعة	ميناء التصدير	المصدر	المستورد	هامش
الحبوب	جميع موانئ المغرب	المغرب المريني	جنوة	(1)
الصوف	سبتة-الكدية-آصيلا-أنفا	"	جنوة	(2)
الشمع-العسل	جميع موانئ المغرب	"	جنوة-البندقية-بيزا	(3)
الجلود	أنفا	"	جنوة	(4)
السكر	بلاد السوس	"	البندقية	(5)
الذهب	جميع موانئ المغرب	"	جنوة-بيزا-البندقية	(6)
الرقيق	" " "	"	" " "	(7)
البرانس	أماكن التصنيع بالمدن	"	" " "	(8)
المصنوعات المعدنية	سبتة	"	جنوة	(9)
الملح	المنافذ البحرية	"	البندقية	(10)

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ أن من أهم الصادرات المغربية للمدن الإيطالية الحبوب فقد

----

(1) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 24 – 25 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 283 0 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 91 0 / أحمد بوشرب : دكالة والإستعمار البرتغالي ، ص 112 0 / Lopez : Op. Cit. P.116.

(2) Lopz: Op.Cit.p.116.

(3) Mas-Latre:Op.Cit.p.128./Dufourcq:Op.Cit.p.545./ جوليان: المرجع السابق ، ج2 ص 247 / لوتورنو: المرجع السابق ، ص 137 – 138 / أحمد بوشرب: المرجع السابق ، ص 112 / ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، ج2 ص 83 – 84 / المنوني: المرجع السابق ، ص 145 / الحريري: المرجع السابق ، ص 294 / محمد الشريف: سبتة الإسلامية ، ص 91 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 322 / مارمول : نفسه ، ج2 ص 5 ، 10 ،15 ، 17 ، 24 – 25 ، 101 ، 225 0 / جوليان : نفسه ، ج2 ص 274 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 91 / ابراهيم حركات : نفسه ، ج2 ص 83 – 84 ، 129 / المنوني : نفسه ، ص 145 0

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 322 0 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 5 ، 10 ، 225 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 91 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 / المنوني : المرجع السابق ، ص 145 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ص 129 / .Dufourcq:Op.Cit.p.545

(6) مجهول : كتاب الجغرافيا ، ص 117 0 / جوليان : نفسه ، / .Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit, P.313

(7) أحمد محمد الطوخي : المرجع السابق ، ص 290 0

(8) Dufourcq:Cmmerce du Maghreb, p.177.

(9) فرنان برودل : المرجع السابق ، ص 82 – 83 0 / الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة ثانية ، بيروت 1986 ، ص 101 / محمد عبد الغني الأشقر : المرجع السابق ، ص 226 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 224 / ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 128 0

(10) عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج7 ص 174 0

اشتدت الحاجة بجنوة للحصول على القمح والحبوب المختلفة بعد ما انفصلت عن لومبارديا ، فكانت في أمس الحاجة إلى شراء القمح من بلاد المغرب (1) وكان الجنوية يستوردون كميات كبيرة لسد حاجة سكان المدينة والفائض يصدرونه إلى إنجلترا (2) 0

و بلغت نسبة واردات جنوة من الصوف المريني المشهور بنعومته وهو المرينوس -Mirini Merinos نسبة إلى دولة بني مرين ما بين عامي 1237-1293م نسبة 89% وكان التجار الجنوية يشترون الصوف المغسول أو المشحم من النوع المريني بكميات هائلة من المنافذ البحرية المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مثل سبتة والكدية وآصيلا وأنفا وغيرها(3) 0

و أتى الجنوية إلى منافذ ومنابع تجارة العسل والشمع المريني ، كذلك البنادقة والبيازنة لشراء الشمع بالمقايضة مع الأقمشة الأوروبية ، وكان الجنوية يستوردون كميات كبيرة من الشمع ويصدرونه إلى البرتغال (4) 0

و كان الجنوية يسعون إلى شراء الجلود من بلاد المغرب مثل جلود الثيران ونقلوها إلى بلدهم ثم صدروها إلى البرتغال ، وتلك الجلود كانت متنوعة و مدبوغة من جلود الثيران والبقر وفراء الأرانب وجلود الماعز والغنم ، وكان ميناء أنفا يصدر جلد البقر بمبلغ من 60 – 70 دينار عن كل مائة جلد بقر كانت تزن نحو 700 كجم ، وكان التجار الجنوية يقايضون أقمشتهم المستوردة بالجلود المغربية (5) 0

----

(1) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 24 – 25 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 283 0 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 91 0 / أحمد بوشرب : دكالة والإستعمار البرتغالي ، ص 112 0 / Lopez : Op. Cit. p.116.

(2) Lopz: Op.Cit.p.116.

(3) Mas-Latre:Op.Cit.p.128./Dufourcq:Op.Cit.p.545./ جوليان: المرجع السابق ، ج2 ص 247 / لوتورنو: المرجع السابق ، ص 137 – 138 / أحمد بوشرب: المرجع السابق ، ص 112 / ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، ج2 ص 83 – 84 / المنوني: المرجع السابق ، ص 145 / الحريري: المرجع السابق ، ص 294 / محمد الشريف: سبتة الإسلامية ، ص 91 0

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 322 / مارمول : نفسه ، ج2 ص 5 ، 10 ،15 ، 17 ، 24 - 25 ، 101 ، 225 0 / جوليان : نفسه ، ج2 ص 274 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 91 / ابراهيم حركات : نفسه ، ج2 ص 83 – 84 ، 129 / المنوني : نفسه ، ص 145 0

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 322 0 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 5 ، 10 ، 225 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 91 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 / المنوني : المرجع السابق ، ص 145 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ص 129 / Dufourcq:Op.Cit.p.545.

و إتجه تجار البندقية إلى بلاد السوس في القرن 13م لشراء السكر السوسي الشهير(1)، وكان التجار الجنوية وغيرهم من التجار الإيطاليين يستوردون السكر الغرناطي ثم يصدرونه إلى أسواق حوض البحر المتوسط حيث كان أرخص سعراً (2) ، كذلك سافر تاجراً سبتياً إلى جنوة على سفينة جنوية حاملاً معه سلعاً من ضمنها ستة قناطير من السكر لبيعها في جنوة(3)0

وحظى الذهب بتقدير كبير لدى المدن التجارية الإيطالية في العصور الوسطى ، وكما كانت المدن الإيطالية تتولى بنفسها الوساطة العالمية التجارية في نقل وتوزيع السلع الشرقية إلى مختلف البلدان لاسيما التوابل ، كانت بلاد المغرب أيضاً هي الوحيدة التي تتولى نقل الذهب من بلاد السودان إلى مختلف الدول الأوروبية ومنها المدن الإيطالية ، فقد كانت بلاد المغرب مستودع الذهب الذي كان من أنقى أنواعه ، كما كانت بلاد المغرب عامل منظم يقوم تجارها بقوافلهم الضخمة بجلب الذهب من السودان الغربي عن طريق المقايضة إلى المدن الساحلية التي كان يتواجد بها التجار الإيطاليون لنقله إلى الجانب الآخر من البحر المتوسط ، فقد كان التجار الإيطاليون في الغالب يأتون بسلع وبضائع متنوعة يقايضونها في الغالب بالذهب ، وبالتالي يحصلون على كميات هائلة من الذهب (4)، ففي نهاية القرن 13م حصل الجنوية على الذهب من سبتة وموانئ المغرب الأخرى (5)، و حتى العقود الأولى من القرن 15م وصل البنادقة إلى مآسة على شاطئ المحيط الأطلسي بالمغرب المريني للحصول علي الذهب(6) ، وبدأ الذهب في العقود الأخيرة من القرن 15م يتناقص في كمياته حيث بدأ

----

(1) مجهول : كتاب الجغرافيا ، ص 117 0 / جوليان : نفسه 0 / 410 ، Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit, p.313

(2) أحمد محمد الطوخي : المرجع السابق ، ص 290 0

(3) Dufourcq:Cmmerce du Maghreb, p.177.

(4) فرنان برودل : المرجع السابق ، ص 82 – 83 0 / الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة ثانية ، بيروت 1986 ، ص 101 / محمد عبد الغني الأشقر : المرجع السابق ، ص 226 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 224 / ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 128 0

(5) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 94 / أوليفيا : المرجع السابق ، ص 344 0

(6) Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit, P.410.

البرتغاليون يسيطرون علي منابعه ومنافذه ببلاد السودان والمدن المغربية الساحلية ، فإنقطع معظمه (1) 0

وكان التجار المغاربة يشترون الرقيق (الزنوج) من السودان الغربي، و قاموا ببيعه إلى التجار الإيطاليين والسماسرة الذين نقلوهم إلى إيطاليا 0 فقد كانت أسواق السودان عامرة بأعدادٍ كبيرة من العبيد بمختلف الأعمار وبأسعار زهيدة ، فكان التجار الإيطاليون يشترونهم بأعدادٍ كبيرة بالمدن الساحلية وينقلونهم إلى الجانب الآخر من البحر المتوسط (2)، كذلك كان التجار الإيطاليون يشترون العبيد السودانيين عن طريق تجار أرجوان وقطالونيا و قشتالة الذين كانوا يشترون العبيد السود من شمال أفريقيا ثم ينقلونهم إلى إيطاليا لبيعهم هناك (3) 0

أما الرقيق المسلم وعادةً كان من الذين وقعوا في الأسر في البحر المتوسط حيث تم بيعهم في صقلية ثم تتجه تجارتهم إلى إيطاليا (4) 0

وتذكر وثائق العدل الجنوية أن الرقيق المسلم كان يطلق عليه اسم أبناء سارة(5) Sarracenus أو Maurus بمعنى مغاربة، وتضمنت وثائق العدل الجنوية العديد من أسماء الرقيق المسلم الذي بيع في جنوة (6)0

وكانت المدن الإيطالية تستورد من بلاد المغرب العباءات المغربية الشهيرة ، وهي برانس سوداء من قطعة واحدة مع قبعتها ، وقد شاهد ليون الأفريقي الكثير منها في المدن الإيطالية(7) 0

واستورد الجنوية المصنوعات النحاسية مثل الشمعدانات والصحاف والمحابر ومصنوعات

----

(1) فرنان برودل : نفسه ، ص 84 – 85 / الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 96 0

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 0 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 225 / عبد السلام الترمانيني : الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، عدد 23 ، الكويت 1979 ، ص 47 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0

(3) محمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص 191 – 192 0

(4) Dufourcq: Op. Cit.p. 137.

(5) يعد اليونانيين هم أول من أطلق كلمة أبناء سارة علي المسلمين العرب سارة سيوس Sarracenus وهو خطأ شائع لدي كافة الكتابات الغربية في العصور الوسطي والحديثة وذلك ببساطة أن العرب المسلمون ليسوا أبناء سارة ولكن أبناء هاجر وربما المقصود من كتابات الغرب الأوروبي هو عبيد سارة وليس أبنائها 0

(6) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 345 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 184 0

أخرى فضية (1) ، وكان التجار المغاربة يسافرون إلى جنوة لبيع الحديد والقصدير والنحاس بحوانيتهم بجنوة (2) 0

وهناك وثيقة أوضحت قيام البندقية بشراء الملح من بلاد المغرب وذلك كان في 2 صفر 721هـ/3 مارس 1321م، فأوضحت الوثيقة كشفاً بثمن بيع الملح الوارد من بلاد المغرب في البندقية (3)0

الخيل والخراف	المنافذ الساحلية	المغرب المريني	جنوة- بيزا- البندقية	(4)
الزرابي(الفُرُشْ)	"	"	البندقية	(5)
القطن	بلاد السوس	"	جنوة – بيزا - البندقية	(6)
الكتان	سلا	"	"	(7)
المرجان	سبتة	"	البندقية	(8)
سمك التونة	سبتة	"	جنوة – بيزا - البندقية	(9)
المنسوجات الصوفية	المنافذ الساحلية	"	"	"
الفاكهة	"	"	"	"
التمر السوسي	بلاد السوس	"	"	"
الأحزمة المزخرفة	المنافذ الساحلية	"	"	(10)

ومن الجدول الثاني نلاحظ أيضاً أن أنظار التجار الإيطاليون إتجهت صوب بلاد المغرب

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 318 – 319 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 94 0

(2) Dufourcq:Commerce du Maghreb, p.177.

(3) عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج7 ص 174 ، وقد عثر الباحث عبد الهادي التازي علي هذه الوثيقة من أرشيف البندقية 0

(4) المنوني : المرجع السابق ، ص 145 0/ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ص 83 – 84 0

(5) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / المنوني : نفسه، ص 145 0 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(6) المنوني : نفسه 0 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(7) الزهري : المصدر السابق ، ص 119 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 91 / ابراهيم حركات : نفسه 0/ الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

(8) جوليان : نفسه 0 / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 253 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(9) الزهري : المصدر السابق ، ص 119 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 91 / ابراهيم حركات : نفسه 0 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

(10) المنوني : نفسه 0 / ابراهيم حركات : نفسه 0

لاستيراد الخراف والخيل(1) والزرابي(الفُرُشْ)(2) والأحزمة المزخرفة والقطن(3)، والمرجان(4) وسمك التونة والمنسوجات الصوفية والكتان والفاكهة والتمر السوسي (5) ، وتلك السلع إشتراها التجار الإيطاليون بأسعارٍ زهيدة ، فجنوا من وراء تجارتها أرباحاً طائلة0

ب – أهم السلع الإيطالية الواردة للمغرب المريني :

السلعة	المصدر	المستورد	هامش
الحديد	البندقية	المغرب المريني	(6)
الملح	"	"	"
الفحم	"	"	"
الزيت	"	"	"
الفاكهة	"	"	"
الحيوانات الحية واللحوم وطيور القنص	"	"	"
القمح	"	"	"
التوابل	جنوة - البندقية	"	(7)

----

(1) المنوني : المرجع السابق ، ص 145 0/ ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ص 83 – 84 0

(2) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0 / المنوني : نفسه، ص 145 0 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(3) المنوني : نفسه 0 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(4) جوليان : نفسه 0 / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 253 / ابراهيم حركات : نفسه 0

(5) الزهري : المصدر السابق ، ص 119 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 91 / ابراهيم حركات : نفسه 0 / الحريري : المرجع السابق ، ص 294 0

(6) Lopez: Op.Cit.p.116./ Roland Oliver : Op.Cit.p.368. / داوود أبو العافية :التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطي ، ص 27 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 221 /

(7) محمد الشريف : نفسه ، ص 92 – 93 0/ أوليفيا : المرجع السابق ، ص 353 – 354 0/ برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 443 0

ونلاحظ من الجدول التالي أن المدن الإيطالية كانت تصدر للمغرب المريني العديد من السلع التجارية الهامة، فقد كانت المدن الإيطالية لاسيما البندقية تصدر الملح والقمح والزيت والحديد والفحم والفاكهة والحيوانات الحية واللحوم وطيور القنص(1) ، فكانت دولة بني مرين تصدر السلع الأقل جودة إلى المدن الإيطالية وتستورد بدلاً منها سلعاً من نفس النوع ولكن أكثر جودة ، أما القمح فكانت بلاد المغرب تصدر الفائض عن حاجتها من محصول القمح إلى المدن الإيطالية وذلك في حالة الرخاء ، أما في حالات القحط وتدهورالأحوال الداخلية بدولة بني مرين، كانت المدن الإيطالية تورد القمح لدولة بني مرين0

وصدرت جنوة أيضاً التوابل إلى سبتة بواقع قيمته 522 ليرة ما بين عامي 1164 – 1280م وكانت القرفة تفد إلى سبتة من جنوة بقدر عشرة مثاقيل ، والفلفل الأسود (البزار أو الفلفل الأكحل في المفهوم المغربي) بكمية قدرها 40 طن وكان ثمن هذه التوابل عالياً(2)0

وخلال القرنين 13 – 14م سجلت كتب العدل الجنوية شحنات توابل من الإسكندرية إلى جنوة لأجل تصديرها إلى بلاد المغرب (3) 0 وكان يهود المدن الإيطالية يصدرون إلى بلاد المغرب القرنفل والزعفران(4)0وكان البنادقة يصدرون التوابل للمغرب المريني (5)، وإشتغل البنادقة أيضاً بحركة النقل البحري لصالح التجار المراكشيين في أواخر عصر بني مرين ،لنقل التوابل والبهار من الإسكندرية إلى المغرب الأقصى، ففي عام 869هـ/ 1464م كانت سفن البندقية تنقل متاجر لبعض التجار المراكشيين من الإسكندرية مروراً بجزيرة رودس ثم إلى بلاد المغرب الأقصى وكان عددها ثلاثة سفن ، وبلغت قيمة الحمولة نحو 24 ألف قطعة ذهبية فيما عدا البهار والسلع الأخرى (6) 0

----

(1) Lopez: Op.Cit.p.116./ Roland Oliver : Op.Cit.p.368 /

/ داوود أبو العافية :التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطي ، ص 27 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 / عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 225 0

(2) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 353 – 354 0

(4) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 443 0

(5) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 / عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 225 0

(6) عبد العزيز محمود عبد الدايم : الصراع بين القوي المسيحية ودولة المماليك الجراكسة في مياه البحر المتوسط ، فصلة من كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، ص 214 0

الأنسجة الأوروبية	البندقية - جنوة	المغرب المريني	(1)

خيوط الغزل	جنوة – بيزا - البندقية	"	(2)
الفضة	البندقية - جنوة	"	(3)
خرز الزجاج	"		"
النحاس	البندقية – بيزا		"
القصدير	جنوة – البندقية		"
الرصاص	"		"
الجواهر والأحجار الكريمة	جنوة – بيزا - البندقية	"	"
الحرير	"		(4)
خيوط الغزل والمنسوجات المصبوغة	"		"
العطور-الخشب المصنع والخمور			"
السيوف	جنوة – بيزا - البندقية	"	(5)

ونستقي من هذا الجدول أيضاً السلع الهامة التي كانت المدن الإيطالية تصدرها للمغرب المريني ، فقد كانت المدن الإيطالية تصدر الأنسجة الأوروبية مثل المنسوجات المصنعة أو على شكل ألياف مثل أنسجة " أراس" و "شالون" ومناديل باريس و " بيربينيان" وملابس "

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 0/ محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 221 / Roland Oliver : Op.Cit.p.368.

(2) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 / عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 225 0/ Roland Oliver : Op.Cit.p.368

(3) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 221/ برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 443 / Amari : Op. Cit., p. 4 / Roland Oliver : Op.Cit.p.368.

(4) Roland Oliver : Op.Cit.p.368.

(5) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 0/ الزهري : المصدر السابق ، ص 78 0 / عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 327 0

بيزي" و"لانكدوك" ، وألياف بورغون ، وفساتين لومباردي ، وثياب الملف من فلاندرا وشمبانيا(1)، وصدرت المدن الإيطالية الأقمشة الصوفية والأقمشة الرفيعة مثل قماش "موناكشينو: و "مينيمو" والجوخ البندقي الناعم ذات اللون الوردي والبنفسجي والأزرق(2) ، كذلك وصلت الأصواف والأقمشة الأوروبية إلى تومبوكتو بالسودان الغربي عن طريق التجار المغاربة(3)0

والمصنوعات الزجاجية مثل خرز الزجاج والمصنوعات الحديدية والرصاص والقصدير والنحاس والفضة والأحجار الكريمة والجواهر ، فقد كانت جنوة وبقية المدن الإيطالية ترسل بانتظام الجواهر إلى سبتة ، حيث كانت تعيد توزيعها على الحواضر المغربية (4)، كذلك كانت بيزا تصدر الجواهر والحلي والمشغولات الذهبية الرائعة إلى حكام وسلاطين دولة بني مرين ، فقد نصت المعاهدة التجارية التي أُبرمت بين بيزا ودولة بني مرين عام 759هـ على أن تُعفى المجوهرات والحلي والمشغولات الذهبية والفضة من الجمارك إذا بِيعت إلى السلطان ،وإذا إمتنع القصر الحاكم عن شرائها فتكون قيمة ضريبة الجمرك على الواردات الإيطالية من الجواهر والحلي نسبة 5% (5)0

وصدرت المدن الإيطالية إلى المغرب المريني أيضاً الخشب المُصنع ، والحرير وخيوط الغزل من الكتان والصوف والقطن لمختلف الأقمشة والمنسوجات المصبوغة القيمة(6)0

وصارت جنوة أكبر مصدر للخمور لمدينة سبتة المغربية لاسيما بين عامي 1184 – 1294م فقد بلغت العقود التجارية نحو 22 عقداً لبيع الخمور الجنوية إلى سبتة وبلغت قيمتهانحو 116 ليرة ، فكان الخمر يتوجه إلى الجاليات المسيحية المقيمة بالفنادق والمدن التجارية (7)0 وجلبت المدن الإيطالية إلى بلاد المغرب الروائح والعطور و كانت تُحمل

----

(1) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 221 / Roland Oliver : Op.Cit.p.368.

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 540 / عبد القادر زبادية : نفسه ، ص 205 0 / مارك بلوك : المرجع السابق ، ص 16 0

(4) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 93 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 221 / Roland Oliver : Op.Cit.p.368.

(5) Amari : Op. Cit., p. 4

(6) Rland Oliver: Op. Cit.p.368.

(7) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 / عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 225 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 94 0

منها إلى بلاد السودان(1) فجنى التجار الإيطاليون من ورائها أرباحاً طائلة نظراً لشغف المغاربة والسودانيين وإستعمالهم المفرط في العطور 0

وكان يهود المدن الإيطالية يصدرون إلى بلاد المغرب النقود الفضية والجلود والحرير (2)، وكانت الأقمشة الأوروبية تصل إلى تومبوكتو(3) ، ومملكة سنغاي عن طريق التجار المغاربة إلى جانب التحف والكماليات التي كان يجلبها التجار الجنوية إلى بلاد المغرب (4)، كذلك صدرت بيزا السيوف الجيدة إلى بلاد المغرب ، وقامت بيزا وجنوة بتصدير القطن والكتان والنحاس والحرير إلى بلاد المغرب (5) 0

ونقلت سفن النقل البندقية قوافل الحجيج عبر قوافل بحرية من سبتة أو باديس إلى المشرق الإسلامي(6) ، أضف إلى ذلك كانت حركة السفن التجارية البندقية قد تزايدت في عصر بني مرين إلى موانئ سلا والمعمورة (المهدية) والعرائش وباديس(7) وآصيلا وطنجة وآزمور وموجادور ومليلة وسبتة والكدية(أركودية أو الخزامي Alhucemas) (8) 0

وكان التجار البنادقة يرسلون وكلاء تجاريون لهم لمزاولة التجارة بدولة بني مرين ، ففي وثيقة ترجع إلى 15 ربيع الثاني 764هـ/1فبراير1363م تتضمن احتجاجاً أُرسل من لدن أحد أعيان فلورنسا باسم بعض شركاء مؤسستين تجاريتين وهما كا كو(Cauco) وفيتوري (Vituri) من البندقية ضد عدد من الفلورانسيين الذين كانوا عملاء لهؤلاء في الديار المغربية، وفي مدينة أفينون (Avignon) الذين رفضوا أن يسددوا لهم حساباتهم (9)0

----

(1) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 200 0

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 443 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 540 / عبد القادر زبادية : نفسه ، ص 205 0 / مارك بلوك : المرجع السابق ، ص 16 0

(4) السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 74 / أمين توفيق الطيبي : دراسات في مدينة سبتة ، ص 50 0

(5) الزهري : المصدر السابق ، ص 78 0 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 / عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 327 0

(6) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 195 0

(7) لوتورنو : فاس قبل الحماية ، ج1 ص 115 0

(8) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 247 0

(9) عبد الهادي التازي : نفسه ، ص 175 ، وتلك الوثيقة عثر عليها الدكتور عبد الهادي التازي 0

وعلى الرغم من أن البنادقة كانت لهم تجارة هائلة ببلاد المغرب ، وكانوا مسيطرين تماماً على ميادين التجارة وأسواقها وذلك في القرن 13م، وأساطيلها القوية المتعددة التي بلغت نحو ثلاثة آلاف سفينة (1) وإتصلوا بحراً بجميع نواحي العالم وتاجروا في سلع كثيرة(2)0 ففي مايو عام 1225م حددت البندقية أيام الإبحار لمراكبها المتجهة إلى سبتة (3)، وصار الطريق الرابع التجاري للبندقية الأكثر حجماً حيث يبدأ من البندقية ماراً بصقلية ثم مالطة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر حتي الموانئ المغربية المطلة علي البحر المتوسط والمحيط الأطلسي (4) ، و من كل تلك الإمتيازات التجارية للبنادقة إلا أنهم لم يرتبطوا بمعاهدة تجارية رسمية مع دولة بني مرين فكانت تجاراتهم مع التجار المغاربة بدولة بني مرين تتم بصورة غير رسمية أو بصفة أهلية ، وأرجح بأن البنادقة اضطروا لذلك لأسباب جغرافية وإقتصادية منها بعد البندقية عن دولة بني مرين فكان البنادقة يتحصلون على جميع السلع التي تلزمهم من تونس الحفصية وتلمسان بني عبد الواد ، واستطاع البنادقة أن يفرضوا شروطهم بكل ثبات ويقبلها الحفصيون وبنو عبد الواد من أجل أسباب كثيرة ودليل ذلك كثرة المعاهدات التجارية للبنادقة والجنوية والبيازنة مع تونس الحفصية ودولة بني عبد الواد ،(5)

---

(1) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 66 / فايد حماد عاشور : المرجع السابق ، ص 43 ، 52 0

(2) طافور : المصدر السابق ، ص 174 0

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 55 ، 281 – 282 0

(4) Commandant Marc Antonio Bragadin : Histoire Des Republiques Maritimes Italiennes, Venies – Amalfi – Pisa – Genes, Paris 1955 p.151.

(5) أنظر الوثائق التجارية العديدة من قبل المدن الإيطالية مع تونس والمغرب الأوسط (بنو عبد الواد) Mas – latri : Op. Cit. p. 196, 199, 203, 206, 211. /، برنشفيك : نفسه ج1 ص 56 – 57 ، 97 0 أنظر أيضاً ، Amari : Op. Cit. p.83, 86, 98, 112, 123, 137, 151,

وأرى أن سبب ذلك هو عدم الإستقرار السياسي ببلاد المغرب المريني الذي كان سبباً في تسهيل أو زيادة التنافس بين الدول المسيحية ، فعندما كان يتولي أمير حكم دولة بصفة غيرشرعية أو بالقوة فإنه يكون على إستعداد للتفاهم مع الأوروبيين المنافسين لغيرهم من الأوروبيين الذين يُقيمون علاقات طيبة ، كما حدث مع الجنوية الذين ساعدوا بنو الأحمر علي حكم سبتة المرينية وضمها لحكمهم ودولتهم ، وأيضا حالة الحرب المستمرة بين الدولة المرينية وممالك أسبانيا النصرانية ، و المنافسة الشديدة من التجار القطلان الذين دافعوا عن تجاراتهم بالمغرب المريني وعملوا على إزاحة الوجود الإيطالي من المغرب المريني ، أضف إلى ذلك قِصَرْ طريق الذهب والرقيق الواصل من بلاد السودان عبر تلمسان وتونس الحفصية إلى موانئ البحر المتوسط عن الطريق الثاني المار بجنوب المغرب المريني الأمر الذي جعل المدن الإيطالية تتجه إلى تونس الحفصية ، والمغرب الأوسط ، وأخيرأ نسبة التسهيلات والإمتيازات العالية التي قدمتها تونس والمغرب الأوسط للمدن الإيطالية مما شجع الأخيرة على العدول عن المعاهدات التجارية الرسمية مع المغرب المريني ، ويؤكد ذلك أن المدن الإيطالية لم ترتبط مع دولة بني مرين بمعاهدات تجارية إلا في الوقت الذي سيطرت فيه دولة بني مرين علي المغرب الأدني والمغرب الأوسط وأصبحت هي التي تملك مفاتيح الحل والعقد في الأمور التجارية فكان لزاماً على المدن الإيطالية الإتفاق التجاري مع دولة بني مرين ، و أيضاً أنه بحصول المغربين الأدنى والأوسط على إستقلالهما من التبعية لدولة بني مرين سارعت المدن الإيطالية إليها لعقد المعاهدات التجارية بسرعة ،لذلك كانت التجارة البندقية مع دولة بني مرين تأخذ الصفة الأهلية ، فكانت التجارة بين البنادقة وكبار التجار المغاربة تتم في المدن الساحلية المرينية دون تدخل القصر المريني 0

11- أثر التجار اليهود المغاربة والإيطاليون في التجارة الخارجية :

تضائلت مكانة التجار اليهود في التجارة العالمية منذ الحروب الصليبية ، ومالوا إلى حصر نشاطهم في قرض الأموال ، غير أنهم في نفس الوقت واجهوا منافسة شديدة الوطء على يد التجار الإيطاليين (1) ،

فقد استولى يهود البندقية على كآفة الحوانيت والحانات والمخازن ، وصارت الحانات التي بخارج حى اليهود بالمدينة في قبضتهم ، كذلك سيطر اليهود على الأقاليم المجاورة للمدينة وتحكموا في حركة البيع والتجارة وصارت لهم اليد الطولى في تنظيم أعمال البيع وتصنيف السلع، واستولوا على ميدان المدينة والأماكن الموصلة إليه بكل مافيه من حوانيت ومخازن وحانات ، ، ولم يكتف اليهود بتواجدهم في الحي اليهودي المخصص لهم بل سيطروا على معظم أحوال المدينة التجارية ، أضف إلى ذلك أنهم إشتغلوا في إقراض الأموال بفائدة عالية مما جعل المواطنين البنادقة يشتكون مُر الشكوى من قيام اليهود بالإستيلاء على أموال الناس ولم يتركوا لهم مداخيل مالية ليعيشوا منها ، وتسلط اليهود على المواطنين الشرفاء ، وكان حاكم المدينة موالياً لليهود إذ أوضحت إحدى الخطابات أنه قدم لهم مرسوم يمنحهم التحكم في كآفة الحوانيت والحانات والمخازن بميدان المدينة والأماكن الموصلة له لكآفة أقربائه من عائلته ، وأما المواطنين البنادقة فلم يقدروا على أن يبيعوا أو يمتلكوا الحوانيت(2) ورغم أن هناك بعض المبالغات في هذا الخطاب إلا أن أعداد اليهود الإيطاليين كانت قليلة، لكن نفوذهم كان كبيراً للغاية لدرجة تحكمهم في إدارة حركة البيع والشراء بأسواق البندقية 0

----

(1) Lopez: Op. Cit.p.103,Doc.41.

(2) أنظر نص الخطاب [00 البندقية 27 أكتوبر 1412م 00 كما نعلم من الخطابات لدي النبلاء أن السيد لورينزو دوناتو Ser Lorenzo Donato حاكم ريتمو أن بعض المواطنين النبلاء والمستأجرين في الأقاليم حول ريتمو قدموا شكوي لحاكم ريتمو يشرحون فيها أن اليهود المحليين لم يرضوا بالفائدة والأرباح التي لاتُحصي التي يتحصلون عليها من المواطنين في نهاية الأجل ، وأن اليهود لم يتركوا شيئاً للمواطنين فقد إستولوا علي كآفة المداخيل المالية وصاروا المحترفين الوحيدين في التجارة والمال في المدينة والأقاليم ، فأصبح اليهود هم أرباب المال وسادة البلاد ، وإحتل اليهود ميدان ريتموا وما به من حانات وحوانيت ومخازن ، والأماكن الموصلة للميدان ، وفوق ذلك تعدي اليهود علي الشرفاء من المواطنين أهل البلد وكل الأشخاص الفقراء ، فاليهود هم المتحكمون في أعمال البيع وتصنيف السلع ونظم التجارة ، أما المواطنين أصبحوا غير قادرين علي أن يمتلكوا الحوانيت أويزاولوا أعمال البيع، وفقدوا دخلهم(=)

وتميز اليهود المغاربة بتعدد لغاتهم وثقافتهم وسافروا براً وبحراً شرقاً وغرباً فكانوا يجلبون من المغرب الخدم والغلمان والجواري والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من البحر الغربي إلى البحر الشرقي متجهين إلى بلاد الهند والصين فيحملون منها التوابل والمسك والعود والكافور والدار صيني وغيره ثم يعودون إلى الغرب بتلك السلع فيبيعونها هنا وهناك (1) وهم يعبرون مضيق جبل طارق إلى إسبانيا ويعودون منه إلى طنجة مجتازين المغرب الأقصى والأوسط والأدنى إلى بلاد المشرق (2) ، وتوغلوا في بلاد المغرب الجنوبية في تافيلالت وتوات وسجلماسة تلك البلاد الثرية بالتبر والذهب المجلوب من بلاد غانا ، لذا كانت اليهود تتجمع في عائلات بتلك المناطق ، وكان لها مراكز تجارية يهودية لتجارة الأقمشة لكل أنحاء بلاد المغرب (3) ، وكان الطريق المؤدي من فاس إلى سجلماسة ثم إلى تومبوكتو وموريتانيا هو طريق الذهب والرقيق ويسمى طريق اليهود ، فيحمل اليهود المنتجات المغربية إلى بلاد السودان ويأتون منها بالرقيق والذهب والمنتجات السودانية ، وشَكَّل اليهود طائفة كبيرة بسجلماسة استطاعت أن تمارس التجارة مع بلدان وسط أفريقيا ومصر والهند وبلدان ساحل النيجر ، وكان لليهود بها النصيب الأكبر في التبادل التجاري(4)، فكان للتجار اليهود دور قوى من التجار النصارى في المجال التجاري لكثرة حركتهم وتغلغلهم

(=) المالي ، وبإعتبار أن حاكم المدينة هو المنظم لشؤون المدينة إلا أن اليهود تحكموا في كل أنحاء المدينة والأقاليم فإمتلكوا الحوانيت والمخازن والحانات خارج حي اليهود ، وكم كانت الخسارة والأذي والظلم الذي عاني منه المواطنين علي يد اليهود فيما سبق ذكره ، ويبدوا لعمل الإحتياط من هذا الإحتكار اليهودي أن إكتشف أحد الشخاص إمتياز ترخيص مؤسسة تجارية تم توقيعه بيد السيد ماركو مارسيللو Ser Marco Marcello عندما كان حاكماً لمدينة ريتمو إلي أحد اليهود السالومون Salomon ابن لازاروس son of the late Lazarus ,son of Mair Jew وكل أبنائه وبناته وبنات بناته ومن ينحدر من سلالته بواسطة هذا الترخيص له الحق في الإحتفاظ باي حوانيت أو حانات أو مخازن في ميدان المدينة والأماكن الأخري خارج حي اليهود 00 [Lopez : Op. Cit. Doc,39,p. 104 – 105.

(1) ابن خردازبة : المصدر السابق ، ص 153 – 154 0 / Lopez : Op. Cit. p. 31 – 32.

(2) ابن خردازبة : نفسه ، ص 154 – 155 0 / ابراهيم حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، 1983 ، ص 201 0

(3) Dufourcq : Op. Cit. p. 141.

(4) Ibid, / Roland Oliver : Op. Cit. vol, p. 366. / حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ت0 أحمد شملان ، الدار البيضاء ، دار الثقافة 1987 ، ص 11 0

داخل المجتمعات الإسلامية والمدن المغربية والصحراوية مما شجع على ازدهار التجارة بدولة بني مرين وتزايد مواردها المالية بفضل التجارة والتجار اليهود لاسيما تجارة المرور والرسوم الجمركية (1) ، فكانت العائلات اليهودية مرتبطة معاً بعلاقات دينية وتجارية مما سهل تدفق التجارة لاسيما الذهب من بلاد السودان عبر بلاد المغرب الأقصى إلى أوروبا ، وكان لليهود دور هام في مسالة تحرير الأسرى المسلمين والمسيحيين وعَملْ جسر ما بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، وإجتذبوا عطف ملك أراجون خايم الأول عام 1274م الذي مَدَّ يد الرعاية إلى يهود سجلماسة و الذين لقوا الرعاية أيضاً على يد بني مرين (2) 0 لذا عمل المسلمون والمسيحيون واليهود معاً في تجارة البحر المتوسط في العصور الوسطى ، وكان التعاون على أسس غير رسمية ، ويبدو التعاون في شكل مرور السلع والمعلومات بين مختلف مجموعات التجار ، فهناك تاجر يهودي يكتب من الأندلس إلى مراكش في عام 1138م قائلاً أنه تلقى معلومات من تجار مسلمين وصلوا من الإسكندرية لتوهم ، وهناك تاجر جنوي أبحر من سبتة وتوقف في أحد موانئ الأندلس للحصول على أخبار التجار المحليين عن شروط الإتجار العادية في شمال أفريقيا (3) ،

واستقل التجار اليهود المغاربة المراكب والسفن الجنوية والبندقية في تنقلاتهم التجارية لما لهاتين الدولتين من دور كبير في حماية طرق المواصلات بالبحر المتوسط الغربي (4) ، أكثر بكثير من الحماية الإسلامية لليهود التجار ، وبذلك كان التجار اليهود المشتغلين بتجارة

----

(1) الشيخ الأمين : العلاقات بين المغرب الأقصي والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين ، مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي ، جدة 1979 ، ص 165 0 / عاشور بو شامة : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، [626 – 981هـ] رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الأداب ، جامعة القاهرة ، 1991 ، ص 350 0 / عطا علي محمد شحاتة ريه : المرجع السابق ، ص 167 0 / Roland Oliver : Op. Cit. p. 366

(2) Roland Oliver : Op. Cit. p. 366.

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 122 0

(4) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 749- 750 0 / نعيم زكى فهمى : نفسه ، ص 178 – 0179 / عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم إجتماع المعرفة ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 60 ، 1982 ،ج1 ص 18 0 0 Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p 313 – 410 / Commandant Marc Antonio Bragadin : Op. Cit. P. 151

الذهب من شتى بلاد المغرب والأندلس يلتقون في ميورقة الأراجونية حيث كانت العائلات اليهودية تجتمع هناك والتي ترتبط بأقاربهم ببلاد المغرب ، وهم يهود نصف أفارقة في أصولهم Les Balears وهم المتمركزين في جزر البليار حيث ينتظرهم أقاربهم في كل محطات التجارة لاسيما طرق التجارة الموصلة للذهب والتي كانت إسبانيا النصرانية في أشد الحاجة إليه ، ومن هؤلاء اليهود الأفارقة أواخر القرن 14م أبراهام ويهوذا Abraham و Yudas Gresques اللذان يعرفان اللغة العربية وبعض العلوم الإسلامية ، واستطاعا رسم خرائط دقيقة للغاية للأودية المتجهة نحو بلاد السودان وهي بلاد الذهب ، وشارك هذان اليهوديان من عائلة Gresques غيرهم من عائلة يهودية أخرى هي Dulcert في إثبات أن الطريق كانت من مدينة مراكش إلى وادي درعة أصعب من تلمسان إلى وادي درعة ، المتجهة إلى سجلماسة (1) ، لذا كان يهود سجلماسة يشكلون مع يهود ميورقة عنصراً هاماً في تجارة الذهب من بلاد السودان عبر المغرب المريني والأوسط إلى أوروبا المتعطشة للذهب آنذاك 0

----

(1) Dufourcq : Op. Cit. p.142 – 143.

الفصل الثالث : أحوال التجار المغاربة والإيطاليين 0

أولاً : التجار المغاربة 0

1- صفات التجار 0
2- طبقات التجار 0
3- التجار و الجاليات المغاربية بالمدن الإيطالية 0

ثانياً : التجار الإيطاليين 0

1- صفات التاجر الإيطالي 0
2- الجاليات الإيطالية بالمغرب المريني 0

الفصل الثالث :

أحوال التجار المغاربة والإيطاليين 0

أولاً : التجار المغاربة 0

1- صفات التجار :

كان **التجار المغاربة المسلمون** لاسيما المشتغلين بالتجارة الخارجية يجيدون التحدث بعدة لغات أجنبية كما يذكر ابن جبير [00 وهبط واحد من المسلمين ممن يحفظ اللسان الرومى (عند جزيرة سردينيا) 00] (1) ، وكان المغاربة ذو سمعة طيبة ، واتصفوا بالمهارة الفائقة في الملاحة (2) وتواجد الكثير منهم بالموانئ المسيحية بكثرة فكان لزاماً على التاجر المغربى إجادة اللغة الإيطالية (3) ، واتصف التاجر أيضاً بالوعى الكامل فى شئون التجارة لاسيما أنواع السلع التى تعم فائدتها ويحتاجها جميع طبقات الشعب إلى جانب السلطان (4) ، وكانت قيمة السلعة المنقولة من بلاد السودان أو المدن الإيطالية إلى بلاد المغرب ترتفع لقلتها وزيادة الطلب عليها فترتفع قيمتها وأثمانها ويزيد مال التاجر، فكان أرفه الناس وقتئذ ، لذا كان التاجر يجوب بلاد السودان والمدن الإيطالية سعياً وراء المال والترف(5) 0وفئة التجار المغاربة كانت من أكثر الفئات التجارية الإسلامية اتصالاً بمصر ، فقد مونوا أسواق مصر بسلع شمال وغرب ووسط أفريقيا ، وأحياناً من أوروبا ، وجلبوا معهم الذهب وكانوا يدفعون أثمان سلعهم بالذهب (6) ،

واتسم التاجر المغربى بصفات عديدة مثل شدة المماحكة والجرأة على الخصومة ، والإقدام على الحكام ، والبصيرة بالحسبان ، وذلك ليتفادى تعطيل تجارته والخسارة الناجمة من أكل

----

(1) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 9 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 69 – 70 0

(2) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 448 0

(3) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 69 – 70 / . Dufourcq : Commerce du Maghreb …, p. 177 0

(4) ابن خلدون : المقدمة ، ص 422 0

(5) نفسه: ص 422 – 423 0

(6) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ، ص 305 0

الناس لأمواله وبالتالى كان يتفادى عوارض حرفته ويتحصل على أرباحه (1) 0

فالتاجر كان لا يجد حرجاً في المشاركة في الإحتفالات السلطانية (2)، لكي يحصل على إمتيازات تجارية أو إعفاءات من اللوازم المخزنية ، كذلك شارك التاجر المغربى فى حركة الجهاد الإسلامى ضد المغيرين على البلاد الإسلامية ببلاد المغرب وبلاد الأندلس، ففى عام 633هـ/1234م (عرف عند أهل سبتة بعام جنوة) دافع التجار المغاربة إلى جانب أهل سبتة ضد المغيرين الجنوية الذين دخلوا سبتة تحت ستار التجارة وأرادوا الاستيلاء على سبتة ففطن المغاربة لذلك فقاموا بقتلهم وطردوا البقية الباقية منهم مهزومين ، (3) كذلك فى عام 678هـ/1280م شارك التجار المغاربة في الحرب والجهاد ضد نصارى إسبانيا (4) 0

واتصف التاجر المغربى المسلم بحسن المعاملة والقدوة الحسنة فإلى هؤلاء التجار يرجع الفضل في إمتداد الإسلام فيما وراء الحدود ، إلى جانب توحيد عالم الإسلام ونشر دينه وثقافته وحضارته ولغته (5)، واتسم التاجر المغربى صاحب التجارة الخارجية بقدرته على ادارة التجارة ذات المسافات الطويلة بكفاءة عالية كذلك تحمله لعبء الاحتكاك الاقتصادى ما بين المدن الإيطالية و بلاد المغرب فى حوض البحر المتوسط (6)0

أما عن ملابس التجار فكانوا يرتدون ملابس سوداء أو زرقاء أو ملونة بلون آخر ، طويلة من الصوف المنسوج ، وتصل هذه الملابس إلى منتصف الساق وذات أكمام نصفية ضيقة ، ويرتدي بعضهم قمصاناً من الصوف أو الحرير أو يرتدون رداءً من الصوف أو الحرير أو

----

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 421 – 422 ، 425 0

(2) المقري : أزهار الرياض ، ج 1 ص 39 – 43 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 138 / عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 226 – 227 / عبد الأحد السبتي - حليمة فرحات : المدينة في العصر الوسيط ، قضايا ووثائق مت تاريخ الغرب الإسلامي ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولي ، الدار البيضاء ، 1994م ص 51 0

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 350 [00 وذلك أنهم (الجنوية) لما وصلوا الي سبتة في مراكبهم برسم محاولات تجاراتهم فإجتمع منهم في ديوانها وربضها عدد كثير ، فراموا التغلب عليها بتحيلاتهم وإراداتهم فخيب الله سعيهم فيما راموه من التحيلات 00 وعند خروج ولد صاحب سبتة اليهم فهم النصاري أن الدائرة عليهم 000 فقتل النصاري في ذلك اليوم قتلاً ذريعاً] 0

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 331 [00 وركب فيها تطوعاً برسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والتجار 00 وذلك في عهد السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق المريني 00] عام 678هـ/1280م 0

(5) أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 367 0

(6) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 169 0

من الصوف والحرير معاً وذلك بدلاً من المعاطف (1) 0

واتصف التاجر المغربى بالنبوغ في التجارة لاسيما عندما كان يتاجر في التوابل والأعشاب التي تشمل العقاقير والعطور والأصبغة ولواذع كاوية ، فهى سلع تفي متطلبات التاجر وتمثل البضاعة المثالية ، فهى بضاعة خفيفة الوزن وصغيرة الحجم وسعرها مرتفع وطلبها كثير وطريقة الحصول عليها ممكنة (2) 0

وكان هناك من التجار من استثمر أمواله الطائلة في مشاريع تجارية كانت تدر عليه أرباحاً طائلة متجددة ، وهناك من إستخدم أرباحه في بناء القصور والبيوتات المنمقة والمنازل الفارهة ، وفي شراء العقارات (3) 0 وكان هناك نوع من التكافل الاجتماعي بين التجار ، فكان التجار الكبار يتعاونون لحل ومواجهة مشاكل الضرائب أو الكوارث التى كانت تحل بالسلع أو بالمال ، فقاموا بإعداد صندوق كان كل تاجر يلتزم بإيداع درهم واحد عن كل شُقة تُباع ، وتجتمع الأموال عندئذ وتُصرف للتجار الذين تعرضوا للكوارث أو مواجهة ضرائب جديدة مستحدثة (4) 0

أما صفات التاجر **المغربي اليهودي** فهي عديدة ، وكانت تماثل مميزات التاجر المغربى المسلم، فالتاجر المغربى اليهودى محترف لديه خبرات عديدة وصفات هائلة تؤهله للقيام بأعمال التجارة على أكمل وجه وبدور كان يماثل كل من التاجر المسلم والتاجر المسيحى ، فقد أجاد التاجر اليهودى المغربى اللغات العربية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والسلوفاكية، وسافر شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً براً وبحراً(5) وأجاد عمليات الصرف أو القرض الرهنى والكمبيالة (الكمبيو) ، واشتغل وسيطاً بين المسلمين والمسيحيين لفك أسرى المسلمين ببلاد النصارى ، وامتلك البنوك العديدة (6) ، وكانت معرفته بالطرق المغربية معرفة فائقة

---

(1) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 175 0

(2) أوليفيا : المرجع السابق ، 233 0

(3) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 159 – 160 0

(4) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 45 0 / رابح بونار : القاضي سعيد العقباني التلمساني ، مجلة الأصالة ، عدد 6 السنة الأولي ، الجزائر ، 1972م ، ص 65 – 72 0 / فياض : المرجع السابق ، ص 132 0

(5) ابن خردازبة : المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت طبعة ليدن 1889 ، ص 153 – 154 / Lopez : Op. Cit. p.31- 32.

(6) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 443 0

وخطوط المواصلات لاسيما الأودية المتجهة نحو بلاد الذهب، أضف إلى ذلك إرتباط عائلات اليهود ببعضها البعض في تكوين شبكات إتصالات لتسهيل أمور التجارة(1)، فكان رسول كل جماعة يهودية خاصةً المتمركزين في المرافئ المغربية يستشعر قدوم القوافل التجارية والسفن الإيطالية وغيرها ومعرفة الشحنات والسلع وأنواعها، ويتعرف على المسئولين عن المخازن بالفنادق الذين كانوا يتولون حفظ السلع، وأيضاً كان لكل جماعة يهودية قاضٍ يحكم في معاملاتهم التجارية، وكان يسمى الناجد ، وكان هذا المنصب منتشرًا فى القرن 13م ، وكان تطورًا خاصًا بالجماعة اليهود ، فكان الناجد يقوم بتعيين ممثل قانونى لورثة التاجر المتوفى لكى يعتنى بمسألة حفظ حقوق التاجر المغربى اليهودى بعد وفاته وتوزيع الميراث وتعيين مقدار وقيمة الأموال والسلع ،وكان يقوم بتعيين مراقب للأسواق والأسعار وسائر المعاملات التجارية(2)0

وكان القاضى اليهودى يفصل بينهم شرعاً ويقوم بتوزيع ما يؤدونه للأمير (3) ، والتاجر اليهودي كان أكثر إلحاحاً على المشتري ، فلا يستطيع أن يتخلص منه إلا بعد عناءٍ كبير عكس التاجر المسلم ، وكان الجلاس اليهودي لاسيما تجار الأحذية (القراقر) أسوأ التجار سلوكاً(4)0

ومن هؤلاء التجار اليهود المغاربة التى تحدثت عنه وثائق الجنيزة [ما بين عام 1133 – 1148م] التاجر أبو ذكرى جودة كوهين السجلماسي وكان من سجلماسة ببلاد المغرب الأقصى وكان وكيل التجار اليهود بالفسطاط وكان مندوب التجار المغاربة وامتد نفوذه إلى الهند، وقام برحلات طويلة إلى الهند، وكان يحتفظ بروابط متينة بموطنه بالمغرب الأقصى(5)0

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p. 142 – 143.

(2) G0itein : A Mediterranean Society, An Abridgment in One Volume , Revised and Edited by Jacob Lassner , Los Angeles,1999,p. 193 / قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص 41 ، وعن وظيفة الناجد بالتفصيل ، أنظر ، ص 39 – 45/ موريس لومبار : المرجع السابق ، ص 313 0

(3) لوتورنو : فاس قبل الحماية ، ج1 ص 113 0

(4) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ت0 عادل زعيتر ، مكتبة مصطفي البابي الحلبي ، القاهرة 1966 ، ص 365 – 366 / عطا علي محمد شحاته ريه : اليهود في المغرب الأقصي في عهد المرينيين والوطاسيين ، الطبعة الأولي 1999 دار الكلمة دمشق، ص 158 – 159 0

(5) جواتيا ين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 464 / وتحدثت عنه وثائق الجنيزة ما بين عام 1133 – 1148م / زبيدة محمد عطا : اليهود فى العالم العربى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ج1 ص 190 0

والتاجر اليهودى له واجب ديني كما عند التاجر المسلم والتاجر المسيحى أثناء سفره، فكان يقوم به ،فهو لابد أن يتوقف عن العمل يوم السبت ، لذا عندما كانت مدة السفر تزداد عن ستة أيام كان لابد أن يطلب من القافلة التوقف يوم السبت عن المسير ، لذلك إما أن يتخلف عن القافلة أو يتعجل المسير ليلحق بمقدمتها ، وكانت القافلة التي يرأسها تاجر يهودي غني تتطلب قافلة حراسة خاصة، وكانت مكلفة للغاية وفي تلك الحالة يستطيع أن يأمر القافلة بالتوقف يوم السبت وذلك كما ورد في أوراق الجنيزة وتلك العادة استمرت حتي القرن 19م (1)،وكان هناك نوع من التجار اليهود المغاربة الذي تكبد المشاق والعناء وكان يسمى التاجر السواقة أو الدوازة، فكان يخرج غداة عيد الفصح من بلده ويتجول ببضائعه عبر القرى والمدن والبلاد البعيدة لبيعها أو لجمع أمواله، ثم يتوقف في عيد رأس السنة ثم يزاول نشاطه التجارى بعد عيد المظلات حتى عيد الفصح من جديد ، وهذا النوع من التجار اليهود المتجولين كان موجوداً بإقليم جزولة وغيرها بالمغرب الأقصى المرينى (2) 0

وقد استفاد التاجر اليهودى المغربى من خبرات التاجر اليهودى الإسبانى لاسيما بعد عام 794هـ/1391م عندما إندلعت ثورة ضد اليهود بإسبانيا النصرانية فهرب التجار اليهود منها إلى دولة بني مرين وكانت أعدادهم كبيرة وتميزوا بخبرات عالية في التجارة العالمية الأمر الذي جعل سلاطين بني مرين يحسنون إليهم للاستفادة من خبراتهم ومن رؤوس أموالهم(3)، فقد لعب التجار اليهود دوراً حقيقياً في الوساطة في غرب البحر المتوسط حتى القرن الحادى عشر الميلادى ثم تعايش المسلمون والمسيحيون واليهود بعد ذلك في بعض الحالات وفي نفس المدن كما في ميورقة ومونبلييه وجزر البليار وسردينيا وقطالونيا وأراجون وأجزاء من جنوب فرنسا ، والمدن الإيطالية ،وسبتة، ومن تلك المناطق كان التوغل الكثيف لحركة التجارة مع شمال غرب أفريقيا (4) ، لذلك كان المسلمون المغاربة يطلقون عليهم قبل القرن الحادى عشر الميلادى تجار البحر(5)، وقدم هؤلاء التجار اليهود المغاربة خبراتهم للتجار

----

(1) صابر دياب : المرجع السابق ، ص 68 0

(2) حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ت0 أحمد شملان ، الدار البيضاء ، دار الثقافة 1987 ص 25 / عطا علي محمد شحاتة ريه : المرجع السابق ، ص 162 0

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 433 0

(4) داوود أبو العافية : المرجع السابق ، ص 26 – 27 0

(5) أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 370 0 / مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 149 0

المغاربة المسلمين ممن يتجهون إلى بلاد السودان وكانوا يأخذون تعويضاً عن خدماتهم كثيراً ما كان يتعدى أضعاف رأس المال وكان الحب المتبادل للمنفعة المتبادلة بينهما (1) ، وامتد نشاط التجار اليهود المغاربة إلى الأقطار الخارجية لعقد الصفقات التجارية مع ذويهم من اليهود وغيرهم ، ففي سبتة (2) كان النشاط التجارى لليهود كبيراً للغاية ، فكان لليهود السبتيين علاقات دبلوماسية وتجارية سهلت لهم العلاقات التجارية مع الجاليات اليهودية الجنوية (3)0

2- طبقات التجار المغاربة 0

كان بالمغرب المريني ثلاث طبقات أساسية من التجار ، أولهما: التاجر الخزان Stapler الذي كان يترصد وقت كثرة ورخص أسعار السلع فكان يقوم بتخزينها وحفظها في المخازن بطريقة محكمة وهذا النوع من التجار كان لديه معارف ومعلومات كثيرة عن البضائع وأماكنها وكثرتها وأسعارها وسلامتها ، وكان يترقب أحوال الدولة خوفاً على أمواله من الضياع ويعرف بتاجر الجملة ، وثانيهما: التاجر الرقاد Rakkad، وهو التاجر المتجول ،الذى كان يتجول في البر والبحر سعياً وراء تجارته وأرباحها وكان يتسم بالحيطة على تجارته وأسعارها ولديه قائمة أسعار السلع بشتى المدن والمناطق الداخلة في دائرة تجارته بسائر البلدان ، وثالثهما: المجهز Mujahhiz وهوالتاجر المصدر الذي كان يقوم بتصدير السلع وكان يقوم بتوكيل تاجر مسافر ينوب عنه في مباشرة أعمال التجارة ويسمى وكيل المجهز، وهو شخص أمين له خبرة في التجارة يتولى أعمال البيع والشراء وله حصة في الربح (4) 0

----

(1) مسعود كواتي : نفسه ، ص 143 0

(2) إعتبر اليهود أن سبتة إحدي أقدم مدن العالم اليهودي ، وقد أرتبط وجود اليهود بسبتة بالنشاط التجاري والعلاقات التي نسجها اليهود مع الجاليات اليهودية الأخري بحوض البحر المتوسط فقد كانت هذه العلاقات التي تربط اليهود ببعضهم تسهل وتمهد العلاقات التجارية الي حد كبير وتعمل علي سيولة الحركة التجارية وتوزيع السلع ، أنظر محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 117 0

(3) بنيامين التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 0

(4) الدمشقي : الإشارة إلي محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، الطبعة الأولي القاهرة 1977 ، ص 70 - 75 0 / أوليفيا : المرجع السابق ، ص 101 0

وأما **فئات التجار** ، فكان هناك **فئة كبار التجار** ، وهم الذين تخصصوا في التجارة الخارجية، وكانوا بمرتبة أرقى وأنشط طبقات التجار ، وكان لهم تأثير سياسى وإقتصادى وإجتماعى خطير بالمجتمع المغربى ، فكان لديهم القدرة على توجيه القرارات السياسية وفق مصالحهم الخاصة ، وكانوا يتواجدون بالمدن الكبرى مثل فاس وسبتة وآصيلا وسلا ومراكش وباديس وأنفا وطنجة ، وكانت الأموال الوفيرة تتراكم لديهم، فكان المجتمع والمدينة يتأثروا بذلك لاسيما المنشآت المدنية والدينية ، فتزدهر المدن طبقاً لكثرة فئة كبار التجار بها (1) ، ويذكر ابن سعيد المغربى عن أحوال مدينة سبتة وتجارها الأغنياء [00 وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة 00] (2) ، لذا ظهرالعديد من المنشآت المعمارية الكبرى بالمدن المغربية على يد كبار التجار مثل المدارس والمخازن والمساجد والمعالم العمرانية الكبرى بالمدن(3) 0

وتواجد كبار التجار أيضاً بالمدن الإيطالية خاصةً مدينة بونية حيث ذكر الحميري وجود نحو 400 تاجر من التجار المسلمين الأغنياء لهم تجارة نافذة وثروات هائلة ويقصدهم التجار والحجاج [00 وفيها من المسلمين تجار أغنياء عددهم أزيد من أربعمائة ولهم مبانٍ سَريَّة ومتاجر قوية، ولذلك صار المتوجهون من التجار والحاج إلى رومة لابد لهم من بونية 0](4)، وتشير السجلات الكثيرة في جنوة في القرن 12م إلى إشارات للزوار المسلمين كانوا يتوافدون على جنوة (5) ، وكان كبار التجار المغاربة على صلة مستمرة بأسواق مصر حيث جلبوا السلع المغربية وأحياناً الأوروبية والذهب إلى أسواق مصر وكانوا يدفعون ثمن سلعهم بالذهب الذي يجلبونه معهم من بلاد المغرب(6)0

----

(1) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 8 ج1 ص 201 0 / الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 30 ، 34 ، 38 – 40 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 129 – 131 0

(2) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 139 0 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 130 0

(3) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 8 ج1 ص 201 0 / الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 30 ، 34 ، 38 – 40 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 130 – 131 0

(4) الحميري : المصدر السابق ، ص 116 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 176 0

(5) داوود أبو العافية : المرجع السابق ، ص 26 0

(6) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 305 0

وكان التجار المغاربة يتاجرون بالبندقية، فقد كانت سفن البندقية تحملهم إلى البندقية للتجارة(1) 0

وتمدنا المصادر التاريخية المعاصرة بالعديد من التجار البارزين والذين تخطت أعمالهم التجارية موطنهم ، وصنعوا شهرة كبيرة في عالم التجارة فعلى سبيل المثال كان هناك اليانشتي (*) و ابن خلاص (*) وهما من أكبر وأغنى تجار سبتة ، وأبو طالب العزفى (*) الذي كانت له علاقات تجارية خارجية واسعة مرتبطة بدول البحر المتوسط وكان يملك الربع في سفينة قطلانية (2) ويذكر ابن سعيد المغربى تزايد ثرواتهم [00 وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه 00] (3) وابو الحسن الشارى(*) الذي كان من كبار التجار

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 329 0

(*) اليانشتي : هو الحاج أبو العباس أحمد بن محمد اليانشتي من أكبر التجار بسبتة وذو مروءة ويسار تولي حكم سبتة عندما خرج أهل سبتة علي الخليفة المأمون الموحدي عام 630هـ ، فقاموا بمبايعة اليانشتي لحكم سبتة عام 630هـ وتسمي بالموفق فقام بأمرهم خير قيام الي عام 634 هـ وعندما تولي الخلافة الخليفة الرشيد الموحدي خاف أهل سبتة من الخليفة الرشيد فقاموا بالقبض علي اليانشتي وابنه ومبايعة الخليفة الرشيد ، وبوفاة الخليفة الرشيد عاد اليانشتي الي حكم سبتة مع أبنه أبو الحسن الذي كان قائد الجند ، وشهدت سبتة في عهده حادثة إعتداء جنوة علي سبتة عام 633هـ وقام اليانشتي وإبنه أبو الحسن بطرد الجنوية المعتدين وعندما عاد الجنوية مرة اخري للإعتداءعلي سبتة في نفس العام قام اليانشتي بالدفاع عن مدينته سبتة خير قيام إلا أنه عقد الصلح مع الجنوية ودفع لهم تعويضاً مناسباً من مال المخزن بسبتة عما خسروه في عام 633هـ وعرف ذلك العام في عهده بعام جنوة 0 انظر ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 294 ، 344 - 345 ، 350 0 وهناك معلومات أخري عن نشاط اليانشتي التجاري بمدينة سبتة ، فقد سكن في زقاق القاضي أبو عبد الله التميمي وهو زقاق الأكابر عند أهل سبتة وأنه كان من كبار التجار وقد شيد حماماً مشهوراً منسوب لإسمه حمام اليانشتي ، كذلك كانت له مخازن كبيرة لتخزين الحبوب والزرع عرفت بإسم جنة اليانشتي وهي سبعة مطامير في أعالي بلدة سبتة أنظر الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 36 – 38 ، 46 0

(*) ابن خلاص : هو ابو علي ابن خلاص البلنسي ولاه الخليفة الرشيد الموحدي عام 635هـ علي سبتة وبموت الخليفة الرشيد الموحدي قام ابن خلاص بمبايعة السلطان الحفصي أبو زكريا في عام 640هـ وأرسل هدية الي السلطان أبو زكريا الحفصي عبارة عن غراب (مركب) جديد به هدية كبيرة مع إبنه ولكن الغراب غرق بالهدية وبإبنه وذلك في عام 643هـ 0 انظر ابن عذاري : المصدر السابق ، ج5 ص 353 ، 378 0

(*) أبوطالب العزفي : هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي اللخمي المكني بابي طالب أحد اسرة بني العزفي الذين حكموا مدينة سبتة في بداية عهد بني مرين ، تولي حكم سبتة عام 678هـ وخُلع منها عام 705هـ وتوفي بفاس عام 713هـ وكان من كبار التجار الأثرياء بسبتة ، انظر ابن القاضي : المصدر السابق ، ج1 ص 245 0

(2) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 129 0

(3) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 139 0

(*) ابو الحسن الشاري هو علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيي الغافقي من اهل سبتة وولد بها عام 571هـ ومات في عام 649هـ بمالقة يعرف بالشاري نسبة شارة فليين معقل بشمال مرسية بالأندلس ، وهي أصل سلفه ، وكان ماله وثروته وافرة لإشتغاله بالتجارة عن طريق وكلاؤه [00 لم يباشر قط ديناراً ولا درهم ، إنما كان يتصرف له في ذلك وكلاؤه 00] أنظر ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 8 ، ج1 ص 198 – 201 0 وقد شيد الشاري بسبتة مدرسة ومكتبة من ماله الخاص ، انظر الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 30 ، 32 0

الأغنياء ، وأسرة بني العزفى التي استمرت في ممارسة التجارة على نطاق واسع (1) ، ومحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى البلنسى الذي كان مقرئاً بمسجد سويقة سرذينة بسبتة ، وكان تاجراً ذا مال وفير واشتغل بالتجارة بقيسارية سبتة مع إبنه ، وذات مرة أعطى إبنه مالاً كبيراً للتجارة غير أنه غرق بالمال ثم توفى عام 655هـ [00 كان من ذوي اليسار والجِدَّة متحرفاً بتجارة يديرها بقيسارية سبتة 00 وأبضع مع إبنه مالاً جسيماً فغرق معه00](2) 0

أما **الفئة الثانية فهى فئة التجار المتوسطين و صغار التجار** الذين كانوا يتزودون بالسلع من قِبَلْ كبار التجار مثل السلع الإستهلاكية اليومية التي يبيعونها في حوانيتهم المنتشرة في المدن والقيساريات والأسواق ، وهناك بائعو التقسيط المزاولين لنشاطهم في الأسواق وأيضاً أهل الحرف والأسواق(3) 0

وكان هناك أيضاً العديد من صغار التجار الذين امتهنوا مهناً أخرى بجوار التجارة ، كمحمد بن إبراهيم الغساني التلمسينى بآسفى إحترف التجارة في قيسارية آسفى ، فكان له حانوت يتاجر فيه بعد أن ينتهى من مجلسه في تدريس الآداب والسير واللغة ، توفى في جمادى الأولى عام 663هـ (4) ، وعدى بن على القيسى اشتغل بالتجارة في البضائع وكان شديد الإحتياط فيها والتحرز من مواقعة خلل يدخل عليه بسببها (5) ، وعلي بن محمد الحضرمى الذى درس شتى العلوم للطلاب وفى نفس الوقت زاول التجارة في الأوانى الخشبية متردداً بين سبتة وفاس ومراكش ورندة ، وعلي بن أحمد الأزدى كان عطاراً بمدينة سبتة (6) ،

----

(1) الأنصاري السبتي : المصدر السابق ، ص 37 ، 41- 43 0 / المقري : المصدر السابق ، ج1 ص 39 – 40 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 131 0

(2) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، سفر 6 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، (د ت) ص 341 0

(3) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 132 0

(4) ابن عبد الملك المراكشي: نفسه ، سفر 8 ، تحقيق محمد بن شريفة ، ج1 ص 270 0

(5) نفسه ، سفر 5 ، تحقيق إحسان عباس ، ج 1 ص 141 0

(6) نفسه ، سفر 5 ، تحقيق إحسان عباس ، ج 1 ص 182 0

أما **الفئة الثالثة وهم التجار المغاربة اليهود** الذين كانوا من نفس النسيج المغربى ، هؤلاء اليهود كان لهم دور هام في الحياة التجارية منذ عهد الموحدين ،فكانوا يبحثون عن الثراء مثلهم كمثل الإيطاليين ، فكانوا ينتهجون طرقاً عديدة دون أى إرتباط بأى أمور تشريعية، وكان همهم الأول هو جمع الأموال ، فيذكر صاحب الإستبصار [00 وأما الآن فهم (اليهود) تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤهم وخاصة بمدينة فاس ، فإني عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجالاً كثيرين 00] (1) ، كذلك كان كبار التجار اليهود فى مصر يتحكمون فى أمور البلاد السياسية والتجارية معًا ، مما جعل أحد الشعراء يشتكي من سطوتهم لاسيما الوزير أبو سعد التسترى(كان يهوديًا ثم أسلم فى عهد الفاطميين) فكتب الكثير من الأبيات منها :

يهود هذا الزمان قد بلغوا *** غاية آمالهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهمُ *** ومنهم المستشار والملك

ياأهل مصر إني نصحت لكمُ *** تهودوا قد تهود الفلك (2)

وقد ظهرعلى اليهود أعمال الغش والتدليس في آخر عهد الدولة الموحدية ، فقامت بعقاب اليهود [00 وقد تنبه لهم الأمر العالي سنة 582هـ فلبس المرتشون وشوش المشوشون وخوف المفتشون فأرجأ القدر السابق هذا إلى أمد عزهم وإبتداء نكستهم إن شاء الله وذرهم وهي سنة 571هـ، والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود في هاتين الحرفتين الرذيلتين (الكنافون والبناؤن) كونهم محبين في سكنى بلدهم للإكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها باباً لمعدنه فهم يعاملون التجار به ليخدعوهم بالسرقة وأنواع الخداع 0](3)، ويتضح من النص أن اليهود كانوا محبين لجمع المال سواء بقرض المال أو الاشتغال بالصرافة والمتاجرة في الذهب وغيرها من أعمال التجارة، دون أدنى أى إعتبار تشريعى 0

وفي بداية عصر بنى مرين لاسيما عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى تعرض اليهود لمذبحة على يد عامة أهل مدينة فاس، وذلك لقيام اليهود بأمور الغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل، مما حدا بأهل فاس إلى القيام باستباحة أموالهم ودمائهم وذلك في شوال

----

(1) مجهول : الإستبصار ، ص 202 0

(2) السيوطي : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، القاهرة 1299هـ ، ج2 ص 129 / قاسم عبده قاسم اليهود فى مصر 00 ، ص 60 /G0itein : A Mediterranean Society, An Abridgment in One Volume…., p. 179.

(3) مجهول : الإستبصار ، ص 202 0

674هـ/مارس1276م، وقد بالغ أحد المؤرخين في عدد اليهود الذين قتلوا بأن عددهم كان نحو 14 ألف يهودى في حين ذكر آخر بأن عددهم كان أربعة عشر يهودياً فقط[[00 قُتل اليهود بفاس ، قامت عليهم العامة فقُتل منهم أربعة عشر ألف يهودى ، ولولا ما ركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم، ونادي مناديًا ألا يتعرض لهم أحد، لم تبق منهم باقية0]](1)، ويؤيد ذلك النص مؤرخ آخر [00 أوقع المسلمون باليهود الوقعة المعلومة في 674هـ بسبب أمور أدت إلى استباحة دمائهم وأموالهم فأسلم في تلك الوقعة من أسلم منهم خوفاً من السيف ثم حط أبو يوسف يعقوب المرينى العوام عن قتلهم وأخذ أموالهم 00] (2)، وإستمر فساد التجار اليهود أيضاً في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المرينى الذي أمر بجمع اليهود وسبيهم والتنكيل بهم(3) ، وبعد مقتل السلطان أبو عنان المريني عام 759هـ قام اليهود بنقض القوانين والعهود مع السلطات المرينية وقاموا بأعمال الغش ورفع الفائدة في القرض المالى وأعمال الصرف فقام السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني بمنعهم من ذلك [[00 تفاحش القرض في الدرهم حتي صار التعامل بالدراهم التي في الأوقية منها أحد عشر ديناراً 00]] (4)، وقد تعاقب على العرش المغربى بعد عام 759هـ أربعة عشر ملكاً فى فترة وجيزة ، فعانت البلاد

----

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 322 ، 404 / السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص 43 [[00 فقتلوا منهم أربعة عشر يهودياً]] 0

(2) مجهول : مخطوط ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين ، رقم 1637 تاريخ ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ورقة 3 0 و جاء في المخطوط أيضاً ذكر أعمال الغش التي قام بها التجار اليهود المغاربة [00 فظهر منهم الغش والخديعة والمكر ومعاملات الربا بحيث يجعل الواحد منهم في حانوته ما هو أعلي وما هو أدني 00 ويتردد معه في الثمن الذي زاد له أولاً والمشتري غير العارف يظن أنه هو الذي إشتري منه أولاً و كثرت خديعتهم للناس في المعاملات في الحاضروالبادي وصارت تحدث منهم نوازل لايوجد لها في الشرع نص وكثرت في ذلك الأسئلة والأجوبة عند العلماء وتعددت الدعاوي عليهم من أهل الحواضر والبوادي وتكررت الخصومات في ذلك علي قضاة الوقت حتي أتعبوهم وصار العلماء ينهون عن ذلك فلم ينتهوا ، وحيث تجرؤوا علي مكرهم وعبثهم بحيث غر جميعهم ، فلم يوجد منهم أحد إلا وقد تكرر منه ذلك ، فهمت الناس بالخروج من الأسواق والحرف من أجلهم ، لما أحدثوا في الدين ما ليس منه وعزم قاضي فاس علي التخلي عن القضاء بسبب ما نزل به من قبلهم من الخدع التي لم تجد لها نصاً ، فطلب من السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني أن يقيله من القضاء ، وذكر له أن ليس فيهم من يؤمن مكره وخديعته ، وأمناء الأسواق قد تعبوا بالقضاء بينهم وبين الناس ، وهو كذلك ، فإستشار السلطان العلماء في ذلك فقالوا لدينا ، نقطع ذلك منهم إلا بإخراجهم من تلك الحرف ومن التجارة بالقيسارية والأسواق وخصهم بحرف خميلة من الحرف التي لا يذكي صاحبها ويكون الغش فيه والخديعة خفيفة ، وأخرجهم من الأسواق التي لاتناسبهم الي الأسواق التي تناسبهم من تصريف الفلوس بالدراهم والدراهم بالفلوس و00 ومن ظهر عليه الغش 00 عقوبته التطويف في الأسواق والتعزير بالإجتهاد 00 وأمن الناس من الغش والخدع ومكثوا علي ذلك دهراً 00] انظر مجهول : المخطوط السابق، ورقة 3 ، 4 0

(3) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 250 0

(4) الكومي : المصدر السابق ، ص 139 0

من كارثة إقتصادية، الأمر الذى دفع بعض سلاطين بني مرين إلى الإستعانة باليهود في حركة الإصلاح الإقتصادى والحالة المالية للبلاد (1) ، فقد كان لبعض اليهود شأن كبير في تلك الفترة نظراً للإمتيازات التجارية والسياسية الكبيرة التي نالوها من العرش المرينى والتى لم يحصلوا عليها من قبل وذلك لتفوقهم فى شئون التجارة والإقتصاد(2) ، وقد حسدهم المسلمون بسبب ثراؤهم وتحكمهم فى التجارة ، فظهر التنافس بينهم حول إمتلاك قيسارية فاس التى كانت تعد القلب الإقتصادى النابض بفاس المرينية (3)، فوقعت المشاحنات والفتن ما بين المسلمين واليهود، فكان المسلمون ينهبونهم ويستولون على أموالهم ، الأمر الذى دفع السلطان المرينى إلى إجلائهم من فاس القديم إلى فاس الجديد فى حى الملاح(*)، فى مقابل مضاعفة الجزية المفروضة عليهم فتزايد المغاربة اليهود تزايداً كبيراً حتى لم يعد من الممكن معرفة عددهم(4) 0

وقد إنتشر التجار اليهود فى شتى بلاد المغرب الأقصى فى فاس وسبتة و وادى درعة وسجلماسة وتيكورارين وتوات والبلاد السائبة (بلاد السيبة) (5) وتكوليت بإقليم حاحة وتدنست وأديكيس وتلك المناطق كانت تضم المئات من ديار التجار اليهود الذين تميزوا بالثراء الفاحش من جراء التجارة (6) ، وأيضاً بمدينة تازة حيث تاجر اليهود فى الخمور ، ومدينة

----

(1) ابن عبود : تاريخ المغرب ، ج1 المطبعة المهدية ، تطوان 1951 ، ص 186 0/ كان اليهود يخدمون السلطان يوسف بن يعقوب المريني، غير أنهم أثاروا الفتن داخل القصر ما بين السلطان ووزيره أبو محمد عبد الله بن أبي مدين فقام السلطان او الربيع سليمان بقتل وزيره ، وعندما تبين خطأه قام بقتل اليهود الذين كانوا بالقصر وإستأصل شأفتهم ، أنظر السلاوي : المرجع السابق ، ج3 ص99 0

(2) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج2 ص 64 0

(3) لطيفة الحسيني : محقق كتاب المنهج الفائق والمنهل الرائق للونشريشي ، ص 25 0

(*) كان اليهود في بداية الدولة المرينية يقيمون بمدينة فاس في حي كامل عرف بإسم فندق اليهود علي مقربة من باب الجيسة وهو الباب الشمالي لمدينة فاس بعدوة القرويين ، وعندما حدثت المنازعات بينهم وبين المسلمين أجلاهم السلطان يعقوب المريني إلي حي الملاح، وكان الدخول إلي حي الملاح اليهودي من باب السمارين ثم عبور باب الحي اليهودي ليدخل إلي أزقة ملتوية ضيقة مظلمة في مكان محصور به دور كثيرة مزدحمة ، وهذا الحي اليهودي في جنوب فاس الجديد ، أما الزقاق الكبير فهو يقسم ديار اليهود الي شطرين، وينطلق الزقاق الكبير من باب الملاح الي المقبرة القديمة وبها القيسارية التي تحوي نحو 12 حانوتاً وتقوم في هذا الموضع تجارة الحي اليهودي بالتقسيط ، أنظر لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 54 / لوتورنو : فاس قبل الحماية ، ج1 ص 157 – 159

(4) أنظر النص [00 وولي الوزير هارون اليهودي وحجابته شاويل اليهودي بفاس 00 وكان يحكم ويأخذ المغارم من جميع من بفاس علماء وشرفاء فضلاً عن غيرهم من الناس 00 وإستمرت عمارة المهاجرين في الأسواق يتحكمون كيف شاؤوا ويغشون كيف أرادوا 0] أنظر مجهول : مخطوط ذكر قضية المهاجرين 00 ، ورقة 4 – 5 0 / ويذكر الحسن بن محمد الوزان أن المسلمون كانوا ينهبون ممتلكات اليهود في كل مرة يموت فيها سلطان مريني ، أنظر المصدر السابق ، ص 284 0 / لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 34 – 35 0

(5) محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تحقيق رابح بونار ، الجزائر 1968 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص 34 ، 53 ، 57 0

(6) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 110 – 111 / مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 10 ، 15 – 16 0

أفزة وتفزة بجبال أطلس المأهولتان باليهود تجار البرانس الشهيرة ، وبمدينة آسفى (1)،كذلك مدينة هادكيس كان بها عدد كبير من اليهود كانوا يزاولون التجارة ويتجولون فى المناطق المجاورة بين المدن والقرى والمجاشر (2)، واشتغل اليهود بصناعة الذهب والفضة والنحاس، وكان معظم الصاغة من اليهود ، واشتغلوا فا البناء والصباغة والأدوية (3)، وقد إستغل اليهود تسامح المسلمين معهم، وكذلك تسامح السلطات الإسلامية معهم ، فنكث اليهود ما التزموا به مع المسلمين (4)، فتجاوزوا الحدود الشرعية واستعلوا على المسلمين واستولوا على مرافق التجارة بتوات، مما دفع الطوارق إلى عدم سماحهم للتجار اليهود بالتجارة والمرور بأراضيهم بتوات بالصحراء الكبرى جنوب بلاد المغرب (5) ، ولذلك خاف التجار اليهود من الدخول إلى بلاد السودان فى نهاية عصر بنى مرين لفترة وجيزة، وذلك لقيام السودانيين باستباحة دمائهم وأموالهم، وكان كل من يحمل متاجر أو أموال لتاجر مغربى يهودى للتجارة يُستباح دمه وماله بناء على مذهب الشيخ المغيلى التلمسانى (6)0

على أن الواقع التاريخي لهذا الأمر لم يدم فترة طويلة فكانت فترة قصيرة من الوقت ثم عاد اليهود لمزاولة تجارتهم فى بلاد السودان،فقد انتشر يهود المغرب للتجارة ببلاد السودان، وذكر صاحب تاريخ الفتاش أن اليهود عاشوا ببلاد التكرور واستقروا بها للتجارة وبلغت آبار المياه الخاصة بهم نحو 330 بئراً وكانوا أغنياء جداً (7) ،

أما فى بلاد المغرب فقد اشتغل اليهود في مجال السمسرة ، وكان دور السمسار اليهودى قوى

----

(1) الحسن بن محمد الوزان : نفسه ، ص 157 ، 183 ، 190 – 191 ، 358 0

(2) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 113 0 / مسعود كوات : المرجع السابق ، ص 153 – 154 0

(3) مسعود كوات : المرجع الساق ، ص 153 – 154 0

(4) الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 242 / كمال السيد أبو مصطفي : المرجع السابق ، ص 37 0

(5) محمد بن عبد الكريم المغيلي : المصدر السابق ، ص 13 – 19 / عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 213 0

(6) محمد ين عبد الكريم المغيلي : نفسه ، ص 19 0

(7) [00و أن تندرم (من بلاد التكرور) من قبل كانت مسكن قوم بني إسرائيل وأجداثهم وآبارهم هناك الي الآن فلما رأوا (الملك آسكي وقومه عام 902هـ) آبارهم ووجدوها يومئذ ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين بئراً في جوانبها ووسطها و رأوا العجيب في حفرها وحالها 00 وأنهم أغنياء جداً من المال 00] انظر محمود كعت التنبكتي : تاريخ الفتاش ، نشر هوداس مطبعة بردين بمدينة آنجي 1913 ، ص 62 0

الأثر فى العمليات التجارية بالأسواق (1)، واشتغلوا فى مجال الصيرفة(2) وتبديل العملة وقرض الأموال، نظراً لأن اليهود تعاطوا الربا من خلال الصيرفة وقرض الأموال فجنوا منه أرباحاً فاحشة (3)، كذلك تسليف المال للتجار(4)، واشتغلوا أيضاً بإحتكار تسويق السمك المجفف فكانوا يجففون السمك ويتاجرون فيه فى البلدان الداخلية البعيدة (5) ، وظهر نشاطهم فى تجارة المصنوعات المعدنية مثل القناديل المزخرفة بالمعادن ، ومماشط الصوف والحلى والأحجار الكريمة والمعادن النفيسة ، والخلاخل والمشغولات الذهبية والفضية (6) ، وتاجر اليهود أيضاً فى الأسلحة والتوابل والفراء والعبيد والحرير ما بين طنجة والمشرق الإسلامى(7) ، وإشتهر اليهود بتجارة الذهب الوارد من سجلماسة والمجلوب من بلاد السودان(غانة)(8) ، إلى جانب الرقيق ، واشتهر اليهود أيضاً بخصاء العبيد واستوردوا التوابل الشرقية مثل الفلفل والقرنفل والزنجبيل والمسك والكافور والنيلة والدهانات والنباتات الطبية والعقاقير (9) وملح الأمونيوم والخامات اللآزمة لصناعة الجواهر كاللؤلؤ والأحجار الكريمة والفيروز وأنواع الخرز والأصداف(10) 0

واشتغل اليهود بتصدير المنسوجات الكتانية والصوفية المغربية والمنسوجات القطنية وأنواع السجاد والحرير بجميع أشكاله وألوانه والمعادن الثمينة كالفضة والرصاص والزئبق وكذلك الزيت والصابون والزعفران والشمع ونبات الصباغة والقطران وقشر اللوز والسمك

---

(1) مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 152 0

(2) كان اليهود لهم حظ الأسد في مهنة الصيرفة التي كان يتحاشاها كثير من المسلمين لإختلاطها بالربا وتعرضها لممارسات نقدية غير شرعية ، انظر الكومي : المصدر السابق ، ص 136 – 137 / الونشريشي : المصدر السابق ، ج2 ص 316 / ابراهيم حركات : النشاط الإقتصادي ، ص 283 0

(3) الكومي : نفسه ، ص 137 – 138 / مجهول : مخطوط ذكر قضية المهاجرين 00 ، ورقة 4 / الونشريشي : نفسه ، ج 21 ص 376 / مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 150 / عز الدين أحمد موسي : النشاط الإقتصادي ، ص 280 – 281 0

(4) عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 280 – 281 0

(5) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت 1969 0

(6) لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص 139 0

(7) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 308 0

(8) Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p.402.

(9) المالكي : رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983 ، ج2 ص 502 0

(10) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ت0 عطية القوصي ، الكويت 1980 ، ص 241 0

المملح والقمح وجلود الحيوانات والصوف وعقود المرجان(1) 0

وقد جال التجار المغاربة اليهود ببلاد المغرب الأقصى دون أن يدفعوا العشر ماداموا بداخل المغرب الأقصى ،أما إذا تاجروا بين مختلف البلدان المغربية والأندلسية مثل الأندلس وتونس والمغرب الأوسط فيجب عليهم دفع العشر إلى جانب الجزية ، حيث ذكر البرزلى فى إحدى الفتاوى [00 إذا جال يهود العدوة فى بلادها فلا عشر عليهم مثل يهود فاس إذا نزلوا سبتة ، فلو تجروا في الأندلس لكان عليهم ومثله يهود الأندلس فى العدوة 00](2) ، وكان العشر يؤخذ من ثمن ما يبيعه التاجر اليهودى 0

وإحتال بعض التجار اليهود فى بعض الأحيان وذلك فى المناطق النائية عن العاصمة المرينية على أن يدفعوا هدية قيمة بدلاً من الجزية إلى عامل المدينة الذى كان يقوم بحماية اليهود وهذه الصورة لم تكن شائعة ببلاد المغرب وإنما كانت حالات فردية ، ففى مدينة تدنست بإقليم حاحة كان كثير من التجار اليهود لايدفعون الجزية إلى وجهاء المدينة ولكنهم يدفعون هدية لهم ، ولم يدفع التجار اليهود أية رسوم ضرائبية على المبيعات ولا ضرائب المكس ولا أية جباية أخرى، فقد تمتعوا بإعفاء عام من كافة الضرائب وذلك فى مدينة تدنست(3)،وفى عام 727هـ/1327م فى عهد السلطان أبو سعيد عثمان الأول المرينى ، قام اليهود بتزييف مرسوم قديم يسقط عنهم أداء الجزية علي نحو ما حدث أيام الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، لكن الحكومة المرينية كشفت زيف هذا المرسوم،وقد تكرر ذلك مرة ثانية فى عهد السلطان أبى سعيد الثانى المرينى عام 806هـ/1404م(4)، وبوجه عام كان ما على التجار المسلمين من ضرائب العشار ، كان للتجار اليهود مثلها الى جانب الجزية فقط ، كما فى فاس (5) 0

وقد إشتملت أوراق الجنيزة على فتاوى وعقود تملك وكشوف حسابات، وهى عبارة عن مصدر للتجارة والملاحة ونقل البضائع وأسعار االسلع المتبادلة وكمياتها وحركة القوافل

----

(1) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ص 239 – 241 0

(2) البرزلي : مخطوط فتاوي البرزلي ، الإسكوريال ، رقم 4/365 معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ورقة رقم 35 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 110 – 111 0

(4)عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج7 ص 202 0

(5) الكومي : المصدر السابق ، ص 137 – 139 0

والمراكب وأسفار التجار والوضع العام بالبلاد المعنية وسلامة المواصلات وأسعار صرف العملات وسجلات المحاكم (1) 0 وتواجدت الجاليات اليهودية المغاربية المستقرة فى المدن المغربية وانتشرت منذ القرن 12م شيئاً فشيئاً من حيث العدد والأهمية والتنظيم (2)0

وتواجدوا فى معظم المحطات ، وكانوا يعتمدون على بعضهم البعض من أجل التجارة (3) ، لذا ساهم اليهود المغاربة بقسط وافر في التجارة على نطاق واسع سواء داخل البلاد أو خارجها(4) 0

ومن التجار المغاربة اليهود هارون بن بطش الذى كان صرافاً عند الوزراء المرينيين ونظراً لبراعته المالية والتجارية استعمله السلطان المريني وزيراً للدولة المرينية ، ولكن ذلك الوزير اليهودى أساء إلى المسلمين وأعان اليهود على المسلمين وصار لهم شأنٌ كبيرٌ وكثر نفوذ اليهود و إستحوزوا على كافة الأمور الإقتصادية بالبلاد مما دفع المسلمين إلى قتلهم وإستباحة أموالهم ودمائهم (5) 0

وأرى أن التجار المغاربة اليهود قد إشتغلوا بالتجارة على نحو كبير، وأثروا ثراءاً واسعاً ، وشاركوا في التجارة الخارجية بجانب المغاربة المسلمين و ذلك فى القرن 11،12م وأوائل القرن 13م ، غير أنه فى منتصف القرن 13م فصاعداً ظهرت النظم التجارية الإيطالية بصورة كبيرة إلى جانب المعاملات الإسلامية و اليهودية ، ويرجع ذلك إلى التغيرات السكانية والإقتصادية والسياسية بالمدن الإيطالية وأراجون وقطالونيا والمدن المغربية التجارية المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، فسادت النظم التجارية الإيطالية حوض البحر المتوسط الغربى، والتي كانت أصولها إسلامية 0

----

(1)G0itein : A Mediterranean Society , vol.,1, introduction ./. ، أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ص 444 0

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 462 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 111 0

(4) برنشفيك : نفسه ، ج2 ص 244 0

(5) أنظر النص [00 وأقام شخصاً من يهود فاس يقال له هارون بن بطش كان صرافاً أو كالصيرفي عند الوزراء 00 وبقي اليهودي هذا هو الوزير في الحقيقة 00 بحيث صارت المملكة في يده 00 فتطاولت اليهود أيامه بفاس ، بل بسائر الأعمال منها ، وصار لهم قول وذكر وصيت وسمعة وشهرة 00 وكثر تسلط اليهود علي المسلمين من أهل فاس 00 وكان المسلمون في قهر عظيم من قضية اليهود وظهورهم وتحكمهم في المسلمين 00 فأفنوهم عن آخرهم 00 وتسامع أهل البلدان فثاروا بيهود البلدان وفعلوا بهم نحو فعل أهل فاس بيهودها وكانت كائنة عظيمة علي اليهود00] أنظر زين الدين عبد الباسط بن شاهين : الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، نشر روبير برنشفيك في كتاب رحلتان غير منشورتين الي أفريقيا الشمالية في القرن 14م تحقيق وترجمة فرنسية ، باريس 1936، ص 49 – 56 0

3- التجار والجاليات المغاربية بالمدن الإيطالية :

توافدت أعداد كبيرة من التجار المغاربة إلى المدن الإيطالية للتجارة ولكن لم تكن بصفة مستمرة وذلك يرجع إلى قلة المراكز التجارية التى كانت تخدم التجار المغاربة بالمدن الإيطالية (1) ، بينما كان للتجار المسيحيين مراكز تجارية وقنصليات عديدة بكافة الموانئ التجارية لدولة بنى مرين علي البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، كانت القوافل التجارية المغربية لبلاد النصارى لاسيما المدن الإيطالية تتم بمبادرات شخصية من التجار أنفسهم دون تدخل السلطات المرينية إلا في حالة وجود إتفاقيات تجارية رسمية كما حدث بين دولة بني مرين وكل من جنوة وبيزا ، فكانت المعاملة بالمثل لكل التجار (2) ، لذا تواجد التجار المغاربة بالموانئ الإيطالية، و عاشوا بالمدن الإيطالية، ولكن بالمقارنة بأعداد التجار النصارى الذين تواجدوا بالمغرب المرينى نجد أن التجار الإيطاليون كان تواجدهم بالمغرب المرينى أكثر من تواجد المغاربة بالمدن الإيطالية، وكما كانت البابوية تعاقب التجار الإيطاليين وتمنعهم من التعامل التجارى مع المسلمين لاسيما تصدير الأخشاب والسفن والحديد والرصاص وغيرها من السلع الهامة لتجهيز السفن والأسطول البحرى، وأيضاً محاربة الكنيسة للربا والفائدة علي القرض ، نجد أن التاجر الإيطالى كسر تلك القيود وزاول تجارته مع المسلمين بحوض البحر المتوسط ومنهم المغاربة ضارباً القوانين البابوية والكنسية عرض الحائط ،وفى المقابل نجد أن مثل ذلك الموقف عند التجار المغاربة، فقد كانت هناك معوقات وقفت أمام التجار المغاربة عند تجارتهم مع الإيطاليين وهى دار الإفتاء المغربية التى أصدرت عدة فتاوى شرعية تعوق التجار المغاربة من التعامل التجارى مع الإيطاليين وغيرهم من التجار اليهود ، ورغم ذلك استطاع التاجر المغربى المسلم أن يتخطى تلك القيود ويضرب بها عرض الحائط، وقام بمزاولة تجارته مع الإيطاليين واليهود أيضاً، فقد كانت المصلحة التجارية والمكاسب المادية فوق كل الإعتبارات الدينية لكل من التاجر الإيطالى والتاجر المغربى،

----

(1) برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 244 / أوليفيا : المرجع السابق ، ص 101 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 66 0

(2) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 74 لوحة 46 / عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 173 / Amari : Op. Cit. p.1 – 8. / / Mas-Latrie: Op. Cit. p.66 – 69.

ذلك كان الواقع التاريخي للتجار المغاربة والإيطاليين، فقد كان التجار المغاربة يسافرون إلى المدن الإيطالية للتجارة ، كذلك تعاقد التجار المسلمين المغاربة مع التجار اليهود فى عقد الشركات التجارية بهدف الكسب المادى بعيدا عن القيود الدينية0

وقد أوردت وثائق الجنيزة العلاقات بين المسلمين واليهود فى مجال التجارة ، إذ أقام بعض المسلمين شركات تجارية مع اليهود بمعنى أن المصلحة التجارية المشتركة قد ساعدت على إقامة مثل هذه الشركات (1) ،

أما المعوقات التي أعاقت التاجر المغربى فهى الإفتاءات التى أفتى بها فقهاء بلاد المغرب والتى جاءت فى المذهب المالكى الذى كان سائداً بدولة بنى مرين، ومن تلك الإفتاءات، كراهية التعامل التجارى بين المسلمين وأهل الذمة كما جاء فى المذهب المالكى السائد ببلاد المغرب ، والذى أفتى بواسطته أغلب الفقهاء و العلماء فى عدم الإقامة للمسلمين بين المشركين خوفاً من أن تجرى على المسلم أحكام النصارى [00 كيف يباح لأحدهم الدخول إلى بلادهم حيث تجرى عليه أحكامهم فى تجارة أو غيرها 00] (2) ، كذلك لاينبغى مشاركة يهودياً ولا نصرانياً خوفاً من قيام اليهودى أو النصرانى بالربا (3) ، وأيضاً منع توكيل الذمى على مسلم أو بيع أو شراء أو إستئجار أو يتاجر معه خوفاً من من أن يقوم الذمى بالربا أو التجارة فى اللحوم المحرمة والخمور (4)، وأفتى بعض الفقهاء بجواز تعامل التجار الدخول إلى بلاد

(!) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 238 / مسعود كواتي : المرجع السابق ، ص 143 0

(2) الونشريشي : أسني المتاجر في بيان أحكام من غلب علي وطنه النصاري ولم يهاجر ، تحقيق حسين مؤنس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد 5 عدد 1-2 عام 1957 ، ص 157 0

(3) القرافي : المصدر السابق ، ج8 ص 20 0 [00 لاينبغي مشاركة يهودياً ولا نصرانياً إلا أن يكون هو الذي يعامل ، وألا يغيب الذمي علي بيع ولا شراء ولا قضاء ولا إقتضاء إلا بحضرة المسلم خوفاً من قيام اليهودي أو النصراني بالربا] 0

(4) القرافي : المصدر السابق ، ج8 ، ص 5 – 6 0 [00 مُنع في الكتاب من توكيل الذمي علي مسلم أو بيع أو شراء أو إستئجار أو يبضع معه وكرهه ، ولو كان عبداً له قال الإمام أبو عبد الله وما ذلك إلا أنه قد يغلظ علي المسلمين إذا وُكِّل عليهم قصداً لأذاهم فيحرم علي المسلم إعانته علي ذلك 00 وخاف المسلمون أن يقوم الذمي بالربا أو الخمور أو الخنزير ، لذا كان الشرع يأمر بأن يقوم صاحب الربح الآتي من الخمور أو الربابالتصدق به ويبقي له رأس المال فقط كما جاء في سورة البقرة آية رقم 279 ، (فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولاتُظلمون00) 0

النصارى لمفاداة أسرى المسلمين ومنع التعامل التجارى معهم ،وأكد على وضع العراقيل والمراقبين لرصد حركة التجار المسلمين الذين يتعاملون مع التجار النصارى ومنع تلك التجارة وتحريمها، ووصفت ذلك التاجر المسلم الذى يتعامل مع التجار النصارى بسقوط شهادته وإمامته، مما يعنى تشديد منع التعامل التجارى بين التجار المسلمين المغاربة مع التجار النصارى بشتى جنسياتهم (2) 0

وربما أن التجار المغاربة لم يجدوا فى المدن المسيحية الجو الملائم لحاجاتهم ، وبخاصة فى الزواج والطعام والإستحمام (3) ، والطهارة والمساجد والمعاملات الإسلامية وغيرها من الأمور الشرعية، كذلك ندرة وجود فنادق تجمع التجار المغاربة بالمدن الإيطالية 0

وأرى أن تكرار منع وتحريم التعامل التجارى مع التجار النصارى إلى جانب تكرار الإفتاء ضد سفر التجار والإتجار مع أهل الذمة بصفة عامة يدل بالتأكيد على شيوع السفر للتجار المغاربة والإتجار مع المدن الإيطالية وغيرها 0

فيذكر الحميرى أن إيطاليا كان بها عدد كبير من المسلمين ففى عاصمتها بونية (Pavia) كان يستقر بها نحو 300 مسلم يتولون عقد وثائق المعاملات بين السكان ، وكان هناك حوالي 400 شخص من التجار الأغنياء المسلمين لهم تجارة واسعة وثروات كبيرة (4) ، كما تواجد التجار المغاربة من مدينة سبتة بأعداد كبيرة في جنوة للتجارة ، الأمر الذي جعل المسئولين عن مدينة جنوة يوجهون إهتمامهم نحو الإهتمام باللغة العربية فكان بها أساتذة للغة العربية (Magister de Letteris Saracenis) وذلك عام 1267م ، كذلك كان بجنوة موظفين مغاربة يزاولون مهمة الترجمة وذلك فى الأنشطة التجارية(5) 0

----

(1) أبو عيسي المهدي الوزاني : المصدر السابق ، ج3 ص 30 ، [00 وأما الداخل الي بلاد الكفر للتجارة وطلب الدنيا فذلك جرحة فيه تسقط بها إمامته وشهادته ، إذ لايجوز لأحد دخول لأرض الشرك إلا لمفاداة أساري المسلمين ، فالواجب علي أئمة المسلمين وجماعتهم أن يمنعوا من الدخول الي أرض الحرب للمتاجرة ويضعوا لهم المراصد في الطريق ، وشدد مالك الكراهية في التجارة الي أرض الحرب 00] 0

(2) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 111 0

(3) الحميري : المصدر السابق ، ص 116 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 176 – 177 0

(5) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 69 – 70 0

وتواجد العديد من التجار المغاربة فى ميورقة من مدن بلاد المغرب مثل فاس وأنفا والكدية وآصيلا وذلك فى القرن 14م (1) ، كما سافر التجار المغاربة إلى صقلية للتجارة (2) ، وكان التجار المغاربة المراكشيون يستقلون سفن البنادقة لنقل متاجرهم من الإسكندرية عبر جزيرة رودس إلى المغرب الأقصى (3) 0

ونستشف من المعاهدة التجارية بين بيزا ودولة بنى مرين والتى سبق عرضها لاسيما الفقرة الخاصة بأن بيزا إلتزمت بأن يكون العمل مع تجار المسلمين وغيرهم من المسافرين إلى بيزا وغيرها من بلاد البيجانيين ، بمثل الشروط المذكورة ، وهو مبدأ المعاملة بالمثل مثل توفير الأمن للتجار وغير ذلك مما سبق عرضه ،

ومن الأمثلة الدامغة أيضاً علي تواجد التجار المغاربة بالمدن الإيطالية ، قيام التاجر السبتى محمد بن المعلم عام 619هـ/1222م بالسفر إلى جنوة على سفينة جنوية حاملاً معه سلعاً من بينها 105 قنطاراً من النحاس وسبعة قناطير من القصدير وستة قناطير من السكر (4) ، وفي عام 699 – 700هـ/1300 -1301م أو 701هـ/1302م إتجه تاجر سبتى من سبتة إلى ميورقة على ظهر سفينة ميورقية وبحوزته سلع مهمة كلفه ببيعها سكان مدينته (5) ، وتوفى أحد المغاربة بجنوة فى عام 701هـ/1302م وترك سلعاً كثيرة وأدوات نحاسية وميزانين وإثنا عشر وزناً من الحديد وكان يمتلك حانوتاً بجنوة (6) 0

كذلك كانت السفن البندقية تأتى إلي الموانئ المرينية للتجارة ، و كانت تحمل التجار المغاربة إلى البندقية للتجارة بها (7)0

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p.164, 565. / عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج7 ص 194 – 196 0

(2) الونشريشي : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 207 – 208 ، 310 – 311 0

(3) عبد العزيز محمود عبد الدايم : المرجع السابق ، ص 214 0

(4) Dufourcq : Commerce de Maghreb, p. 177. / محمد الشريف : نفسه ، ص 69 0

(5) Dufourcq: L'Espagne Catalane, p. 357. / محمد الشريف: نفسه ، ص 69 – 70 0

(6) محمد الشريف : نفسه ، ص 69 0

(7) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 329 0

وخلاصة القول أن تلك العلاقات التجارية تؤكد ذهاب العديد من التجار المغاربة إلى البندقية وجنوة و بيزا للتجارة مما يعنى قيام التاجر المغربى بكسر الحاجز الدينى والقيود الفقهية المالكية من أجل البحث عن الربح والكسب الوفير بالتجارة مع المدن الإيطالية، وكان تعداد هؤلاء التجار المغاربة الكثير ومنهم من إستوطن وعاش بالمدن إيطالية كما سبق ذكره ، كذلك قام التاجر الإيطالي بكسر الحاجز البابوى والقيود التى فرضتها الكنيسة على التجارة ومَنْعْ التعامل التجارى فى سلع معينة مع التجار المسلمين ، فقد كان غرض كل من التاجر الإيطالى والتاجر المغربى هو الربح الوفير دون أدنى إعتبارات أو أهداف دينية أو سياسية 0

ثانياً – التجار الإيطاليين :

1- صفات(*) التاجر الإيطالي :

تمتع التاجر الإيطالى بنشاطٍ ومهارة في قيامه بالإشتغال فى التجارة على أكمل وجه ، فهو يتصف بحسن المعاملة خاصَّةً مع التجار المسيحيين من مختلف الدول الأوروبية (1) ، وإهتم بتوسيع ميدان نشاطه التجارى فكان لا يتحرج من أن يتاجر مع المسلمين ولو خان قضية المسيحيين إذا كان سيجنى أرباحاً طائلة من وراء تلك التجارة ، كذلك لا يهتم بأية قيود تفرضها الحكومة الإيطالية أو الكنيسة على تجارته ما دام الربح وفيراً في الرقيق والمواد المحرمة مثل الحديد والرصاص والخشب والحبوب والأسلحة وهى التى كان المسلمون فى أشد الحاجة إليها لاسيما فى قتالهم ضد نصارى إسبانيا ، وصناعة السفن وتشييد الأساطيل 0 وكان لا يتحرج من بيع أخيه فى الدين (الرقيق الأوروبى) لجمع أموال طائلة(2) ، فأصبحت الصفة الإقتصادية تكتسى التاجر الإيطالى فهو يقدم حلولا إقتصادية لأية مشكلة تصادفه سواء كانت إجتماعية أو دينية ،أو سياسية0

و تميز التاجر الإيطالى بقدرته علي معرفة الأخبار التجارية والسياسية لشتى البلدان فى وقت قصير ، وذلك لكثافة عدد السفن التجارية التى كانت تجوب البحار والبلدان ، فكانت الأخبار تأتى كل ساعة من جميع أقطار الدنيا لشدة نشاط حركة الملاحة ، مما يقتضى المرء

---

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 179 0

(2) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 119 0 / خضعت المدن الإيطالية للقوانين البحر ية لمملكة بيت المقدس فإضطرت الي الإلتزام بتلك القوانين المتعلقة بالتجارة البحرية وعملية حظر التعامل التجاري مع المسلمين ، ولكن الواقع التاريخي يذكر عكس ذلك ، إذ كانت الصفة المادية والرغبة في التربح والأموال الطائلة كانت تراود التجار الإيطاليين دون أدني أية إعتبارات دينية أو سياسية فعلي سبيل المثال كان البنادقة يرفعون شعارهم دائماً نحن بنادقة أولاً ثم بعد ذلك مسيحيين مما يوضح بتفضيل الإيطاليين مصلحتهم الشخصية فوق أية إعتبارات دينية أو سياسية ، لذلك إشتدت القوانين البحرية لمملكة بيت المقدس في البند الخامس في وصف التجار الذين يتعاملون مع المسلمين بالخونة لاسيما التجارة في المواد المحظورة فيذكر أنه إذا قام أحد التجار أو البحارة بحمل سلع وبضائع محظورة التجارة فيها ، فيجب أن تستدعيه محكمة الميناء لمواجهته بالإتهامات المنسوبة إليه من البحارة أو التجار الذين شاهدوه يرتكب ذلك الخطأ حيث يتم مصادرة أمواله وممتلكاته وشنقه ، وتكررت القرارات الكنسية والبابوية بالحرمان الكنسي ومصادرة الممتلكات لكل من يتعامل مع المسلمين في السلع المحظورة غير أن تلك المحاولات باءت بالفشل حيث إستمر التجار الإيطاليون في التجارة مع المسلمين في كل شيء ،إذ رجحت كفة الربح علي كفة القرارات البابوية والقوانين البحرية لمملكة بيت المقدس ، أنظر حاتم الطحاوي : القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ص 491 – 495 0

(*) أورد لوبيز نصائح غزيرة للتاجر الإيطالي كتبها مؤلف جنوي مجهول الإسم كان يعمل بالتجارة وقد كتب هذه النصائح في (=)

الإستفسار من السفن عن أخبار التجارة (1) 0

و كان التاجر الإيطالى كثيراً ما ينفصل عن زوجته طويلاً بسبب إشتغاله فى التجارة عبر البحار(2) ، ونظراً لغياب التاجر الجنوى الطويل للتجارة كانت زوجته تتمتع بإستقلال مالى كبير، وإشتغلت كوكيلة لزوجها أثناء غيابه ، وأدارت أعماله فى جنوة ، أيضاً كانت تشتغل بالتجارة فى أموالها بالفائدة التجارية ، وكان هناك الكثير من النساء الجنويات من إستثمرن أموالهن فى التجارة (3)، وكان يتحول فى نفس الوقت إلى محارب قدير يحافظ على ثروته ومصلحته(4) ، لذا كان يتوقع القتال فى أى وقت ، وكان لبق وحذر ويتصف بالأدب واللباقة وحسن المعاملة والحديث ، ويفحص بضاعته جيداً قبل شرائها ويعلم صفاتها وحالتها ونوعها، ولا يشغل نفسه في اللهو والشراب والتبذير فى الإنفاق ، فهو رجل إقتصادى وكان سريع فى تجارته يبيع بسرعة ويتحرك بسرعة، فيتحصل على أرباحه وتتوسع تجارته ويحافظ عليها مستغلاً كل وقته فيما يعود عليه بالنفع ، أضف إلى ذلك قيامه بنفسه فى ترميم وصيانة سفنه التجارية فكان يقوم بطلائها فى فصل الخريف خوفاً من العطب والتلف ، كذلك الحبال وأدوات الإبحار ، فيعد نفسه جيداً للإبحار فى الربيع ويعود إلى بلده صيفاً ، ولا يشترى أية سفينة إلا

(=) نهاية القرن 13م وقام لوبيز بترجمتها من النص اللاتيني إلي الإنجليزية ،ويوجد في قسم الملاحق النص باللغة الإنجليزية وهذا نصها :

[[إذا كنت تاجراً تمتلك حانوتاً أو تعهدت بتجارة ما فيجب عليك أن تكون ذو عقل راجح فلا تكن كالأعمي ، وأنظر حولك ليل نهار ، وكن بصيراً ، و علي دراية بالمواسم التجارية ويجب عليك أن تعرف متي تبيع ومتي تشتري ، وإتخذ لك مرشدا في التجارة (سمساراً) في حركة البيع ، وعندما يدخل منزلك شخصاً ما فيجب عليك أن تفتح عينيك له جيداً ، ولا تثق في أحد من الناس ، وإحذر أن تأتمن أحد أو تُقرض شخص ما بعض المال ، وكن مهذب ومجامل لكل شخص ، وفكر ملياً جيداً في طرق السفر ، وكن علي خلق مهذب ، وأن تكون بشوشاً وممتع وأن يكون مظهرك الخارجي حسن وهو جزء من شخصيتك ، وإحذر أن تكون في مؤخرة القافلة التجارية أو في مقدمتها بل كن في وسطها ، وإحذر من الرجال الذين يلينون لسانهم عند التحدث بكلام معسول ، وحاول أن تتجسس أخبارهم ، فهم إلي حد بعيد يعهدون ولا يعطون ، وإحذر كبار التجار ، ولكن يجب أن تختلط بهم في التجارة والمال ، وهم سيضعون أمامك برامج كبيرة ، وسوف تفقد ريشك في ذلك ، وتأمل الموازين عند الوزن بدقة ، وأن تكون علي دراية بأنواع الموازين حتي لا تقع في خسائر وأخطاء وتذكر الموازين التي سوف تزن بها ، ويجب عليك أن تسجل كل شيء فعلته وقمت به في الحال ، لكي لاتنسي شيئاً أو تفقد شيئاً ، وإحتفظ جيداً بالمقاييس أثناء تسلمك البضائع ، ودائما تتبع الحقيقة والسلام والسكينة والمحبة والمودة ، وأن تكون مخلصاً للدولة]]0 أنظر – Lopez : Op. Cit. , p.424 Doc. 207 .

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 34 0

(2) طافور : نفسه ، ص 179 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 169 / Abulafia, David : " Asia Africa , And The Trade of Medieval Europa " Cambridge Economic History of Europa , 2 nd edn , cambridge, 1987 p. 241 .

(4) طافور : نفسه ،ص10 – 11 / ناجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 35، 0179

بعد فحصها جيداً والتأكد من سلامتها وجودتها ، ويحرص على إستثمار أمواله فى شركات رائجة رابحة ، وكان ملماً باللغات الأجنبية لمخاطبة التجار والصناع فى سائر البلاد الأخرى ، ومعرفة دُور الجمارك المحلية وأماكنها ، وتعلم القانون والحساب وعلم الفلك والأنواء لأهمية ذلك فى الملاحة والتجارة (1)، و رغم أن التجارة الدولية فى معظمها كانت قائمة أساساً على نظام المشاركة للتقليل من مخاطر أعالي البحار إلا أن التاجر الجنوي الذى كان يمتلك سفينة كان لايحبذ نظام المشاركة فى ملكية السفينة ، فقد كانت ملكية السفينة لشخص واحد أمر سائد فى جنوة فى القرن 13م (2) ، ويتصف أيضاً بالولاء الشديد لبلده ووطنه فهو يتحرك بأمر واحد ويقوم بجمع المعلومات النافعة والملاحظات الدقيقة المفيدة من عادات البلاد ولغاتها ونظم تجارتها وطرق مواصلاتها(3) ، لذلك كان شديد الحرص على تعلم القانون ومعرفة الجمارك ومتغيراتها وتعلم الفلك والحساب وأنواء البحر والنجوم وكل ما يختص بالملاحة ، فهو رجل تاجر وفيلسوف ورجل دولة في آن واحد (4)0

و كان التجار الإيطاليون يتجولون ببلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان للبحث عن الذهب وذلك عام 858هـ/1455م ومنهم الرحالة البندقى دي كادا موستو(5)، وعندما يعود التاجر الإيطالى إلى بلاده كان يشارك فى الإحتفالات مثل سباق الزوارق هو وزوجته(6) ، والتاجر الإيطالى يحب الرحلة والتجارة البعيدة ويتغيب عن وطنه طويلاً(7) ، و يدير سفينته على أكمل وجه محدداً الأهداف التي سوف يتجه بسفينته إليها مباشرة، ويستطيع التغلب علي مخاطر البحر بسهولة وله خبرة كبيرة فى التعامل مع أنواء البحر وشدة الريح المعاكسة(8)،

---

(1) فايد حماد محمد عاشور : المرجع السابق ، ص 213 – 214 0

(2) جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 424 0

(3) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 29 0

(4) فايد حماد محمد عاشور : نفسه ، 213 – 214 / Molmenti : Venice its Individual crowth from the Earliest Beginnings to the Fall of Repuplic , part 1 , the Middle Ages , London, 1906, PP.135-136. / Postan,M.E. & Miller,R.E. : Cambridge Economic History of Europe, Cambridge,vol. 3. p. 48.

(5) آ 0 آشتور : المرجع السابق ، ص 418 0

(6) طافور : المصدر السابق ، ص 175 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 29 0

(7) طافور : نفسه، ص 12 0

(8) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 285 0[00 فأخذ رئيسه و مدبره الرومي الجنوي وكان بصيراً بصنعته، حاذقاً في شغل الرياسة البحرية، يراوغها (الريح الغربية) تارة يميناً وتارة شمالاً طمعاً أن لايرجع علي عقبه 00] 0

فكان التاجر الإيطالى لا ينهمك في المتع الجسدية التى لاتشجع عليها طبيعة البلد ، ولا يُشغل نفسه بإرتداء الملابس الفائقة ولا يُسرف فى ذلك لاسيما الجنوية ، فإذا رأى التجار الجنوية تاجراً مسرفاً فى ملبسه لامبرر له فرضوا عليه غرامة (1)، مما يوضح أن التاجر الإيطالى عملي مقتصد من الدرجه الأولى 0

وكان التاجر الإيطالى حريصاً على تعليم ممارسة التجارة لأبنائه ، فكان يرسلهم فى صحبة التجار المتجولين لتعلم أصول التجارة ، وإحترافها وتعلم أسرارها ، حتى إذا نبغوا وكبروا صاروا فى تعداد كبار التجار ، فيمارس تجارته ويتوسع فيها ويستخدم كافة سبل التجارة من الوكلاء والصرافين والحوالات والبنوك والكتاب والموثقين وغيرها من النظم التجارية الخارجية (2) 0

والتاجر الإيطالى المسافر كان يعمل ليل نهار ليحصل على القدر الكافي من رؤوس الأموال حتى يتحول إلى صاحب رأس مال، وعندما يتسلم الأموال للمتاجرة بها، يقوم بالتعامل مع أكثر من صاحب رأس مال حتى يزيد من إحتمالات أرباحه دون زيادة المخاطر ، أما التاجر صاحب رأس المال فكان يتعامل مع أكثر من تاجر مسافر حتى لا يعتمد على شخص واحد فقط فيتعرض ماله للخسارة والفقدان دفعة واحدة (3) ، و حمل التاجر الإيطالى على عاتقه الدور الرئيسى فى إدارة دفة التجارة للتجار المسيحيين بالأراضى الأسلامية ، فكان له تأثيرات كبيرة على تطور الإقتصاد المغربي ،كذلك كان له تأثيرات هائلة فى تطور صناعة النسيج الأوروبية وتطور النظام النقدى الأوروبي بعد عام 1252م (4)0

وقد كان في جنوة ما يسمى Compera Granata وهو نظام جنوى يقصد إلى حماية التجار الجنوية الذين يعملون بالدولة الغرناطية (دولة بنى الأحمر بالأندلس) من الأخطار الخارجية فقد كانت دولة بنى الأحمر فى صراع دائم مع الممالك النصرانية الإسبانية ، فقامت حكومة

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 10 – 11 0

(2) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص286 ، 300 0

(3) Dufourcq: Op. Cit. p. 59.

(4) داوود أبو العافية : المرجع السابق ، ص 33 0

جنوة بتحصيل ضريبة قدرها واحد وربع في المائة تسمى Drictus Granata من كل التجار الجنوية المترددين على غرناطة للتجارة (1)، ونستشف من تلك الضريبة أن حكومة جنوة كانت تهتم بتأمين التجار الجنوية حتى فى خارج بلادها وهو ما يوحي بالنضوج الفكري لدى حكومة جنوة إتجاه مواطنيها لاسيما التجار الجنوية وهذا يدل أيضاً على مقدار وأهمية التاجر الجنوي بالنسبة لبلاده 0

كذلك ظهرت نقابات التجار في جنوة والبندقية ، وهي تضم جميع فئات التجار سواء أكانت التجارة محلية أو خارجية ، وتتولى هذه النقابات تنظيم شئون التجار مع الحكومة ، وظهرت فى القرن 11م وتطورت بتوالي القرون لتشمل خدمات التجار والشركات وأصحاب رؤوس المال ، وتقوم بسداد الضرائب ورسوم وجمارك التجار للحكومة (2) 0

وكان للتجار الإيطاليين نظام معين فى الخدمات التجارية ، فتُرسل البضاعة المنوي بيعها إلى الوسيط المقيم بصورة دائمة فى مكان جهة الإرسال ، فكان على كل تاجر وصاحب رأس مال كبير أن يعمل بالتجارة ، وكان الأسلوب المتبع أن يتعرف خلال عدة سنوات من الدراسة على قواعد اللغة والحساب ، وينخرط فى خدمة صاحب النفوذ وعلى سبيل المثال ، كان يقوم بالإشتغال على ظهر سفينة صغيرة فى البداية ، ويألف البحر ثم يُرسل إلى إحدى وكالات التجارة لينتقل طيلة سنوات عديدة حتى سن الأربعين ثم يبدأ النصف الثاني من حياته العملية، حيث يستقر في موطنه ليدير شركته التجارية العائلية (3)0

والتجار الإيطاليون بصفة عامة لايشترون سلعة إلا ليعيدوا بيعها كسائر تجار الدنيا(4) ، فيتحملون المغامرة والمسئولية لاسيما الرحلة التجارية البحرية ، فيحسن التاجر سرعة التصرف ومواجهة تذبذب الأسعار وندرة البضائع وتعدد اللغات المختلفة لشتى البلدان التى يتعامل معها تجارياً ، وطرق الحساب وتقييد كآفة المصروفات والنفقات وطرق البيع والشراء، وإعداد تقرير كامل عن خط سير رحلته التجارية (5) ،

----

(1) أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ، ص 289 0

(2) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 331 – 332 0

(3) جان بيرنجيه وآخرون : موسوعة تاريخ أوروبا العام ، ت0 وجيه البعيني ، بيروت الطبعة الأولي ، 1995 ، ج2 ، ص 124 – 125 0

(4) طافور : المصدر السابق ، ص 88 0 [00 أن القوم في إيطاليا لايشترون شيئاً قط إلا ليعيدوا بيعه 00] 0

(5) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 97 0 / حاتم الطحاوي : بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص 135 0

وبصفة عامة كان التاجر الإيطالي في القرن 14م و القرن 15م يتحمل العبء الثقيل من أجل رفاهية بلاده فكان يقوم بتزويد خزائن دولته بالأموال نتيجة حركة الإستيراد والتصدير والفوائد البنكية والرسوم الجمركية، لذا كان التاجر الإيطالي حسن التدبير والإقتصاد ، ومخلصاً في تعاونه مع غيره من التجار وأهل الحرف وكبار الدولة ورجال الدين ، وكان يتزود بالعلم والمعرفة ، فكانت الناس تتهافت عليه لأجل إكتساب خبراته في التجارة وفي أسفاره بحراً وبراً ولذلك كان التاجر الجيد بمثابة وثيقة قانونية موثقة يثق بها الناس في تعاملاتهم اليومية (1) ،

وكانت التجارة في المدن الإيطالية لاسيما البندقية عمل قومي فكانت المدينة بأسرها تشترك بحماسة في العمل التجاري ، فكانت كآفة الطبقات التجارية تُقْسِمْ عند رحيلهم للتجارة أن يحافظوا على سمعتهم وحسن معاملة رجالهم والعمل بهم لمصلحة الوطن ، وقد كان بالبندقية عائلات كثيرة إشتهرت بالتجارة مثل أسرة بيت الإخوة موروسيني الذي كان من أكبر بيوت التجارة في البندقية في نهاية القرن 14م ، وأيضاً الأسر الشريفة (الأشراف) مثل آل كورنر Corner ، وآل كونتاريني Contarini ، وآل داندولو Dandolo ، وقد كانوا أغنياء من التجارة ، وبلغ تعداد الأشراف الذين إشتغلوا بالتجارة نحو ألف شريف، وبلغ دخلهم السنوي مابين 200 ألف إلي500 ألف فرنك في بداية القرن 14م ، وكانت طبقة الأشراف تساهم بدور كبير في الحكم مستندين إلى ثروتهم الطائلة من التجارة ، فكانوا مستشارى الدوج البندقي ، وشغلوا المناصب الكبرى فى المدينة ، وكانوا ينتخبون حاكم المدينة (2)0

غير أن هناك من التجار الإيطاليين لاسيما الجنوية الذين كانوا يختلسون أموال الناس أو الذين لايحترمون صكوك التبادل النقدى ، فقد كان أحد الأشخاص (طافور) يحمل صكوك التبادل النقدى وأراد صرفها من التجار الجنوية بجنوة فإمتنعوا ، الأمر الذى كبد ذلك الرجل مغارم وتعطلت حركته، مما دفعه إلى شكاية أولئك التجار الجنوية للقضاه لحسم الأمر ، وتدخل الدوج الجنوي بنفسه للقضاء علي ذلك الفساد الذي صدر من التجار الجنوية وأمرهم بدفع إستحقاقات

----

(1) Lopez: OP. Cit. P. 416 – 318. Doc. 200. / جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق ، ص 120 – 121 0

(2) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 29 ، 65 ، 68 0

ذلك الرجل إلى جانب تعويضه النفقات التي تكبدها بسببهم مُضاعَفة، وذلك لتأديب التجار الجنوية الذين يفسدون المعاملات التجارية (1) 0

كما عمل بعض التجار الإيطاليين لاسيما الجنوية كجواسيس في دولة بني مرين ولم يحافظوا على أسرارها ، فكانوا يتجسسون عليها لصالح دولة أراجون ودولة قشتالة ، سعياً وراء المال ومكاسبهم التجارية والأرباح الناجمة من التجارة بسبتة والمدن المرينية على المحيط الأطلسي(2) ، وأنهم كانوا يخفون تحت نشاطهم التجاري نشاط التجسس للعدو بسبب حرية المرور التي كانت تُعطَي للتجار (3) ، فكانوا يقدمون المعلومات لأعداء الدولة المرينية ، كذلك إتسم الكثير منهم بالغش والخداع وعدم مراعاة الضمير ،حيث لجأوا إلى خداع الناس وحصلوا علي السلع بأرخص الأسعار ، وقد إستمرت هذه الأعمال من القرن 13 -15م (4) 0 وهناك أمثلة كثيرة على غش التجار البيازنة للتجار المغاربة وحصولهم على السلع المغربية دون أن يدفعوا أثمانها لمستحقيها التجار المغاربة ، ومنها وثيقة كانت مؤرخة فى نهاية القرن6هـ/13م أوضحت قيام التاجر محرز القابسي بإرسال رسالة للتاجر باج البيزى Pace Pisano يطلب منه مستحقاته المالية[قام باج البيزى بضمان مبلغ 210 دينار كانت مطلوبة من التاجر البيزى بيير كوكولا Pier Cocolla وهى ثمن 1600 قطعة جلد ضانى ثمنها 210 دينار ، وقد دفع منها 10 دينار فقط ولم يدفع الباقى ، كذلك لم يدفع الباقى من ثمن الجلد والصوف فقد إشترى بيير كوكولا 909 قطعة جلد ثمنها 73,5 دينار و9 قنطار من الصوف ثمنها 29,5 دينار وقد دفع منها 5 دينارات فقط ولم يدفع الباقي]، مما يوضح قيام التاجر البيزي بسرقة أموال التاجر المغربى (5) 0و كان هناك تاجر يهودى مغربى فى القرن 13م قد أرسل عدة خطابات إلى عمدة بيزا لكى يرد له حقوقه المالية من التاجر البيزى اليهودى(6)0

----

(1) طافور : نفسه ، ص 9 0 [00 دخلنا ميناء جنوة 00 وانقضت عليّ بضعة أيام وأنا منهمك في مقاضاة فئة معينة من التجار الذين لم يحترموا بعض صكوك التبادل النقدي التي كانت معي غير أن الدوج وكثيراً من سادة أهل البلد حمَّلوا التجار علي أن يدفعوا لي إستحقاقاتي وضعف النفقات التي حمَّلوني إياها 00] 0

(2) عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 225 0

(3) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت0 أحمد الشيخ ، سينا للنشر الطبعة الأولي ، القاهرة 1995 ، ص 45 0

(4) جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص 121 – 122 0

(5) Amari : Op. Cit.,p. 48 – 49 , Doc. 14 .

(6) زبيدة محمد عطا : المرجع السابق ، ج1 ص 141 0

كذلك وثيقة أخرى تحمل خطابًا من التاجر هلال بن خليفة الجمنوسى المغربى إلى التاجر البيزي Pace Pisano يخبره أن يرد له حقوقه المالية من التجار البيازنة Greco , Aldkram , Ildebrando . الذين اشتروا جلودًا كان عددها 1031 وثمنها 165 دينار(1)0
ووثيقة ثالثة تحمل رسالة أرسلها التاجر مناد بن عبد الله المغربى إلى الرئيس باج البيزي كان يطلب فيها أن يرد له مستحقاته المالية وقدرها 36,75 دينار باقي ثمن 1324 قطعة جلد (2)0
ورسالة من التاجر ابراهيم بن خليفة تاجر الجلود المغربى إلى التاجرين البيزيين Forestano, Pace , يطلب من الأول حقه المالى وقدره 220 دينار ثمن 1428 قطعة جلد ضانى ، ومن الثانى 56 دينار ثمن 750 قطعة جلد ضاني (3)0
ورسالة كانت موجهة من التاجر الحاج صدقة الجلاد المغربى إلى التجار البيازنة Forestano Papiano , Albano,Benenato , يطلب منهم أن يدفعوا له مستحقاته المالية وقدرها 251 دينار وستة دراهم سكة ثمن 1485 قطعة جلد خروف (4)0
ورسالة من التاجر عمر بن أبو بكر الصابونى المغربى إلى التاجر البيزي Ubaldo Visconti وذلك في عام 624هـ/1227م يطلب منه أن يرد له حقوقه المالية المنصوص عليها فى العقود التى جرت بينهما (5)0
أما **مظاهرالثراء** للتجار البنادقة في القرن 14 - 15م تمثلت فى آثار كنيسة القديس مرقص التى تميزت بجمال الفسيفساء ونقاء الذهب وصفاء الرخام النادر والإنسجام بين الألوان ، وأيضاً القصور مثل قصر الدوج الذى كان ذو جمال وفخامة وزخارف رائعة كانت ترمز إلى

----

(1) Amari : Op. Cit.,p. 50 – 52 , Doc. 15 .

(2) Amari : Op. Cit.,p.55 – 56, Doc. 17 .

(3) Amari : Op. Cit.,p.57– 59, Doc. 18 .

(4) Amari : Op. Cit.,p.60– 62, Doc. 19 .

(5) Amari : Op. Cit.,p.83– 85, Doc. 28 .

رخاء المدينة وعظمتها وقوتها ، وبلغت قصور الأشراف عام 1367م أكثر من 200 قصر بلغت قيمتها نحو 3 ملايين من الدوكات ، ومن القصور أيضاً قصر لوريدان Loredan وداندولو فارستي Dandolo Farseiti وفندق الترك القديم وقصر فاليه (1) 0

كذلك كان بالبندقية وجنوة وبيزا بيوتات تجارية هامة مثل الإيطالى فرانسيسكو دي ماركو دانتينى (1335- 1410م) فكان لديه أكثر من 500 دفتر حسابات ، و400 وثيقة تأمين،وبضعة آلاف فاتورة ورسائل توصية وصكوك ، و150 ألف خطاب ، و300 وثيقة خاصة بالشركات(2) ، وأيضًا فى عام 1420 م قُدرت البضائع المصدرة من مخازن البندقية بمبلغ عشرة ملايين من الدوكات فى خلال عام ، وكان الربح الصافى الناتج عن مبادلة السلع أربعة ملايين من الدوكات ،(3) وبلغ أرباح تجارة سفينة بندقية واحدة كانت تحمل حريرًا وتوابل وفلفل نحو 1000%، وفى جنوة جمع أهالي جنوة ثروات كبيرة نافست ثروات تجار البندقية ، ففى القرن 14م كان هناك سفينة جنوية تحمل بضائع قيمتها 460 ألف جنيه استرلينى ، وأخرى كانت تحمل سلعًا قيمتها 470 ألف استرلينى (4)

---

(1) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 95 – 97 0

(2) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 189 0

(3) عزيز سوريال عطية : المرجع السابق ، ص 169 0

(4) عزيز سوريال عطية : المرجع السابق ، ص 169 ، 185 0

2- الجاليات الإيطالية بالمغرب المريني :

كانـت التجـارة البحريـة فـى أيـدى التجـار الإيطـاليين ، وصارت الرحلات الطويلة بين الأقطار الإسلامية فى البحر المتوسط تتم بواسطتهم ، وتحمل الإيطـاليون عبء المواصلات بين موانئ أقطار المغرب وغرناطة والمشرق الإسلامي ، فكانت السفن الإيطالية تنقل المتاجر والحجيج والمسافرين لمختلف البلدان (1) ، لذا تواجد التجار والمشتغلون بالتجارة على مقربة من البحر بالمدن والموانئ الأطلسية والبحرمتوسطية، موزعين حسب جنسياتهم فى فنادق خاصة بهم (2) ، تحت سيطرة قنصل يعرف فى اللغة البرتغالية باسم فَيْطور (3) ، يستخلص منهم المداخيل ومعاليم الكراء والتخزين ونفقات العقود لحساب دولته (4) ، وإلى جانب القنصل كان يقيم أيضاً راهب للإشراف على الحياة الدينية للمسيحيين ، وموثق لعقد العقود التجارية وتوثيق قرارات القنصل 0 وإمتلك التجار الإيطاليون بعض الحوانيت بالموانئ المغربية مثل التاجر الجنوي فيكولوسو نيبيليلا ، الذى إمتلك منزلاً على مقربة من باب دار الصناعة بسبتة وآخر يدعى أوبيزو دي كاستيلو إمتلك حانوتاً خارج أسوار الفندق بسبتة (5) 0

كذلك التاجر الجنوي كوكليلمي الفقيه الذى كان يتردد على مدينة سبتة للتجارة لاسيما فى آخر القرن 12م (6) ،

وتقع طبقة التجار الإيطاليين الذين أقاموا فى جاليات بالمدن المغربية تحت فئة التجار الذين يشتغلون لحساب التجار الكبار ، لأن التجار الكبار الإيطاليين يكتفون بتوكيل وكلاء عنهم

----

(1) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 285 / برنشفيك : المرجع السابق ، ص ج2 ص 197 / عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 290 - 291 0 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 237 0/ Goitien : Jews and Arabs, New York p.108 / Byrne E. H.:
Easterners in Genoa, Journal of the American Oriental Society 1918, V.XXXVIII, p. 176 – 187.

(2) الأنصاري : المصدر السابق ، ص 42 0 / الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 214 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 464 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 122 – 123 0

(3) لوتورنو : فاس قبل الحماية ، ج1 ص 113 0

(4) برنشفيك : نفسه ،

(5) محمد الشريف : سبتة الاسلامية ، ص 123 – 124 0

(6) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 119 ، هامش 20 0

للتجارة ببلاد المغرب الأقصى ، وهؤلاء التجار الوكلاء هم الذين أقاموا بصفة دائمة أو مؤقتة بدولة بني مرين ، وقد إنصهر تجار جنوة فى المجتمع المغربى وفهموا اللغة

العربية،وإستطاعوا أن يتعلموا مبادئ اللغة العربية لنهضة بلادهم التجارية ، لذا تواجد فى إيطاليا ديوان قنصلى لتعليم اللغة العربية Chencellerie(1) ، ورغم أن التجار الإيطاليين كانت إقامتهم بالموانئ والمدن المرينية مرتبطة بالعقود التجارية التى تنص على فترة زمنية محددة ، وكانت فترة مجيئهم للإقامة بالمدن المرينية فى فصل الصيف ، إلا أن هناك العديد من المشاكل الإجتماعية التى واجهت هؤلاء لاسيما منع السلطات المرينية للتجار الإيطاليين من إصطحاب زوجاتهم أو إستقدام نساء من بنات جنسهم ، وتعذر التزوج من النساء المغربيات(2)، أضف إلى ذلك تزايد إقامة التجار القطلان بأعداد كبيرة وإقامتهم بصفة مستمرة بالموانئ المرينية على حساب التجار الإيطاليين (3)، فكانت تلك المزاحمة أيضاً من المشكلات التى واجهت التجار الإيطاليين للإقامة بصفة طويلة بالمدن المغربية ،

وكان التجار الجنوية المقيمين بسلا يسود بينهم التعاون والصدق ، فكانوا يعقدون كثيراً من الصفقات التجارية الهامة مع حاكم المدينة، ولقوا منه إهتماماً ورعاية لأن تجارتهم كانت تحقق موارد عالية لخزانة المدينة ، و إمتلك التجار الجنوية مستودعات ومخازن فى فاس وسلا ، وكانوا يتعاونون مع بعضهم عند شحن السلع والبضائع ويعمل الواحد منهم لحساب الآخر ، ولكى ينعم التجار بحياة سعيدة هادئة آمنة، تقربوا لحاكم المدن بالهدايا والإعطاءات ، ومن هؤلاء التجار الجنوية " توماسو دومارينو" الذى عاش فى آخر دولة بنى مرين بفاس ، وكانت له أسرة من بضعة أبناء كلهم تجار أثرياء ، وكان التجار الجنوية يفضلون دفن موتاهم بوطنهم جنوة (4)0 وكان هناك تجار جنوية مثل Niccolo di Sigiodio , Gentile Imperiali , Seguvano Salvago يتاجرون فى العبيد الوافد من شمال أفريقيا إلى أوروبا ، فكانوا

----

(1) ابراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي ، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، دار الطليعة ، الطبعة الأولي بيروت 1994 ، ص 103 0

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 463 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 121 0

(3) Los Ducomentos Arabes…, Op Cit p. 165 – 166, 169, 197, 210, 212 – 214, 224 – 225 / Dufourcq: Op. Cit. P. 521.

(4) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 214 0

يتحدون البابوية التى كانت تحرم تجارة الرقيق ،فقد أصدر البابا مارتن الخامس عام 1425م أمرًا يدين فيه كل المشتركين فى هذا العمل الشرير ، ولكن كل القوى التجارية كانت تشجع

تجارة الرقيق وكانت قيمة العبد تتوقف على عمره وصحته ، وأشار أحد الرحالة (فليكس فابر) فى القرن 15م إلى وجود نحو 300 من الأرقاء المسلمين فى البندقية ، وكانوا يُستخدمون فى تقذيف السفن الشراعية فيها (1) 0

ولم تقتصر إقامة التجار الإيطاليين بالموانئ والمدن الشمالية بالمغرب المرينى ، بل توغلوا داخل البلاد بجنوب المغرب الأقصى لتجارة الذهب والرقيق ، وذلك في القرن 15م(2)،غير أن التجار الجنوية والبنادقة توغلوا فى بلاد السودان عبر الموانئ المتواجدة بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، ودخلوا سجلماسة وجمعوا المعلومات عن طرق التجارة ومنابع تجارة الذهب وكان بداية في القرن 11م ثم نشطت هذه الحركة فى القرن 15 و 16م فدخل الجنوية ماسّة وأجادير وتوات وتاجروا مع اليهود والمسلمين بجنوب المغرب الأقصى (3) ، لكن توغل هؤلا التجار الإيطاليين لم يكن بصفة عامة ، فكانت نسبة ليست كبيرة هى التى تاقت إلى التوغل وخاف بقية التجار من المغامرة بأنفسهم في المدن الداخلية وبلاد السودان(4) ،

وخلاصة القول أن التجار الجنوية والبيازنة والبنادقة إحترفوا التجارة وكان همهم الأول والأخير الربح والكسب المادى ، وهم قوم جشعون محبين للمال ، ولا يُعرضون أنفسهم ولا تجارتهم للخطر (5) 0

أما عن التجار اليهود الإيطاليين فقد شاهد أحد الرحالة الذين رحلوا إلى بيزا أن عدد اليهود بها نحو عشرين يهودياً [00 وفي المدينة نحو عشرين يهودياً 00] (6) ، كذلك مدينة جنوة كان

----

(1) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ت0 فيليب صابر سيف ، دار الثقافة المسيحية ، 1972 ، ص 172 – 173 0

(2) آ 0 آشتور : المرجع السابق ، ص 418 / ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 177 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p. 137. / Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p. 403 – 404.

(4) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 237 0

(5) جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص 93 – 95 0

(6) التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 0

يفد عليها تجار يهود من سبتة ومنهم صموئيل بن خيلام وأخوه (1)،لكن الجنوية كانوا يضطهدون التجارالجنوية اليهود ، فقد طُرد التجار الجنوية اليهود مرات عديدة من مدينة

جنوة ولم يكن يُسمح لهم بالبقاء فيها أكثر من ثلاثة أيام كما كان حالهم أكثر سوءًا فى البندقية(2)0

مما يرجح أن المدن الإيطالية كان بها جاليات يهودية لها علاقات تجارية بيهود بلاد المغرب لاسيما مدينة سبتة 0

----

(1)) التطيلي : المصدر السابق ، ص 58 ، [00 وفي هذه المدينة (جنوة) يهوديان قدما إليها من سبتة ، هما الفاضلان صموئيل بن خيلام وأخوه0]0

(2) Ashtor : History of the Jews in Egypt and Syria the Rule of the Mamluks,Geniza docoumentes,Jerusalem,1970, II ,p.167 – 168./ محاسن محمد الوقاد : المرجع السابق ، ص 51 0

الفصل الرابع : النظم التجارية للمدن الايطالية [جنوة – بيزا - البندقية] 0

[1] طرق التجارة الايطالية 0

[2] السفن التجارية الايطالية :

أ- السفن البندقية 0

ب- السفن الجنوية 0

ج- ا لسفن البيزية 0

[3] حركة الشحن البحرى 0

[4] النظم التجارية الايطالية :

شركة التوصية Commenda - الشركات البحرية Societas Maris -عقود قرض البحرالتجارية - الموثقون وكاتبوالعقود - الحولات والكمبيالات - القرض المالى ودوراليهود - المقايضة 0

[5] العملات النقدية الايطالية وأسعار بعض السلع

[6] الصيرفة والبنوك الايطالية

[7]الضرائب الجمركية

[8] الموازين والمقاييس والمكاييل

الفصل الرابع: النظم التجارية للمدن الايطالية [جنوة – بيزا – البندقية]

إتخذت النظم التجارية فى العصور الوسطى صفة المحافظة على القديم واستمراره مع ما يستحدث من نظم وقوانين جديدة 0 وعندما تشير إحدى الوثائق إلى تعديلات

أخرى جديدة فهى تذكر القديم ثم تضيف إليه ما أستجد ، غير أن الحياة الأقتصادية منذ القرن12م إستمرت إلى القرنين 15،16م مع تعديلات بسيطة ، (1) فقد كانت التجارة بجنوة تعتمد على مهارة التاجر الجنوى وغيره من الايطاليين فى حين ساد العصور الوسطى فى ذلك الوقت نوع من الرأسمالية الدولية (الشركات) ، (2)، ويذكر أحد المؤرخين أن التقنيات التجارية البحرية الأوربية التى سادت المدن الايطالية لم تكن معروفة ببلاد المغرب، فقد استخدم التجار والأعوان النصارى أو اليهود التقنيات التجارية الأوربية الرائجة لاسيما أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة من النصارى وقاموا بتطويرها تدريجيا فى غرب البحر المتوسط مثل الصرف والتأمينات وتأسيس الشركات ، لم تتوغل تلك التقنيات التجارية الإيطالية إلى داخل بلاد بنى مرين ، وكذلك لم تتأثر التقنيات التجارية المغربية بالتقنيات التجارية الأوروبية (3)، وأرى أن التقنيات التجارية البحرية كانت معروفة ببلاد المغرب لاسيما المدن التجارية الساحلية والمدن الكبرى الداخلية ، وكانت أصولها إسلامية ، وقد سبق الحديث عنها فى الفصل الأول ، ومن التقنيات التجارية البحرية الإيطالية الإسلامية الأصل، العلامة التجارية التى كانت توضع على السلع أو البضائع الخاصة بالتاجر صاحب العلامة ، فقد كان التاجر المسافر يقوم بالتعاقد مع أكثر من تاجر كبير فتتعدد الطلبيات فى شركة التوصية Commenda لذلك لجأ التاجر المسافر إلى حيلة ألا وهى وضع علامات تجارية على السلع لحمايتها من الضياع أوالفقدان ، ليسهل التعرف عليها أثناء الشحن والتفريغ للسفن، كذلك فى حالة غرق السفينة وإرتطامها بشواطئ البحر مثلما كان يفعل تجار ميورقة وكانت هذه العلامات ذات شكل بسيط مثل [G +] وهى علامة للتاجر جويام كانيه الميورقى

----

(1) نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ، ص 257

(2)Dufourcq: Op. Cit., P. 62.

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ، ص 259

فى عام 1327 م (1)، كذلك العلامة الخاصة بشركة برنابينيه الميورقية (   )، وكان وجود تلك العلامات يوضح تطور التجارة فى المدن الإيطالية ومن ثم انتقلت إلى ميورقة وذلك أواخر القرن 13م وبداية القرن 14م (2) 0 وقد كانت العلامة التجارية معروفة لدى المسلمين

لاسيما مصر والشام ، فقد كانت حوادث القرصنة وأهوال البحر سبباً فى ضياع سلع ومتاجر المسلمين ، لذلك إبتكر التجار المسلمون وسيلة لحفظ سلعهم والتعرف عليها عندما تعود إليهم مرة أخرى وكانت العلامة عبارة عن أسماء التجار أنفسهم أو علامات خاصة بهم وكانوا يحترمونها ، وهناك نص أورده صاحب الروضتين نقلاً عن إبن الأثير [[00 خرجت سفن من مصر والشام فأخذ الفرنج في اللاذقية مركبين مملوءين بالأمتعة ، وكان لوالدى في المركب تجارة مع شخصين ، فلما أعادوا للناس أموالهم 00 وكان يحمل المتاع ، فكلف من كان اسمه عليه أو على ثوبه أخذه وكان فى الناس من يأخذ ما ليس له ، وكان أحد هذين المضارين فيه أمانة ، وكان نصرانياً فلم يأخذ إلا ما عليه اسمه وعلامته 00]] (3) 0

وقد كانت لمدينة سبتة مكانة هامة للإستثمارات الجنوية خلال القرن 13م، فسبتة احتلت مكان الصدارة فى التجارة الجنوية حيث بلغت استثمارات جنوة نحو 5و37% من عدد العمليات التجارية، و 3و42% من الرساميل المستثمر، وهذا يوضح إستثمار جنوة بسبتة نحو 25ألف ليرة خلال القرن 13م (4) 0

----

(1)Dufourcq: Op. Cit., p. 60

(2)Dufourcq: Op. Cit., p. 60

(3) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل : الروضتين في أخبار الدولتين ، القاهرة ، 1288هـ ، مطبعة وادي النيل ، ج1 ص 203

(4) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 105 – 106

[1] طرق التجارة الايطالية- المغربية :

تُعد طرق التجارة الايطالية المغربية حلقة من حلقات التجارة العالمية فى العصور الوسطى التى دارت بين المشرق والمغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، فالسلع

الواردة من بلاد الصين والهند وغيرها كانت تفد إلى مصر وشمال أفريقيا و أوروبا عن طريق البحر الأحمر والخليج الفارسى فكانت السفن الايطالية تحملها لتقوم بتوزيعها إلى أوربا وبلاد المغرب فى مقابل نقل السلع الأوربية والمغربية إلى مصر وبلاد المشرق وأوربا أيضا ، مما يعنى قيام المدن الايطالية بدور الوسيط التجارى للتجارة العالمية ولذلك كانت بلاد المغرب ماهى إلا حلقة فى فلك الفضاء التجارى الإيطالى 0

كانت طرق التجارة الإيطالية متشعبة ومتعددة لكى تفى بتلبية كل احتياجات الأقطار المختلفة من السلع المتنوعة ، فهناك طريق بحرى كان يصل البندقية بالاسكندرية ودمياط وساحل بلاد الشام لنقل المتاجر الشرقية والتوابل إلى أوربا وبلاد المغرب ، وكان هناك طريق برى يصل من بلاد الصين والهند عبر أواسط أسيا إلى أوربا (1) 0 وطريق بحرى كان يصل البندقية إلى بلاد الفلمنك وأسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا (2) ، وطريق أخر كان يصل البندقية ماراً بقبرص إلى تونس والمدن الساحلية ببلاد المغرب ، وكانت هذه السفن تربط بلاد المغرب بمصر وجزر الحوض الشرقى من البحر المتوسط من جهه وبين المدن الإيطالية من جهة أخرى (3)، ونظراً لتشعب طرق التجارة البندقية وتعدد أساطيلها التجارية، قامت البندقية بإعداد نظمٍ هامة لحماية الأساطيل التجارية من خطر القرصنة وهو ما يعنى بقوافل البندقية

----

(1) Frederic G.Lane: Venice Amaritime Republic, London, 1973, P .68 – 71.

/ مصطفى حسن محمد الكنانى : العلأقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ، ص 298 -302

(2) Frederic G.Lane:Op. Cit. p. 68 – 71.

/ نعيم زكى فهمى :المرجع السابق ، ص178 / فايد حماد محمد عاشور : المرجع السابق ، ص 215 - 216 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 213 – 345 / جوليان : المرجع السابق ، ج2 ، ص 237 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ، ص 293 / لوتورنو : المرجع السابق ، ص 195

البحرية التى عرفت باسم مراكب المدة (1)، ولكل جهه سفن معينة كان يصاحبها سفن الأسطول الحربى لحمايتها من القرصنة، وكان يوصلها لنقطة الحراسة التالية ويبقى لحين عودتها لمصاحبتها ، و كانت هذه النقطة تقع فى جزر ومدن السواحل ، مثل جزر كورون

ومودون وكريت وقبرص وغيرها(2)، غير أن طرق التجارة البندقية لم تتوقف عند شواطئ البحر المتوسط لدولة بنى مرين ولكن امتدت إلى مدينة ماسة على المحيط الهادى التابعة أيضاً للمرينيين (3)0

أما جنوة فقد تعددت طرقها البحرية التجارية بالبحر المتوسط شرقاً وغرباً [00يسافرون براً وبحراً ويقتحمون سهلا ووعراً ولهم أسطولٌ مخيف 00] (4)، لاسيما بلاد المغرب ، وكانت جزر كورسيكا وصقلية وسردينيا محطات للسفن التجارية بوسط البحر المتوسط ومخازن للسلع والبضائع المتنوعة (5) ، ومن هذه الطرق التجارية : طريق كان ينطلق من جنوة ماراً بجزر سردينيا وكورسيكا وصقلية وجزر يابسة وميورقة ومنورقة إلى البلاد الحفصية ودولة بنى مرين، وكان يعبر مضيق جبل طارق إلى المدن المغربية المطلة على المحيط الأطلسى(6)، وثمة طريق ثان كان يربط بين جنوة والاسكندرية ماراً بالمدن الساحلية بشمال أفريقيا إلى سبتة والعودة إلى الإسكندرية ثم يصل للمدن الساحلية ببلاد الشام ويمر بجزر أقريطش والعودة إلى جنوة (7) 0 ولم تكتف جنوة بتنظيم طرق تجارية بحرية فقط ولكنها

----

(1) مدة : تعنى قافلة الموسم وأصلها إسلامي وإذا أضيف لها كلمة مراكب صارت تدل على بيان وقت رحيل وعودة سفن القافلة ، وتطورت الكلمة لتشمل أنواع السلع التى تحُمل على سفن معينة وتصل فى أوقات محددة فيقال مدة سبتمبر الدالة على اسطول الشرق العائد فى شهر سبتمبر ، انظر نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص 178 ، 267 / محمد عبد الغنى الأشقر : المرجع السابق ، ص 192 – 193

(2) نعيم زكى فهمى : نفسه ، ص 178 – 179 0

(3) Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit. p 313 – 410 / Commandant Marc Antonio Bragadin : Op. Cit. P. 151

(4) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 749- 750 0

(5)Gabriella Airaldi : Op. Cit. , P. 39

(6) Ibid, / Jacques- Meunie`, Djinn : Op. Cit, P. 410 / نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص 183 0

(7) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 8 ، 13 ، 287 / أمين توفيق الطيب : المرجع السابق ، ص 44 / Gabriella Airaldi : Op. Cit. , P . 58 / Eugene H. Byrne : Op. Cit. , P . 178

أعدت طرقاً تجارية برية ببلاد المغرب المرينية للوصول إلى مراكز إنتاج الذهب عبر المدن المغربية المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى مثل سبتة وسلا وصافى ثم التوغل داخل الأراضى المغربية المرينية للوصول إلى سجلماسة بلد التبر وأنقى أنواع الذهب فى

العالم أنذاك ثم التوجه إلى واحات الصحراء الكبرى مثل تومبوكتو وتوات لشراء الرقائق الذهبية الثمينة ، سجلماسة هى البداية لبوابة الصحراء وبلاد الذهب (1)، فقد كانت جنوة وغيرها من المدن الايطالية تتلهف على الاتصال بدولة مالى والتعاون معها من أجل الحصول على الذهب (2)، ويدل على ذلك ما كتبة الكاتب الجنوى أنطونيومالفانت(*) :

[[00بعد أن نزلنا من البحر إلى البر بشمال أفريقيا تقدمنا من سجلماسة نحو الجنوب وسرنا ممتطين ظهور الجمال حوالى 12 يوماً حتى وصلنا إلى واحة توات ويتكون هذا المكان الذى نزلنا به من 18 حياً يحيط بها سور عالٍ ويحكمهم رؤساء القبائل، وهم يقومون بحماية المسافرين الذين يشعرون فعلا ًبالأمان والاطمئنان 00 إذ لم يرالقوم هنا مسيحى من قبل 0 أما اليهود فجاليتهم هنا تعيش فى أمان وحرية ويقوم رؤساء كثيرون بحمايتهم وينجزون أعمالهم عن طريق وكلائهم 000 والذهب المباع هنا يشترونة من القادمين من الساحل 00]](3)، ومن النص يتضح أن التجار الإيطاليين ومنهم الجنوية كانوا يتوغلون إلى داخل بلاد المغرب الأقصى حتى سجلماسة وواحات الصحراء مثل واحة توات لجلب الذهب والرقيق السودانى والسلع السودانية الأخرى 0

أما مدينة بيزا فهى لم تختلف عن جنوة والبندقية فى طرقها التجارية لاسيما مع دولة بنى مرين [00 ولأهلها مراكب وخيل واستعداد لركوب البحر وقصد البلاد 00](4)، فكانت

----

(1) مارك بلوك : المرجع السابق ، ص 41

(2) عبد القلدر زبادية : المرجع السابق ، ص 23 – 24

(*) أنطونيو مالفانت : موظفاً لدى إحدى البيوتات التجارية بجنوة مثل مدام دى لارونسيير ، وكانت لديهم الرغبة فى الحصول على وسائل التجارة مع شمال افريقيا والصحراء المغربية ، وقد وصل إلى قلب الصحراء فى عام 1448م فى أخر عصر بنى مرين ووصل إلى سجلماسة وبلاد الصحراء وواحة توات وكتب مذكراتة عما شاهده ببلاد الصحراء وكل المعلومات التى تتعلق بالتجارة لكى يتعرف عليها أصحاب البيت التجارى الذى يعمل به ، فوصف نهر النيجر ومنابع الذهب والعاج : انظر نعيم زكى فهمى : دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى ، ص 138 ، ماحق 10

(3) نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص 138 ، ملحق 100 0

(4) الادريسى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 750

السفن التجارية البيزية تنطلق من بيزا ثم صقلية ثم تمر بكافة سواحل دولة بنى مرين المطلة على البحر المتوسط كما جاء ذكر ذلك فى المعاهدة التجارية بين بيزا ودولة بنى مرين عام 759هـ0(1) وعندما آلت بيزا إلى سلطة بلدية فلورانس فى القرن 15م كانت طرق التجارة

البيزيـة تتبـع نفـس الـنظم التجاريـة البندقيـة ، ففـى كـل عـام تنطلـق مـن ميـنـاء بيزانـو سـفينتان مؤجرتـان بالمزاد العلنى فتمران من ميناء جنوة ثم تتوجهان إلى موانئ دولة بنى حفص ثم تستمر غربـاً إلـى موانئ دولـة بنـى مرين وجنوب إسبانيا ثم تتبعان نفس الطريق فـى الإتجـاه المعـاكس عند العودة (2) ولـم تخـرج السـفن التجاريـة البيزيـة للتجـارة فـى فصـل الشـتاء ، فقد أصدرت بيزا قراراً فى عام 1160م بمنع خروج السفن من الميناء من أول نوفمبرإلى أول مارس (3)0 ومن أهم نقط طرق التجارة البحرية لبيزا هى جزر كوربو، Civitavechia ، قشتيل ، سردينيا ، كورسيكا ، بينوزة ، ألبة ، كبرارة ، جلبى ، منت أكرست ، وهى بـالبحر المتوسط 0(4) كذلك مدينة مونبلية التى كان يجتمع فيها التجارمن نصارى ومسلمين من مختلف البلدان فهى قاعدة تجارية لجنوة وبيزا 0(5) وهناك طريق بحرى كان يصل البندقية إلى بيزا حيث كانت تنطلق تجارة الحبوب إلى بيزا وذلك فى القرن 14م(6)0

----

(1) Amari: Op. Cit., P. 1 - 8.

(2) برنشفيك : المرجع السابق ج1 ، ص295 0

(3) حاتم عبد الرحمن الطحاوى : المرجع السابق ، ص 141 0

(4)Amari: Op. Cit. P. 68 – 78

(5) بنيامين التطيلى : المرجع السابق ، ص 53 ، مونبلية [بلدة تجارية تبعد نحو الفرسخين عن الساحل حيث يجتمع التجار من نصارى ومسلمين من مختلف الأمصار من عدوة الغرب ولمبارديا وممالك رومية الكبرى وفلسطين واليونان وفرنسا وانجلترا من الذين يتحدثون بكل لغة ولسان لأنها القاعدة التجارية للجنويين والبيزيين 000] 0

(6) Giuseffe Rossi - Sabstini : Op. Cit. ,P . 59

[2] السفن التجارية الايطالية :

أ- سفن البندقية :

نظراً لازدهار البندقية التجارى الضخم واتساع تجارتها مع بلاد المغرب ، تعددت وتنوعت سفنها وأساطيلها التجارية ، فكان إسطولها يتكون من ثلاثة آلاف سفينة تجارية مختلفة ، وثلاثمائة سفينة حربية ، وكان البنادقة يصنعون خمساً وأربعين سفينة كل عام ، ووصل تعداد البحارة بالأسطول نحو 25ألف ، وتعداد العاملين بالصناعات البحرية نحو17 ألف (1) ، فقد اهتمت البندقية بتنظيم صناعة السفن ، فأصدرت قوانين بمنع مغادرة صُنَّاع السفن البنادقة إلى خارج البلاد ، كذلك منعتهم من تغيير مهنتهم إلى مهنة أخرى دون الحصول على إذن من الحكومة البندقية ، وإشترطت حكومة البندقية على صُنَّاع السفن بأن تكون السفينة مطابقة للمشروعات التجارية والحربية معاً ، فكانت البندقية تحتكر أسرار وفنون صناعة السفن وحافظت عليها ومنعت خروجها إلى المدن الأخرى (2)، وكانت السفن التجارية البندقية من أنواع عديدة مثل "Vessel" ذات الحمولة الكبيرة و"Galleys" (*) ذات الحمولة الكبيرة أيضاً ، ومزدوجة الإستعمال للتجارة والحرب معاً ومزودة بالمجاديف(3)، وكان هناك البكوس والطريدة والجومبارية Tarida , Bucuis , Gombaria ، وهى سفن تجارية أقل أنسياباً فى شكلها وأكبر حمولة وأعلى جانباً وأبطأ سيراً، وكانت تسير فى الغالب بالشراع ومزودة بالمجاديف ، فكانت تلك السفن أثقل حمولة(4)0 وكان هناك أيضاً سفن Naves , Salandria ، وأما السفن مدورة الشكل ذات

----

(1) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ، ص 66 / جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص 87 – 88 / فايد حماد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الأدني الإسلامي في العصر الأيوبي ، ص 98 0

(2) Molmenti : Venice , part. 1 , p. 132 – 133 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 27 – 28 0

(*) غاليس : Calleys نوع من السفن التجارية وتعرف عند المسلمين باسم الشوانى ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج2 ، ص 519 / ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص 339 – 340 / درويش النخيلى : السفن الاسلامية ، ص 83- 85 / وكانت قافلة البندقية من نوع Galley يطلق عليها Muta ثم تطورت السفن فى القرن 13م لتصبح ذات حجم وحمولة أكبر وعرفت باسم Reccaforte ، انظر حاتم عبد الرحمن الطحاوى : المرجع السابق ، ص 141 0

(3) فايد حماد عاشور : المرجع السابق ،ص 51 – 52 0

(4) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 19 - 28

ثلاث طبقات فمنها Sancta Maria , Roccafortis ،(1) ويبلغ طول قرينةKeels السفينة دائرية المقدمة وذات ثلاث طبقات نحو 6و22 متراً(2) 0

وكان الأسطول فى نفس الوقت مستعداً لمواجهة الحرب والقرصنة ، وبالتالى كانت تجمع مهمتين تجارية وحربية فى وقت واحد (3)0

و كانت الدولة تقوم غالباً ببناء السفن وتأجيرها للتجار لممارسة التجارة فى مقابل أجور معينة وتتميز السفن التجارية للبندقية بأنها ذات شكل ولون واحد ليسهل التعرف عليها فى الموانى التى ترسو بها واصلاحها وقت العطب وانقاذها وقت الخطر ، وأمرت الحكومة البندقية تجارها بعدم بيع سفنهم لغير البنادقة (4) 0

وكانت الأساطيل الكبيرة تجتمع تحت إمرة أحد ممثلى الدولة وتغادر البندقية مرتين فى العام فى مواعيد ثابتة إلى مختلف البلاد التى كانت تتاجر معها وهو ما يعرف بالقوافل (5) ، وكذلك كان هناك نوع من السفن تخَصَّصَ فى نقل المياه العذبة بالبندقية ، وكانت سفن كبيرة يملؤونها بالرمل ويوجد فى قاعها فجوات ذات غطاء ، فإذا دخلت السفينة نهراً عذباً رفعوا الغطاء ليمتلئ القارب بالمياه إلى أقصاة ثم يُغطى محكماً ، وتلك كانت طريقتهم فى نقل المياة(6) 0 وللبنادقة ستة أساطيل تجارية تخرج كل عام ، وما يهمنا هو الأسطول السادس المتجه إلى الإسكندرية وبلاد المغرب ، وكان يسافر إليها فى الفترة من 8 – 25 سبتمبر(7)،و هو وقت هبوب الريح الشرقية فى فصل الخريف ، (8) حيث تتجنب البندقية السفر فى الطقس السيئ وعدم إضاعة الوقت فى الموانئ بإنتظار تحميل وتفريغ البضائع الذى يستغرق نحو8أيام

----

(1) John H. Pryor: Commerce, Shipping and Naval Warfare in the Medival Mediterranean, London1987, vol.VII, p.173, 277.

(2) Ibid, p.275.

(3) ول ديورانت : المرجع السابق ، ج2 ، مجلد 5 ، ص 204 ، ترجمة محمد بدران 0 / شارل ديل : نفسه ، ص 28

(4) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 28 – 29 0 نجلا عبد النبى : المرجع السابق ، ص 150 – 151 0

(5) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 28 / شارل أندرية جوليان : المرجع السابق ، ج2 ، ص 247 0

(6) طافور : المصدر السابق ، ص 171 0

(7) نعيم زكى فهمى : المرجع السابق ، ص 268 0

(8) ابن جبير : المرجع السابق ، ص 284 0

فى حالة تمام الحمولة (1) 0 ويستعمل البحارة البنادقة البوصلة ويصطحبون معهم سفناً حربية للدفاع عن تجارتهم وقت الخطر وهجمات القراصنة (2)0

وكان قائد السفينة يختار طاقمها و يراقب سلامة الشحن وتـأمين طعـام وشـراب بحـارة السفينة، وعنـدما كانـت سـاعة الرحيـل تـأتى ، كـان القائـد يتقدم إلـى ظهـر السـفينة، ثـم طـاقم البحـارة، وعندئذ يعلن نـافخو الأبـواق بـدء سير السفينة فيتقدم كل فـرد إلـى تسلم مهـام عملـه، وتُفحص الأسلحة و المجاديف، وعندئذ تتحرك السفينة والقافلة بأكملها (3) 0

ولقد طرأ على مدينـة البندقيـة فترات ضـعف وتـدهور فـى حياتهـا التجاريـة لاسيما فـى النصـف الثانى من القرن 14م من جراء استمرار الحروب الطاحنة ضد جنـوة تـارة وبيزا تـارة أخـرى، فقد كانت جنوة تسد على البندقية طرق التجـارة ، ولكـن بعـد تغلـب البندقيـة علـى تلـك المعوقـات خلال نصف قرن من ذلك الوقت أصبحت هى الملكة المتوجة على رأس إيطاليا(4)0

----

(1) محمد عبد الغنى الأشقر : تجارة التوابل فى مصر ، ص 192 – 193 0

(2) هنرى بيرين : المرجع السابق ، ص92 / شارل ديل : نفسه ، ص 27 0

(3) T.okey: Venice and its story, London, 1903, P. 105 . / فايد حمادعاشور: المرجع السابق ، ص 263

(4) ول ديورانت : المرجع السابق ، ج2 ، مجلد 5 ، ص 198 0

ب- السفن التجارية الجنوية :

كان معظم السفن التجارية الجنوية من نوع الغاليس " Galley" و

" Sagitta " و " Navis " (1) أو" Nefs "(2) ، ويذكر دفورسك سفينة جنوية من نوع غاليس Galley تعود إلى عام 1382م طولها 40 متر من الكتف حتى مكان حمل الركاب وعرضها عند الفوهة 4متر ، وعرضها عند عمقها 2متر و90سنتيمتر ،وارتفاعها من الصالب (عارضة رئيسية تمتد على طول قعر المركب) إلى الجسر مرتين ، وهى سفن شراعية مزودة بالمجاديف (3)، أما سفن Navis أو Nefs فهى مراكب شراعية وأشار إليها منظمو العقود وكتاب العدول الجنوية بتعبير متعارف عليه وهو Navis ونادراً بتعبير أخر هو Bucios ، الذى كان يستخدم فى غرب البحر المتوسط للتجارة والنقل إلى صقلية وشمال أفريقيا (4) 0وهناك الشوانى الجنوية ، فقد كان فى ميناء فماجوستا بقبرص مقدم جنوى (قبطان)على الشوانى الجنوية بها (5)، وكان هناك نوع آخر من السفن التجارية الجنوية وهي Salandria ، إلى جانب السفن دائرية الشكل والتى عُرفت باسم Paradisus(6)0وبصفة عامة تميزت سفن التجارة بجنوة فى القرن 13م بتعدد الأنواع وكثرة عددها لاسيما المتجهة للتجارة مع بلاد المغرب (7) ، وكانت كبيرة الحجم ،ودائرية الشكل وبلغ طول قرينة Keels سفينة النقل ذات مقدمة دائرية ومكونة من ثلاث طبقات نحو 22و6متراً (8)، وبمقدمة السفينة أوالمركب صاير عليه شراع وبها عدة صوارى أخرى

----

(1): Dufourcq: Op. Cit., P. 36. / حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 141 0

(2): Dufourcq: Op. Cit., P. 36.

(3) Ibid, P. 36.

(4) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 70 0

(5) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص 96 0

(6)John H. Pryor: Op. Cit.vol.VII, p.173, 366.

(7) ابن الحاج النميرى : المخطوط السابق ، ص 74 ، لوحة 46 والنص يذكر كثرة السفن الجنوية [00ولم تغرهم أجفانهم 000وأساطيلهم 000] 0

(8) John H. Pryor: Op. Cit.vol.VII, p.275.

مزودة بالأشرعة، وكان يحتفظ فى كل سفينة بأربعة إلى سبعة شرع بأحجام مختلفة لمواجهة الأنواء البحرية ، ولإستعمالها كبديل فى حالة العطب فى الأسفار البعيدة ، وكان يحتفظ بقطع

من أقمشة الشراع المصنوعة من القطن والتى كانت تصنع فى جنوة على سبيل الإحتياط، وكان يحتفظ بشراع قوى أمتن من المشمَّع لإستعماله عند هبوب الرياح العاصفة(1)، و كان هناك نوع أخر من المراكب الإيطالية المدورة التى كان لها صاريان بصفة عامة وأشرعة مثلثة وكانت تتألف من عدة طبقات لإحتواء المسافرين والبضائع (2)، وكانت مزودة بالمجاديف(3)، والشرع مصلبة على شكل صليب لتمتلئ بالريح وهو أعدل وأنسب بالنسبة للسفن الجنوية التى كانت تتلقى الريح فى مؤخرة المركب عند سيره فى مجراه (4)0 وللسفينة الجنوية رئيس (القبطان) ومعه طاقم البحارة الذين كانوا يقومون بخدمة الصارى والشراع وإصلاح الأعطاب بالمركب ، وكان هناك بحارة ملتزمة بخدمة زوارق النجاة، والجميع يتعاونون لدرء خطر أعطاب المركب (5)، والسفينة الجنوية تشبة مدينة جامعة للمرافق مزودة بكافة إحتياجات المسافرين من خبز وماء وفاكهة وبقول وغير ذلك من الأطعمة والأشربة والملابس (6) ، أما السفينة الصغيرة فإن قائدها هو صاحبها أو شريكه أوالتاجرالذى يستأجرها وكان يتولى القيادة بنفسه ، ولكن فى معظم الأحيان سافر عليها أصحابها لممارسة التجارة ، وكل أعضاء طاقم السفينة كانوا يميلون إلى المشاركة فى التجارة ، وكانت إدارة السفينة دائما فى يد الرجل الأكثر ثراءاً ، فالقرارات الخاصة بالسفينة مثل إختيارالقبطان كانت ترجع لأصاحب السفينة (7) ، وأمكن رصد 150 اسماً لمراكب المسلمين فى القرن الحادى عشر الميلادى من خلال أوراق جنيزة القاهرة ، أما فى القرن الثانى الميلادى فلم يتم رصد سوى اسمين فقط مما يدل على انتشار المراكب الايطالية بالبحر المتوسط على حساب

----

(1) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 285 ،293 - 294 / حاتم عبدالرحمن الطحاوى :نفسه ، ص 141 /أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 115 / . 7 – 6 Byrne, Eugen, H. : Genoese Shipping , p.p.

(2) أوليفيا : نفسه ، ص 70 0

(3) ابن الحاج النميرى : المخطوط السابق ، ص 74 ، لوحة 46 0

(4) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 290 0

(5) نفسه ، ص 285 0

(6) نفسه ، ص 287 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ص 14 0

(7) Dufourcq: Op. Cit. p. 57.

المراكب الإسلامية (1) ، فكان كبار الوزراء المسلمين يستقلون مراكب الجنوية الراسية بسبتة فى تنقلاتهم (2) 0

ومن أسماء القوافل التجارية البحرية الإيطالية التى كانت تتردد على سواحل شمال افريقيا قافلة معروفة باسم غالى دى ترافيكو مكونة من إثنين إلى ثلاثة مراكب (3) ، وكان هناك سفينة أخرى باسم الفردوس الأعظم كانت تنقل السلع والبضائع والمسافرين إلى سواحل شمال أفريقيا(4) ، وكان هناك سفينة تجارية جنوية تسمى الأسد The Lion (5) و كان هناك خط ملاحى يسمى الخط التوسكانى يربط بين شمال أفريقيا والإسكندرية(6) 0

وقد عرفت التجارة الإيطالية قانون رودس البحرى (7) ينظم قوانين السفن والشحن البحرى ، ومن أهم بنوده القوانين الخاصة بملكية السفينة وطاقمها ومسؤولية قائد السفينة عن سلامة السفينة وركابها وودائعهم ، وأن يدفع صاحبها تعويضات لأصحاب السلع فى حالة غرق المركب ، وإستثمار الأموال بطريقة عملية فى الشحن البحرى (8) ، وكان هناك نظام حماية للقوافل التجارية البحرية ، فالأساطيل كانت تخرج فى حراسة السفن التجارية لدرء خطر القراصنة وكذلك حمايتها من الرياح والعواصف ، وقامت الحكومة بتعيين قنصل بحرى يرافق كل أسطول لفض المنازعات وضبط الحسابات والدفاتر وحساب السلع والتجار وتقدير الضرائب المطلوبة ، وملاحظة المخالفات على ظهر السفن وتوقيع الجزاءات والغرامات ، وكانت الحكومة تتلقى مبلغاً من المال فى مقابل الحماية يقدر بنسبة 5% (9)0

---

(1) أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 460 – 461 0

(2) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، القسم الثالث ، ص 162 0

(3) Mas-Latres: Op. Cit. P.258 – 268. / محمد عبد الغني الأشقر: المرجع السابق ، ص 193 0

(4) Mas-Latres: Op. Cit. P. 122.

(5) Lopez: Op. Cit. p.222 .

(6) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 285 0

(7) يعد قانون رودس Nomos Rhodion أقدم القوانين البحرية في العصور الوسطي ، حيث تم صدوره خلال القرنين 6م ، 8 م ، أنظر Ashburner , W., The Rhodian Sea Law, Oxford, 1909. Scheltema , H. J., " , Byzantine Law " ,in C.M.H.,IV , Pt.2 ,1967 , PP. 6364 , O.D.B. ,vol, 3 , P. 1792 . / حاتم الطحاوي : القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ص 514 0

(8) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 264 0

(9) Lopez: Op. Cit. p.246. / نعيم زكي فهمي: المرجع السابق ، ص 271 0

أما أسطول الحراسة للسفن التجارية بجنوة فكان يتعامل معها فى شكل عقود بين ضباط البحر وسفنهم العسكرية أو ضباط البحر المنقولين فوق السفينة التجارية لحمايتها من خطر القراصنة ، وهناك عقد تحرر في 1 سبتمر 1408م وهذا نصه:

[00 نحن ضباط البحر أو الممونون للسفن الجنوية نقر ونعلن كل واحد منا أمام الحاضرين فى كتابة هذا العقد كى نحمى سفينة النبيل " ميجوللو ليركاري Megollo Lercari" التى تجهزت للإبحار نحو الشرق ، لكى نبعد عنها أية إعتداءات لمراكب القراصنة ، ونحن نعلم الكثير حول المذكور بادرون ميجوللو ‘padron Megollo وطاقم السفينة المألوف المكون من 73 رجل ، منهم 25 شخص من الحراس للرحلة الجارية ، وكاتب السفينة المذكورة هو الذى يقر النظام ويلاحظهم ويراقبهم ، وتكاليف عدد 25 شخصاً (الحراس) تتكلف كالتالى : الطعام العادى وتكاليف المعيشة والراتب وتكاليف أخرى مخصصة لهم ، تلك التكاليف يدفعها صاحب السفينة المذكورة ومن أجرة الشحن لبعض السلع المعروفة المحمولة على السفينة المذكورة فى تلك الرحلة الجارية 00 كتب فى جنوة 1 سبتمبر 1408م] (1) 0

ج- السفن التجارية البيزية :

كان لمدينة بيزا سفناً تجارية عديدة مثل مثيلاتها جنوة والبندقية ، وقد ذكرت إحدى الوثائق للتاج الأراجوني نوعين منهما وهما الطريدة والسلورة ، وهى سفن تجارية لنقل السلع والبضائع (2) ، وعديداً كانت بيزا تستأجر السفن التجارية البندقية لنقل متاجرها من بلاد المغرب إلى بيزا (3) ، وهناك سفن بيزية كانت تحمل أسماء دينية لكى تنال حماية وبركة القديسين ، مثل سفينةSaint Nicholas (4)، وسفينةأخرى Sanctus Vicentius وكان يقودها قبطان بيزي وتبحر من إيبيزا بجزيرة سردينيا إلى

----

(1) Lopez: Op, Cit. p. 246.

(2) Los Ducomentos Arabes: Op. Cit. p. 257 – 259.

(3) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 137 0

(4) Lopez: Op, Cit. P. 172.

شمال أفريقيا(1) ، وهناك أيضاً سفن S.Giovanni Evangelista Ships وكذلك سفن Annales Januenses Ships (2)، وتدل الدفاتر التجارية الإيطالية على إستمرار حركة وتردد السفن التجارية إلى كل بلاد المغرب على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى (3) ، فقد

كانت بيزا تعقد لنفسها صفقات تجارية تحت رايتها، وكانت فلورانس تشترك معها في تلك الصفقات تحت راية بيزا ، أما وقد أصبحت بيزا في القرن 15م تحت راية فلورانس فإن العكس صحيح (4) 0

وبصفة عامة كانت كل سفن البحر المتوسط فى القرن 13م مزودة بالشُرُع مثلثة الزوايا الرومانية وكانت سفن النقل والتجارة ذات الطوابق الثلاث دائرية الشكل تحمل من 6 – 7 شُرُع مثلثة ويوضع الشراع الكبير فى الطقس الخفيف (5)، وكانت السفن الإيطالية للنقل والتجارة دائرية الشكل تحمل نحو 25 هِلب أو مرساة Anchors لكل سفينة، ووزن كل هِلب نحو ثلاثة ونصف قنطار جنوى أى ما يعادل 166,6 كجم ، ومع تقدم العصور بدأ الهلب يزداد وزناً من القرن 13 – 14م ففى عام 1441م لاسيما سفن جنوة بالمقارنة بسفن البندقية عام 1225م كانت تحمل تقريباً نصف أعداد الهلب (نحو12 هلب) (6) 0

[3] حركة الشحن البحري :

كانت أسعار تأجير شحن السفن تتحدد على المسافة التى قطعتها الرحلة، وعلى الحمولة المسموح بها وكانت الحمولة تخضع حينئذ لفحص يقوم به موظفون فى الميناء، وكذلك نوع الحمولة ، ومن خلال نوع الحمولة يستطيع صاحب السفينة أن يستعيد ثمن

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p. 48.
(2)John H. Pryor: Op.Cit.vol.VII, p.277.
(3) Dufourcq: Op.Cit, .p. 451 – 452.
(4) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 163 0
(5) John H. Pryor: Op.Cit.vol.VII, p.293.
(6)Ibid, p.369 – 370.

شرائه للسفينة فى خلال عدة أشهر من الملاحة نظراً للأرباح الفائقة التى كانت تتحقق من خلال نوع الحمولة التى يحملها (1) ، وقد كانت المدن الإيطالية سباقة إلى تجهيز موانيها بكل الإحتياجات البحرية التجارية من تشييد السقائف والأوناش والصنادل لتفريغ حمولة السفن لتوفير الأمان ودقة الإدارة كما حدث فى البندقية ، كذلك إستخدمت أبراج الكنائس وأبراج

الأجراس كمنارة للسفن حيث كانت توقد فوقها نيران لهداية السفن فى البحر ، وبعد ما يتم تفريغ حمولة السفينة تُسحب إلى الشاطئ لعمل الإصلاحات اللازمة (2)، وكان قائد كل سفينة بندقية مسؤولاً عن سلامة سفينته وعليه أن يقسم على ذلك ، وأن يعيدها فى حالة جيدة إلى دار الصناعة (3) ، فقد كانت المدن الإيطالية تحتكر حركة تحميل وتفريغ السفن التجارية بالموانئ المغربية ، نتيجة للتفوق الواضح الذى أحرزته البحرية الأوروبية التجارية والحربية لاسيما المدن الإيطالية بالبحر المتوسط ، كذلك إحتكروا نقل الحجاج والمغاربة واليهود ذهاباً وإياباً(4) ،

وفي القرن الثانى عشر الميلادى كانت أجرة الشحن يتم دفع نصفها مقدماً والنصف الآخر عند وصول البضاعة سالمة إلى الميناء المقصود (5)،

وبصفة عامة كان إيجار السفن التجارية من نوع الغاليس Galees كل واحدة فى الشهر فى الفترة ما بين عام 1325م الي 1330م نحو 500 دينار ذهب أما قيمة السفينة نفسها فكانت تعادل تقريباً 683 دينار ذهب، أما عند إعدادها للحرب فكانت تستدعى نفقات حربية إضافية تقدر من 500 الى 1000 دينارذهب، وكانت قيمة الرواتب والمؤن حوالى 225 دينار ذهب(6) 0 و كانت جنوة وبيزا في منتصف القرن 7هـ/13م تقوم بتأجير سفنها لملك

----

(1) فايد حماد عاشور : المرجع السابق ، ص 261 -262 0 / Dufourcq : Op. Cit. p. 536 – 536 /T.Okey: Op. Cit. p.104 – 105.

(2) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 93 0

(3) T. Okey: Op. Cit. p. 104. / فايد حماد عاشور: المرجع السابق ، ص 260 – 261 0

(4) عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2 ص 226 / أوليفيا : المرجع السابق ، ص 123 – 124 0

(5) أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 464 – 465 0

(6) Dufourcq: Op. Cit. p. 542.

فرنسا لويس التاسع(*) لنقل الجند والعتاد (1) ، وأما السفينة من نوع الغاليس 'Galee فكانت جنوة تؤجرها بقيمة 600 دوبلة ذهب(2) عن كل شهر في عام 1284 – 1285م (3)، وقد إستأجر إثنين من تجار جنوة سفينة من برشلونة بمبلغ 600 دينار ذهب فى الشهر (4) 0

وتواجد بكل سفينة تجارية إيطالية كاتب حسابات السفينة، فكان مسؤولاً عن دفتر يدون فيه كآفة المعاملات المالية التي كانت تحدث بالسفينة منذ بداية الرحلة التجارية إلى نهايتها (5) ، وفى فصل الشتاء كانت حركة الشحن البحرى تقل بجنوة، فكانت السفن التجارية الجنوية تصل إلى بلاد المغرب من ميورقة بواقع رحلة كل يوم وتميزت هذه السفن بحمولة أقل

(*) لويس التاسع : ملك فرنسا قام بتوجيه حملة صليبية إلي مصر ، غير أنه إنهزم ووقع في الأسر فقام بالتفاهم مع الجنوية بنقله علي السفن الجنوية إلي بلاده بعد فك أسره ، وقد كان التجار البيازنة والجنوية مقيمين بدمياط وقتئذ لإمداد حملة لويس التاسع بالمؤن والعتاد ، ولكنهم كانوا جشعين وحصلوا علي أثمان عالية وبلغ الإتفاق علي مبلغ 360 ألف قطعة ذهبية أنظر مذكرات جوانفيل : القديس لويس ، حياته وحملاته علي مصر والشام ، ترجمة حسن حبشي ، الطبعة الأولي 1968م دار المعارف ، ص 173 ، 182/ محمد مصطفي زيادة : حملة لويس التاسع علي مصر وهزيمته في المنصورة ، الطبعة الأولي ، 1966 ، ص 211 / جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي علي مصر ، الإسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، 1969 ، طبعة أولي ، ص 61 / فايد حماد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الأدني الإسلامي ، ص 147 0 149 0 وقد قام لويس التاسع ملك فرنسا بعد ذلك بحملة صليبية أخري كانت موجهة إلي بلاد الشام عام 668هـ/1270م ولكن جنوة التي حملت علي عاتقها تجهيز السفن والإمدادات لتلك الحملة قامت بتحويل تلك الحملة إلي تونس بدلاً من بلاد الشام وذلك للإنتقام من الدولة الحفصية بتونس التي فضلت البنادقة وتجار صقلية علي الجنوية أضف إلي ذلك قيام الحفصيون بالإنضمام إلي ملك صقلية ومحاربة جنوة في عقر دارها عام 645هـ/1248م وقد إنتصرت جنوة في تلك الحرب ثم أشاعت بأن السلطان الحفصي كان يرغب في التنصر لكي تشجع ملك فرنسا علي تحويل الحملة من بلاد الشام إلي تونس ونجحت في ذلك ، ثم إنسحبت جنوة من المعركة تاركة الفريقين في المعركة وحملت ما خف ثمنه وغلي سعره وإنسحبوا دون سبب أو إعلان ، أنظر

Giustiniani, A. : Annali della Repubblica di Genova . Illustrate con note del prof . cav. G.R. Spotorns, 3a ed. Genovese , vol, 1. p. 442. / Bartolomeo ,Maestro, e altri,cf.Ann. Gen, [Anni 1241 – 1249] , vol, v. ,Genova . 1928 , p. 131 ,144,146. / مصطفي حسن محمد الكناني : حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس 668هـ/ 1270م ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1985 ، ص 113 – 116 ، 149 0

(1) جوانفيل : المصدر ، ص 182 / محمد مصطفي زيادة : حملة لويس التاسع علي مصر وهزيمته في المنصورة ، الطبعة الأولي 1961 ، ص 211 0 / جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص 93 0

(2) كانت بلاد أسبانيا النصرانية تطلق إسم دوبلة علي الدينار الذهبي الموحدي نسبة الي دولة الموحدين بالمغرب والأندلس فكانت عملة دولة الموحدين هو الدينار الذهبي المضاعف في الوزن وبلغ وزنه نحو 4.729 جرام فكان ضعف الدينار المؤمني نسبة الي الخليفة عبد المؤمن الموحدي مؤسس دولة الموحدين ببلاد المغرب أما الدينار المضاعف فهو ينسب الي الخليفة المنصور الموحدي وعرف عند نصاري أسبانيا بدوبلة Dobla 0 انظر مجدي يسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 244 0

(3) Dufourcq: Op. Cit. p.542, nol.9.

(4) Ibid.

(5) Lopez: Op. Cit. p.246. / حاتم الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص 142 0

وذلك فى عام 1284م (1)0 وكانت أسعار الشحن البحرى متنوعة بحوض البحر المتوسط، نستدل منها على تكاليف الشحن البحري الذى كان متغيراً ما بين بلاد المغرب الأقصى المرينية والمدن الإيطالية ، فقد كانت التجارة المنقولة بواسطة البنادقة فى بداية القرن 15م

خاصَّةً تصدير السلع سنوياً تبلغ ما قيمته عشرة ملايين بندقى ، وكانت فائدتها أكثر من عشرين فى المئة(2)،وفي منتصف القرن 15م كانت التجارة المنقولة تصل قيمتها إلى مليون وثمنمائة ألف من الدوكات الذهبية فى كل عام ، وصار الأسطول مكون من 100 فرقة ، ونفقته السنوية ثمنمائة ألف من الدوكات الذهبية (3) ، وبلغت تكاليف الرحلة للفرد بمؤنه وطعامه وشرابه لثلاث وجبات والسفر ذهاباً وإياباً من البندقية إلى القدس نحو 35 دوكات ذهب وكان ذلك في النصف الأول من القرن 9هـ/15م (4) ، وإرتفع السعر بعد ذلك فى النصف الثانى من القرن 9هـ/15م إلي 50 بندقى ، وكان الربابنة جشعين لدرجة أنهم رفعوا السعر إلى 100 بندقى (5) 0 وفى عام 1320م بلغ سعر الشحن لسفينة من نوع الغاليس من تونس إلى صقلية نحو 1000 دينار ذهب ، أما السفينة المتجهة إلى تونس من برشلونة فكان تأجير شحنها يصل إلى 400دينار ذهب لفترة تتراوح بين 20 – 30 يوماً (6) ، وفى عام 1294م كانت السفينة Santa Maria del Mirache والتى بلغت حمولتها نحو 2500 طن قمح وصل عقد إيجار شحنها إلى 6300 Tarins (7) وذلك من صقلية إلى جنوة أو بيزا (8) 0

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p.68 – 69.

(2) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 65 0

(3) Marc Antonio : Op. Cit. p. 151.

(4) طافور : المصدر السابق ، ص 33 0

(5) Fabri, f. : Le voyage en Egypte (1483) , Trad. du Latin pre'sente' et annote' par J. Masson, Le Caire , 1975 , p. 710 . / نجلا محمد عبد النبي : المرجع السابق ، ص 151 0

(6) Dufourcq: Op. Cit. p. 536. ,

(7) الطري : عملة نقدية كانت متداولة بصقلية والمدن الإيطالية وقطالونيا ، وهي إسلامية الأصل، وكانت تساوي ربع دينار 0 وسوف يأتي شرحها في العملات النقدية بعد ذلك 0 أنظر ابن جبير : المصدر السابق ،ص 265 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والندلس ، ج2 ص 118 ، 300 – 301 / جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 446 / S.M. Stern : History and Culture in the Medieval Muslim World London , 1984, p. 168 – 186 .

(8) Dufourcq : Op. Cit. P. 536.

و كان هناك كشف حساب مفصل عن شحنة الأرجوان من مصر إلى تونس عام 1100م تبين فيها تكاليف الشحن 94 ديناراً مصرياً (1) ، وفى عام 1294م كان نقل القمح يتم من جانب لآخر غرب البحر المتوسط عن كل ثلاثة قناطير مبلغ دينار ذهب (2) 0 وفى عام 1331م أصبحت أجرة نقل حمولة قفيز واحد من القمح من سلا بالمغرب المرينى نحو أربعة دنانير

وربع ، وكذلك كانت تلك الأسعار بنفس القيمة تقريباً فى كل من أنفا وآصيلا وبقية المدن والموانئ المرينية مع فروق بسيطة (3) ، وتطورت عملية إمتياز شحن السفن بالمغرب المريني ، فبعد أن كان السلطان المرينى يصادر شحنات السفينة النصرانية أصبح فقط يصادر الثلث من كل الحمولة ، وليس الحمولة كلها ، كذلك كان التاجر النصرانى الذى كان لا يدفع المستحقات المالية التى عليه، وكان يعاقب فى نفسه شخصياً وليس العقاب الجماعى او المسؤلية الجماعية لكافة التجار النصارى ، وليس العقاب فى أخذ أمواله ، وأيضاً حماية السفن النصرانية التى كانت تتعرض للغرق أو أسباب خطرة أخرى وتجنح بالقرب من سواحل المغرب المرينية فكان على المخزن المرينى الإحتفاظ بالمراكب ومؤنها وعدتها وبضائعها لحين إعادتهالأصحابها(4) ،كل ذلك شجع على إستمرارية وكثرة أعمال الشحن البحرى بدولة بنى مرين مع المدن الإيطالية 0

ومن الملاحظ على سفن جنوة أنه إذا ما مات فرد على متن السفينة أثناء رحلتها البحرية فإن قائد السفينة هو الذى يرثهم جميعاً وهو قانون عند أصحاب السفينة فى كل من يموت فى البحر وليس لأحد من الناس سبيل فى ميراث الموتى (5) 0

----

(1) Goitein: A Mediterranean Society London, vol. I, p.202. / أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق ، ص 459 0

(2) Dufourcq: Op. Cit. p. 537.

(3) Dufourcq: Op. Cit. p. 537.

(4) Dufourcq: Op. Cit., p. 521.

(5) ابن جبير : المصدر السابق ، ص 287 0 [00 مات فيه رجلان من المسلمين 00 فقذفا في البحر ومن البلغريين إثنان 00 ومات منهم بعد ذلك خلق كثير 0 وورث هؤلاء الأموات من المسلمين والبلغريين رئيس المركب لأنها سُنة عندهم في كل من يموت في البحر ولا سبيل لوارث الميت الي ميراثه فطال عجبنا من ذلك 00] 0

4- النظم التجارية الإيطالية :

ظهرت فى نهاية القرن 7هـ/13م مجموعة من النظم الجديدة للتجارة البندقية مثل تحديد الوزن المسموح به ، وكان يخضع لموظفى الموانئ ، فكانوا يفحصون وزن السلع خوفاً من الحمولات الزائدة مما يعرض السفن للغرق وتتعرض البضائع

للخسائر ، كذلك تغيرت أشكال العقود التجارية وطرق دفع الضرائب الجمركية وقيمتها ، وقد نظمت البندقية مجلساً للإشراف على التجارة وحمايتها (1) 0 والنظم التجارية بالمدن الإيطالية عديدة منها :

أ- شركة التوصية(*) (Commenda) :

هى شركة مساهمة كانت شائعة فى القرن 13م، وهى نوع من العقود الإئتمانية ، وسط بين التفويض والإيداع ، وأصول هذه الشركة شرقية ترجع إلى الإسلام ، وهو ما يعرف بالقراض ، ويقوم أصحاب المال بإعطاء التاجر المسافر بضائع أو مبالغ مالية مخصصة لشراء سلع أخرى يعود بها لمدينتهم ، وبصفة عامة فى تلك العقود كان يتم الإتفاق على توزيع الربح بين صاحب رأس المال وبين التاجر بشكل ثابت بنسبة ثلاثة أرباع الربح لصاحب المال الذى يخاطر بجزء من ثروته، وربع الربح للتاجر المسافر الذى يخاطر بحياته وذلك بشكل ثابت ، وقد إستمر هذا النوع من الشركات بين رأس المال والعمل سارياً حتى القرن 14م ، و كان التاجر المسافر لايتحمل أى مسئولية تجاه صاحب رأس المال فى حالة غرق السفينة أو حالات القرصنة أو المصادرة من قِبَل السلطان ، وكان ملزماً بعدم خيانة الثقة (2) 0

----

(1) نورمان بنز : الإمبراطورية البيزنطية ، ص 285 – 286 / توفيق إسكندر : بحوث في التاريخ الإقتصادي ، ص 156 – 157 / : Okey Venice and Its story , p. 104 .

(*) شركة التوصية : هي شركة يقدم فيها الشركاء جزءاً من رأس المال ولا يساهمون في الإدارة ، أنظر برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 257 0 وقد عرفت في مصر تحت إسم Tapputum Contract وعند المسلمين بإسم المقارضة Muqarada أو القراض Qira'd وعند البنادقة بإسم Collegantia وفي جنوة Societas أنظر John H. Pryor: Op.Cit.,vol.IV,p.438./ Lopez: Op. Cit. p. 174 –175.

(2) Dufourcq: Op. Cit.p.58 – 59. / حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 131 / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 274 / محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 60 / باذل دافدسن : أضواء جديدة ، ت0 جمال محمد أحمد ، بيروت 1961 ص 3 ، 123 ، 151 0 ويذكر دافدسن أن المدن الإيطالية أخذت عن المسلمين عدة مناهج عن إنشاء الشركات ونقل رؤوس الأموال0

وكان هناك نوعان من عقود التوصية Commenda أحادية وهى التي تم ذكرها عالياً ، أما الثانية فتسمى Commenda ثنائية وهى التى ساهم فيها التاجر المسافر بنصف رأس المال مثلاً مما جعل توزيع أرباح الرحلة التجارية تختلف عن عقد التوصية الأحادى حيث كان يتم في عقد التوصية الثنائى إقتسام الأرباح بالتساوى بين التاجر المسافر والتاجر المستثمر (1) 0

فقد كانت عقود شركة Commenda عنصراً ضرورياً فى تجارة العصور الوسطى وعملت على انتشار التجارة ، وكانت الأساس للصكوك والوسائل القانونية التجارية (2) ، و كان هناك عقد توصية Commenda لأحد التجار الجنوية كُتب فى 8 يناير 1262م يحدد عقد التوصية فى العقد بين التاجر المسافر والتاجر صاحب رأس المال وكان رأس المال نحو 5000 دينار جنوى يشترك فيه أربعة أشخاص ، [00 جنوة 8 يناير 1262م، باسم الرب 0 آمين ، في حضور الشهود المكتوبين أسفل العقد، وهم بنديتو زكريا ابن فولكون زكريا ، يقروا التالى أن الإتفاقية كالآتى : ربما لم يبحر بنديتو خارج جنوة مدة التجارة أو الإبحار فإن أخوة مانويل بن زكريا بن المذكور آنفاً فولكون قد يحمل بمفرده أو معه بعقد التوصية مدة التجارة (السفرة الواحدة) 5000 دينار جنوى ، والخلاصة الإهتمام بهذا الإتفاق (الصك) المكتوب باليد بواسطة كاتب العدل جوجليلمو فيجيو في 28 أغسطس 1261م والمعلنة صراحة بين المذكور آنفاً فولكون بنسبة واحد جزء ، وبنديتو ، ومانويل ، ونيقولا إخوة المذكور آنفاً فولكون بقية الأجزاء الأخرى وهو يطلب أن يحترم هذا الصك أو الإتفاق العام فى حضور هؤلاء الشهود نيقولا دي نيجرو ، وسيمون سبيزي ، والخياط ، ولوشيتو دي نيجرو ، فى جنوة فى منزل بيترو دي نيجرو ، وجودج، الذين أملوا هذا الإتفاق أو الصك 0 كُتب فى 8 يونيو 1262م0](3) 0

وقد كانت قيمة العقود التجارية من نوع Commenda فى جنوة فى القرن 13م نحو 72%

---

(1) حاتم الطحاوي : نفسه 0 / نعيم زكي فهمي : نفسه ، ص 275 – 276 0

(2) Lopez: Op. Cit. p. 174.

(3) Lopez : Op. Cit. p.183.

حيث كانت أكثر أمناً (1) ، وقد تعاملت جنوة مع الدول الأوروبية بعقود التوصية، ففى الفترة ما بين عامى 1207 – 1255م وصل إلى جنوة 15 عقداً من مرسيليا ، وفى عام 1278 – 1300م وصل إلى 4 عقود توصية ، كما تعاملت بلاد المغرب بعقود التوصية مع الدول الأوروبية فقد صدرت سبتة المغربية خيوط الغزل القطنية فى الفترة ما بين عامى 1207 –

1255م بواقع عقدين توصية إلى مرسيليا ، وخمسة عقود لتصدير جلود الأغنام ، وعقد واحد لتصدير الملح، وعقدان لتصدير أبو فروة (2) ، كذلك إستوردت بلاد المغرب السلع الأوروبية عن طريق نظام عقود التوصية، فقد وصل إلى سبتة المغربية فى الفترة ما بين عامى 1207 – 1255 نحو 12 عقداً ، وفى عام 1248م فقط وصل إلى 18 عقداً ، وفى الفترة ما بين عامى 1278 – 1300م وصل إلى عقد واحد(3) 0 أيضاً تعاملت بيزا بعقود التوصية مع غيرها من الدول فقد وصل بيزا فى عام 1248م نحو 14 سفينة تجارية من مرسيليا بعقود التوصية (4) 0 وقد تطورت نظم Commenda إلى أسلوب تجارى آخر أكثر تطوراً وهو ظهور تجمعات رؤوس أموال أكثر إستقراراً وتدوم أطول وهى شركات ذات مصالح وأهداف تجارية ، وهو ما يعرف بالتجارة الجماعية ، وكان لكل شركة مجموعة من التجار يقومون بدور المراسلين لهذه الشركة فى موانئ المدن التى كانت تتعامل معها ، و كان أصحاب رأس المال يحصلون على ثلاثة أر باع الربح بينما المندوب أو المراسل يحصل على ربع الربح ، وفى هذه الحالة يعهد أصحاب رأس المال بالبضائع إلى قائد السفينة التى كان يتم تأجير جزء منها للرحلة التجارية ، وهذه الشركة كانت تجتذب النبلاء والبرجوازيين واليهود والمسيحيين والمسلمين ، فكانت تدوم حتى فى حالة الحرب ، وقد إنتشر هذا النوع من الشركات بإيطاليا في القرنين 13 ، 14م حيث كانت تربط التجار وأصحاب المال بروابط قوية جداً (5) 0

----

(1) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 127 – 128 0

(2)John H. Pryor: Op.Cit.p.403, 424,425.

(3) Ibid, p.403, 407.

(4)Ibid, p.403, 407 - 408

(5) Dufourcq: Op. Cit. p. 60 – 61.

ب- الشركات البحرية [Societas Maris]:

هى شركة جنوية وكان ملاك السفن يقومون فيها بالسفر أحياناً كتجار بينما فى أحيان أخرى كانوا يجازفون عليها بجزء من ثرواتهم فى شكل أموال أو بضائع يحملها أحد التجار على السفن ، وأحياناً أخرى قام التاجر المسافر بالمساهمة بجزء فى رأس المال فأصبح شريكاً أو مساهماً ولو بنسبة ضئيلة (1) ، وكان هذا النوع من الشركات أكثر أمناً

وبساطة ويتطلب أن يستثمر الطرفان رأسمالهما فى المشروع التجارى ، وعادة كان التاجر المستثمر يستثمر بالثلثين والتاجر الوكيل بالثلث الباقى ، وتقسم الأرباح بالتساوى حسب النسبة، وكانت هذه الشركة مفضلة فى القرن 12م ، وبلغت قيمة العقود التجارية الجنوية فى القرن 13م نحو 13% لجميع العقود التجارية فى جنوة ، ونحو 15% للقروض البحرية ، ونحو 72% للتوصية (2)0

وكان بالبندقية عقود من نوع Rogadia شبيهة تماماً بعقود Commenda وانتشرت بها فى القرن 12م (3) 0

ج- عقود قرض البحر التجارية :

لجأ التجار الإيطاليون إلى إستخدام عقود القرض البحرى فى التجارة تفادياً للأخطار البحرية مثل القرصنة والحروب والعواصف والأنواء والمصادرة، لذا قام التجار بنقل أموالهم التى كانت تتعرض لهذه الخسائر أو الأخطار إلى شخص آخر مسئول عن ضمانها فى صورة قرض ، ثم حل محله تدريجياً منذ القرن 14م حتى العصور الوسطى المتأخرة عقد التأمين البحرى وبخاصة فى جنوة ، وفيه كان صاحب السفينة يتعهد بنقل سلع لأحد التجار وثمن السلع قرضاً للتاجر وعند وصول البضائع سالمة يرد التاجر القرض ، إلى

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. , p. 59.

(2) أوليفيا : نفسه 0 / حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 133 0

(3) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 133 0

جانب نسبة الزيادة التى تم الإتفاق عليها ، ويتم إخفاؤها تفادياً للتحريم الكنسى (1) ، فقد كانت الكنيسة ترى أن التاجر الذى يشترى شيئاً بقصد الكسب من بيعه ثانية دون أن يحدث تغييراً فيه فهو منبوذ من معبد الله (2) ،

د- الموثقون وكاتبوا العقود :

كان لدى الجنوية جماعة من مسجلى العقود يسجلون ويدونون الوصايا والإيصالات والعقود والسلف والرسائل والعقود التجارية ، وتواجدوا بالفنادق والوكالات التجارية الخاصة بجنوة (3) ،

ونظراً لتعدد العقود التجارية بالمدن الإيطالية، فكانت الحاجة الشديدة إلى موثقي العقود فى الموانئ لاسيما عقود قرض البحر التجارية وغيرها مع الموانئ بشمال أفريقيا ، وتميزوا ببراعة استخدام اللغة اللاتينية وتعلمهم بالجامعات الأوروبية ، وكان الموثق يتواجد بوسط الحى التجارى أو الكنائس أو الحوانيت وفى الطرق المتفرقة من الأسواق وفى أماكن تجمع التجار لاسيما عند إبحار السفن التجارية ، وكان يتم نسخ العقد التجارى إلى أصل العقد الذى كان يحتفظ به فى أرشيف المدينة ، ويتسلم طرفى العقد نسختاهما (4) ،

وكان هناك كاتب الحسابات للأشغال التجارية الذى كان شاهداً على النمو الاقتصادى ، وهو عنصر رئيسي بالسفن التجارية ،فكان يحتفظ بدفاتر الحسابات والخطابات ما بين التجار وبعضهم (5)0ومن أمثلة كاتب الحسابات ومسجل العقود بجنوة مايسترو بارتولوميو الجنوي المتوفى عام 1249م (6)،وأيضاً كل من دي نيجرو , وجودج di Negro , Judge (7) 0

----

(1) Lopez: Op. Cit. p168 – 169. / نعيم زكي فهمي: المرجع السابق ، ص 266 / هنري بيرين: المرجع السابق ، ص 118 – 119 0 حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 136 – 137 0

(2) ج0ج0كولتون : عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، ت0 جوزيف نسيم يوسف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1989 ص 290 0

(3) مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ، ص 318 هامش 1 0

(4) لوتورنو : المرجع السابق ، ص 84 0 / حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 129 0

(5) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 25 0

(6) Bartolomeo ,Maestro : هو مسجل العقود الجنوي توفي عام 647هـ/ 1249م وقد قام بتأليف كتاب علي نظام الحوليات في الفترة ما بين عام 1241 – 1249م وقد ذكره كفارو في موسوعته الشهيرة في الجزء الخامس ، أنظر مصطفي حسن محمد الكناني : حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس 668هـ ، المقدمة ص 8 0

(7) Lopez: Op. Cit. p.183 . Doc. 90 . / كانوا علي قيد الحياة عام 1262م0

هـ - الحوالات والكمبيالات :

استخدمت المدن الإيطالية الحوالات والكمبيالات المالية لتتجنب نقل المعادن النفيسة من ذهب وفضة وغير ذلك وتتعرض للضياع أو السرقة ، كذلك استخدموا نظام الشيكات بحيث إذا كان لإثنين من التجار ودائع مالية عند صراف واحد فإن أحدهما

يستطيع دفع حساب الآخر بإرسال ورقة إلى الصراف يأمره بدفع المبلغ المالي لزميله وعرفت تلك الورقة بالشيك (1) 0

أما الكمبيالات فقد تم استعمالها بالبلاد المغربية على نطاق واسع على يد التجار الإيطاليين واليهود ، و لم تنتشر بين التجار المغاربة بصفة كبيرة حيث لم يكن لهم أرباب مصارف أو بنوك ، لذا وجب على كل تاجر مغربي التواجد بقرب بضاعته أو حملها معه من مكان إلى آخر(2)، ومن أمثلة الكمبيالات ،هناك كمبيالة كُتبت في بيزا عام 1339م توضح المبلغ المالي بالكمبيالة، وأخرى كُتبت بجنوة عام 1390م0 مما يدل على شيوع تلك الكمبيالات بالمدن الإيطالية ومنها في جمهورية بيزا، [00 أفينونAvignon، 5 أكتوبر 1339م :

إلى برتولو Bartolo والشركاء ، وبارنا من لوكّا Barna of Lucca والشركاء00 ستدفع بواسطة هذه الكمبيالة في 20 نوفمبر 1339 إلي Landuccio Busdraghi والشركاء of Lucca مبلغ وقدره 75 , 312 فلورين ذهبي لمبادلتها ب 300 فلورين ذهبي، لأنني أرسلت هذا المال اليوم من تانكريدي بوناجيونتا Tancredi Bonagiunta والشركاء في الحال، بنسبة 14% لصالحهم ، وقيده على حسابنا 000 كُتب في 5 أكتوبر 1339م بيزا ، وقد أمرنا منذ وقت قصير فرانسيسكو فالكونيتي بأن ندفع نيابة عنك مبلغ وقدره 230 سكودي ذهبي إلى شركة Acciajuoli 00]] (3) 0

----

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1975 ، ص 325 /عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص 83 0 Lopez: Op. Cit. p.229 – 230 .

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 258 0

(3)) Lopez: Op. Cit. p.231 . Doc. 115 .

و أخرى كانت بجنوة [[بالرمو، 4 يوليو 1390م ; جنوة ، 26 يوليو 1390م:

إدفع إذن صرف (كمبيالة) إلي Mess و فيري و فرانسيسكو Vieri and Francesco مبلغ وقدره 850 فلورين 00]] (1) 0

وقد كان الإيطاليون بالمغرب المريني يودعون أموالهم في ديوان المشرف بالجمرك ومنها كان المشرف يدفع للتجار المغاربة (2) ، أما اليهود المغاربة وغيرهم من الأجانب فقد استعملوا نظام الوكالة ، فالوكيل (3) كان يقوم بتوزيع البضائع على الشركاء ، وبيع البضائع وكان يقوم مقام المصرفي حيث يستلم أموال التجار، وعن طريقه كان يتم الدفع المتوجب على أحدهم (4) ، وقد يشتري التاجر المغربي في جنوة ويدفع في سبتة أو أي ميناء مغربي آخر(5)، واستعمل الإيطاليون بالمدن الإيطالية الصكوك والحوالات والسفاتج على نطاق واسع بينما استعمل التجار المغاربة القراض والسلف والصرف والوكلاء والشراكة والصك(6)، وغيرها من النظم التجارية التي سبق عرضها ،

فقد كان الإيطاليون أكثر الناس في استخدام الصكوك (7) ، وهي تعهدات بسيطة مكتوبة لدفع مبلغ من المال في مكان غير المكان الذي تم فيه عقد الدَيْنْ وهي لفظياً تعرف ب (ورقة للدفع في مكان محدد)، و كان الموقِّع على هذه الورقة يتعهد بأن يدفع في مكان آخر للمدين له أو لوكيله(8) 0

----

(1)) Lopez: Op. Cit. p.231 . Doc. 116 .

(2) عز الدين أحمد موسي : المرجع السابق ، ص 304 – 305 0

(3) الوكيل : كان أساس وظيفة الوكيل أو الممثل التجاري للشركات البحرية بالعبرية يسمي Peqid he – Soharim و بالإنجليزية Wakil وهي ترجع لوظيفة الوكيل عند اليهود أنظر .Goitein : Jews and Arabs. p. 118 – 119

(4) Goitein: Op. Cit , p.118 – 119.

(5) عز الدين أحمد موسي : نفسه ، ص 305 0

(6) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص 59 0

(7) الصك : كلمة عربية من أصل فارسي أخذها الأوروبيون عن العرب وعرفت بعد ذلك في الإنجليزية بإسم Check أنظر عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة 1964 ، ص 83 0

(8) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 102 0

و – القرض المالي ودور اليهود :

كان الإيطاليون أصحاب رؤوس الأموال يقومون بإقراض أموالهم خارج أوطانهم ، وكان لهم وكلاء في كل مكان، و مؤسسات منتشرة لإقراض المال ، و

علاقات متعددة مع أصحاب المصارف والصيارفة والأسواق ، في مقابل ودائع أو تأمينات أو رهن وكانت هذه القروض لآجآل طويلة وذلك في القرنين 12 ، 13م(1)،وكانت مسألة الفائدة على القرض إما مصرحة أو سرية ، وهناك عقد كُتب في بيزا يوضح الفائدة المصرحة للقرض، [[00 بيزا 19 مارس 1302م :

برونو سينتلينو أبرشية القديس يعقوب ميركانو ابن دوناتو ، قد تسلم قرض مصرح بفائدة من سولدو ابن السيد مولا من بستويا Pistoio مبلغ s.30 بيزي زهيد في المتجر بكنيسة القديس نيقولا 00]] (2) 0 وقد اقتصر اليهود في نشاطهم التجاري على عمليات إقراض النقود بمبالغ بسيطة في البداية ، كذلك عمليات الرهون والودائع ، وعندما تزايد اشتغال الإيطاليين بمسألة قرض الأموال وانتشر نفوذهم بأوروبا أصبحت الديون اليهودية مسألة صغيرة للغاية ، وبدا الدور الذي لعبوه في العصور الوسطي دوراً مبالغاً فيه بالتأكيد ، فقد كان يهود الغرب الأوروبي مجرد مقرضين للمال مقابل رهن وكانوا يسلفون بالفائدة بضمان الرهن ، ولم يتأثروا بتحريم الربا الذي كان مطبقاً على المسيحيين ، وكانت عملية الإقراض سرية ، وكانت قيمة الفائدة تتفاوت ارتفاعاً وانخفاضاً بقدر إلحاح حاجة العميل فكلما كان الطلب على المال مهماً كانت الفائدة أعلى ، غير أن رجال المال والإقتصاد في البندقية وجنوة وغيرها اشتغلوا نفس النشاط المالي لليهود، وهناك نص يؤكد إشتغال اليهود بأعمال قرض الأموال بالفائدة بالمدن الإيطالية [[00 سيينا 16 يوليو 1309م :

من موسي ابن ديوداتو وسليمان ابن سرمانويل وروسوليفي واليهود المقيمين في مدينة سيينا 00فإننا نقترح معاهدة يسمح فيها لنا بربح 6 دينار لكل جنيه بدون أي زيادة من أي فرد مهما كانت صفته 00 وإذا كانت المبالغ أكبر فيمكن عمل إتفاقية بخصوصها 00]] (3) ، ومن أهم

----

(1) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 125 – 126 0

(2) Lopez : Op. Cit. p. 161 , Doc. 71 .

(3) نعيم زكي فهمي : دور اليهود في تجارة العصور الوسطي ، ص 78 ، 106،170 / Lopez : Op. Cit. , p. 105 , Doc. 40

ما قام به اليهود في التجارة الإيطالية هو نقل إقتصاديات التجارة من نظام المقايضة إلى نظام النقد(1) ، وقد شارك اليهود في أمر القرض والتسليف ، فقد ابتكر اليهود نظام الإقتراض الشعبي (التسليف) وارتفعت مكانتهم في مجالات الحسابات المالية وضبط الدفاتر لاسيما في

القرن 8هـ/14م وتعددت بذلك رؤوس الأموال المشتركة فظهرت إثر ذلك البنوك والشركات المساهمة فاتسع نطاق التجارة الإيطالية ببلاد المغرب (2) 0

ى- المقايضة :

عندما نقص الذهب في المعاملات النقدية بالبندقية وجنوة وبيزا إتجهت تلك المدن للتغلب على تلك الضائقة في نقص الذهب إلى التعامل التجاري مع بلاد المغرب المرينية بالمقايضة ، فقد كانت العملات الذهبية الإيطالية بوجه عام تشح في المدن الإيطالية منذ أواخر القرن 8هـ/14م (3) ،فكانت المدن الإيطالية تستخدم التوابل كعملة نقدية بدلاً من الذهب والفضة ، فكانت تقايض به السلع الأخرى ، وكان أول من استعمل نظام المقايضة أو المبادلة مع بلاد المغرب مدينة جنوة (4) ،ومن أمثلة العقود الخاصة بالمقايضة بجنوة عقد كُتب في 14 يناير 1156م [[00 أنا رينالدو جاكسون أعهد إلى لامبرتو جريللو أو إلى وكيله 6,5 $ دينار فلفل أو عملة مسكوكة 00]] (5) ، كذلك تاجرت المدن الإيطالية في معظم أحوالها بالمقايضة مع دولة بني مرين(6)0

---

(1) نعيم زكي فهمي : دور اليهود في تجارة العصور الوسطي , ص 71 0

(2) مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ن ص 316 – 317 0

(3) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة ، ص 362 0

(4) جوليان : المرجع السابق ، ج2 ص 161 0

(5) Lopez: Op. Cit. p.145, Doc. 61.

(6) سبق التعرض للمقايضة في نظم التجارة المرينية ، فقد كانت تتعامل مع المدن الإيطالية بالمقايضة في معظم الأحوال ، فانظر هناك 0

[5] العملات النقدية الإيطالية وأسعار بعض السلع :

أصدرت المدن الإيطالية عملات نقدية في القرن 7هـ/13م لتتعامل بها في أسواق حوض البحر المتوسط(1) ، فقد سكت البندقية عملة جديدة هي

الدوكات أو البندقي أو الجروت (الغروت) الذي إستجاب له التجار بشكل كبير وتعاملوا به وهو الجروت الفضي البندقي (Ducat- Grosse) الذي سكته البندقية في عام 1193م ، وكان يساوي 26 حبة (deniers – piccoli) ويساوي من الفضة 4 بنسات ، أو 3 شلنات(2)، وتلى ذلك أن أصدرت البندقية عملتها الجديدة عام 1202م وهي الكوارتارولو quartarolo الذي تميز بسمعته العالية وثبات قيمته الأمر الذي جعل التجار الإيطاليون يعتمدون عليه في ذلك الوقت (3) ، وأصدرت البندقية في عام 1284م الفلورين أو البندقي الذهبي وأطلق عليه اسم sequim أو Zecchino وهي كلمة كانت مأخوذة في الأصل من كلمة السكة العربية ، وهي العملة الرسمية بالبندقية التى راجت رواجاً كبيراً ، ويزن البندقي الذهبي 65و3جرام ويعادل 50 فلساً كبيراً (sous) من الفضة ، ويعادل أيضاً 9 شلنات بينما يعادل الجروت الفضي 3 شلنات أو أربع بنسات (4) 0

أما مدينة جنوة فقد تعاملت منذ بداية القرن 13م/ 7هـ بالعملات الذهبية والفضية ، فقد كانت عملات جنوة النقدية يتعامل بها تجار دولة بني مرين ، وهناك نص يدل على ذلك [[0وسبب ضرب دراهمنا اليعقوبية(نسبة إلى يعقوب بن عبد الحق المريني المؤسس الحقيقي لدولة بني مرين)00 أن الدراهم أول هذه الدولة المرينية 00 كانت مختلفة 00 فمنها الجنوية 00]] (5)، و كانت العملات الجنوية نوعان ، عملة ذهبية أصدرتها جنوة عام 1252م وهي

----

(1) موريس لومبار : المرجع السابق ، ص 76 0 / مارك بلوك : المرجع السابق ، ص 6 0 / Roland Oliver : Op. Cit. p.369.

(2) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ت0 عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية للكتاب 1977 ، ص 244 0 / شارل ديل : المرجع السابق ، ص 65 ، هامش 1 / مارك بلوك : نفسه 0 / هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 112 / Roland Oliver : Op. Cit.p.369.

(3) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 154 – 155 0

(4) هنري بيرين : نفسه ، ص 114 / مارك بلوك : نفسه 0 / شارل ديل : نفسه 0 / فايد حماد عاشور : المرجع السابق ، ص 52 هامش 37 / ناجلا عبد النبي : المرجع السابق ، ص 155 0

(5) الكومي : المصدر السابق ، ص 105 – 106 0

الفلورين الذهبي أو الصولدي الذهبي الذي عُرف باسم أوتافينوOttavino ويعادل ثُمن وزن الجينوفينو (الجنوي)الذهبي Genovino (1) ، وهو الدينار الذهبي الذي تعاملت به جنوة مع بلاد المغرب والآندلس (2) وكان الجينوفينو يتزايد قيمته على مر العصور فصار في عام

689هـ/1290م يوازي 16 صولدي وبلغ في عام 709هـ/1309م ليرة ثم إرتفعت قيمته في عام 838هـ/1434م ليساوي 2 ليرة ثم بلغت قيمته عام 889هـ/1484م 3 ليرة (3) ، وهناك أيضاً الكوارتارولا الذهبي Quartarola وهو يعادل 2 صولدي ذهبي(4) ، والفلورين الذهبي عرف في النصوص الإسبانية باسم Genovin (5) وكان شكله مدور الشكل لاسيما في أواسط القرن 8هـ/14م وعرف باسم الدينار الجنوي (6) ، وأصدرت جنوة أيضاً الدرهم الفضي الذي عرف في النصوص الإسبانية باسم Genovina(7)، وكان شكله مربع وعرف باسم الدرهم الجنوي (8) 0وقد عرفت المدن الإيطالية العملة الذهبية الطري Tari أو الرباعي Quarter وكان متداولاً في صقلية حيث قام النورمان حكام صقلية بسك عملة الطري علي المنوال الفاطمي الإسلامي شكلاً وقيمة ، وإستمر تداوله بالمدن الإيطالية نحو خمسة قرون(9)0

---

(1) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 114 / مارك بلوك : المرجع السابق ، ص 6 / مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ، ص 314 – 315 / Roland Oliver : Op. Cit. p.369.

(2) حسين مؤنس : محقق كتاب الدوحة المشتبكة للكومي ، ص 105 – 106 ، هامش 1 0

(3) مصطفي حسن الكناني : نفسه 0

(4) نفسه 0

(5) حسين مؤنس : نفسه 0

(6) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 75 ، لوحة 47 0

(7) حسين مؤنس : نفسه0

(8) ابن الحاج النميري : نفسه ، والنص يذكر أن الجنوية كانت عملتهم النقدية أثناء عقد المعاهدة التجارية بينهم وبين دولة بني مرين كانت الدينار الذهبي المستدير الشكل والدرهم الفضي المربع الشكل أنظر النص [00 وأدوا أعشارهم دنانير مستديرة كالأعشار ودراهم يبدو وفقها المربع 00] 0

(9) الطري : Tari أو الرباعي عملة نقدية وهو ربع الدينار الذهبي الفاطمي الأصل أثناء حكم الفاطميين لصقلية ، وجاء النورمان بعد ذلك وضربوا علي منواله الطري النورماني وكان نفس شكل ربع الدينار الفاطمي شكلاً وقيمة وورد ذكره في اوراق الجنيزة تحت إسم الرباعي ، كذلك تداولته المدن الإيطالية نحو خمسة قرون ، وإنتقل الي جنوب فرنسا في القرن 13م وعرف تحت إسم Tarin وفي قطالونيا منذ بداية القرن 14م تحت إسم Tari ، و أورد ابن جبير في رحلته الطري تحت إسم الرباعي وكان متداولاً علي السفن الجنوية أثناء الرحلة ، للمزيد من المعلومات أنظر ابن جبير : المصدر السابق ، ص 265 / أمين توفيق الطيبي : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والندلس ، ج2 ص 118 ، 300 – 301 / جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 446 / : S.M. Stern History and Culture in the Medieval Muslim World, p. 168 – 186 .

أما بيزا فقد كانت عملاتها في القرن8هـ/ 14م الصولدي والليرة والدينار البيزي والفيورنتي ، ونظراً للتدهور التجاري والاقتصادي بوجه عام الناتج عن الحروب الطاحنة وانهزام بيزا في معظمها فإن حكومة بيزا قامت بعدة إصلاحات كبيرة كي يستقر الفيورينو البيزي لاسيما في الفترة من عام 1320 – 1330م، لكن الليرة البيزية تحولت إلى الدرجة الثانية من التداول

لاسيما بعد الإصلاحات الكارولنجية في مجال البيع النقدي بالصولدي ، و كان الصولدي وقتئذ يوازي 120 دينار بيزي ، وأثناء فترات التدهور المصاحبة للحروب البيزية مع جنوة والبندقية، كان الصولدي في حده الأدنى يصل إلى رقم 20 أمام مبلغ الخمسين ليرة بيزية ، وحاولت حكومة بيزا تحجيم الدينار لمحاولة تثبيت الأوضاع لحركة التصدير والإستيراد(1)0

علي أن أهم دور سك العملة في شمال إيطاليا كانت جنوة وبيزا والبندقية (2) 0

وقد كانت بعض **أسعار السلع** تتراوح قيمتها ارتفاعاً وانخفاضاً حسب مقتضيات السوق ومتطلباته ففي النصف الأول من القرن 14م إزداد الطلب على الذهب وبلغ ذروة ارتفاع سعره في الفترة ما بين عامي 1305 - 1339م (3) ووصل سعر الحصان نحو عشرة دنانير، والسيف السيئ كان يساوي ثلث الدينار(4) ووصل قنطار الفلفل نحو 80 بندقي(5) ، على أن أواخر القرن 14م بدأت العملات الذهبية تشح من المدن الإيطالية لقلة الذهب الواصل إليها من بلاد المغرب والسودان فلجأت المدن الإيطالية إلى البيع بالمقايضة لتعويض نقص العملات الذهبية(6) 0

---

(1) Giuseffe Rossi-Sabatini : Pisa Al Tempo Dei Donoratico , p.49 – 51.

(2) John Pryor: Op. Cit. Vol, IV, p.413.

(3) Roland Oliver: Op. Cit. p.369.

(4) الحسن بن محمد الوزان ك المصدر السابق ، ص 543 – 544 0

(5) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 146 0

(6) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 361 0

[6] الصيرفة والبنوك الإيطالية :

انفرد اليهود بأمر الصيرفة وقرض الأموال بالفائدة بالمدن الإيطالية في بداية الأمر في القرن 11 – 12م (1) ، وكانت قيمة الفائدة تخصم من المبلغ المراد إقراضه فعلي سبيل المثال يتعهد المقترض بدفع ألف فلورين في وقت محدد بدون

فائدة مكتوبة ، ولكنه يتسلم مبلغ 900 فلورين فقط فيكون سعر الفائدة 100 فلورين ، ولا تُكتب في عقد القرض 0 فقد أقرض أحد التجار الإيطاليين أوائل القرن 13م الحكومة الإنجليزية مبلغاً من المال بعد أن خصم قيمة الفائدة ، وتدريجياً استطاع الإيطاليون أن يشتغلوا بأعمال الصيرفة ليحلوا محل اليهود بعد اعتدال نسبة الفائدة على يد تجار إيطاليا بدلاً من الربا الفاحش وغلو الفائدة على يد اليهود (2) ،

فقد إشتكى الكثير من الأيطاليين لاسيما البنادقة من الإرتفاع الفاحش في سعر فائدة القرض من الصرافين اليهود مما دفع البنادقة وغيرهم من الإنفراد بالصرافة وسحب كل الإمتيازات المالية لدى اليهود(3) ، وعادةً كان التجار البنادقة يجتمعون من شتى الأماكن في السوق المالية بالبندقية مركز التجارة والمال ، ومنذ القرن 7هـ/13م تحول مركز الثقل في النشاط المصرفي الدولي إلى المدن الإيطالية فكانت المصارف مزدهرة علي نطاق واسع بجنوة والبندقية ، وتوسع نشاطهما المصرفي خارج إيطاليا ومُدت سلفياتهم إلى الدول الخارجية ، وأسهمت بيوت المال والتجارة بكميات ضخمة من المال استثمرتها جنوة والبندقية في استخراج وشراء الفضة من وسط أوروبا (4) 0

وبنمو التجارة والمال ابتكر الجنوية قبل عام 1340م طريقة القيد المزدوج (حساب الدوبيا) في إمساك الدفاتر ، وابتكروا التأمين البحري على السفن قبل عام 1370م ، وإقترضوا المال

----

(1) كولتون : المرجع السابق ، ص 294 0 / نعيم زكي فهمي : دور اليهود ، ص 99 0 / سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 326 0 / ناجلا عبد النبي : المرجع السابق ، ص 152 0

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور : نفسه ، ص 326 – 327 0 / نعيم فرح : الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي ، الطبعة الثانية ، دمشق 2000 ، ص 145 0

(3) Lopez: Op. Cit. p. 104 – 105.

(4) ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 283 / جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص 153 / ول ديورانت : المرجع السابق ، ج2، مجلد5 ، ص 199 0

بفائدة تبلغ من 7 – 10 % في حين كان سعر الفائدة في بقية المدن الإيطالية قد بلغت من 12– 30 % (1) 0

وعادةً كان الصراف يحتفظ في العصور الوسطي بصندوق حديدي متين يضع فيه النقود فيستشعر التجار والمودعين بالأمان لأموالهم ، وتيسيراً لأعمال الصرف استخدم الإيطاليون الحوالات والكمبيالات والسفتجات كوسيلة لتجنب نقل المجوهرات والأشياء الثمينة خوفاً من

الضياع أو السرقة أو أعمال النهب ، أيضاً استخدم الإيطاليون الشيكات بحيث يرسل التاجر إلى الصراف ورقة يأمره بدفع مبلغ محدد من المال إلى تاجر له دين عليه (2) 0

ونظراً لإتساع تجارة البندقية وجنوة تعددت رؤوس الأموال التي جمعها المرابون وكان يُطلق عليهم في القرن 14م لقب الصيرفيين Bancherii وهذا الاسم الإيطالي مشتق من لفظ Banco أي المقعد الذي كان الصيرفي يجلس عليه أمام منضدته لمبادلة النقود(3) ،

والمصارف لها عدة وظائف مثل تسديد ثمن السلع بالصكوك المحولة على الصراف ، فقد كان الصيرفي سلفستر موروريني يدفع قيمة الصكوك المحولة إليه إلى طافور صاحب الرحلة [00الصيرفي سلفستر موروريني حيث كانت معي صكوك مالية تدفع من قبله00 فأخذ أحدها ونقدني القدر المطلوب ، وهذه الطريقة لايتوقفون قط عن الدفع بها ، ذلك أنه علي الرغم من استعمال جميع التجار في كل ناحية من نواحي العالم صكوك الدفع هذه إلا أن القوم هنا (البندقية) أسرع الناس لقبولها 00](4) ،

ونظراً لنمو النظم المالية والتجارة والبنوك في المدن الإيطالية الكبرى جعلت نشاط الديون والإتجار في المال أكبر في المدن الإيطالية من أي مكان آخر لاسيما في نهاية القرن 13م فكل عملية إقتراض كانت في حقيقتها تتم بالإتفاق الخاص بين المقرض والمقترض (5) ، وكان لمعظم الجمهوريات الإيطالية التجارية في القرن 12م فصاعداً بنوك ضخمة لها فروع في كل

----

(1) ول ديورانت : المرجع السابق ، ج1 ، ،مجلد 5 ، ص 70 – 71 0

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 325 - 326 / نعيم فرح : المرجع السابق ، ص 144 0

(3) ول ديورانت : نفسه ، ج1، مجلد 5 ، ص 71 – 72 0

(4) طافور : المصدر السابق ، ص 16 0 / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 372 0

(5) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 132 0

أنحاء مراكز نشاطهم التجاري في الشرق والغرب ، عملت على تسهيل ومرونة التعامل المالي والتجاري النقدي وغير النقدي بالسندات والاعتماد بالشيكات والإستبدال النقدي، ومارست البندقية وجنوة هذه العمليات منذ أواخر القرن 12م فصاعداً (1) ، وأسهم الجنوية في هذه العمليات المصرفية ، فكانوا يستبدلون العملات ويتاجرون في التوابل والسلع الأوروبية بالنقد والأجل (2)، ويتقبلون الودائع وصكوك الدفع (الشيكات) ويتساهلون في

منح القروض للعملاء(3) ، وبلغ من نشاط حركة رؤوس الأموال في البندقية أن المصرف الأهلي فيها Camera dgli imprestidi وهو أول مصرف من نوعه في أوروبا كان يدفع فائدة سنوية قدرها 5% من الأموال المودعة به ، وتراوحت مجموع الفوائد به ما بين 200 الف بندقي إلى 500 ألف بندقي بين عامي 1386 – 1398م (4) ، ومن أشهر بنوك البندقية بنك Tiepolo (5) ، وفي بيزا شركة compagnia كانت في بيزا عام 1339م وكانت من أكبر الشركات المالية لبنوك التجار الفلورانتين (6)، وأما بنوك جنوة الشهيرة فهي عديدة مثل بنك القديس جورج(7) ، وبنك روفو (8) وهناك أسرجنوية شهيرة اشتغلت في تجارة المال مثل أسرة دوريا ، إسبينولا ، جريملدي ، الفيسكي (9)، ومن أشهر الصرافين بجنوة الصيرفي ألشيرو ، والصيرفي روفو والصيرفي برناردو (10) ، وقد اكتشف الصرافون وجود ودائع كثيرة أكثر من حاجة عملهم اليومي فقاموا بإستغلالها في الإقراض بفائدة مما جعل الصيارفة يقومون بوظيفة البنوك(11)، وكان من العادة في

----

(1) نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 340 – 341 0

(2) البيع بالأجل : هو السفتجات حيث يكتبها الصيرفي وهي تختص بالدفع المؤجل علي أقساط وهي تعرف حاليا بإسم Shukuk ومنها كلمة شيكات Sheques انظر محمد عبد الغني الأشقر : المرجع السابق ، ص 185 ، هامش 143 0

(3) نعيم زكي فهمي : نفسه ، ص 341 0

(4) شارل ديل : المرجع السابق ، ص 65 0

(5) نعيم زكي فهمي : نفسه ، ص 340 ، هامش 1 0

(6) Lopez : Op. Cit. , p. 231,nol.5 .

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 328 0 / نعيم فرح : المرجع السابق ، ص 146 0 / نعيم زكي فهمي : نفسه 0

(8) Lopez: Op. Cit. p.164.

(9) ول ديورانت : المرجع السابق ، ج1 مجلد 5 ، ص 70 – 71 0

(10) Lopez : Op.Cit.p. 164,Doc.72,73.

(11) نعيم فرح : المرجع السابق ، ص 144 0

الإحتفالات الكبري بالبندقية ، أن يقوم الصيارفة بإخراج الذهب والفضة التي لديهم إبتهاجاً بالإحتفالات مثل يوم الصعود (1) ، وكان هناك عقود صيرفة عديدة بجنوة توضح العلاقات البنكية التي كانت تتم بين المودع والصيرفي والمقترض ومن تلك العقود عقد في جنوة في 31 يناير 1182م كان يوضح قيام الصيرفي ألشيرو صاحب بنك ألشيرو بتسلم مبلغ من الدينارات الجنوية الذهبية المسكوكة ، وعقد آخر في جنوة في 12 فبراير 1190 ،كان يوضح

قيام الصيرفي روفو والصيرفي برناردو أصحاب بنك روفو بدفع مبلغ وقدره 69 دينار جنوي إلى مستحقيها (2) 0

----

(1) طافور : المصدر السابق ، ص 164 0

(2) Lopez: Op. Cit.p.164,Doc.72,73.

[7] الضرائب الجمركية :

أوضحت رسائل جنيزة القاهرة أن المغرب الأقصى وسائر بلاد المغرب والأندلس كان يشكل بصفة عامة منطقة تجارية حرة لا تتدخل فيها الدول رغم إختلافها سياسياً في نشاط الأفراد الاقتصادي، ولم يفرق بين التجار الأغراب والمحليين ، وكان التاجر اليهودى يبرز شهادة تأديته للجزية في أي مكان تواجد به ، أما التجار النصارى

لاسيما الإيطاليين والقطلان ، فكان عليهم دفع رسوم 10% قيمة العشر في مناطق الحدود ، وكانت المدن الإيطالية وغيرها تعامل التجار المسلمين بنفس الطريقة (1) ، فقد كان التنظيم الجمركي شبه ثابت في كل الموانئ المغربية فكانت كل البضائع الإيطالية أو القطلانية الصادرة و الواردة إلى بلاد المغرب المرينية يستحق عليها ضريبة جمركية قدرها 10% نقداً أو عيناً ، كما نصت معاهدة جنوة مع دولة بني مرين فكان الجنوية يدفعون 10% [00 وأدوا أعشار دنانير مستديرة كالأعشار 00] (2) ، كذلك معاهدة بيزا مع دولة بني مرين كانت تنص علي 10% مثل القطلان أيضا مع دولة بني مرين [00 وشرطنا عليهم أن يكون عشرهم ومخزنهم علي نحو ما يعطيه النصارى القطلانيون في بلادنا سواء من غير زيادة ولا نقص 00] (3) ، فكانت سائر المدن المغربية المرينية تأخذ نسبة 10% على بضائع التجار الإيطاليين الواردة إلى بلاد المغرب (4) ، وتسمى هذه الضريبة في الوثائق اللاتينية في بعض الأحيان "الواجب" Drictum وصارت هذه النسبة 10% عرفاً لم يعد يتم الإعلان عنها في المعاهدات التجارية التي تلت بعد ذلك 0 ففي بداية القرن 13م كان التاجر الإيطالي يتسلم عند وصوله للموانئ المرينية إفادة عُرفت باسم البراءة توضح فيها ما جلبه التاجر من نقود وبضائع ، وعند مغادرته أيضاً كان عليه تقديم هذه البراءة للسلطات المحلية في الموانئ المرينية حتى يستطيع المغادرة بنقوده التي لم ينفقها أو سلعه التي لم يبعها ، أو السلع التي

----

(1) Goitein S. D. : Op. Cit. Vol.I,p.61,70,343,344. / أمين توفيق الطيبي : جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب ، ص 456 0

(2) ابن الحاج النميري : المخطوط السابق ، ص 57 لوحة 47 0

(3) Amari : Op. Cit.p.5 – 8.

(4) مارمول : المصدر السابق ، ج2 ص 22 0

اشتراها ،فيقوم بإعادة تحميلها على سفنه والعودة بها إلى بلد آخر أو وطنه(1)، وقد كان التاجر الإيطالي يبيع سلعه إما في الديوان الجمركي بالمزاد أو خارج ديوان البحر وكانت هذه المبيعات تسجل في سجلات القنصليات على شكل عقود البيع ، فيقوم الديوان بإستخلاص نسبة 10% ، وعندما كان التاجر ينتهي من بيع سلعه ودفع المستحق عليه يتسلم تأشيرة الخروج للعودة إلى وطنه وهي الإفادة (البراءة) (2) 0

وفي جمارك البندقية كان التاجر الأجنبي (مسلماً مغربياً أو سورياً) يُراقب مراقبة شديدة ودقيقة ولا تُترك له حرية اختيار مسكنه ، بل يُوضع في فندق خاص بالأجانب وفيه يُخزن سلعه، وكان يتواجد بالجمرك البندقي مركز إدارة الأجانب الوافدين ، وتُنزع من التاجر الأجنبي أسلحته ، ويتم تجهيز قائمة بكل ما في حوزة التاجر الأجنبي من سلع حتى يمكن تقدير الضرائب الجمركية المطلوبة منه ، وكان يقوم بهذا العمل مفتش أو كشاف الذي يعاون التاجر الأجنبي في شراء لوازمه ويرافقه كظله ، حتي لا يتعدى قوانين البلاد ويتهرب من الرسوم الجمركية ، ويشترط علي التاجر الأجنبي بيع كل ما لديه من سلع لأنه سوف يدفع الرسوم علي جميع البضائع سواء التي بِيعت أم لا (3) ، بعكس الحال في دولة بني مرين حيث كان التاجر الإيطالي لايدفع إلا الرسوم المستحقة على المبيعات فقط 0

وقد ورد في السجلات الجنوية Redistrum Curiae Archiepiscopalis أن التجار المغاربة وأصحاب المراكب المغربية الواصلين إلى الموانئ الإيطالية كانوا يدفعون رسوماً قدرها 5و22 صولدي وتدعى عشراً على المراكب القادمة من موانئ شمال أفريقيا (4) 0

وهناك رسوماً جمركية أخرى كان يدفعها التاجر الإيطالي ببلاد المغرب غير العشر ، وكانت بنسب ضئيلة تُدفع لصالح الحمالين والسماسرة والمترجمين وحق الرسو والإقلاع والبراءة والوزن والقبان وغيرها ، وكانت طبيعة هذه الضرائب غير محددة وخاضعة للعرف والتقاليد

----

(1) Dufourcq: Op. Cit. p.522.

(2) برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 251 0

(3) أوليفيا : المرجع السابق ، ص 321 0 / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 102 0

(4) أوليفيا : نفسه ، ص 207 0

وعادات أهل الموانئ ، وقد أحصى ماس لاتري نحو 11 ضريبة إضافية تراوحت قيمتها ما بين 25و0 % و 1% من قيمة السلعة (1) ،

وتُعرف ضريبة المزاد العلني عند الجنوية بالأقطار الإسلامية Calgon ، وعادة تتم الصفقات التجارية في حضور المترجمين Torcimani و الشهود Testiun وتتراوح قيمة هذه الضريبة 25و0 %من قيمة ثمن المبيعات (2) ، وفي سبتة تبلغ قيمتها 05و0% من قيمة السلعة

، أما ضريبة البراءة وهو رسم إفادة البراءة يدفعها التاجر الإيطالي للديوانة المرينية مقابل حصوله علي البراءة ، وهناك ضريبة Rotol وهي ضريبة وزن البضائع ، وضريبة حق التخزين ، وأجرة النقل وأجرة الحمالين ، أيضاً كان التاجر الإيطالي يقوم بدفع ضرائب أخري لنقل بضائعه من سفنه عبر القوارب والصنادل الي الرصيف وكذلك ضريبة الإنطلاقة وبمقتضاها كان للتاجر الإيطالي حق التوجه ببضائعه إلي داخل دولة بني مرين دون سداد أية رسوم أخري ، وضريبة المنجونة Mangone وتصل قيمتها الي 1 : 16 من قيمة البضاعة ، وكانت تُجبي بموانئ أنفا وسبتة وأسفي (3) 0

ولجأت جنوة الي فرض رسوم ضريبية جديدة علي التجار عند مواجهتها ضائقة مالية لسداد ديون خارجية ، فقد فرضت جنوة مرتين متتاليتين ضريبة علي التجار الجنوية علي سلعهم الصادرة والواردة لتغطية نفقات إفتداء الأسري الجنوية وكذلك سداد الديون الخارجية لدي الدولة الحفصية ، فكانت قيمة الضريبة الأولي 5و1%من قيمة البضائع التي يوردها التاجر الجنوي ، ونسبة 4و1% علي البضائع التي يجلبها الجنوية ، وذلك في عام 1440م وفي عام 1445م إضطرت جنوة إلي فرض ضريبة تتراوح بين 5و1% الي 3% علي التجار الجنوية

----

(1) Mas-Latrie : Op. Cit. p. 198 – 208. / نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 322 0 / برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 252 وقد أفادت الإتفاقية التجارية البيزية مع دولة بني مرين أن علي كل سفينة تجارية بيزية تتردد علي موانئ دولة بني مرين للتجارة أن تدفع ضريبة معتادة في العرف المريني وهي سرياق أو مخطاف تسلمه للميناء المريني في كل مرة ، أنظر النص [00 وشرطنا عليهم أيضاً عادة أجفان التجار النصاري التي تصل الي بلادنا 00 وهي أن يعطي كل جفن سرياقاً أو مخطافاً من الحديد في كل مرة يصل بالتجارة الي بلادنا 00] أنظر : Amari : Op. Cit. p.7 – 8.

(2) مصطفي الكناني : المرجع السابق ، ص 373 0

(3) Dufourcq: Op. Cit. p.523. / محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 102 – 103 0

علي سلعهم (1) ، مما يوحي بكثرة الأعباء الضريبية الخفيفة التي لاقاها التجار الإيطاليون في تجارتهم الخارجية مع دولة بني مرين 0

وقد إستفاد التجار الإيطاليون من بعض الإعفاءات الضريبية المرينية ، ، فقد نصت معاهدة بيزا مع دولة بني مرين علي الإعفاء التام لجميع السلع التي كان يجلبها التجار البيازنة للمخزن المريني من الضرائب الجمركية وكآفة المصاريف (1) ، وهذا يعد مكسباً كبيراً للتجار البيازنة

عندما يتاجرون مع المخزن المريني مباشرةً ، فشملت هذه الإعفاءات تجارة الذهب والفضة والحلي والمجوهرات والأحجار الكريمة ، والسفن والحبوب وغيرها من السلع ، [00 إن ساق أحد من تجارهم برسم الباب العلي 000 فلا يكون لأحد سبيل الي حلها ولا نظرها حتي يبلغ الباب العلي 00 فإن إشتريت منه بالباب العلي فلا يغرم عليها شيئاً وإن لم تُشتر فيغرم عليها المغرم المعتاد 00] (2) ، فالمعاهدة لم تحدد سلعاً معينة ولكنها فتحت الباب علي مصراعيه أمام التجار البيازنة لجلب جميع السلع بشتي أنواعها الي دولة بني مرين لاسيما المخزن ، وتكون معفاة من الضرائب وهو ما يعني الإستفادة المالية الهائلة من تجارة البيازنة مع المخزن المريني وتشجيعها 0

كذلك إشتملت الإعفاءات الضريبية الممنوحة للتجار الإيطاليين أنه يتم إعفاء السلع الغذائية الخاصة بتموين البحارة وطاقم السفينة ، وأيضاً كان كراء أي سفينة شحن إيطالية في ميناء مغربي يعطي الحق لصاحب السفينة الإيطالي بجلب بضائع مغربية معفاة من الضرائب تساوي قيمة كراء السفينة (3) 0

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه دولة بني مرين تمنح التسهيلات التجارية لاسيما الإعفاءات الجمركية ، كانت بيزا تفرض نظماً قاسية حول موانيها التجارية لاسيما بيزا وليفورنو

----

(1) برنشفيك : المرجع السابق ، ج1 ص 283 0

محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 101 0 / (2) Amari : Op. Cit.p.4.

(3) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص 102 0

Livorno والمنطقة المتاخمة للميناء والتابعة لها ، حيث كانت الأحوال الإقتصادية في بيزا متدهورة في النصف الأول من القرن 14م مما حدا بحكومة بيزا الي فرض ضرائب علي تجارة النبيذ بلغت في العام نحو 12 ألف فيورنتي ، كذلك نفذت حكومة بيزا كآفة المعاملات التجارية بصورة جبرية وصارمة ، فكان العقاب صارماً في حالة التجاوزات بالأسواق،(1)0

----

(1) Giuseppe Rossi-Sabatini : Op. Cit. P. 50.

[8] الموازين والمقاييس والمكاييل :

كانت الأسواق الإيطالية التجارية إجتماعات موسمية للتجار المحترفين وهي مراكز للتبادل خصوصاً البيع بالجملة ، وإجتذبت الكثير من السلع والبضائع المتنوعة ، وكانت الأعياد والمناسبات وسيلة الجذب الرئيسية للأسواق ، وكانت أكثر

الفوائد فعالية هي الإعفاء الضريبي (1) ، وتعد أسواق جنوة والبندقية ومعارضها السنوية الموسمية من أشهر أسواق أوروبا ، وكانت السلع تتركز فيها وتحفظ لحين تصريفها (2) ، وكانت هذه السلع يتم بيعها إما كيلاً أو عداً أو وزناً أوقياساً ، فإستخدمت المدن الإيطالية موازينها وكيلها وقياساتها بالإضافة الي الموازين المغربية المرينية في التعاملات التجارية التي جرت بينهما 0

1- الكانا Canna :

هي وحدة قياس إيطالية تجارية لقياس الأقمشة البندقية ، وهي تعادل تقريباً نحو المترين (3) ، والكانا تساوي 8 بالمي Palmi والبالمي يساوي 262و0 م وذلك في القرن 13م (4) 0

2-الجوبيتوس Gubitus :

وهناك مقياس آخر وهو الجوبيتوس وهو يساوي 3 بالمي تقريباً (5)، و كان يستخدم في قياس الأطوال و كان هناك نوعان من الجوبيتوس أحدهما يستخدم في النشاط التجاري البري ويعادل 47و2 بالمي والثاني يستخدم في الهندسة المعمارية ويعادل 747و3 بالمي وكانت جنوة تستخدم تلك الوحدات القياسية في تشييد السفن والتجارة (6)0

----

(1) هنري بيرين : المرجع السابق ، ص 98 – 99 0

(2) مصطفي حسن الكناني : المرجع السابق ، ص 324 0

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 543 ،/ ويحددها برنشفيك بنحو 20و 2 متر أنظر برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ص 263 0 / حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 544 0 / ويحددها جون براير بنحو 10و2م أنظر John H. Pryor : Op. Cit. vol.p. 118.

(4) John H. Pryor : Op. Cit. vol. p. 118.

(5) Ibid, vol, V, p. 118.

(6) Ibid, vol.VII, p.174.

3- بالموس Palmus :

وهو وحدة قياس كانت جنوة تستخدمه في تشييد السفن ، وهو يعادل تقريباً 248و0م ويستخدم في قياس العمق والعرض ومحيط الدائرة (1) 0

4- الباسو Passo :

وحدة قياس للأطوال فقط وكانت البندقية تستخدمه في صناعة السفن في القرن 14 و15م وهو يعادل 7 أقدام (Pedi) ، والقدم وحدة قياس أصغر ويساوي نحو 348و0م (2) 0

5- العشر :

وهو وحدة وزن وكيل معاً ويساوي العشر الإيطالي نحو عشرة أرطال أو 39و3كجم (3) 0

6- القنطار Cantaro :

يذكر ماركوبولو أن حمولة إحدي السفن الإيطالية كانت تصل الي أربعة آلاف قنطار بندقي (4) ، والقنطار البندقي يعادل مائة رطل ، وهي وحدة وزن إيطالية(5) ، ويعادل أيضاً 5و43 كجم في مدن بلاد المغرب المرينية ، مثل أنفا وآصيلا ، ويعادل 6و40 كجم في ميورقة (6) ، ويساوي القنطار 20 مينا وهي وحدة وزن إيطالية لوزن الحبوب في جنوة (7) ، وكان القنطار يستعمل عادة في وزن العسل والتين والعفص والكتان وشعر الماعز والصوف والخيوط ومادة الصباغة (النيلة) وصمغ اللك والفلفل والقطن والشمع والجلود (8) ، وكان القنطار الجنوي يعادل تقريباً نحو 47 كجم (9) 0

----

(1) John H. Pryor : Op. Cit. vol, VII, p. 174.

(2) Ibid,

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 544 0

(4) ماركوبولو : المصدر السابق ، ص 237 – 238 0

(5) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 147 0

(6) Dufourcq: Op. Cit.p.550.

(7) Lopez : OP. Cit. p. 153. / حاتم الطحاوي : نفسه ، ص 147 0

(8) Dufcq: Op. Cit. p. 538.

(9) John H. Pryor: Op. Cit. vol, VII,p.369.

7 – الرطل Rotol :

وهو يعادل من 1 : 100 من القنطار في إيطاليا بينما في أنفا المرينية يزن نحو 435 جم ، ويستخدم لوزن الجلود (1) ،

8- السالما Salma :

وحدة وزن صقلية إستخدمتها المدن الإيطالية بيزا وجنوة عند شرائهما القمح عام 1294م من صقلية وهي تعادل 60و1 hL (2) 0

9- بيشو Picho :

وحدة كيل بندقية بعد عام 1345م وكانت تستخدم لكيل الخيط ، وكل 100 بيشو يعادل 118 برازا Braza في البندقية (3) 0

10- بوتا Botta :

وهو مقياس للزيوت يعادل طن واحد ، ويستخدم أيضاً كوزن للخمور ، ويعادل 450 لتر ، وهو عبارة عن برميل خشب يسع خموراً قدرها 450 لتر (4) 0

11- موازين الخمور والزيوت :

إستخدم التجار الجنوية ميزان باريل Barile في وزن الخمور والمواد الخام ، بينما إستخدم البيازنة ميزان تونللو Tonello لوزن الخمور والزيوت(5) 0

12- تورسيللو Torsello :

وحدة وزن إيطالية لوزن الملابس الكتانية والصوفية ، وهي نوع من البالات المسطحة يوضع بداخلها الملابس المراد تصديرها (6) 0

---

(1) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 147 ، / Dufourcq : Op. Cit.p. 550.

(2) Dufourcq : Op. Cit. p. 532, 548,Nol.3.

(3) Lopez : Op. Cit. p. 152.

(4) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 147 0

(5) نفسه 0

(6) نفسه 0 / Dufourcq : Op. Cit. p. 538 .

13- سبورتا Sporta :

وحدة وزن إستخدمها التجار الإيطاليون في وزن الفلفل وهي تساوي من 600 : 700 لتر تقريباً (1) 0

14- مينا Mina :

وحدة وزن للحبوب وتساوي 8 Lbs بالوزن الصغير في البندقية ، كذلك يستخدم المينا في وزن الحرير ، وهناك نوعان في البندقية من الموازين بإستخدام الوزن الكبير، وكان يُستخدم لوزن الحديد والفحم والخشب والذهب واللحوم والجبن والعسل وجميع أنواع الفاكهة ، أما الوزن الصغير فيستخدم الأشياء الصغيرة مثل القطن والفلفل والسكر والجنزبيل والقرفة والحرير والشمع والزعفران وأنواع اللبان والقرنفل والزبيب وكل التوابل ، ويعادل كل 100 Lbs بالوزن الكبير نحو 158 Lbs بالوزن الصغير (2) 0

15 – بطة :

وحدة كيل إيطالي ، وكانت تعادل 938 لتراً (3) 0

----

(1) حاتم الطحاوي : المرجع السابق ، ص 147 0

(2) Lopez : Op. Cit.p.152.

(3) الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 239 0

الخاتمة

إن المتتبع لتاريخ العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والمدن الإيطالية حسبما صورها البحث يتعين له في جلاء ووضوح مظاهر واضحة لتلك الدراسة المستفيضة ، وقد أمكننا التوصل من خلال هذه الدراسة الجلية إلى عدة نتائج ، ويبدو من المفيد في هذه الخاتمة إجمالها لكى تعين في توضيح العلاقات التجارية والظواهر التاريخية بصورة أشمل 0

وتبين لنا أن البيئة الجغرافية لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ العلاقات التجارية للمغرب المريني ، فقد كان يطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، مما أوجد عدة مدن بحرية عديدة كانت لها علاقات تجارية هامة نشطة مع المدن الإيطالية وبلاد الأندلس وممالك أسبانيا النصرانية بحوض البحر المتوسط ، وبتنوع المناخ ومصادر المياه وتضاريس بلاد المغرب تنوعت المحاصيل ونشطت حركة السكان الزراعية والرعوية والصناعة والتجارة ، فكانت بلاد المغرب غنية بالثروات الزراعية والحيوانية والصناعات العديدة ، فكانت نقطة جذب للتجار من شتى المدن الإيطالية 0

وتبين لنا أيضًا أن الموقع الجغرافي الممتاز للمدن الإيطالية كان من أهم العوامل التي أكسبتها وفرة البحارة المتمرسين والتجار الأكفاء النشطين فكانت موانئ تلك المدن مركزًا كبيرًا للتجارة والنشاط البحري 0

وتجلى لنا أن العوامل المناخية البحرية كان لها دور كبير في تحديد وقت سفر السفن التجارية للمدن الإيطالية والإسلامية في حوض البحر المتوسط ، وكانت الطوارئ المرتبطة بهياج البحر والريح العاصفة تتمثل في عامل التجربة التي كان يتحصل منها على المعلومات الهامة في مواجهة تلك الأخطار الطبيعية 0

وتوصلنا إلى أن فترة القوة المرينية كانت فترة إستقرار ونشاط اقتصادي هائل لبلاد المغرب ، فنهضت البلاد وتزايد الإنتاج ونشطت حركة بناء السفن وتزويدها بالخبرات الجنوية والتقنيات الحديثة ، فكانت بلاد المغرب المرينية نقطة جذب اقتصادي للمدن الإيطالية ، مما جعل المدن الإيطالية تتسارع إلى عقد الاتفاقيات التجارية مع دولة بني مرين ، فكانت التجارة تأخذ الصفة الرسمية ، فشهدت المدن المرينية حركة توافد التجار الإيطاليين بأعداد كبيرة ،أما في حالة الضعف السياسي والتدهور لدولة بني مرين فقد توصلنا إلى أن أحوال البلاد الداخلية كانت ممزقة وكانت الأنظمة الداخلية متهالكة وشاعت أعمال قطع الطرق التجارية ، وسوء التدبيرالإدارى والمالى والجبائى ونقص الأنظمة السياسية للحزم والنزاهة والنظر إلى مستقبل

الدولة الإسلامية ، أضف إلى ذلك تهديدات الدول النصرانية للمدن الساحلية الهامة لذلك كانت المدن الإيطالية تتاجر مع التجار المرينيين من خلال المدن الساحلية بصفة غير رسمية ، علي أن من أهم نتائج الأحوال السياسية الداخلية للمغرب المريني هو إحتفاظ أسواق المدن الساحلية المرينية بإتصالاتها التجارية الخارجية القوية والبعيدة ، وأمكنها من ممارسة مهنتها التجارية حتي عند مواجهتها عقبات كبيرة أربعة وهي بعد المسافة الواقعي عن المدن الإيطالية، وثانياً الإضطرابات السياسية الداخلية بدولة بني مرين ، وثالثاً الصراع المسيحي [الأسباني – البرتغالي] ضد دولة بني مرين في غرب البحر المتوسط ، ورابعاً عالم القرصنة ، ونظراً لوقوع الصراع المسيحي – الإسلامي وعالم القرصنة فإن هاتان كانتا سبباً في إعاقة تجارة المغرب الأقصي المريني , وشبكة البحر المتوسط التجارية الإسلامية0

وكشفت الدراسة عن دور جنوة التجاري مع دولة بني مرين ، فقد كانت جنوة تركز نشاطها التجاري مع دولة بني مرين ، فحاولت منع التغلغل البرتغالي والإسباني داخل دولة بني مرين، وحاولت منع الاحتكار والتوازن في البحر المتوسط ، وحاولت الوصول غلى سجلماسة وتوات في أعماق الصحراء للوصول إلى منابع تجارة الذهب والرقيق ن لكن تلك المحاولات فشلت ، وكانت تارة تمارس التجارة مع دولة بني مرين وتارة أخرى تطمع في احتلال بعض المدن التجارية المرينية الهامة مثل سبتة ، فكانت تفضل مصلحتها فوق أية اعتبارات أخرى أو معاهدات 0

وأثبتت الدراسة أن دخول إسبانيا والبرتغال حلبة التجارة بدولة بني مرين قد أشعل نار التنافس بين المدن الإيطالية والممالك الإسبانية النصرانية ، فكانت كل جهة تحاول مد نفوذها التجاري بدولة بني مرين على حساب الجهة الأخرى ، غير أن الممالك الإسبانية كانت لها أطماع استعمارية بدولة بني مرين ايضًا 0

ورصد البحث الحروب المريرة بين المدن الإيطالية حول الاستئثار بالتجارة والمكاسب المالية ومناطق النفوذ التجاري ، فشهد غرب البحر المتوسط معارك عنيفة وحروب طاحنة وحوادث قرصنة متبادلة بين المدن الإيطالية راحت ضحيتها منطقة غرب البحر المتوسط التجارية فكانت عدم الاستقرار ، وحوادث خطف التجار المغاربة وبيعهم عبيدًا بأسواق أوروبا ، ونهب متاجرهم وتحطيم سفنهم ، مما أعاق سريان الشريان التجاري بغرب البحر المتوسط 0

وكشف البحث عن حوادث القرصنة المتفشية بحوض البحر المتوسط علي الرغم من المعاهدات السلمية وإتفاقيات التجارة والسفر من بلد الي آخر بين الأطراف الأوروبية والمسلمة، فقد حدث نشاط متزايد في مجال النهب والقرصنة من الجانبين ، إما في عرض البحر أو علي المدن الساحلية والجزر ، فقد تنافست كل من السفن الإيطالية والقطلانية علي إحتكار الإقتصاد المريني لاسيما في مجال التسويق والتبادل وإلغاء دور الوساطة المرينية شيئاً فشيئاً ، مما أوجد نوعاً من عدم الإستقرار الإقتصادي وتحول المغاربة من التجارة الي الحرب ضد الطامعين،فكانت الهيمنة المسيحية علي التجارة المغربية في عقر دارها قد قابلها العداء والمواجهة ، الي جانب الضرر الفادح بالتجارة المغربية وعجزه عن حماية تجارته كذلك أعمال أسر المسلمين وبيعهم عبيداً في أسواق أوروبا ونهب المراكب التجارية المسلمة، كل ذلك ألجأ المغاربة الي الجهاد البحري لذا كانت حركة الجهاد البحري توضح حالة عدم الإستقرار السياسي وتفتت السلطة المرينية ، وإصابة التجارة المرينية بالشلل ، غير أن حركة الجهاد البحري لم تمنع البحارة والتجار الإيطاليين من الذهاب الي المغرب المريني لاسيما مدينة سبتة وسلا للتجارة0

وتوصل البحث إلى أن أهم ما يميز السفن التجارية أنها كانت مجهزة لخوض المعارك البحرية في نفس الوقت وذلك لكون البحر المتوسط غاصاً بالقراصنة النصاري ، فكانت السفن التجارية علي أهبة الإستعداد الحربي أيضاً 0 وكانت معظم السفن التجارية مزودة بالأشرعة وذات شكل دائري وواسعة ، ولكنها بطيئة نسبياً عن السفن المزودة بالمجاديف ، وأما الأشرعة فكانت مثلثة وهي عربية الأصل التي فضلها المسلمون نظراً لتعدد مهامها، وتلائمها مع الريح المتغيرة بالبحر المتوسط ، وأيضاً تزودت السفينة بمجدافين عند مؤخرتها لتوجيه السفينة في الإتجاه المطلوب 0

وتوصل البحث إلى أن بعض الوثائق التاريخية في معظم الأحوال لم تكن تتفق مع الواقع التاريخي فعلي سبيل المثال مسألة القرصنة، فرغم وجود العديد من الإتفاقيات بين جميع دول حوض البحر المتوسط لمنع القرصنة لكن المسألة لم تتوقف ،وإستمرت بحوض البحر المتوسط طوال العصور الوسطي وحتي العصور الحديثة، كذلك كان بعض التجار الإيطاليين يشترون بضائع التجار المغاربة دون أن يقوموا بسداد قيمتها المالية ، أضف إلي ذلك قيام التجار الجنوية بإدارة بعض الفنادق لحسابهم الخاص وتحويله إلي بؤرة للفساد الأخلاقي

وشـرب الخمـور بـين الأوسـاط المغربيـة ولـم يحـافظوا علـي التقاليـد والعـادات الإجتماعيـة الإسلامية فكان همهم النواحي المالية فوق أية إعتبارات دينية سواء أكانت إسلامية أو مسيحية، وتوصـل البحـث إلـى أن إهتمـام البندقيـة برسـم خـرائط توضـيحية للمراكـز البحريـة والمـوانئ المغربية المرينية ماهو إلا دليل قاطع علي الرغبة الشديدة في إقامة جسر تجاري بين الدولتين ويرجح ذلك ما ألمحت إليه بعض المصادر والمراجع 0

وعلي الرغم من أن البنادقة كانت لهم تجارة هائلة ببلاد المغرب ، وكانوا مسيطرين تماماً علي ميادين التجارة وأسواقها وذلك في القرن 13م، وأساطيلها القوية المتعددة التي بلغت نحو ثلاثة آلاف سـفينة ، وإتصـلوا بحـراً بجميـع نـواحي العـالم وتـاجروا فـي سلع كثيـرة،و مـن كـل تلـك الإمتيازات التجارية للبنادقة إلا أنهم لم يرتبطوا بمعاهدة تجاريـة رسمية مـع دولـة بنـي مرين فكانت تجاراتهم مع التجار المغاربة بدولة بني مرين تتم بصورة غير رسمية أو بصـفة أهليـة ، وتوصل البحث إلى أن البنادقـة إضـطروا لـذلك لأسباب جغرافيـة وإقتصـادية منهـا بعد البندقيـة عن دولة بني مرين فكان البنادقة يتحصلون علي جميع السلع التي تلـزمهم مـن تـونس الحفصـية وتلمسان بني عبد الواد ، وإستطاع البنادقة أن يفرضوا شروطهم بكل ثبـات ويقبلهـا الحفصـيون وبنو عبد الواد من أجل أسباب كثيرة ودليل ذلك كثرة المعاهدات التجاريـة للبنادقـة والجنويـة والبيازنـة مع تونس الحفصية ودولة بني عبد الواد ،

وأثبت البحث أيضًا أن سبب ذلك هو عدم الإستقرار السياسي ببلاد المغرب المرينـي الـذي كـان سبباً في تسهيل أو زيادة التنافس بين الدول المسيحية ، فعندما كان يتولي أمير حكم دولـة بصـفة غيرشرعية أو بـالقوة فإنـه يكـون علـي إسـتعداد للتفـاهم مـع الأوروبيين المنافسين لغيـرهم مـن الأوروبيين الذين يُقيمون علاقات طيبة ، كما حدث مع الجنوية الذين ساعدوا بنـو الأحمـر علـي حكـم سـبتة المرينيـة وضـمها لحكمهـم ودولـتهم ، وأيضـا حالـة الحـرب المستمرة بـين الدولـة المرينية وممالك أسبانيا النصرانية ، و المنافسة الشديدة مـن التجـار القطـلان الـذين دافعـوا عـن تجـاراتهم بـالمغرب المرينـي وعملـوا علـي إزاحـة الوجـود الإيطـالي مـن المغـرب المرينـي ، أضف الي ذلك قِصَرْ طريـق الـذهب والرقيـق الواصـل مـن بـلاد السودان عبـر تلمسـان وتـونس الحفصية الي موانئ البحر المتوسط عن الطريق الثاني المـار بجنوب المغـرب المرينـي الأمـر الـذي جعـل المـدن الإيطاليـة تتجـه الـي تونس الحفصـية ، والمغـرب الأوسـط بدرجـة أكبـر مـن المغـرب المرينـي ، وأخيـرأ نسبة التسـهيلات والإمتيـازات العاليـة التـي قدمتهـا تـونس والمغـرب

الأوسط للمدن الإيطالية مما شجع الأخيرة علي العدول عن المعاهدات التجارية الرسمية مع المغرب المريني ، ويؤكد ذلك أن المدن الإيطالية لم ترتبط مع دولة بني مرين بمعاهدات تجارية إلا في الوقت الذي سيطرت فيه دولة بني مرين علي المغرب الأدني والمغرب الأوسط وأصبحت هي التي تملك مفاتيح الحل والعقد في الأمور التجارية فكان لزاماً علي المدن الإيطالية الإتفاق التجاري مع دولة بني مرين ، و أيضاً أنه بحصول المغربين الأدني والأوسط علي إستقلالهما من التبعية لدولة بني مرين سارعت المدن الإيطالية اليها لعقد المعاهدات التجارية بسرعة ، لذلك كانت التجارة للمدن الإيطالية بصفة عامة مع دولة بني مرين تأخذ الصفة الأهلية ، فكانت التجارة بين التجار الإيطاليين وكبار التجار المغاربة تتم في المدن الساحلية المرينية دون تدخل القصر المريني 0

وأثبت البحث أن التجار المغاربة سافروا إلى المدن الإيطالية، و عاشوا بها، ولكن بالمقارنة بأعداد التجار النصاري الذين تواجدوا بالمغرب المريني نجد أن التجار الإيطاليون كان تواجدهم بالمغرب المريني أكثر من تواجد المغاربة بالمدن الإيطالية، وكما كانت البابوية تعاقب التجار الإيطاليين وتمنعهم من التعامل التجاري مع المسلمين لاسيما تصدير الأخشاب والسفن والحديد والرصاص وغيرها من السلع الهامة لتجهيز السفن والأسطول البحري، وأيضاً محاربة الكنيسة للربا والفائدة علي القرض ، نجد أن التاجر الإيطالي كسر تلك القيود وزاول تجارته مع المسلمين بحوض البحر المتوسط، ضارباً القوانين البابوية والكنسية عرض الحائط ،فقد كانت مصلحته المالية أكبر من أية اعتبارات دينية أو سياسية ، وفي المقابل نجد أن مثل ذلك الموقف عند التجار المغاربة، فقد كانت هناك معوقات وقفت أمام التجار المغاربة عند تجارتهم مع الإيطاليين وهي دار الإفتاء المغربية التي أصدرت عدة فتاوى شرعية تعوق التجار المغاربة من التعامل التجاري مع الإيطاليين وغيرهم من التجار اليهود ، ورغم ذلك إستطاع التاجر المغربي المسلم أن يتخطي تلك القيود ويضرب بها عرض الحائط، وقام بمزاولة تجارته مع الإيطاليين واليهود أيضاً، فقد كانت المصلحة التجارية والمكاسب المادية فوق كل الإعتبارات الدينية لكل من التاجر الإيطالي والتاجر المغربي،

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

أولاً الوثائق العربية والأجنبية :

1- Amari (Michele) : I Diplomi Arabi , R. Archivio Fiorentino, Le Monnier , 1863.

2 - Los Documentos Arabes Diplomaticos , Del Archivo De La Corona De Aragon, Editados Y Traducidos, Por Maximiliano,Y Ramon Garcia, Madrid.Granada 1940.

3 - Mas-Latrie : Traites Des Paix et de Commerce.(Traites Entre Chretiens et Arabes au Moyen age).2Part, Paris, 1966.

4- Lopez(R. S.) : Medieval Trade in the Mediterranean World , London, 1955.

ثانيًا المخطوطات :

ابن الحاج النميري : أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن محمدبن ابراهيم بن موسي وينتهي نسبه الي ابن قاسم ويُشتهر باسم ابن الحاج النميري الغرناطي ، 713 – 768هـ/1313-1367م0

5- مخطوط فيض العباب وإفاضة قداح الآداب للحركة السعيدة المباركة لقسنطينة والزاب ، تحقيق رضوان البارودي – أحمد الطوخي ، تحت الطبع ، الإسكندرية0

ابن الموقت : محمد بن محمد بن محمد الموقت المراكشي ،

6- مخطوط السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ميكروفيلم رقم 35552 مكتبة الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 0

البرزلي : أبو القاسم بن أحمد البلوي البرزلي 0

7- مخطوط فتاوي البرزلي ، ميكروفيلم رقم 4/365 معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة 0

الكناني : أبو القاسم بن سلمون 0

8- مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام ، جزءان ، ميكروفيلم رقم 1091 ، 1093 ، قسم المخطوطات بالإسكوريال ، مكتبة الإسكندرية 0

مؤرخ مجهول :

9- مخطوط ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين ، رقم 1637 ، تاريخ،الرباط ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية – القاهرة 0

ثالثًا المصادر العربية :

ابن الأحمر : أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي ت0(810 هـ/1407م) 0

10- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولي 1976م 0

الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي ، ت0 (560هـ/1164م) 0

11- نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ج1،2،عالم الكتب بيروت الطبعةالأولي1989

الأنصاري السبتي : محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الملك الأنصاري السبتي ، إنتهي من كتابه عام 825هـ/1423م 0

12- إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط المطبعة الملكية 1969م 0

البادسي : أبو محمد عبد الحق بن إسماعيل 0

13- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف ، تحقيق سعيد أعراب ، الرباط 1982م 0

إبن بطوطة : أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي ت0 (779هـ/1377م) 0

14- تحفة النظار في غرائب الأمصار ، ت0 طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولي 1987م 0

البكري : أبو عبيد البكري ت0 (487هـ/1094م)0

15- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثني ، بغداد (د0 ت) 0

الترجمان : عبدالله (ألف كتابه عام 823هـ) 0

16 – تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب ، تحقيق محمود علي حماية ، الطبعة الأولي ، 1983

التنبكتي : محمود كعت التنبكتي 0

17- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، نشر هوداس ، مطبعة بردين – آنجي 1913م 0

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، 539 – 614هـ/1144 – 1217م

18- رحلة ابن جبير ، دار صادر بيروت (د0 ت) 0

الجزنائي : أبو الحسن علي 0
19 - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، دراسة وتحقيق وتعليق ، مديحة الشرقاوي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية 2001 0
ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، ت0 (852هـ/1449م)0
20- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، تحقيق عبد الله بن أحمد المديحج ، دائرة المعارف العثمانية ، ج2 ، 3 ، 4 ، 6 ، 7 ، 8 ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1986م 0
الحميري : محمد بن عبد المنعم السبتي ، ت0 أواخر القرن 9هـ/15م 0
21- الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت الطبعة الثانية 1980م 0
ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل ت0(367هـ/977م)0
22- صورة الأرض ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ، (د – ت) 0
ابن خردازبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت0(300هـ) تقريباً 0
23- المسالك والممالك ، دار صادر بيروت ، طبعة ليدن 1889م 0
ابن الخطيب : لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله ت0 (776هـ/1374م) 0
24- الإحاطة في أخبار غرناطة ، نشر محمد عبد الله عنان ، 4 أجزاء ، الطبعة الأولي مكتبة الخانجي ، القاهرة 1974م 0
25- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، جامعة الإسكندرية ، 1958م 0
26- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام (تاريخ أسبانيا الإسلامية) ، القسم الثاني ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، لبنان 1956م 0
27- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ج2 ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1981م 0
28- نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، القسم الثاني، تحقيق أحمد مختار العبادي ، القاهرة 1967م 0

29- نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، القسم الثالث ، تحقيق السعدية فاغية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1989م 0

ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، ت0(808هـ/1405م)0

30- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 1 ، 6 ، 7 ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولي 1992م 0

31- المقدمة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت 1992م 0

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ، ت0(681هـ/1282م)0

32- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ج4 ، دار صادر بيروت 1970م 0

الدمشقي : أبي الفضل جعفر بن علي ، كان حياً في القرن 6هـ/12م 0

33- الإشارة الي محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولي ، القاهرة 1977م 0

ابن رشد الحفيد : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بإبن رشد الحفيد ، ت0(595هـ/1199م) 0

34- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج2 ، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1983م 0

ابن أبي زرع : علي الفاسي ، ت0 (726هـ/1325م)0

35- النيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة دار المنصور ، الرباط 1973م 0

الزركشي : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤي ، كان حياً في القرن 9هـ/15م 0

36- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، طبعة أولي ، تونس 1289هـ 0

الزهري : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ت0 بعد عام 545هـ/1150م 0

37- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د0ت) 0

السخاوي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، 831- 903هـ/1429-1497م 0

38- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية، (د0 ت)0

ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسي ، ت0(685هـ/1286م)0

39- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، الطبعة الثانية الجزائر 1982م0

40 - إختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي ، تحقيق ابراهيم الإبياري ، دار المعارف ، القاهرة 1945م 0

السقطي : أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الإدريسي ، ت0 أوائل القرن 7هـ/13م 0

41- في آداب الحسبة ، مطبوعات معهد العلوم المغربية ، باريس ، المطبعة الدولية ، 1931م 0

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن 0

42 - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، ج2، القاهرة 1299هـ 0

ابن شاهين الظاهري : زين الدين عبد الباسط ، كان علي قيد الحياة أواخر القرن 9هـ/15م 0

43- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، قطعة نشرها ، أحمد رمضان أحمد في كتاب الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، جدة ، (د- ت)0

44- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، قطعة أخري نشرها روبير برنشفيك في كتاب ، رحلتان غير منشورتين الي أفريقيا المالية في القرن 14م ، تحقيق وترجمة فرنسية ، باريس ، 1936م 0

ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل ، ت0(872هـ/1467م)0

45- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، باريس 1894م ، إعادة النشر ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1988م0

ابن الصيرفي : علي بن داوود بن إبراهيم الشهير بالخطيب الجوهري ، ت0 (900هـ) 0

46 - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 1970 0

ابن عبد الظاهر : (محي الدين بن عبد الظاهر ، 620 – 692هـ) 0

47 – تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة 1961 0

ابن عبد الملك المراكشي : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ، ت0 (703هـ/1304م) 0

48- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول ، ق 2 ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت (د – ت) 0

49- الذيل والتكملة 00 ، السفر الخامس ، ق1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت 1965م 0

50- الذيل والتكملة 00 ، السفر السادس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د- ت) 0

51- الذيل والتكملة 00 ، السفر الثامن ، ق1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984م 0

52- الذيل والتكملة 00 ، السفر الثامن ، ق2 ، تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984م 0

العبدري : أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي ، كان حياً في القرن 7هـ/13م 0

53- الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968م 0

عبد الله الترجمان :

54 - تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب ، تحقيق محمود علي حماية ، الطبعة الأولي 1983 ، مطبعة دار الثقافة ، القاهرة ،

ابن عبدون : محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ، ت0 عاش في القرن 5هـ/11م 0

55- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ،نشر ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة 1955م 0

ابن عبد الرؤوف : أحمد بن عبد الله 0

56- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ، ،نشر ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة 1955م0

العزفي السبتي : أبو العباس أحمد العزفي ،

57- إثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف علي حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد ، تحقيق محمد بن شريفة ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، 1999م 0

ابن عذاري : أبو اعباس أحمد بن محمد ، كان حياً في عام 712هـ/1312م 0

58- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، تحقيق كولان – بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثالثة ، 1983م 0

59- البيان المغرب 00 ، ج5 ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني – محمد بن تاويت ، الطبعة الأولي ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ، 1985م 0

60- Al – Omari: Shehab El-Din Ibn Fadl Allah , D. (748/1347).

54- Masalik El-Absar Fi Masalik El-Amsar,Part. I, Gaudefroy – Demombynes,Paris,1927.

عياض وولده محمد : أبو عد الله محمد بن القاضي عياض بن موسي اليحصبي ،

61- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت 1990م

ابن عيشون : أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط ، ت0 (1109هـ/1697م)0

62- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي 1997م 0

العيني : بدر الدين محمود ، ت0(855هـ/1352م) 0

63- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج3 ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1988م 0

ابن غازي : محمد بن غازي العثماني ، ت0(919هـ) 0

64 – الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، نشر عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1964 مطبوعات القصر الملكي 0

الغبريني : أحمد بن أحمد بن عبدالله، ت0 (714هـ/1314م)0

65- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979م 0

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي ، ت0(907هـ/1501م) 0

66- تاريخ ابن الفرات ، مجلد 9 ، ج1 ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت 1936م 0

الفشتالي : أحمد بن ابراهيم بن يحي الأزدي ، ت0(667هـ/1268م) 0

67- تحفة المغترب ببلاد المغرب ، نشر وتحقيق ، فرناندو دي لاجرانخا ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد 17 ، عام 72- 1973م 0

ابن القاضي : أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي ، ت0 (960هـ/1525م)0

68- جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، القسم الأول والثاني ، دار المنصور للطباعة ، الرباط 1974 0

القرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس ، ت0(684هـ/1285م) 0

69- الذخيرة ، ج5 ، 10 ، 12 ، تحقيق محمد بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولي 1994م 0

70- الذخيرة ، ج6 ، تحقيق سعيد أعراب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولي 1994م0

71- الذخيرة ، ج8 ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولي 1994م0

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت0(682هـ/1283م)0

72- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت 1969 0

القلقشندي : أبو العباس أحمد ، ت0(821هـ/1418م) 0

73- صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج5 ، 13 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1914م 0

الكومي : أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم ، كان حياً عام 749هـ/1348م 0

74- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، 1985م 0

المالكي : أبو بكر عبد الله بن محمد ،

75- رياض النفوس ، ج2 ، تحقيق بشير البكوش ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1983 0

مجهول : كان حياً في أواخر القرن 6هـ/12م 0

76- الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ، 1958م 0

مجهول : أنهي كتابه عام 674هـ/1275م 0

77- الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية ، نشر محمد بن أبي شنب ، الجزائر، 1920 0

المراكشي : عبد الواحد ، ت0(647هـ/1249م)0

78- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963 0

المعداني : أبو علي الحسن بن رحال ، ت0(1140هـ/1728م) 0

79- كشف القناع عن تضمين الصناع ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، تونس 1986 0

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، ت0 (1041هـ/1631م)0

80- أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج1 ، تحقيق مصطفي السقا – ابراهيم الإبيار ي- عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة التأليف والترجمة ، القاهرة 1939 0

81- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ثمانية أجزاء ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت 1988 0

المغيلي : محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، ت0 (909هـ/1503م 0)

82- مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تحقيق رابح بونار، الجزائر ، 1968 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 0

ابن مرزوق : محمد بن مرزوق التلمساني ، ت0 (781هـ/1379م) 0

83- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أي الحسن ، تحقيق مايا خيسوس بيجيرا، ، الجزائر ، 1981 0

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ، ت0 (845هـ/1441م)0

84- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج2 ، ق3 ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، القاهرة 1971 0

مقديش : محمود ، كان حياً قبل عام 1206هـ/1781م 0

85- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواوي – محمد محفوظ ، مجلد 1 ، 2 ، الطبعة الأولي ، بيروت 1988 0

ابن مماتي : أبو المكارم الأسعد بن مماتي الوزير الأيوبي ، ت0 (606هـ/1209م) 0

86- كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مطبعة مصر ، 1943م 0

الوليدي : أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي 0

87- الحلال والحرام ، تحقيق عبد الرحمن العمراني الإدريسي ، مطبعة فضالة المحمدية ، 1990 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية 0

الونشريشي : أبو العباس أحمد بن يحيين عبد الواحد الونشريشي ، 834- 914هـ 0

88- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعني اللآئق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، تحقيق لطيفة الحسيني ، طبعة 1997 ، وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية ، المملكة المغربية 0

89- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب ، 13 جزء ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الأسلامي ، طبعة بيروت 1981 0

90- أسني المتاجر في بيان أحكام من غلب علي وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، تحقيق حسين مؤنس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد 5 ، عدد 1 ، 2 ، 1957 0

91- أسني المتاجر 00 ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1996 0

ياقوت : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي، ت0 (626هـ/1229م) 0

92- معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، ج1 ، 2 ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1990 0

ثالثا – المراجع العربية والمعربة :

آ0 آشتور :

93- التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطي ، ت0 عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ، 1985 0

ابراهيم حركات : دكتور 0

94- النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، ردمك ، 1996 ، دار أفريقيا الشرق 0

95- المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1993 0

96- الحياة القروية في العصر المريني ، مجلة اللقاء ، عدد 4 عام 1968 0

ابراهيم حسن سعيد : دكتور 0

97- البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف بمصر ، 1983 0

ابراهيم القادري بوتشيش : دكتور 0

98- تاريخ الغرب الإسلامي ، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، دار الطليعة ، الطبعة الأولي بيروت 1994 0

ابراهيم علي طرخان : دكتور 0

99- امبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 0

100 - دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973

أحمد التوفيق : دكتور 0

101- حول معني آسفي (دراسات تاريخية وحضارية حول آسفي) أعمال الملتقي الفكري الأول لمدينة آسفي ، الرباط 1988 0

أحمد بن زيني دحلان : ت0 (1304هـ/1886م) 0

102- الفتوحات الإسلامية ن ج2 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1330هـ 0

أحمد بوشرب : دكتور 0

103- دكالة والإستعمار البرتغالي الي سنة إخلاء آسفي وآزمور ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1984 0

104- مكانة آسفي داخل الإمبراطورية التجارية البرتغالية خلال العقود الأولي من القرن 16م (مقالة من كتاب آسفي دراسات تاريخية وحضارية ، أعمال الملتقي الفكري الأول لمدينة آسفي) الرباط 1988 0

أحمد دراج : دكتور 0

105- المماليك والفرنج ، القاهرة 1961 0

أحمد الشكري : دكتور 0

106- الإسلام والمجتمع السوداني (أمبراطورية مالي 1230 – 1430م) ، المجمعه الثقافي ، أبو ظبي 1999 0

أحمد محمد الطوخي : دكتور 0

107- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 0

أحمد مختار العبادي : دكتور 0

108- في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية 1968 0

109- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1968 0

110- الحياة الإقتصادية في الدول الإسلامية ، فصل من كتاب دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، تأليف سعد زغلول عبد الحميد – سعيد عبد الفتاح عاشور – أحمد مختار العبادي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1985 0

ابن عزوز: دكتور 0

111- قاعدة سبتة بين الأندلسيين والمغاربة ، مجلة الأنوار التطوانية ، عدد يونيو 1952 ، تطوان 0

ابو العباس ابراهيم المراكشي :

112- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، 8 أجزاء ، الرباط 1974 0

آدم متز :

113- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت0 محمد عبد الهادي أبوريدة ، ج2 ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1958 0

أرشيبال 0 ر 0 لويس :

114- القوي البحرية والتجارية في حو البحر المتوسط ، 500 – 1100م ، ت0 أحمد محمد عيسي ، مكتبة النهضة المصرية 1950 0

الحبيب الجنحاني : دكتور 0

115- دراسات في التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية 1986 0

الحريري : أحمد عيسي (دكتور) 0

116- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، 1987 0

الحسن السائح : دكتور 0

117- الحضارة الإسلامية في المغرب ، الطبعة الثانية ، الدار البيضاء ، 1986 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع 0

حياة ناصر الحجي :

118 – العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين 8،9هـ/14،15م الكويت 1980

الخليل النحوي :

119- بلاد شنقيط ، المنارة والرباط ، تونس ، 1987 0

داوود أبو العافية :

120- دور التجارة في الإتصال الإسلامي / المسيحي خلال العصور الوسطي ، مقال من كتاب التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطي ، إعداد ديونيسيوس آجيوس ، ريتشارد هيتشكوك ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولي 1999 عين للدراسات والبحوث الأنسانية والإجتماعية

السيد سابق :
121 - فقه السُنة ، ج3 ، مكتبة دار التراث ، القاهرة،
سامية مصطفي مسعد : دكتور 0
122- الجهاد الإسلامي في الأندلس ودور المجاهدين من علماء ومتطوعة ، الزهراء كمبيوسنتر، 2002 0
123 – الحرب والطبيعة في المغرب الأقصي عصر بني مرين ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، 2003 الطبعة الأولي
السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، ت0 (1315هـ/1897م) 0
124- الإستقصا لأخباردول المغرب الأقصي ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، 4 أجزاء الأولي ، الدار البيضاء ، 1954 0
السيد عبد العزيز سالم : دكتور 0
125- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1961 0
126- تاريخ مدينة ألمرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1984 0
127 – المغرب الكبير، العصر الإسلامي ج2 ، طبعة 1966 ن الدار القومية للطباعة والنشر 0
السيد عبد العزيز سالم – أحمد مختار العبادي : دكتور 0
128- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ج1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1993 0
129- تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، ج2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1993 0
الشيخ الأمين :
130- العلاقات ين المغرب الأقصي والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي ، جدة 1979 0

الهادي المبروك الدالي : دكتور 0
131- التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15- بداية القرن18م ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1999
أمين توفيق الطيبي : دكتور 0
132- جوانب من النشاط الإقتصادي في المغرب في القرن 6هـ/12م من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة السادسة ، عدد 2 1984 0
133- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، ج2 ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1997 0
134- دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية ، الطبعة الأولي ، ليبيا ، 1989 ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 0
أوليفيا ريمي كونستبل : دكتور 0
135- التجارة والتجار في الأندلس ، ت0 فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان ، ردمك الطبعة الأولي ، 2002 0
باذل دافدسن : دكتور 0
136-أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ت0 جمال محمد أحمد، بيروت 1961 0
برنشفيك : (روبير) دكتور 0
137- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، جزءان ، ت0 حمادة الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 0
جان برنجيه ، وآخرون :
138- موسوعة تاريخ أوروبا العام ، ج2 (أوروبا منذ بداية القرن14 – نهاية القرن 18م) ت0 وجيه البعيني ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الأولي 1995 0
ج0ج0 كولتون : دكتور 0
139- عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة ، ت0 جوزيف نسيم يوسف ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية 1989 0

جواتيان : دكتور 0
140- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ت0 عطية القوصي ، الكويت ، 1980 0
جورج مارسيه : دكتور 0
141- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، ت0 محمود هيكل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1991 0
جوزيف نسيم يوسف : دكتور 0
142- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي ، دار الفكر الجامعي ، الطبعة الخامسة ، الإسكندرية 1987 0
143- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية 1988 0
144 - العدوان الصليبي علي مصر ، الإسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، 1969، طبعة أولي 0

حاتم عبد الرحمن الطحاوي : دكتور 0
145- بيزنطة والمدن الإيطالية ، العلاقات التجارية (1081 – 1204م) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، الطبعة الأولي 1998 0
146- القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية ، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد 58 ، عدد 4 أكتوبر 1998 0
حاييم زعفراني :
147- ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ت0 أحمد شملان ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1987 0
حسن أحمد محمود : دكتور 0
148- قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، 1957 0

حسين مؤنس : دكتور 0

149- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، 1986 0

خوان برنيط : دكتور 0

150 – هل هناك اصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية ، تعريب د0 أحمد مختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد الأول – السنة الأولي 1953 0

حياة ناصر الحجي : دكتور

151 - العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين 8،9هـ/14، 15م الكويت 1980

درويش النخيلي : دكتور 0

152- السفن الإسلامية علي حروف المعجم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية 1979 0

رابح بونار : دكتور 0

153- القاضي سعيد العقباني التلمساني ، مجلة الأصالة ، عدد 6 السنة الأولي، الجزائر 1972 0

رضوان البارودي : دكتور 0

154- التاريخ السياسي لمدينة سبتة (القرن 4-7هـ/10-13م) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد 36 ، 1989 0

155- سفارات متبادلة بين بني زيان ملوك تلمسان ومملكة أراجون ، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ، 1984 0

روجيه لوتورنو : دكتور 0

156- فاس في عصر بني مرين ، ت0 نقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، 1967 0

157- فاس قبل الحماية ، ج1 ، ت0 محمد حجي – محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992 0

زبيدة محمد عطا : دكتور

158 - اليهود فى العالم العربى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ج1 ص 190 0

سعيد عبد الفتاح عاشور : دكتور 0

159- أوروبا العصور الوسطي ن مكتبة الأنجلو المصرية ، 1975 القاهرة 0

شارل أندريه جوليان : دكتور 0

160- تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج1 ، ت0 محمد مزالي – البشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1969 0

161- تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج2 ، ت0 محمد مزالي - البشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1978 0

شارل ديل :

162- البندقية جمهورية أرستقراطية ، ت0 احمد عزت عبد الكريم – توفيق إسكندر ، دار المعارف ، 1947 0

ابن شنهو عبد الحميد بن ابي زيان : دكتور 0

163- النظام الإداري في المغرب ، ط3 ، الرباط 1962 0

صالح محمد فياض : دكتور 0

164 – نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين ن رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، 1977 0

صابر دياب : دكتور 0

165- دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطي ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد 24 ،1977 ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية 0

صبحي لبيب : دكتور 0

166- الفندق ظاهرة سياسية – إقتصادية – قانونية ، فصلة من كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، إعداد رؤوف عباس ، الطبعة الأولي 1986 ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر0

طلبة عبد العال الغباشي : دكتور 0

167 – أحكـام نـزع الملكيـة وتقييـدها لمصـلحة الغيـر فـي الشـريعة الإسلامية،طبعة2001 ، مركز آيات للكمبيوتر والطباعة، الزقازيق 0

عاشور أبو شامة : دكتور 0

168- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، (626-981هـ) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة 1991 0

عبد الله العروي : دكتور 0

169- مجمل تاريخ المغرب ، ج2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي 1994 0

ابن عبود : دكتور 0

170- تاريخ المغرب ، ج1 ، المطبعة المهدية ، تطوان 1951 0

عبد الحميد حاجيات : دكتور 0

171- أبو حمو موسي الزياني ، حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974 0

عبد الرحمن بن زيان :

172- إتحاف أعلام الماس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ج1 ، الطبعة الأولي 1929 ، الرباط ، المطبعة الوطنية بدرب الفاسي 0

عبد الرحمن فهمي : دكتور 0

173- النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة 1964 0

عبد السلام الترمانيني :

174- الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 23 سنة 1979 0

عبد العزيز بنعبدالله : دكتور 0

175- جغرافية المغرب ، مطابع لاسكي إخوان ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ، 1956 0

176- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية (معلمة المدن والقبائل) جزءان ، الرباط، مطبعة فضالة 1977 0

177- البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان، عدد 3، 4 ، سنة 58- 1959 0

178- تاريخ الحضارة المغربية ، ج1 ، مطبعة الجامعة ، الدار البيضاء ، 1960

عبد العزيز محمود عبد الدايم : دكتور 0

179- الصراع بين القوي المسيحية ودولة المماليك الجراكسةفي مياه البحر المتوسط ، فصلة من كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، إعداد رؤوف عباس ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1986 0

عبد القادر زبادية : دكتور 0

180- مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (د- ت) 0

عبد القادرأحمد اليوسف : دكتور 0

181- العصور الوسطي الأوروبية 476- 1500م ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان 1967 0

عبد الهادي التازي : دكتور 0

182- التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج7 ، مطابع فضالة ، المملكة المغربية 1988 0

عبد الهادي العامري : دكتور 0

183- تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والزبول ، تونس 1974 ، الشركة التونسية للتوزيع 0

عبد الوهاب بن منصور : دكتور 0

184- قبائل المغرب ، ج1 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1968 0

185- مناقب أهل الصحراء ، المطبعة الملكية ، الرباط 1975 0

عبد الوهاب محمد المسيري : دكتور 0

186- الأيديولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم إجتماع المعرفة ، ج1 عالم المعرفة ، عدد 60 سنة 1982 الكويت 0

عز الدين أحمد موسي : دكتور 0
187- الأسطول المغربي علي عهد المرابطين والموحدين والمرينيين ، بيروت 1983 ، دار الشروق ، فصلة من كتاب دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي لنفس المؤلف 0
188- النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م ، دار الشروق ، الطبعة الأولي ، بيروت 1983 0
عزيز سوريال عطية : دكتور 0
189 – العلاقات بين الشرق والغرب ، ت0 فيليب صابر سيف ، دار الثقافة المسيحية ، 1972 0
عطا علي شحاتة :
190- اليهود في بلاد المغرب الأقصي في عهد المرينيين والوطاسيين ، الطبعة الأولي 1999 ، دمشق ، دار الكلمة 0
علي حامد الماحي : دكتور 0
191- المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني 749-759هـ/1348-1358م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 1980 0
علي محمود فهمي : دكتور 0
192- التنظيم البحري الإسلامي في شرق البحر المتوسط (7-10م) ت0 قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، الطبعة الأولي ، 1997 0
غوستاف لوبون :
193- حضارة العرب ، ت0 عادل زعيتر ، مكتبة مصطفي البابي الحلبي ، القاهرة 1966 0
فايد حماد عاشور : دكتور 0
194- العلاقة بين البندقية والشرق الأدني الإسلامي في العصر الأيوبي ، دار المعارف 1980 0

فرنان برودل :

195- من ذهب السودان الي فضة أمريكا (مقالة من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي) ، ت0 توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية 1961 0

فيج 0 جي 0 دي :

196 - تاريخ غرب أفريقيا ، ت0 السيد يوسف نصر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، 1982 ،

قاسم عبده قاسم : دكتور 0

197- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رافت ، جامعة عين شمس ، القاهرة 1978 0

198 - بين التاريخ والفلكلور، الطبعة الأولي 1993 ، شركة الأمل للطباعة والنشر0

199 - اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1987 0

200 – أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، القاهرة 1979 ، دار المعارف 0

كلود كاهن :

201- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت0 احمد الشيخ ، سينا للنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1995 0

كمال السيد أبو مصطفي : دكتور 0

202- جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب 1996 0

ليفي بروفنسال : دكتور 0

203- سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ت0 عبد الهادي شعيرة ، الإسكندرية 1951 0

مارك بلوك :

204- مشكلة الذهب في العصر الوسيط (مقالة من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي) ، ت0 توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية 1961 0

مبارك بن محمد الميلي : دكتور 0

205- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 0

محمد بن تاويت : دكتور 0

206- تاريخ سبتة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولي ، 1982 0

محمد زنيبر : دكتور 0

207- المغرب في العصر الوسيط ، الدولة – المدينة – الإقتصاد ، مطبعة النجاح الجديدة ، البيضاء ، الطبعة الأولي 1999 0

محمد الشريف : دكتور 0

208- سبتة الإسلامية ، دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي ، تطوان ، الطبعة الأولي 1995 0

209- نصوص جديدة ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، تطوان ، الطبعة الأولي ، مطبعة الحداد يوسف إخوان 1996 0

محمد عبد الله عنان :

210- عصر المرابطين والموحدين ، ج2 ، القاهرة 1964 0

211 – نهاية الأندلس (تاريخ العرب المنتصرين) الطبعة الأولي ، القاهرة 1949 ،

محمد عبد الغني الأشقر : دكتور 0

212- تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999 0

محمد عبد المنعم الشرقاوي – محمد محمود الصياد :

213 – ملامح المغرب العربي ، الإسكندرية ، طبعة 1959 0

محمد الفاسي : دكتور 0

214- التعريف بالمغرب ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1961 0

محمد محمود النشار : دكتور 0
215- علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك ، الطبعة الأولي 1990 ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية 0
محمد مصطفي زيادة : دكتور
216 – حملة لويس التاسع علي مصر وهزيمته في المنصورة ، الطبعة الأولي 1961 0
217 - حملة لويس التاسع علي مصر وهزيمته في المنصورة ، الطبعة الأولي 1961 0
محمد المنوني : دكتور 0
218- ورقات عن حضارة المرينيين ، الطبعة الثانية ، الرباط 1996 0
محمد بن الموقت : محمد بن محمد بن الموقت المراكشي ،
219- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة 1341هـ 0
محمد ولد داداه : دكتور 0
220- مفهوم الملك في المغرب ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، 1997 0
محاسن محمد الوقاد : دكتور
221 – اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة 648 – 924هـ/ 1250 – 1517م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة 1999 0
مجدي يسن عبد العال عبدالله :
222- مراكش منذ تأسيسها في عصر المرابطين الي نهاية دولة بني مرين ، رسالة ماجستير غيرمنشورة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية 2001 0
مسعد محمد عبد الله : دكتور 0
223- الصراع حول مضيق جبل طارق منذ منتصف القرن 7-9هـ/13-15م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية 2001م 0

مسعود كواتي : دكتور 0

224- اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلي سقوط دولة الموحدين ، الجزائر ، دار هوجة للطباعة والنشر ، 2000م 0

مصطفي ابو ضيف عمر : دكتور 0

245- القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية 1975 0

مصطفي حسن الكناني : دكتور 0

226- العلاقات بين جنوة والشرق الأدني الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية 1981 0

227 - حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس 668هـ/ 1270م ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1985 0

ممدوح حسين : دكتور 0

228 – الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري 668-792هـ/ 1270-1390م ، الطبعة الأولي ، 1998 ، دار عمار، الكويت 0

موريس لومبار :

229- الذهب الإسلامي منذ القرن 8 -11م ، (مقالة من كتاب بحوث في التاريخ الإقتصادي) ، ت0 توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية 1961 0

ناجلا محمد عبد النبي : دكتور 0

230- مصر والبندقية (العلاقات السياسية والإقتصادية في عصر المماليك) 784 - 923هـ/1382-1517م ، الطبعة الأولي عين للدراسات والبحوث ، 2001م

نجاة الباشا : دكتور 0

231 – التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلي القرن الثامن للهجرة ، منشورات الجامعة التونسية 1976 0

نعبم زكي فهمي : دكتور 0

232- طرق التجارة الدوليةومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1973 0

233- دور اليهود في تجارة العصور الوسطي بين الشرق والغرب ، مطابع سجل العرب ، 1971 0

نعيم فرح : دكتور 0

234- الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي، الطبعة الثانية ، دمشق 200م 0

هايد (ف) :

235- تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي ، ج1 ، ت0 أحمدر محمد رضا – عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985

هـ0 أ0ل0فشر :

236- تاريخ أوروبا العصور الوسطي ، ت0 محمد مصطفي زيادة-السيد الباز العريني ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ، 1976 0

هشام أبورميلة : دكتور 0

237 – علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ، دار الفرقان ن الطبعة الأولي 1984 الأردن 0

هنري بيرين : دكتور 0

238- تاريخ أوروبا في العصور الوسطي (الحياة الإقتصادية والإجتماعية) ترجمة وتحقيق عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1996 0

هوبكنز :

239- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطي ، ت0 أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1980 0

الوزاني : أبوعيسي المهدي ت0 1342هـ 0

240- النوازل الجديدة الكبري فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقري المسماة ب المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوي المتاخرين من علماء المغرب ، تحقيق

عمر بن عباد ج3 ، 8 ، طبع وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية ن المملكة المغربية ، 1997 0

وداد نصر محمد السيد الطوخي :

241 مدينة تنبكت منذ نشأتها حتي دخول السعديين ، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة 1986 0

ول ديورانت :

242- قصة الحضارة ، ج1 ، ج2 مجلد 5 ، ت0 محمد بدران ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1967 0

رابعاً- المصادر الأجنبية :

243 - Ashburner , W., The Rhodian Sea Law, Oxford, 1909. Scheltema , H. J., " , Byzantine Law " ,in C.M.H.,IV , Pt.2 ,1967 , PP. 6364 , O.D.B. ,vol, 3 .

الحسن بن الوزان : الحسن بن محمد الوزان الزياتي الشهير بلقب جان ليون الأفريقي ،ت0 (957هـ/1551م) 0

244- وصف أفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية ، عبد الرحمن حميدة ، الرياض ، 1399هـ / إعتمدت علي الترجمة العربية 0

258 - Bartolomeo ,Maestro: e altri,cf.Ann. Gen, [Anni 1241 – 1249] , vol, v. ,Genova . 1928

245 – Benjamin Of Tudela : The Travels of Rabbi Benjamin ofTudela A, D, 1160-1173. in thomas wright (ed.) early Travels in Palestine , london 1848.

إعتمدت علي الترجمة العربية، بنيامين التطيلي : بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي ، ت0(569هـ/1173م)

24 5 - : رحلة ابن يونة التطيلي الي بلاد الشرق الإسلامي ، ت0 عزرا حداد ن الطبعة الأولي ، بيروت ، دار ابن زيدون ، 1996 0

246- Caffaro , C, : Annali Genovesi di Caffaro ede' Suoi Continuatori , Dal MXCIXAL MCCXCIII, Cura Di Luigi T. Belgrano, Roma 1923 , vol 3 .

247- De La Ronciere (Charles) : La De'couverte de L'Afrique au Moyen Age , Societe Royale de Geographie de L'Egypte , Le Caire .

248 - Fabri, f. : Le voyage en Egypte (1483) , Trad. du Latin pre'sente' et annote' par J. Masson, Le Caire , 1975 ,

249 - Giustiniani, A. : Annali della Repubblica di Genova . Illustrate con note del prof . cav. G.R. Spotorns, 3a ed. Genovese , vol, 1. p. 442., p. 131 ,144,146.

250 - Jounville Jean Le : Histoire de Saint Louis " text original du XIV . O Siecle d'une Traduction en Francais Moderne par. M. Natilis de wailly , Paris, 1974 .

إعتمدت علي الترجمة العربية لهذا المصدر ؛ مذكرات جوانفيل : القديس لويس ، حياته وحملاته علي مصر والشام ، ترجمة وتعليق ، حسن حبشي ، الطبعة الأولي ، 1968 ، دار المعارف مصر 0

251- ماركوبولو :

رحلات ماركو بولو ، ت0 وليم مارسدن ، ونقلها للعربية ، عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 0

252- مارمول : كربخال 0

إفريقيا ، 3 أجزاء ، ت0 محمد حجي – محمد زنيبر ، الرباط ، مكتبة المعارف ، 1984 0

Tafur,P. : Travels and Adventures (1435 – 1439) , London ,1926.

253- طافور : بيرو ، ت0(887هـ/1484م) 0

رحلة طافور في عالم القرن 15م ، ت0 حسن حبشي ، دار المعارف بمصر، 1968 /اعتمدت على الترجمة العربية 0

254 - Zurita , Geronimo : Los Anales de La Corona de Aragon , Zaragoza , 1888 , Tome II .

خامساً المراجع الأجنبية :

255- Abulafia, David : " Asia , Africa , and the Trade of Medieval Europe , " Cambridge Economic History of Europe, 2nd edn, cambridge, 1987 .

256 - Ashtor : History of the Jews in Egypt and Syria the Rule of the Mamluks,Geniza docoumentes,Jerusalem,1970,

257 - Augustin & Bernard : Le Maroc , Paris,1913.

258 - Bovill , E. W. : The Golden Trade of the Moors , London , 1961.

259- Byrne(E.H.) : Easterners in Genoa , Journal of the American Oriental Society 1918,v.XXXVIII.

260 - " " : Genoese shipping in the twelfth and thirteenth centuries ,Cambridge (Massachusets) 1930 p.p. 6-7 .

261 - Cl. Huart : Histoire de Arabes, II, Paris,1913.

262 - Daru : Histoire de Venise , Bruxelles , 1840 , part, I .

263- Deverdun(G.) : Marrakech,des Origines a' 1912, Rabat 1959.

264- Dozy(R.) : Supplement aux dictionnares Arabes, II, Lyden, 1927.

265- Dufourcq : L'Espagne Catalanes Et Le Maghrib aux XIII et XIV siecles, Paris, 1966.

266- " : Commerce du Maghreb Medieval avec L'Eurobe et Marine Musulmane, Congres d'Histoire et de Sivilisation du Maghreb , Tunis tome I,1979.

267- Fredric (G. Lane) : Venice Amaritime Republic, London,1973.

268- Gabriella Airaldi : Genova E La Liguria Nel Medioevo Utet , Libreria Torino , 1986.

269- Goitein (S.D.) : Jews and Arabs , new York .

270- " : Amediterranean Society the Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the cairo – Geniza. University of California,vol,I, Press , 1967.

271 - G0itein : A Mediterranean Society, An Abridgment in One Volume , Revised and Edited by Jacob Lassner , Los Angeles,1999 0

272- Gino Benvenuti : Storia Della Repubblica Di Pisa , v,II, Pisa, 1962.

273- Giuseffe Rossi-Sabatini : L'Esansione Di Pisa Nel Mediterraneo Fino Alla Melria, Ferenze 1935.

274 - " : Pisa Al Tempo Dei Donoratico 1316 – 1347, Ferenze , 1938.

275- Hillgarth (J.N.) : Los Reinos Hispanicos , Barcelona , 1979 .

276- Jacques-Meunie, Djinn : Le Maroc Saharien Des Origines au XVI siecle , Librairie Klinchsieck , Paris, 1982.

277 – John H. Pryor : Commerce , Shipping and Naval Warfare in the Mediterranean,vol,IV,VII, London, 1987 .

278- La Roui(A.) : The History of Maghrib, Princton, U.P. 1977.

279 - López du Ayala (pedro): Crónica de Los Reyos es de Castilla Ed Cayetano Rosell. Tomes II, Madrid, 1953,

280- Louis Massignon : Memoire de La Societe Historique Algerienne , I , Le Maroc, Alger,1906.

281- Marc Antonio Bragadin (Commandant) : Histoire des Republiues Maritimes Italiennes Venise- Amalfi – Pisa – Genes, Paris , 1955.

282- Martin (J.L) : La Peninsula en la Edad Media its .Barcelona , 1978.

283 - Molmenti : Venice Individual crowth from the Earliest Beginnings to the Fall of Repuplic , part 1 , the Middle Ages , London, 1906,

284- Okey (T.) : Venice and its Hestory , London , 1903.

262 - Prieto; Politica Aragonesa en Africa hasta, La Muerta de Fernando ET Catolico, Madrid, 1952 .

284 - Postan,M.E. & Miller,R.E. : Cambridge Economic History of Europe, Cambridge,vol. 3.

285- Robert Montagne : Les barberes et Le Makhzen dans le Sud du Maroc , Paris , 1930 .

286- Robson J. A. : The Catalan Fleet and the Moorish Sea Power , (1337-1344) English Historical Review London , vol 74, 1949 .

287- Roland Oliver : the Western Maghrib and Sudan (Marinids in Marocco) . the Cambridge History of Africa , v.3, London , 1977.

288 - S.M. Stern : History and Culture in the Medieval Muslim World / London , 1984.

289 - Terrasse (H.) : Histoire du Maroc , v. II, Casablanca , 1949.

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

(أ) أهمية الموضوع ومنهج الدراسة 3

(ب) دراسة نقدية لأهم مصادر البحث 11

(ج) دراسة تمهيدية 40

أولاً – الموقع الجغرافى 0

1 – جغرافية المغرب الأقصى 41

2 ـ جغرافية المدن الإيطالية 50

3 – أثر العوامل المناخية على التجارة البحرية 55

ثانيًا – العلاقات السياسية بين دولة بنى مرين والجمهوريات الإيطالية 60

1 – الحالة السياسية للمغرب المريني . 61

2 ـ العلاقات السياسية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية (جنوة – بيزا – البندقية) 0 70

3 - أثر العلاقات السياسية الأسبانية الإيطالية علي التجارة بدولة بني مرين 80

4 - أثر القرصنة علي التجارة الإيطالية المرينية 0 100

الفصل الأول:

مقومات التجارة في دولة بني مرين 0 110

1 – أهم طرق التجارة 0 110

2 – أهم الموانئ التجارية 0 115

3 – السفن التجارية 0 116

4- الأسواق 0 123

5– الموازين والمكاييل والعملات النقدية 0 135

6– أهم السلع التجارية وبعض أسعارها 0 141

7– نظم التجارة المرينية : الوكالة – الشركة – القراض – الإستدانة والسلف– المقايضة ـ الكراء – المزايدة – الوديعة والرهن – الحوالة ـ الصك – السفتجة 0 154

8 – الضرائب والمكوس التجارية والجمركية 0

9 – العوامل السلبية المؤثرة في التجارة 0

الفصل الثاني : العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات
الإيطالية (جنوة – بيزا – البندقية) في ضوء الوثائق 0 181
أ - تمهيد: (ماهي هذه الوثائق- مضمونها-السمات المشتركة
-الخصائص الفردية- مدي علاقة الوثيقة بالواقع التاريخي0) 182
ب – مواد التجارة من خلال الوثائق:
1- دور القناصل التجارية 0 188
2- معاقبة التجار لمخالفتهم القوانين التجارية 0 189
3- التنازع بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين 0 191
4- تحطم سفن التجار 0 194
5- وراثة التاجر المتوفي لدي المعسكر الآخر 0 197
6- الضرائب الجمركية0 199
7- الفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطاليين 0 203
8- كراء السفن 0 210
9- دور التجار الجنوية التجاري بدولة بني مرين : 212
10- السلع التجارية المتبادلة بين المدن الإيطالية ودولة بني مرين 0 216
11- أثر التجار اليهود المغاربة والإيطاليون في التجارة الخارجية 0 229
الفصل الثالث : أحوال التجار المغاربة والإيطاليين 0 233
أولاً : التجار المغاربة 0
1- صفات التجار 0 234
2- طبقات التجار 0 239
3- التجار و الجاليات المغاربية بالمدن الإيطالية 0 250
ثانياً : التجار الإيطاليين 0
1- صفات التاجر الإيطالي 0 255
2- الجاليات الإيطالية بالمغرب المريني 0 264
الفصل الرابع : النظم التجارية للمدن الايطالية [جنوة – بيزا
- البندقية] 0 268
[1] طرق التجارة الايطالية 0 271
[2] السفن التجارية الايطالية : 275
[3] حركة الشحن البحرى 0 282

[4]النظم التجارية الايطالية : 287
شركة التوصية Commenda - الشركات البحرية Societas
Maris -عقود قرض البحرالتجارية - الموثقون وكاتبواالعقود -
الحولات والكمبيالات - القرض المالى ودوراليهود - المقايضة 0
[5] العملات النقدية الايطالية وأسعار بعض السلع 296
[6] الصيرفة والبنوك الايطالية 299
[7]الضرائب الجمركية 303
[8] الموازين والمقاييس والمكاييل 308

الخاتمة 312
الملاحق 317
قائمة المصادر والمراجع 335
فهرس الموضوعات 368